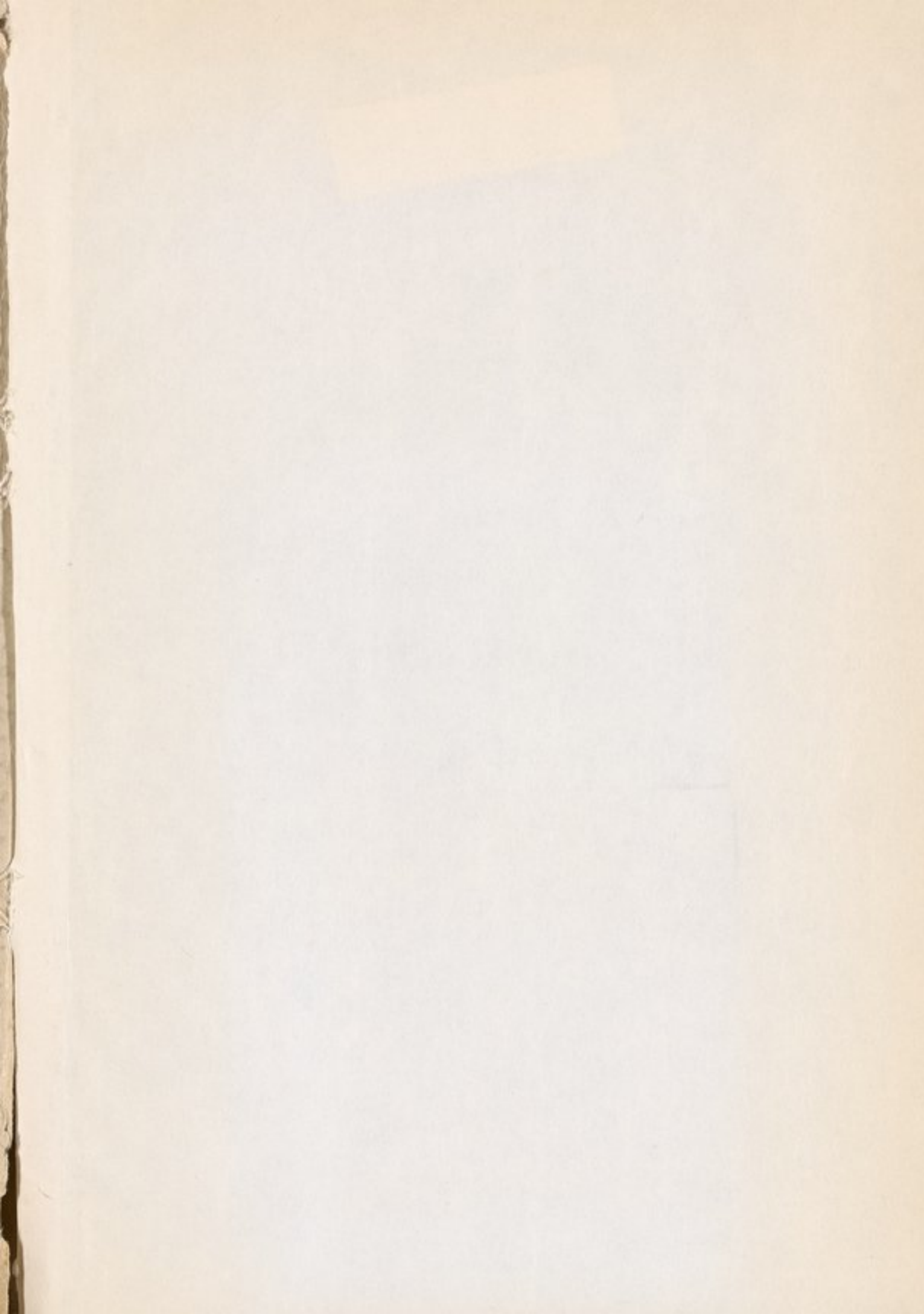


PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

PAIR



32101 018184026



ساعات جامعة بغداد على نشره

الثورة العراقية الكبرى

سنة ١٩٢٠

عبد الفياض

جامعة بغداد

الطبعة الاولى

مطبعة الارشاد - بغداد

١٩٦٣

al-Fayyād, 'Abd Allāh

ساعات جامعة بغداد على نشره

al-Thawrah al-'Irāqīyah

الثورة العراقية الكبرى

سنة ١٩٢٠

تأليف

عبد الفتاح

المدرس بكلية التربية - جامعة بغداد

الطبعة الاولى

مطبعة الارشاد - بغداد

١٩٦٣

الاهداء

الى والدين رحيمين اقدم هذه الثمرة
المتواضعة التي هي وحي منهما •



• المؤلف



تصدير

بقلم سماحة العلامة الشيخ محمد رضا الشيبلي

الثورة العراقية الكبرى

ماضي الثورة وحاضرها ، خصوم الثورة ، محكمة التاريخ ، عاقبة
الطيش والغرور ، الانتفاضة الكبرى اصل الانتفاضات ، عوامل الثورة ،
عامل سياسي ، عامل اقتصادي ، وعود الحلفاء ، النكت بالعهود ، صراع
بين الحاكم والمحكوم ، اندلاع الثورة ، حادث خليق بالدرس ، كيف
انقلبت الآية ، بحوث عن الثورة •

يوشك ان ينقضي على الثورة العراقية الكبرى نحو من نصف قرن
محضت احداثه ووقائعه تلك الآراء المضطربة والاحكام المتباينة التي ذهب
اليها الناس بشأن الثورة ومخضتها مخضا دفع محاولات المكابرين المنددين
بها المستخفين باهدافها النبيلة • ومن ذلك انها حركة مرتجلة او ضرب
من الشغب منبث عن الاغراض الشخصية ها هو التاريخ - وهو الحكم
العادل - ينصف تلك الانتفاضة الشعبية ويزيف اقوال خصومها الالءاء •
اجل ها هو التاريخ يفضح اغراض اولئك الذين ناوأوا الوثبة الاولى نحو
من نصف قرن وظلموا قادتها والصقوا ما الصقوا بهم من التهم الباطلة ولم
يرقبوا فيهم الا ولا ذمة • ويلاحظ ان جل اولئك المتكرين للثورة العراقية
من الخونة المارقين وصنائع المستعمرين وفيهم ويا للأسف البالغ من يتحل
العروبة وفيهم عراقيون كذلك • وكان لهذا النمط من الناس ان يتربوا
في المناصب العالية جزاء وفاقا لحياتهم وغدرهم وتجنبيهم على ابطال الثورة
المغاوير فاقنوا الاموال الطائلة وحازوا الثروات الجسيمة على حساب النكاية

2269
35492
389

بالامة الثائرة والعبث بمصالحها واهتضام حقوقها المشروعة ، حتى انهم
اغلبه الغرور والطيش عليهم امنوا يوم العقاب والحساب •

اجل لم يبق احد بعد فترة الاختبار والتمحيص هذه يشك بأن
الاتفاضة العراقية الكبرى شقت لابناء هذه البلاد نهج التحرر والانطلاق
والسير قدما لتحقيق حقهم في الحرية والعدالة الاجتماعية واختيار نظام من
نظم الحكم الشعبية •

لقد جدت كما لا يخفى بعد الثورة الكبرى ثورات • وتعددت
انتفاضات شعبية معروفة تميزت بالبدل والفداء وارخاص المهج والارواح
وذلك للتخلص من تعسف المتعسفين واثرة المستأثرين ودسائس الاستعمار
والمستعمرين ولكنها على خطر شأنها ما كانت الافروعا تشعبت عن الثورة
العراقية الكبرى فهذه الثورة وهي اصل كل ثورة او انتفاضة شريفة حدثت
بعد ذلك التاريخ في العراق •

من رأيي ان الثورة العراقية الكبرى في الثلاثين من حزيران سنة
١٩٢٠ وليدة عاملين خطيرين اولهما الضغط والاستغلال الاقتصادي
واستنزاف جهود العاملين في ميدان الزراعة خاصة - والعراق قطر زراعي
قبل كل شيء - والاستيلاء على مواردها من الخامات بابخس الاثمان وردھا
بعد استخدامها في الصناعة الحديثة لتصرفها في اسواق هذه البلاد باغلى
الاثمان وهذا هو جوهر الاستعمار الحديث • من هذه الناحية ادرك
العراقيون ان حياتهم الاقتصادية او المعاشية مهددة بضرب من الضنك والفقر
المدقع والاعواز ولهذا تأثرت بهذا العامل طبقة الزراع والفلاحين قبل غيرها
حتى حفزها لهذا التأثير البليغ لان تكون في طليعة القائمين بتلك الثورة
المجيدة بل كانت في مقدمة من بذل وضحي في سبيل مقاومة ذلك الضغط
والاستغلال • ولم يكن لهؤلاء الثوار الريفيين البواسل بد من ملاذ يلودون

به ويفزعون اليه في سبيل تسوية الانتفاضة واقامة الحجّة على شرعية هذه الحركة فوجدوا ذلك العون والملاذ في عدد غير قليل من العلماء الاعلام المجاهدين وخصوصا علماء النجف وكربلاء في ذلك الحين وفي مقدمتهم الشيخ المجاهد محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة والشيخ مهدي الخالصي تعمدهم الله برحمته ، تؤازرهم طبقة مثقفة من شباب الاسر العلمية المعروفة في النجف ، فافتوهم بضرورة الدفاع عن الشرف والكرامة وعن الحقوق العامة وعن حوزة الفضيلة والدين .

اما العامل الثاني في اندلاع الثورة فهو ذلك الضغط السياسي والحجز على الافكار والحيلولة بين ابناء البلاد وبين التعبير عن آرائهم والمطالبة بحقوقهم في تقرير مصيرهم بانفسهم واختيار حكاهمهم وحكوماتهم بملأ ارادتهم ثم للمحاولات التي بذلتها السلطة المحتلة لفرض نوع من السيطرة الاستعمارية المباشرة على العراق . وقد تأثر بهذا العامل الثاني ابناء المدن والحواضر اكثر من غيرهم . ولذلك بادر قادة الرأي في جملة من امهات المدن الى تسيق جهودهم وتنظيمها لمقارعة الاستعمار في اعقاب الحرب العالمية الاولى والمطالبة بحقوقهم الطبيعية في تقرير المصير .

ولا يخفى ان الحلفاء الظافرين في الحرب الدولية الاولى وهم بريطانيا وحليفتها فرنسا والولايات المتحدة الامريكية اذاعوا فور اعلان الهدنة بيانا رسميا مذيلا بتوقيع لويد جورج وكليما نضو كان له اثره وخطره في دول الشرق وفي ارجاء البلاد المنتزعة بقوة السلاح من الامبراطورية العثمانية خصوصا الاقطار العربية وفي مقدمتها العراق . وقد نص بيان الحلفاء على الاعتراف بحقوق الشعوب المذكورة في تقرير مصيرها بنفسها هذا بالاضافة الى بيان او اكثر من بيان سبق ان اذاعته السلطات المحتلة على شعوب

البلدان « المحررة » كما كانوا يسمونها في تلك الفترة •

وما اكثر الامثلة على تلك البيانات السياسية المعسولة • ومن اشهرها بيان الجنرال « مود » الذي اذاعه فور استيلائه على بغداد • وكان والحق يقال نموذجا رائعا في بلاغة الالفاظ • وخلاصة هذا البيان ان البريطانيين ما جاؤا الى هذه البلاد فاتحين وانما دخلوها محررين تحذوهم رغبة صادقة في اقاتها من عثرتها وتمكينها من بعث معالم حضارتها الباذخة • وهذا يعني ان الانكليز الذين صاغوا فقرات ذلك البيان كانوا يؤمنون بأن لنا ماضيا مجيدا في تاريخ الحضارة • هذا على ان هناك طبقة اخرى من ساسة الانكليز وغلاتهم في حب السيطرة والاستعمار كان لهم رأي آخر يختلف عما ورد في بيان الجنرال مود • ولا نبالغ انهم كانوا يسخرون من رأي ذلك الجندي المغوار الذي لفظ انفاسه الاخيرة في بغداد بعد اصابته بوباء الهیضة • وهكذا دلت التجارب على ان العبرة ليست بالالفاظ المعسولة او الاقوال الخلابة • وهكذا اتضح بأن السلطة البريطانية المحتلة تبت للعراقيين شرا مستطيروا وسيطرة استعمارية غاشمة •

وعلى كل حال كان للبلاغات او البيانات المذكورة وقعها الخطير في نفوس الطبقة الواعية من ابناء العراق واليها استند الشعب العراقي فيما استند لدى المطالبة بحقه في تقرير مصيره طبقا للمبادئ التي وردت في متن تلك البيانات فواصل الشعب جهده المضني حتى اكره السلطة البريطانية على اجراء استفتاء عام في البلاد اسفر عن رغبة الشعب العراقي في الحكم الذاتي والاستقلال التام •

هذا ولا يخفى ان الانكليز جنحوا بعد ذلك الى المطل والتسويق هذا من جهة وثابر العراقيون من جهة اخرى على المطالبة بحقوقهم المقطوعة لهم وان لم يجدوا من المحتلين اذنا صاغية • ولم يأل هؤلاء جهدا في الدس

والنكت بالمهود وبذر بذور الشقاق • فكان ذلك ايذانا باندلاع نيران الثورة •
وقد سجل واقع الثورة العراقية كما لا يخفى أن في العراق شعبا بذل كل
ما عز وهان في سبيل حريته وكرامته وفي مقارعة الفساد والطغيان الى ان
اعترف الانكليز مكرهين بأن العراق دولة مستقلة ذات سيادة •

هذا حديث مقتضب عن ماجريات ما قبل الثورة وعن الثورة العراقية
نفسها اما ما جرى بعد ذلك وكيف انقلبت الآية في فترة معينة من الفترات
التي انتقل الحكم فيها الى ايدي ابناء البلاد وكيف لوجه المجاهدون وكيف
اوذي الاحرار وامتحن الثوار وفي مقدمتهم العلماء الاعلام وكيف عوقبت
المنطقة الثائرة بالعسف والحرمان وذلك وفق خطة استعمارية مرسومة فأنه
حديث طويل يثير الشجون ويمري الجفون •

كانت الثورة العراقية وما زالت حادثا خطيرا خليقا بالدرس وقد
تناولها عدد غير قليل من الكتاب والباحثين في كتب ورسائل ظهر اكثرها
بالعربية لكتاب عراقيين وبعضها بالانكليزية لباحثين من الانكليز واخيرا ظهر
عنها بحث باللغة الروسية ، هذا عدا ما نشر عنها في الصحف والمجلات من
مقالات وبحوث بلغات عدة • وكان آخر من تناول موضوع الثورة بالبحث
الاستاذ عبدالله الفياض في كتابه هذا وهو كتاب يتضح لقارئه اي جهد مضني
بذله المؤلف في تأليفه فلم يفته مأخذ من المآخذ او المظان المحررة في هذا
الموضوع باللغتين العربية والانكليزية • وعلاوة على ذلك فأنه ظفر بجملته
من الوثائق والمستندات النادرة • ولم يكتف السيد الفياض بهذا وانما لاحظنا
انه قتل تلك الكتب بحثا ونقدا وعرف كل كتاب تعريفا كافيا وذكر خصائصه
ومميزاته في فصل تضمنته مقدمة الكتاب فجاء بحثا من البحوث المقارنة في

تاريخ الثورة • لذلك لا يسعنا الا اكار الجهد الذي بذله المؤلف ونحث
هواة البحوث التاريخية ولا سيما ما يتصل منها بالعراق على اقتناء هذا الكتاب
المتع و نرجو ان يحالف مؤلفه التوفيق •

محمد رضا الشيبيني

بغداد

٢٠ شعبان ١٣٨٢ هـ

١٦ كانون الثاني ١٩٦٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

تصدى كثير من الكتاب ، من عرب^(١) واجانب^(٢) ، للكتابة عن الثورة العراقية في سنة عشرين وتسعمائة وألف . وقد ظهر لي ان معظم المؤلفات المذكورة لم تسلم من النقص ، واعتقد ان كتاب البصير كان افضل

(١) البصير ، محمد مهدي ، تاريخ القضية العراقية ، جزآن (بغداد ، ١٩٢٤) ؛ الحسنى ، عبدالرزاق ، الثورة العراقية الكبرى (صيدا ١٩٥٢) ؛ الفرعون ، فريق المزهري ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، جزآن (بغداد ، ١٩٥٢) ؛ البازركان ، علي ، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية (بغداد ، ١٩٥٢) ؛ علي ، عباس ، زعيم الثورة العراقية (بغداد ، ١٩٥٠) ؛ سعيد ، امين ، الثورة العربية الكبرى ، الجزء الثاني (القاهرة ، ١٩٣٥) ؛ العمري ، محمد طاهر ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ثلاثة اجزاء (بغداد ، ١٩٢٥) .

(٢) Wilson, A.T. A Clash of Loyalties. 2 Vols. London, 1939; Ireland, P.W., Iraq: A Study in Political Development, London, 1937; Haldane, Sir A. L., The Insurrection in Mesopotamia, 1920, Edinburgh, 1922;

بيل ، المس ، فصول من تاريخ العراق الحديث - تعريب جعفر خياط (بيروت ، ١٩٤٩) ؛ كوتولوف ، ل . ن ، الثورة التحريرية الوطنية العراقية في سنة ١٩٢٠ (موسكو ، ١٩٥٨) . (اصل هذا الكتاب باللغة الروسية ، واثبت عنوانه بالعربية كما ترجمه مؤلفه وذلك لعدم توفر حروف طباعة روسية في المطبعة) .

ما كتب عن الثورة بالعربية ولكنه مع ذلك لا يخلو من هتات • ويظهر نقص كتاب البصير في ناحيتين : احدهما ان الدكتور البصير اغفل الوثائق المتعلقة بالثورة فلم يحاول ان يثبتها او يشير اليها على الاقل • وقد فقد البصير باغفاله للوثائق وسيلة مهمة من وسائل التحقيق التاريخي • واعتقد ان البصير كان بوضع يستطيع معه ان يجمع اكبر كمية من هذه الوثائق لصلته الوثيقة بالثوار اولا ، ولانه من العاملين في الحقل الوطني ثانيا ، ولانه كتب عن الثورة في عهد مبكر حين كانت هذه الوثائق متوفرة ثالثا • اما ناحية الضعف الثانية في كتاب الدكتور البصير فهي انه اقتبس جل معلوماته عن الحركات العسكرية للثورة من كتاب الجنرال هالدين سالف الذكر ولم يشر الى وجهة نظر الثوار حول القضايا العسكرية الا نادرا • وقد يعتذر البصير عن اتخاذ هذا الموقف بأن الثوار كانت تنقصهم السجلات التي تتعلق بإمكانياتهم العسكرية لان قواتهم ما كانت على شكل جيش نظامي ولهذا تعذرت عليهم معرفة عدد القتلى والجرحى في المعارك • هذا فضلا عن الخسائر المادية للمحاربين في الاموال والعتاد • وبالرغم من وجهة هذه الحجة فإن الثوار او بالاحرى هيئة الدعاوة والنشر للثورة التي كان مركزها النجف ، كانوا يصدرون بلاغات حربية مطبوعة وخاصة عند وقوع المعارك المهمة بينهم وبين قوات العدو • وكان بعض هذه البلاغات يتضمن معلومات طريفة وقرينة للتدقيق احيانا ولهذا تصلح لان تكون من بين المصادر التي تساعد الكاتب على الوصول الى الحقيقة • وقد اثبت نماذج منها اثناء البحث على سبيل المثال لا الحصر •

وبالاضافة الى ما سبق فإن البصير بالغ احيانا في الدور الذي لعبته الاحزاب السياسية في الثورة كجمعية العهد وجمعية حرس الاستقلال • وبالرغم من كل ما ذكرت فان كتاب الدكتور البصير يبقى في الطليعة بين الكتب التي بحثت في الثورة •

ويعد كتاب الحسيني سالف الذكر من بين الكتب الجيدة التي تناولت موضوع الثورة • وقد اورد الحسيني في كتابه هذا تحقيقات شخصية مفيدة تدل على الجهد الذي بذله المؤلف في هذه الناحية • واخص بالذكر الاستفتاء الذي عمله لاستحصاء آراء مجموعة من الشخصيات الممثلة لمختلف وجهات النظر • وقد دون الحسيني ما توصل اليه بهذا الصدد بفصل خاص من كتابه اسماء « آراء وافكار » •

ولم يخجل كتاب الحسيني من نقائص ، منها ان المؤلف لم يورد الا نادرا امثلة او حالات واقعية تدعم الاحكام التي اصدرها • ويظهر ذلك بوضوح في الفصل المتعلق باسباب الثورة • فالحسيني يسرد في فصله المذكور اسبابا عديدة للثورة مثل سوء ادارة الحكام وظلمهم للناس ، وغلاء المعيشة في العراق حينذاك واغتصاب الحكومة لأقوات الشعب ، وذلك بشرائها باثمان رخيصة وبيعها باثمان عالية الى آخر ما هنالك من الاسباب ، ولكنه لم يدعم اقواله بمثال مقرون بزمان او مكان او الاثنين معاً •

وعندما حاولت ان اسد هذه الثغرة عثرت على امثلة كثيرة اوردها في الفصل الثالث والرابع من هذا الكتاب •

وهناك ناحية اخرى تتعلق بترتيب المعلومات لا اقر الحسيني عليها وهي انه بحث المفاوضات التي حصلت اثناء الحرب بين الامام شيخ الشريعة والسلطات البريطانية في العراق ، قبل ان يبحث الحركات العسكرية التي سبقت هذه المفاوضات وربما استدعتها • وكنت افضل ان يشير الحسيني الى هذه المفاوضات في محلها ، اي بعد انسحاب القوات الانكليزية من الديوانية وذلك في ٣٠ تموز ١٩٢٠ ، حتى يستطيع القاري ان يقدر اهمية هذه المفاوضات ويفهم موقف كل فريق من المتفاوضين •

ولا اعلم كيف تصور الحسيني ان القاريء يستطيع الوقوف على اهمية المفاوضات وهو لم يقرأ بعد عن اعمال الفريقين عسكريا . وقد اتبع بعض من كتبوا عن الثورة الطريقة التي اتبعتها ومن هؤلاء الدكتور البصير .

وكان السيد عباس علي من بين الذين انفوا عن الثورة . وكان كتابه يدور حول حياة السيد محمد الصدر الذي اعطاه المؤلف لقب « زعيم الثورة » . ولما كان اسهام السيد الصدر في الثورة محدودا فأني لا اقر المؤلف على هذه التسمية . ثم ان الكتاب مشحون بعبارات المدح المفرط لذا لا ارى حاجة لمناقشة آراء الكاتب .

وكان الشيخ فريق الفرعون من بين الكتاب الذين كتبوا عن الثورة . ويمتاز كتاب الشيخ فريق بكثرة الوثائق وتوعها . ويظهر لي ان احتكاك الشيخ فريق بالثوار واشتراكه شخصيا مع افراد اسرته بالحركات العسكرية للثورة ، وقرابته من احد زعماء الثورة البارزين وهو الشيخ عبدالواحد الحاج سكر ، مكنه من الحصول على هذه الوثائق التي لم يستطع ان يحصلها غيره ممن كتبوا عن الثورة . وهناك ميزة اخرى يكاد ان ينفرد فيها الشيخ فريق الفرعون وهي انه يمثل وجهة نظر ابناء العشائر الذين قامت الحركات العسكرية للثورة على اكتافهم في الغالب . ولكن صفة الحياد مفقودة في كثير مما كتبه الشيخ فريق . فاراد الشيخ فريق ان يجعل الثورة فراية لا عراقية . وقد يكون مع الشيخ فريق عذر في هذه الناحية اذا نظر الى الجانب العسكري من الثورة ، اذ من المعلوم ان الغالبية العظمى من العمليات العسكرية تمت في منطقة الفرات الاوسط ، ولكن الثورة لا تقتصر على الجانب العسكري كما لا تقتصر من حيث الزمان على الاشهر الخمسة التي اشتبك بها الثوار مع القوات البريطانية في العراق . ونحيل القاريء على الفصول القادمة من هذا الكتاب ليرى أهمية

الناحية الفكرية والسياسية للثورة التي تمخضت عنها الاعمال العسكرية
بعد اكثر من ستين •

وليت الشيخ فريق الفرعون وقف عند هذا الحد ، بل ان القارىء
يلمح في ما كتبه الشيخ فريق تعصبا لمنطقته وقيلته • وعندى ان الشيخ
فريق اساء لمنطقته وقيلته من حيث اراد الاحسان لهما • ولا ادري كيف
يستطيع كاتب ان يكتب عن الثورة العراقية ويفغل او يتناسى دور الفراتين
فيها ؟ انه ان تناساهم فلا يبقى له الا الهيكل العظمي للثورة • واي مؤلف
يستطيع ان يكتب عن الثورة دون ان يبحث عن الاعمال الباهرة التي قامت
بها قبائل الفرات الاوسط وخاصة قبائل الرميثة والسماوة والكفل والشامية
والدغايرة وغيرها ؟ كما يكون المؤرخ قد جانب الحق اذ اغفل قبيلة الشيخ
فريق ، آل فتله وزعيمها الشيخ عبدالواحد الحاج سكر • ومع كل هذا
فأني لا ارى مبررا للشيخ فريق في ان يؤكد على دور الفراتين عامة وآل
فتله خاصة ولكنه يمر مرا سريعا احيانا بجهود الاخرين الذين قاموا بواجبهم
المقدس في اثورة كل حسب ظروفه وقدرته •

وكتب الاستاذ علي البازركان كتابه المذكور كتعليق على كتاب الشيخ
فريق سالف الذكر ولكن لهجة الاستاذ البازركان لا تفضل لهجة الشيخ
فريق في كثير من الاحيان فهما قد عقدا مناظرة ولم يكتبتا تاريخا •

اما الاستاذ العمري فانه مر بالثورة العراقية سنة ١٩٢٠ مر الكرام •
نكتب تفصيلات كثيرة عن حوادث دير الزور وتلعفر وغيرها • وفي
الوقت الذي نجده يطنب في ذكر جهود جمعية العهد في سوريا والعراق
يورد معلومات مقتضبة عن الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ • يضاف الى ذلك ان
العمري خصص اكثر من نصف كتابه ، الذي هو عن العراق ، للبحث في
شؤون البلاد العربية المجاورة •

اما كتاب امين سعيد فهو يفضل كتاب العمري ، مادة واسلوبا ، ولكنه

يتفق معه في الغالب في وجهة نظره عن الثورة • ومن اهم ما لاحظته في المؤلفات العربية التي كتبت عن الثورة هو خلوها من بحث عن الحالة الاقتصادية في العراق خلال فترة الاحتلال البريطاني وائر ذلك في قيام الثورة • ولم تورد هذه المؤلفات عن هذه الناحية المهمة الا معلومات عابرة لا تستند على ارقام احصائية في الغالب • وقد حاولت سد هذا الفراغ فأوردت معلومات غير قليلة في اماكنها من هذا الكتاب •

وكان السير آرنولد ولسن ، نائب الحاكم الملكي العام ، ابان الثورة من بين الكتاب الذين كتبوا عن الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ • وكان ولسن من بين الساسة البريطانيين الذين يعارضون السياسة الحرة في العراق وكان يعد التصريح الانكليزي الافرنسي المعروف الصادر في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ بمثابة « قبلة حقيقية اطلقت فحطمت مقدا الجهاز الاستعماري الجسيم الذي كان يحلم بتشميله منذ مدة طويلة على جميع بلاد الشرق الاوسط »^(١) • ولم يستطع ولسن اخفاء عواطفه حين كتب كتابه سالف الذكر عن العراق ، فمرة يصف العراقيين بأنهم لا يتحلون بروح المواطنة الحققة ، ومرة يصف القبائل العراقية بانها شبيهة بالقبائل نصف المتوحشة ، ثم يضطر تحت ضغط الحقيقة لان يعجب من اتحاد هذه القبائل لدوافع وطنية ودينية لمقاومة السلطات البريطانية عند قيام الثورة • ويظهر ان عواطفه طغت على حب الحقيقة حتى في تقاريره الرسمية فهو قبيل قيام الثورة بأيام زار الحلة فظهر له ان الناس مرتاحون للحكم البريطاني وان المجتهدين فشلوا في حث الناس على القيام بوجه سلطات الاحتلال • وقد اشرت الى هذا ونحوه مما اشرت اليه اثناء البحث •

اما الجنرال هالدين ، القائد العام للقوات البريطانية في العراق ، خلال

(١) فيلبي ، هـ • سنت جون ، ايام فيلبي في العراق (بيروت

١٩٥٠) ص ١٧ •

الثورة فكان من بين الكتاب الذين كتبوا مجلدا ضخما عن الثورة • وكان هالدين أكثر تحريا للحقيقة من السير ولسن ولم يتردد في الثناء على الثوار في بعض المناسبات التي تستوجب الثناء • ولكنه يهجم على الثوار احيانا دون مبرر ويصفهم باوصاف تقترب من اوصاف ولسن في بعض الاحيان • وهناك ناحية اخرى في كتاب هالدين المذكور ، لاحظتها اثناء البحث ، وهي ان اعداد اقتلى والجرحى الانكليز التي اوردها بكتابه تقل كثيرا عما ورد في رواية الثوار الخطية او الشفهية ، كما ان عدد قتلى الثوار كان مبالغاً فيه احيانا •

وكانت المس بيل من اشهر من كتب عن الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ • وبالرغم من انها لم تتجنب الشطط في بعض ما كتبت بهذا الخصوص فهي أكثر تدقيقا وارق لهجة من السير آرنولد ولسن • وكان وصفها للاستفتاء في الحلة بأنه معبر عن اراء السكان من الامثلة على ذلك • فقالت ان اهل الحلة عبروا بصورة قلبية عن رغبتهم في ان يكون السير برسي كوكس ملكا على العراق • وقد روى لنا الدكتور البصير الذي كان حاضرا في الحلة عند اجراء الاستفتاء قصة التعبير القلبي لاهل الحلة • وقد اوردت ذلك في مكانه من هذا الكتاب • وقد جانبت المس بيل الحقيقة حين وصفت الامام الشيخ محمد تقي الشيرازي بالرجل « الخرف »^(١) • وهذا النوع من التعبير لا يقره العرف التاريخي من جهة ، ولا يتناسب مع مركز الامام في نفوس الملايين من المسلمين من جهة اخرى • ولا يبرر كون الامام عدو الانكليز المدود للكتابة ان تصفه بهذا الوصف •

اما كتاب المستر فيليب ويلاارد آيرلند سائف الذكر فيمتاز بالانصاف والتدقيق في ترتيب الاحداث ولذا فهو ذو قيمة علمية بارزة^(٢) • ومع هذا

(١) بيل ، المس ، فصول من تاريخ العراق ، ص ١٧٠ •

(٢) انطونيوس ، جورج ، يقظة العرب ، ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس (بيروت ، ١٩٦٢) ص ٤٣٠ •

فأن آيرلند لم يطلع على كثير من المصادر المحلية للثورة • فهو قلما اجرى تحقيقات محلية مع اهل العراق مع انه كان بوضع يستطيع معه ان يفعل ذلك لانه اشتغل مدة في العراق • والتحقيقات المحلية ، كمصدر من مصادر التاريخ لا تخلو من الخطر ولكنها ضرورية في كثير من الاحيان • وقد استفدت منها عند كتابتي لهذا الكتاب •

وكان المسيو ليوكوتلوف من بين الذين كتبوا عن الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ • وكان جهلي باللغة الروسية سببا في عدم قدرتي على الاطلاع على جميع محتويات الكتاب • وقد ترجم لي بعض الافضل اجزاء من هذا الكتاب وخاصة الفصل المتعلق بالنتائج التي توصل لها المؤلف عن الثورة • ولم اكن بمركز من يستطيع ان يعطيني حكما عن هذا الكتاب •

وقد جريت في كتابي هذا على تقسيم الحركة الوطنية في العراق خلال هذه الفترة الى دورين : احدهما فكري وسياسي وثانيهما سياسي وعسكري • فالدور الفكري يتمثل بما دخل هذه البلاد من وسائل الثقافة الحديثة سواء كان ذلك من الغرب مباشرة او عن طريق بلدان الشرق الاوسط وخاصة البلاد العربية مثل سورية ومصر • كما يتمثل الدور الفكري في نهضة صحافية محدودة نشأت على الاكثر بعد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ ، وخاصة في المراكز الثقافية المهمة مثل بغداد والبصرة والموصل والنجف الاشرف • ويظهر النشاط السياسي في هذا الدور بالحركة الدستورية التي باركها جماعة من المجتهدين في النجف الاشرف وعملت لها نخبة من المثقفين في العراق • كما يظهر النشاط السياسي في ما انشأ من جمعيات واحزاب سياسية مبشرة هنا وهناك • وان كانت النجف الاشرف وبغداد في فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى مركزين للحركة الفكرية والسياسية معا ، فان البصرة كانت موطننا رئيسا لحركة سياسية معروفة • وقد اوردت تفصيلات وافية عن هذا الدور في الفصل الثاني من هذا الكتاب •

وقد كانت ظروف الحرب من الاسباب الرئيسية في تشييط الحركة السياسية في العراق ، اذ كثر المشتغلون بالسياسة ، كما اخذت اعمالهم تتركز في اهداف معينة وهي العمل من اجل تحرير البلاد واقامة حكم وطني فيها . وقد اخذت بغداد تشاطر النجف الاشرف قيادة الحركة الوطنية . اما الموصل فأن الثورة العربية في الحجاز وسورية اولا ، والحركة الكمالية في تركيا ثانيا ، بعثا فيها روحا وطنيا ظهرت آثاره في الحركات التي اعقبت الهدنة في سنة ١٩١٨ ، سواء كان ذلك في ولاية الموصل نفسها او في دير الزور . اما البصرة خلال الحرب وبعدها فأنها اخذت تتخلى عن مركز القيادة السياسية الذي احرزته قبل الحرب . ثم سيطرت عليها حالة من الفتور امتدت طيلة فترة الاحتلال بما فيها قيام الثورة العسكرية في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ . وخصصت الفصل الثالث من هذا الكتاب لبحث دور الاحتلال البريطاني للعراق ، كما بحثت فيه احوال البلاد السياسية والاقتصادية خلال هذا الدور .

اما الفصل الرابع من كتابي هذا فقد خصصته لبحث اسباب الثورة المختلفة فظهر لي ان السبب الديني كان في الصدارة من بين هذه الاسباب . وتعرضت في الفصل الخامس الى بحث الحركات العسكرية خلال ثورة العشرين ، فظهر لي ان اسهام مدن البصرة وبغداد والموصل فيها كان ضئيلا ، ما عدا جهود فردية لبعض الذين هربوا من وجه سلطات الاحتلال ، وبعض الضباط الذين كانوا في الجيش العثماني . وقد التحق هؤلاء بمناطق الثورة الرئيسية في الفرات الاوسط .

اما الجهات الوسطى والجنوبية من العراق ، ما عدا الفرات الاوسط^(١) ، فقد كان اسهامها في الحركات العسكرية خلال ثورة ١٩٢٠

(١) يقدر الجنرال هالدين على الص ٣٣١ من كتابه سالف الذكر خسائر الثوار ب « ٨٤٥٠ » شخصا بين قتيل وجريح . وان (٥٥٠) من هذا =

محدودا • فلولا جهود الشيخ ضاري المحمود وبعض الوطنيين في لسواء
الدليم وعدد من الاهالي في دبالى وعلى رأسهم الشيخ حبيب الخيزران ،
ولولا الحوادث المبعثرة في لواء الناصرية (المنتفك) لكانت الاعمال العسكرية
للثورة من نصيب سكان الفرات الاوسط فقط • يضاف الى ذلك ان جماعات
مبعثرة وافرادا ضحوا بأموالهم ودمائهم في سبيل الوطن امثال عبدالمجيد
كنه الذي شنقته السلطات الانكليزية ببغداد ، وما ورد في بلاغ اصدده
النوار في ٢ ذي الحجة سنة ١٣٣٨ هـ عن ضحايا حركة حصلت ببغداد •
ويقول هذا البلاغ اصل بنا « ان نار الثورة استعرت في بغداد فقتل في
الجانب الغربي عشرون جنديا من البريطانيين وذلك عندما ارادوا القبض
على الشيخ يوسف السويدي •••• » •

وقد تزعم الثورة رجال الدين ورؤساء القبائل • فكان القطب الذي
دارت حوله الثورة الامام محمد تقي الشيرازي اولا وآية الله شيخ الشريعة
ثانيا والامام مهدي الخالصي ثالثا •

وظهرت شخصيات كانت ابرز من غيرها في الحقلين السياسي
والعسكري • فكان السيد محمد الصدر ويوسف السويدي وجعفر ابو
التمن من ابرز العاملين في الحركة الوطنية ببغداد • وكان الشيخ عبدالكريم
الجزائري والسيد علوان الياصري والشيخ عبدالواحد الحاج سكر والسيد
نور الياصري من اهم العاملين في الحركة الوطنية سياسيا وعسكريا في منطقة
النجف الاشرف والشامية • اما في منطقة الديوانية فكانت شخصية الحاج
مخيف والسيد هادي مكوطر والشيخ شعلان ابو الجون والشيخ غيث
الخرجان من ابرز العاملين في الحركات العسكرية للثورة • وكانت

= العدد قتلوا او جرحوا في المناطق العراقية الاخرى عدا الفرات الاوسط
والاعلى • اما الباقي فقد قتلوا او جرحوا في منطقة الثورة الرئيسية وهي
الفرات الاوسط •

I
religious
leadership

II
leadership of
Baghdad

شخصية السيد كاطع العوادي من اشهر الشخصيات العاملة في الحقل الوطني بالحلة . اما في الدليم وديالى فكان الشيخ ضاري المحمود والشيخ حبيب الخيزران من ابرز العاملين في الحركات العسكرية للثورة .

ان تأكدي على هذه الشخصيات لا يعني اهمال الجهود التي قام بها الآخرون ، كلا فان جميع الذين اسهموا بالثورة ينظرهم الشعب العراقي نظرة تقدير واجلال ، وستنظرهم الاجيال القادمة نظرة ملؤها الاحترام والفخر .

اما الفصل السادس من هذا الكتاب فقد دونت فيه النتائج الرئيسية للثورة .

وقبل ان اختتم مقدمتي هذه اقدم جزيل شكري لاستاذي الدكتور نقولا زيادة ، احد اساتذة التاريخ في الجامعة الامريكية ببيروت الذي كان خير معين لي اثناء كتابتي لهذه الرسالة . وقد كان لارشاداته القيمة وتوجيهه اثر واضح في اخراج هذه الثمرة المتواضعة الى حيز الوجود .

كما اني اتقدم بجزيل الشكر للمؤسسات والافراد الذين مدوا لي يد المساعدة سواء بتزويدي بالمصادر او الوثائق . واخص بالذكر هيئة المدارس الجعفرية ببغداد التي زودتني بوثائق تأسيس اول مدرسة جعفرية اهلية تحت اسم «مكتب الترقى الجعفري العثماني» ، والسيد محمد علي كمال الدين الذي زودني بأعداد جريدتي « الفرات » و « الاستقلال » النجفيتين فصورتهما واتخذت منهما نواة لمجموعة الوثائق التي جمعتها عن الثورة العراقية والتي اصبحت ملكا لمكتبة الجامعة الامريكية ببيروت . والشيخ اسد حيدر الذي زودني بوثيقة موقعة بتوقيع الامام شيخ الشريعة . ولا يفوتني ان اشكر مؤسسة فلبرايت الامريكية في العراق التي قدمت لي منحة مالية اثناء دراستي في الجامعة الامريكية ببيروت . كما اشكر جامعة بغداد التي منحت هذا الكتاب منحة مالية سخية مكنتني من نشره .

واقول ، ، قبل الختام ، انني حاولت ان ادرس الثورة العراقية دراسة موضوعية ولكنني لا ادعي انني وفيت الموضوع حقه اذ انني احتمل وجود وثائق لم اتمكن من العثور عليها خاصة الوثائق الرسمية الموجودة في الهند وبريطانية والوثائق التي يحتفظ بها اهلها في العراق . وكل ما ارجوه ان تكون دراستي هذه محفزا لحضرات الباحثين لينبروا لانمام هذه الصفحة التي دوته من تاريخ العراق ، كما يعملوا على تدوين الصفحات الاخرى من تاريخ العراق الحديث التي اشعر ان تدوينها بصورة علمية لم يتم بعد (١) .

عبدالله الفياض

بغداد - في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٢

(١) كان اصل هذه الكتاب اطروحة قدمت للجامعة الامريكية ببيروت في ١ حزيران ١٩٥٤ . وقد اضيفت اليها معلومات كثيرة عثرت عليها مؤخرا .

الفصل الاول

احوال العراق الاجتماعية والاقتصادية في نهاية القرن التاسع عشر

لم يكن هدفي ، من كتابة هذا الفصل التمهيدي ، الا لمام بأحوال البلاد الاجتماعية والاقتصادية في مطلع هذا القرن ، بل كل ما كنت اتوخاه هو ان القي نظرة سريعة على هذا النوع من العلائق التي كانت شائعة بين سكان هذه البلاد في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن .

كان العراق لقرون خلت خاضعا للحكم العثماني ، ولكن قبضة العثمانيين على هذه البلاد ، اذا استثنينا المدن الكبيرة كبغداد والموصل والبصرة ، لم تكن قوية . ويكاد نفوذ العثمانيين ان يكون اسما في بعض المناطق التي تكونت فيها اتحادات قبلية قوية كبعض اجزاء ولاية البصرة التي تكون فيها اتحاد قبائل المنتفك^(١) ، والفرات الاوسط الذي تكون فيه

(١) تكون اتحاد قبائل المنتفك من قبائل كثيرة مبثوثة من اعالي الناصرية الى ظهر البصرة نهرا وبراً ، وفي القرن الثاني عشر للهجرة احتلت هذه القبائل قسما من نهر الغراف ، وهو غراف الشطرة وقلعة سكر وقرى حطامان . وكانت هذه المجموعة من القبائل تسكن ارضا اطلق عليها ديرة المنتفك . وبالرغم من فقدان الارقام المضبوطة التي تبين مساحة ديرة المنتفك نستطيع ان نقدرها بما لا يقل عن عشرة آلاف ميل مربع ، وذلك بالاستناد الى معرفتنا التقريبية لحدودها الشمالية والجنوبية حيث كانت تمتد من الفاو عند مصب شط العرب الى اعالي السماوة . اما عدد نفوسها فيقدره سليمان فائق على الص ١٤٩ من كتابه الموسوم بـ « تاريخ بغداد » المطبوع ببغداد ١٩٦٢ بمائتي ألف نسمة . كما قدره الشيخ ثامر السعدون ، نائب المنتفك السابق ، بنصف مليون . ولكنني اعتقد أن هذه التقديرات لا تخلو من مبالغة وذلك لقلّة نفوس العراق في العهد العثماني =

اتحاد الخزاعل ، وبعض الأقسام الساحلية من دجلة الواقعة جنوب بغداد حيث تكون اتحاد بني لام وقبائل ربيعة . ويعزى ضعف سيطرة العثمانيين على معظم أنحاء العراق الى بعد وادي الرافدين عن الأستانة ورداءة المواصلات من جهة ، ولشيوع النظام القبلي الذي لا ينسجم مع وجود سلطة مركزية من جهة أخرى . وقد خيم الجهل والفقر والمرض خلال أكثر فترات الحكم العثماني ، فصارت البلاد ساحة للحرب والمنازعات وما لحقها من الكوارث العظيمة ، مما أدى الى خراب الديار واندثار مؤسسات الري التي يتوقف عليها رفاة هذه البلاد بالدرجة الأولى . وكان طبيعياً ، نحت ظروف كهذه ، ان تكون القبيلة هي التنظيم السياسي والاجتماعي الذي يمكن أن يعيش في ظلله الأفراد وان يمنح هؤلاء الأفراد اخلاصهم وولاءهم لذلك التنظيم دون غيره . وكان لكل قبيلة من هذه القبائل منطقة خاصة بها تسمى « الديرة » (١) .

وقد اقتضت سياسة الحكومة العثمانية في العراق أن تبقى القبائل على ما كانت عليه من تشاحن وخلافات فظلت هذه القبائل تتنازع فيما بينها مرة وأخرى مع الحكومة . وكانت الحكومة تستعين ببعض القبائل الموالية لها لضرب القبائل الثائرة . وفي الثلث الأخير من القرن التاسع عشر اي في

= وقد قدر نفوس العراق في نهاية القرن التاسع عشر، الاستاذ عبدالرزاق الهلالي على الص ٣٣ من كتابه الموسوم بـ « تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني » المطبوع ببغداد ، ١٩٥٩ بمليون وربع نسمة . وكان لهذه القبائل أهمية كبيرة في سياسة البلاد الى درجة أن الجنرال هالدين على الص ٢١٦ من كتابه سالف الذكر عد مدينة الشطيرة، إحدى المدن التي تقطن حولها هذه القبائل بمثابة بارومتر للوضع السياسي في أواسط الغراف خلال العهد التركي . ويعتقد ان هذه المدينة التي تمتعت بتاريخ طويل من الفوضى والاضطراب كانت مثار قلق للموظفين الاتراك الذين لاقى بعضهم حتفه فيها .

(١) منطقة مخصصة لرعى الحيوانات أو الزراعة لقبيلة أو لمجموعة من القبائل .

عهد ولاية مدحت باشا على العراق ، ثارت قبائل الدغايرة وقتلت متصرف الديوانية فاهتم الوالي لهذا الامر وجهاز جيشا كبيرا لقمع هذه الحركة مستعينا بالقبائل الموالية للحكومة^(١) . وكانت هذه القبائل لا تعترف بسلطة الحكومة الا قليلا . وبالرغم من محاولات الحكومة المتكررة في سبيل تثبيت سلطتها في المناطق القبلية فانها لم تنجح بذلك مما دعاها الى الاكتفاء من رؤساء القبائل بدفع مبالغ معينة لقاء منحها الاراضي الزراعية بطريقة الالتزام .

وكان رؤساء القبائل كثيرا ما يماطلون في دفع هذه المبالغ فحينئذ تلجأ الحكومة لاستعمال القوة لتحصيل ضرائبها من العشائر . فكانت مجموعة قبائل الخزاعل في الفرات الاوسط في نهاية القرن الماضي لا تدفع للحكومة الا ١٪ من الضرائب المستحقة عليها وعندما تجمع الحكومة ضرائب الرز في هذه المنطقة ترسل مفاوز عسكرية لهذا الغرض^(٢) . وكان المجتمع العشائري قائما على نوع من العلاقات والروابط الاجتماعية التي تدور حول « وحدة الدم » او « العvisية » التي تفرض بعض الحقوق والالتزامات المتبادلة والتي تعمل على توحيد وجهات النظر المختلفة وشد القبائل والعشائر فتميز بعضها عن بعض^(٣) .

ولم تقم الحكومة العثمانية خلال حكمها الطويل في العراق الا نادرا باصلاحات ادارية واقتصادية من شأنها حل مشكلات القبائل المستعصية . فهي لم تستطع نشر الامن في البلاد ولم توطن القبائل وتيسر لها العيش عن طريق تنظيم الري . وكرست الحكومة معظم جهودها لشن الحملات

(١) البصير ، محمد مهدي ، القضية العراقية ، ج ١ ، ص ٧ .

(٢) British Government, Reports of Administration for 1918 of Divisions and Districts of the Occupied Territories in Mesopotamia . Vol I.P.66.

(٣) تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة . ترجمة عبدالجليل الطاهر ، بغداد ، ١٩٥٨ ، ص ٥ .

التأديبية على هذه العشائر وبالرغم من كثرة هذه الحملات وقساوتها فإنها لم تؤد الى تفكك الروابط القبلية والقضاء على نظم القبائل واعرافها وانما دفعت الافراد الى البحث عن الطمأنينة في تنظيمهم القبلي^(١) .

ولعل اهم محاولة للإصلاح خلال الحكم العثماني جرت في عهد مدحت باشا الذي قدم واليا على العراق سنة ١٨٦٩ . وقد حاول هذا الوالي أن يقوم باصلاحات ادارية واقتصادية وثقافية . وبعد ادخاله لنظام تسجيل العقارات بالطابو من أهم أعماله^(٢) . وكان مدحت يستهدف من وراء ادخال نظام الطابو « معالجة مشكلة التوطين والقضاء على الفتنة والثورات بتدابير ايجابية وتحويل القبائل الى مواطنين بتوفير سبل العيش وتحسين وسائل الري »^(٣) . وتميزت ولاية مدحت باشا بمحاولته في تفويض الاراضي الاميرية لطالبيها بأثمان بخسة وبأقساط طويلة المدى^(٤) . وعندما شرع مدحت باشا ببيع الاراضي التي عدها أميرية تقدم عدد من سكان المدن^(٥) ، ورؤساء العشائر ومن بينهم السعدون لشراء الاراضي . ولسنا هنا بصدد بحث الظروف التي تم فيها تفويض^(٦) الاراضي في عهد مدحت ، بل

(١) الطاهر ، عبدالجليل ، البدو والعشائر في البلاد العربية ،

بغداد ، ١٩٥٤ ، ص ٢٧ .

(٢) لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة

جعفر الخياط ، بغداد ، ١٩٤١ ، ص ٣٣٣ . (٣) الطاهر ، عبدالجليل ،

البدو والعشائر ، ص ٣٧ .

(٤) الحكومة العراقية ، الاصلاح الزراعي واعمار الاراضي ، بغداد ،

١٩٥٦ ، ص ش ٥ . لونكريك ، ن م ، ص ٣٣٢-٣ .

(٦) لقد حصلت مناقشات طويلة بين الباحثين حول نظرة الحكومة

العثمانية للاراض التي فوضها مدحت باشا بعد اعتدادها أميرية صرفة يجوز

لها بيعها . فلونكريك ، على الص ٣٣٣ من كتابه الموسوم ب « اربعة قرون »

وعبدالرزاق الطاهر ، على الص ٧٦ من كتابه الموسوم ب « الاقطاع والديوان

في العراق » المطبوع بالقاهرة ، سنة ١٩٤٦ ، يريان أن الحكومة باعتدادها

هذه الاراضي أميرية تجاهلت حقوق المزارعين التي اكتسبوها عن طريق =

يهيمن اثار سياسة مدحت فيما يتعلق بالارض في تطوير العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في اجزاء كبيرة من العراق وخاصة في ولاية البصرة . ولعل ابرز هذه الاتار ما حصل من تضارب في المصالح الاقتصادية بين الملاكين البجد وبين الفلاحين . ولنضرب مثلا على ذلك ما حصل بين زعماء مشيخة المنتفك ، آل سعدون ، وافراد عشائر المنتفك .

فعندما رغب مدحت باشا في تطبيق سياسة توطين العشائر استقدم الشيخ ناصر الى بغداد واطلعه على سياسة الحكومة الجديدة ، تلك السياسة التي تنطوي على تحويل المشيخة الى متصرفية بالفعل لا بالاسم فقط . وعدد الوالي للشيخ ناصر حسناات الاستقرار في موضع معين وما يتبع ذلك من رقي في الزراعة . ووعد الباشا شيخ المنتفك بأن يسهل له ولعائلته عملية تفويض الاراضي في لوائي البصرة والمنتفك . وقد وافق الشيخ ناصر على سياسة الحكومة وقبل تفويض مساحات شاسعة في لوائي الناصرية (المنتفك) والبصرة باسمه واسماء افراد أسرته . وأود أن أشير هنا الى أن آل سعدون بتفاهمهم مع الحكومة وتحولهم من شيوخ يشاركون افراد العشائر في حروبهم القبلية التي كان من اهم دوافعها حماية ديرة المنتفك من هجمات القبائل الاخرى أو من هجمات الحكومة ، الى ملاكين يجبون ايجار الارض ، وضعوا حجر الاساس في الخلافات الطبقية بينهم وبين اتباعهم من افراد قبائل المنتفك . وفي معرض كلامه عن اضطراب العلاقات القائمة بين المزارعين وآل سعدون يقول لونكريك : « كان تبدل الوضع هذا شيئا فجائيا لسكان الاهوار فعندما كانت اراضي المنتفك الواسعة ينعم بها

= السكنى والتصرف . ومن الناحية الثانية يرى يعقوب سر كيس على الص ٨٠ من الجزء الاول من كتابه الموسوم بـ «مباحث عراقية» المطبوع ببغداد ، ١٩٤٨ ، ان وجهة نظر الحكومة صحيحة ، وان الارض سالفة الذكر اميرية لم يكتسب السكان فيها أية حقوق . وقد اوردت تفصيلات وافية عن قضية تفويض الاراضي الاميرية في عهد مدحت باشا في كتابي الموسوم بـ « مشكلة الاراضي في لواء المنتفك » المطبوع ببغداد سنة ١٩٥٦ .

انعاما رسميا على هذا السعدوني او ذلك ، اخذت تبدأ معها المنازعات بين الملك والمتمزم «^(١) . وقد أشار تقرير أصدرته الحكومة البريطانية سنة ١٩١٦ الى المنازعات الجديدة بين شيوخ المنتفك وأفراد قبائلهم بقوله : « بعد أن وزعت أرض العشائر بين الدولة والسعدون ، وسجلت في السجلات الرسمية على هذا الوجه ، وجد افراد القبائل انفسهم بأنهم انحدروا الى مجرد مستأجرين ولكن افراد القبائل لم يعترفوا بهذا التغيير واطهروا تدمرهم منه ، ذلك التدمير الذي تحول الى ثورة دائمية . وبالرغم من محاولات الحكومة في القضاء على هذه الثورة ، فأن محاولاتها هذه باءت بالفشل . وكان اشغال الحكومة في فترة ما قبل الحرب العالمية [يقصد الحرب العالمية الاولى] بالحروب البلقانية والايطالية من الاسباب الرئيسة في فشلها سالف الذكر . وقد نجم عن الحالة التي وصفناها عجز الحكومة والسعدون معا عن جباية اجرة الارض من المزارعين بكاملها ، ولم يتيسر لهما الا الحصول على جزء يسير منها »^(٢) .

ولما عين ناظم باشا واليا على بغداد سنة ١٩١٠ « طار السعدون فرحا » ولكن افراد العشائر « جزموا بأن السعدون يكونون عوننا وييدا للحكومة . ومنذ ذلك اليوم أخذ أفراد العشائر ينظرون الى السعدون نظرهم الى أعدائهم وكابحي جماعهم »^(٣) .

وقد اثمرت سياسة توطين العشائر التي اتبعها مدحت باشا في اماكن متعددة . فأصبح شيخ عنزة مالكا للبساتين في سقي الفرات الاعلى . واستقر رئيس قبائل شمر الجربا في اراضيه بالشرقاط . وكون السادة (أنصاف العشائريين) في انحاء الشامية الموحشة نواة للسكن والتوطن . وحصل

(١) لونكريك ، اربعة قرون ، ص ٣٣٣ .

(٢) Arabs of Mesopotamia, P. 54 — 55.

(٣) « لغة العرب » ج ٣ ، رمضان ، ١٣٢٩ هـ ، ايلول ، ١٩١١ ،

ص ١١٢ - ١١٣ .

بين أفراد قبائل شمر ورؤسائهم وضعا شبيها بالوضع الذي حصل بين آل سعدون وافراد قبائل المنتفك . اذ ان « فرحان بن صفوك اصبح باشا كناصر [السعدون] فوجب عليه أن يكون واسطة لاسكان البدو التابعين له ، وزار استانبول فعاظ قبيلته بتخلقه بالعادات التركية وتزوجه بأزواج مدنيات ، وباقامته لاجل الزراعة والفلاحة على دجلة بكل خضوع » (١) .

وكان الهدف السياسي من بين الاهداف التي توختها سياسة توطيين العشائر التي بدأها مدحت باشا في العراق . اذ ان الحكومة تستطيع ان تجبي الضرائب وتفرض الجندية على القبائل المستقرة بشكل أسهل مما لو كانت متنقلة . ثم أن الحكومة بتفويضها الارض لرؤساء القبائل دون الافراد خلقت وسيلة للنزاع الدائم بين افراد القبيلة وزعمائها وبذا يسهل عليها السيطرة على الفريقين عند الحاجة . ومن الواضح ان الحكومة فرطت بمصلحة افراد القبيلة وبمقتضيات العدالة في سبيل هدفها السياسي . اذ من المعلوم ان الحكومة تجاهلت حقوق الافراد الناشئة عن السكنى والتصرف وعدت الارض اميرية صرفة يحق لها تفويضها لمن ارادت . وكانت الارض التي فوضتها الحكومة للشيوخ والتجار ملكا مشاعا ، في الواقع لا في القانون ، لافراد القبائل . اذ كانت القبائل فيما مضى تسكن أرضا معينة ان كانت مستقرة أو تعدها لها ان كانت متنقلة ، أطلقت عليها كلمة «ديرة» . وقد حصلت هذه الديرة عن طريق الاحتلال العسكري (٢)

(١) لونكريك ، ن.م. ، ص ٣٣٣-٤ .

(٢) كانت العشائر القوية في العهد العثماني تطمع بأرض جاراتها من القبائل الضعيفة فكانت تحتاج الى رجال محاربين يستخدمون للاستيلاء على الارض المجاورة او لحماية ارضهم من القبائل الاخرى ، وكان افراد القبيلة يقسمون الارض التي يحصلونها بهذه الوسيلة على مجموعهم . ويسمى الفرد الذي ينال حصته عن هذه الطريقة في لواء الناصرية حصاصا عن طريق التفك اي البنادق . ومن امثلة ذلك قبيلة آلبو نجيم في قضاء الشطرة التي استولت على ارض آل برغش عن طريق التفك ووزعتها بين افرادها .

أو الأحياء والسكنى أو الشراء من أصحاب التيمار الذين كانوا يتلقون
 أرضهم على شكل هبات من الحكومة • ومما يؤيد حصول القبائل على
 الديرة عن طريق المنازعات مع القبائل الأخرى هو إشارة تقرير رسمي
 إلى أن « دماء كثيرة سفكت من المجموعات القبلية نتيجة للتطاحن فيما بينها
 لاحتلال مناطق معينة من الأرض »^(١) • ولما أخذت مياه الفرات قبيل نهاية
 القرن التاسع عشر تتحول إلى فرع الهندية كاد الفرع الثاني (فرع الحلة)
 يجف شيئاً فشيئاً • وقد نجم عن ذلك أن نزحت قبيلة « أبو سلطان »
 الساكنة على فرع الحلة إلى أرض الجحيش على سقي دجلة واقنعت
 الحكومة بحالة قسم من أرض الجحيش وزيد إليها بطريق الالتزام •
 وقد أثار هذا العمل نائرة الجحيش ورفعوا شكواهم إلى الحكومة المحلية
 فلم تصغ لهذه الشكوى • وبعد أن توترت الحالة بين الفريقين ، حذرت
 « جريدة الرقيب »^(٢) الحكومة من مغبة تماهلها وبينت لها أن كلا الفريقين
 يتأهب للحرب ، وأن قائممقام المنطقة « يقول عندما بلغه ذلك ، بأسهم
 بينهم ، » • وكانت النتيجة أن وقعت الواقعة بين القبيلتين « وقتل وجرح
 من الفريقين نحو ألف أو يزيدون »^(٣) •

أما حصول القبائل على الديرة عن طريق الأحياء فهو امر طبيعي في
 بلاد تكثر فيها الأهوار والمستنقعات كأرض العراق • وحصول القبائل على
 الديرة عن طريق الشراء هو الآخر ممكن « لأن المقاطعات كانت توهب
 هبة مطلقة من جانب داود باشا وعلى رضا ، فظل أحفاد أصحاب وحدات
 التيمار الأقطاعيين متمسكين بالوثائق والعقود التي خولتهم منزلتهم الأقطاعية
 وسوغت لهم حفظها وكان بيع الأراضي الحكومية وشراؤها جاري العادة

(١) الحكومة العراقية ، الإصلاح الزراعي واستثمار الأرض ، ص ر •

(٢) العدد (٤) السنة الأولى ، ٢٧ محرم ، ١٣٢٧ هـ ، ١٨ شباط

• ١٩٠٩

(٣) العدد (٥) السنة الأولى ، ٤ صفر ١٣٢٧ هـ ، ٢٥ شباط ١٩٠٩

منذ أجيال من غير علم الحكومة أو اعترافها» (١) .

وكان السلطان عبدالحميد وأسرته من بين الملاكين الجدد الذين ظهروا في اواخر القرن الماضي واولئ هذا القرن . اذ عمدت الحكومة الى تسجيل اراضي واسعة من ديار القبائل باسم السلطان وعائلته . ومن امثلة ذلك ان قطعاً من الاراضي الزراعية واقعة في منطقة المشخاب كانت فيما سبق لقبيلة الخزاعل وحلفائهم « قد حولت الى اراضي سنية سنة ١٩٠٠ واعطيت الى فرعون [أحد رؤساء القبلة] لزراعتها» (٢) . وفي سنة ١٨٨٢ أشيع بأن السلطان عبدالحميد قد اشترى ارضا كانت تعود للخزاعل « واعتبرت منذ ذلك الحين اراضي سنية . وعلى ما يظهر ان الحكومة العثمانية لم تدفع تعويضا عن امتلاكها للاراضي المذكورة ، ولذلك أثارت هذه المعاملة السخط والتذمر بين افراد العشائر . وكنتيجة لهذا التذمر وضعت الحكومة العثمانية تدابير لتوزيع الناتج على الفلاحين وتضريب آل (٣) زوين» (٤) .

وعند اندلاع الحرب [العالمية الاولى] اغتمت الفلاحون فرصة ضعف الحكومة وأنكروا الـ حظ حصّة آل زوين . ويظهر من هذا المثال وغيره أن الفلاحين كانوا يعدون أنفسهم أصحاب الديرة ولم يسلموا أجرة الارض للملاكين الجدد بما فيهم موظفي الحكومة الا بالقوة . وكانت أرض أسرة السلطان عبدالحميد في العراق واسعة ، أي حوالي ثلث اراضي العراق الخصبة ، وقد عملت لها الحكومة ادارة خاصة أطلق عليها اسم « الادارة السنية» (٥) . ويظهر أن هذه الادارة كانت تسيء

(١) لونكريك ، اربعة قرون ، ص ٣٣١ .

(٢) تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر

والسياسة ، ص ٧٠ .

(٣) عائلة من السادة

العلويين ، ويعرفون بالاعرجي . وكان رئيسهم السيد هادي زوين من رجال الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ البارزين كما سنرى .

(٤) تقرير سري ، ص ١٥٠ .

(٥) الحكومة العراقية ، تقرير رسمي ، ص ش .

معاملة الفلاحين فكتبت جريدة « الرقيب البغدادية » تحت عنوان « حالة
الزراع في الجعارة [الحيرة] » تقول : ان ادارة السنية طلبت « من الزراع
ثلث حصة الميري على الحساب وذلك قبل ادراك الحاصلات خلافا لما امر
الله به في قوله عز وجل (وآتو حقه يوم حصاده) بل على العادة السابقة
فالتزموا على العادة ان يبيعوا حاصلاتهم سلفا (وعلى تعبيرهم على الاخضر)
بسعر التغار^(١) بخمس ليرات • وفي ابتداء كانون الثاني سنة
٣٢٤ رومية طلبوا منهم القسط الثاني فطلبوا قطع السعر ليسلموا • فجرت
المخابرات على الاصول واعطت بلدية النجف قرارا بان السعر ستة ليرات
ونصف وعلى ذلك جرى الحساب بين الفلاحين والملاكين ووفى بعضهم
ذمتهم والان على ما يقولون ان الحكومة المحلية تطلب منهم الحساب على
سعر التغار (٧٤٠) غرشا باعتبار الليرة مائة غرش ، وفي هذا من الجور
ما لا يحسن معه السكوت فان الاسعار لا تقف عند حد ••• فتؤمل من
الولاية واللواء تحقيق هذا الامر وان لا يدعوا مجالا لغدر الرعايا •••^(٢) •
ومن الملاحظ ان هذه الحادثة حصلت بعد تحويل املاك السلطان عبدالحميد
رسميا الى اراضي اميرية سنة ١٣٢٤ رومية الموافقة الى سنة ١٩٠٨ م^(٣) •
ومما يجدر ذكره ان واردات الاراضي السنية « ما كانت تدخل خزينة
الدولة في الولايات العراقية ، وان هذه الواردات كانت تزيد على عشرات
الالوف من الليرات ولعلها بلغت مئات الالوف »^(٤) •

ويظهر ان طريقة الالتزام لم تكن شائعة في الاراضي التي تزرع
بالحبوب حسب بل كانت شائعة في مناطق النخيل ايضا • وفي سنة ١٢٨٦ هـ

- (١) التغار أو الطغار يساوي ٢٠٠٠ كغم • (٢) السنة الاولى ، العدد
(٧) ، ١٨ صفر ، ١٣٢٧ هـ •
(٣) البازركان ، علي ، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية ، بغداد ،
١٩٥٤ ، ص ٣١ •
(٤) سر كيس ، يعقوب ، مباحث عراقية ، ج ٢ ، بغداد ، ١٩٥٥ ،
ص ٢٠٨ •

أخذت الحكومة تعدل عن هذه الطريقة حين « ارتبطت أكثر مقاطعات البصرة برسم الجريب^(١) ، فارتفعت من بين الاهالي المناقصات والمنازعات التي كانت تنجم عن الالتزام . ثم فوضت أكثر الاراضي منها بديل المثل ومنها بشرط الاعمار والغيت بعض الرسوم التي كانت تؤخذ من الاهالي فدبت روح الحياة في ثروة البلاد »^(٢) .

وتنج عن سياسة الحكومة في تفويض اجزاء كبيرة من الاراضي الزراعية الى من تقدم لشرائها ظهور طبقة من الملاكين الجدد . وكان بعض هؤلاء لا يمتون بصلة للزراعة والمزارعين . ففي لواء الاناصرية (المنتفك) فوضت الحكومة حوالي (٢٠٠) ألف دونم لعائلة سر كيس البغدادية الاصل والمسكن . كما فوضت ارضا واسعة في اللواء نفسه الى مناجيم دانيال . وعندما احتل الانكليز منطقة الشامية في سنة ١٩١٧ وجدوا أن اراضي « المويحي » في هور الدخن قد فوضت الى مناجيم دانيال وعائلة سادن حضرة الامام علي (ع) (الكليدار) . كما وجدوا ارضا واسعة في الشامية تملكها عائلة حفطي الممي الساكنة في استانبول^(٣) . ونال بعض الملاكين الجدد ارضهم من الحكومة عن طريق الهبة ، اذ ان الولاة قاموا « بعد مدحت باشا بتفويض الاراضي الى كبار الموظفين ورجال الجيش »^(٤) . ويظهر أن مشكلة الملاكين الجدد ، وخاصة المتغيين منهم ، كانت من المشكلات التي جابهت الحكومة البريطانية بعد احتلالها للعراق . فكتب الحاكم السياسي للحلة في سنة ١٩١٨ يقول : « ان مشكلة الملاك المتغييب The Absentee Landlord ، تتطلب حلا سريعا ، وغالبا ما يكون هؤلاء من البغداديين الذين استحصلوا على سندات طابو لاراضي خصبة

(١) الجريب يساوي ٢م٣٩٦٧ .

(٢) الغملاس ، ابن ، ولاة البصرة ومتسلموها ، بغداد ، ١٩٦٢ ،

ص ٧٥ .

Reports, I, p. 73.

(٣)

(٤) الحكومة العراقية ، ن٠م ، ص ش .

وواسعة بأساليب ، ٥٠٪ منها على الأقل ، كانت ملتوية Shady ولم يتيسر
لمعظم هؤلاء الملاكين ان يروا الارض التي يملكونها ،^(١) .

وصحبت ظهور طبقة الملاكين الجدد تغيرات اجتماعية واقتصادية
عميقة الاثر كان من شأنها ان تناول العلاقات بين المزارعين الفعليين والملاكين
الجدد بالتغيير ، كما تناولت العلاقات القديمة بين الشيخ وافراد قبيلته .
فأفراد القبائل الذين تناولهم هذا التغيير تحولوا من مشاركين فعليين ، حسب
العرف على الأقل ، في ديرة القبيلة الى مجرد اجراء عند صاحب الارض
الجديد ، سواء كان هذا الاخير من شيوخ القبائل ، كالسعدونيين ورؤساء
شمر ، او من تجار المدن او من قواد الجيش والموظفين . وقد اخذ هؤلاء
الملاكون يقتربون من الحكومة ويعملون على تأييد سلطتها رغبة في حفظ
مصالحهم . وقد ضربنا مثلا على ذلك من السعدون في ولاية البصرة الذين
طاروا فرحا عند قدوم ناظم باشا سنة ١٩١٠ بينما اغتم المزارعون لقدومه
خوفا من ان يلزم جانب السعدون ضدهم . وعندما احتل الانكليز العراق
اقتضت سياستهم خاصة في ولاية البصرة ان يبعدوا السعدون عن الارض
ويضعفوا نفوذهم ويحلوا محلهم شيوخ العشائر والسراكيل ، ولكنهم لم
يعملوا شيئا ذا قيمة للفلاحين الفعليين .

ولعل أهم آثار التغيير الذي نجم عن ظهور طبقة الملاكين الجدد هو
ان الاقتصاد الزراعي ، كما سنرى عند كلامنا عن التجارة العراقية في هذه
الفترة ، في العراق اخذ يتحول تدريجا من اقتصاد قائم على اساس (اشباع
الحاجات) في الغالب الى اقتصاد قائم على اساس (الربح) . وكانت سلطة
الملاكين الجدد بما فيهم شيوخ العشائر على الفلاحين في نهاية القرن التاسع
عشر تختلف تبعا لقوة نفوذ الحكومة في المنطقة من جهة وتبعا لنوع الزراعة
الذي يشيع في تلك المنطقة . ففي المناطق الحديثة الاعمار كانت سلطة

Reports, I, p. 121.

(١)

الملاك ضعيفة • وكان فلاحو الزراعة الشتوية اقل خضوعا للملاكهم ولشيخهم ايضا لان وسائل الري الحديثة كالمضخات لم تكن شائعة الاستعمال ولم يتطلب هذا النوع من الزراعة حينذاك توظيف رؤوس اموال كبيرة • ولهذا كان هذا النوع من الفلاحين يتمتعون بنوع من الاستقلال • اما فلاحو النخيل والرز فكانوا اكثر الفلاحين خضوعا للملاكهم لان زراعة هذين النوعين من المحصولات تتطلب عملا مستمرا ومنظما • كما تتطلب زراعة النخيل رؤوس أموال كبيرة • وقد عرف فلاح الرز خاصة أن قلة التنظيم في الزراعة ينتج عنها محصول قليل ، وان عليه اطاعة الشيخ الملاك او الملتزم من الملاك ان أراد محصولا جيدا^(١) •

وكانت أساليب الانتاج الصناعي والزراعي في أواخر القرن التاسع عشر اولية هذا اذ استثنينا دخول عدد ضئيل من المضخات الزراعية • ولكن تطورا طرأ على الاقتصاد الزراعي فأخذ يتحول من اقتصاد قائم على اساس اشباع الحاجات الى اقتصاد قائم على اساس الربح • وفيما سبق « كانت الزراعة العراقية قائمة تقريبا على اساس الاقتصاد القبلي فكانت القبيلة تنتج كل ما تحتاج اليه ••• الا انه بعد منتصف القرن الماضي بدأت عوامل عدة تعمل من أجل اتصال العراق اقتصاديا بالعالم الخارجي عن طريق خليج البصرة ومن هنا قام بعض شيوخ القبائل في المناطق الجنوبية من العراق خاصة بتحويل اراضي قبائلهم الى انتاج المحاصيل التجارية من اجل بيعها في الاسواق الخارجية تدفعهم الى ذلك الرغبة في الارباح^(٢) • ومن دلائل تحول الاقتصاد الزراعي الى اقتصاد قائم على اساس الربح هو ان صادرات العراق من التمور كانت تتراوح بين (٤٠ - ٥٠) الف طن حسب تقدير الرحالة الهولندي « ليكاما آ • نيجهولت » Nijeholt الذي زار العراق

Ibid, p. 67.

(١)

(٢) الحكومة العراقية ، ن • م ، ص ج •

في عام ١٨٦٦ - ١٨٦٧ • وقد ارتفعت هذه الصادرات في فترة قصيرة فوصلت في عام ١٩٠٦ الى (٦٠) ألف طن^(١) • وسنشير الى علامات هذا التحول عند كلامنا عن تجارة العراق في هذه الفترة وعن زيادة الصادرات الزراعية وارتباط اسعارها صعودا وهبوطا بالاسواق العالمية •

اما تجارة العراق الخارجية فقد سجلت تقدما في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن ويعود ذلك الى عوامل أهمها : (١) فتح قناة السويس في خريف سنة ١٨٦٩ • ويقول يعقوب سر كيس ان فتح قناة السويس سهل « علينا وعلى أوروبا الاتصال ببعضنا البعض في مبادلة الاموال وقلل نفقات نقلها فعدت أوروبا تتفجع بما كان لا يصل اليها من محاصيلنا الارضية كالحبوب والتمور وغيرها من المحاصيل واصبحنا نجلب منها عوضا عن اثمان اموانا اموالا كثيرة من منتوجاتها الصناعية لم تكن قادرين على شرائها ليس لبعد الشقة حسب بل لقلّة ما في يدنا يوم لم تكن شارية لمحصولاتنا الا لشيء لا يذكر »^(٢) • (٢) سير البواخر التجارية في دجلة • وقد افتتح هذا الطريق قبل افتتاح القناة بنحو احدى عشرة سنة • وكانت تسير فيه باخرتان عثمانيتان هما بغداد والبصرة • ثم دخلته بواخر بيت لنج Lynch الانكليزية^(٣) • وقد أورد الاستاذ سر كيس قائمة في البواخر التي كانت تستعملها الحكومة العثمانية لاغراض تجارية وعسكرية في انهر العراق وفي الخليج العربي • وهي كما يلي : أسماء البواخر البحرية : نجد^(٤) وقوتها (١٥٠) حصانا • آثور وقوتها (١٢٠) حصانا • اما النهرية فهي : ديالى ، موصل ، رصافة ، بغداد ، مسكنة ، تلغفر ، بصره • وقواتها (١٢٠) ، ٨٠ ،

(١) الدباغ ، عبدالوهاب ، النخيل والتمور في العراق ، بغداد ، ١٩٥٦ ، ص ١٩٣ •

(٢) سر كيس ، يعقوب ، ن.م ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ •

(٣) سر كيس ، ن.م ، ج ٢ ، ص ٢٨١ •

(٤) كانت هذه الباخرة حربية •

٦٠، ٥٠، ٤٠، ٣٠، ٢٥) حصانا على التناظر^(١) . (٣) نمو المصالح التجارية الاجنبية وخاصة البريطانية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن . ويقول لونكريك بينما « كان القنصل التاجر في القرن الثامن عشر غير قادر على طلب شيء سوى دوام الامتيازات وتركه حرا دون تعرض له ، أصبح " مقيم " القرن التاسع عشر وهو المتكلم نيابة عن شركات البواخر وجماعات انشاء التلغراف والاثاريين ، ومؤسسات الهبات الخيرية . . . ولم يكن ليغيب عن بال الجميع في العراق . . . ان مستقبل بريطانيا في العراق سائر الى الاهمية لا محالة وربما ليصير شيئا أعظم »^(٢) . ونقلت جريدة « العراق » عن « التايمس » البغدادية قولها « ان بريطانيا وسعت تجارة الخليج وأوجدت علاقات تجارية واسعة مع داخلية العراق »^(٣) .

ويروى الاستاذ مير بصري ان نيهولت الذي وصل البصرة في ٢٨ تشرين الثاني ١٨٦٦ قال « ان تلك المدينة قد احتفظت باهمية لا شك فيها ، وان تكن قد هوت من مجدها السالف فمئذ سنوات معدودة نظمت مصلحة انكليزية للبواخر بينها وبين ميناء بومباي ومسقط وبندرابي شهر فزادت تجارتها على وجه محسوس . والبصرة ترسل الى بغداد بجميع البضائع التي ترددها من الخليج على وجه التقريب ومن ثم توزع على العراق العربي والموصل واتحاء ايران الغربية والشمالية . ويرد من الهند عن طريق البصرة السكر والقهوة والصبغ والبهارات والانسجة القطنية والاششاب الفاخرة . أما البضائع الاوربية فأهمها الاقمشة القطن والحرائر . . . والمعادن الخام والمشغولة . . . وقد وردت الى البصرة خلال سنة ١٨٦٦-٦٧ سواء من الشمال او الجنوب بضائع بقيمة ٢١٤٤ مليون فرنك (اي ما يساوي ٨٥ ملايين باون انكليزي ذهب) ، والتمور في طليعة مواد التصدير ،

(١) سر كيس ، ن ٠ م ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

(٢) اربعة قرون ، ص ٢٦٦ .

(٣) العدد (٣٦) السنة الاولى ، ١٣ تموز ، ١٩٢٠ .

ويشحن منها أصناف مختلفة • وتبلغ صادرات هذه المادة سنويا (٤٠-٥٠) ألف طن • ويأخذ جزء من هذا التصدير منذ عهد قصير سبيله الى أوربة " • ويخمن نيهولت قيمة المواد المحلية أو المجاورة الاصل المصدرة من البصرة في سنة ١٨٦٧ بمبلغ (١١٢٥) مليون فرنك منها (٤) ملايين من التمور ومثلها من الحنطة والشعير ومليونان من الرز وما تبقى صوف ومواد مختلفة وفي السنة نفسها بلغ دخل الكمارك نحواً من (٩٠٠) ألف فرنك (الفرنك كان يساوي آنذاك ٢٥ للباون الاسترليني الواحد) • ويقول نيهولت أن ولاية بغداد تستورد القهوة من جزيرة العرب والعمور والصمغ • ومن ايران حرير رشت والصوف وجلود الحملان والشالات ومواد الادوية • وولاية بغداد نفسها تنتج كميات كبيرة من الاصواف والتمور المشهورة في كل آسيا ، وفيها صناعة محلية للصوف والانسجة المتنوعة^(١) •

ومن الملاحظ ان واردات الكمارك في العراق حسب تقدير السالنامات^(٢) كانت تساوي في السنوات ١٣١١-١٣١٥ هـ (١٨٩٣-١٨٩٨)م (١٣٥٦٨) مليون غرش^(٣) لكل سنة ، وفي ١٣١٦ - ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ - ١٩٠٠ م (١٢٦٩٩) مليون غرش لكل سنة ، وفي ١٣١٨ ، ١٩٠١ (١٠٣٠١) ملايين غرش ، وفي ١٣١٩-١٩٠٢ (١٦٤٤٦) مليون غرش ، وفي ١٣٢١ - ١٩٠٣ (١٦٤٤٦) مليون غرش ، وفي ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥) (١٦٦٤٦) مليون غرش وفي ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ (١٥٩٠٤) مليون غرش ، وفي ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ (٢١٩٢٧) مليون غرش •

(١) « تجارة العراق قبل تسعين عاما ، البلاد ، العدد ٤٨٧٢ ، ٣١ كانون الثاني ، ١٩٥٧ •

(٢) اقتبست معلوماتي عن السالنامات من مقال تحت عنوان « واردات العراق بين عهدين » للاستاذ يعقوب سر كيس نشر في العدد (٨) من مجلة غرفة تجارة بغداد ، العدد ، (٨) السنة (٤) تشرين الاول ١٩٤١ • ص ٦٦٤ وما بعدها •

(٣) كانت الليرة العثمانية تساوي (١٠٨) قروش في سنة ١٩٠٣ •

ويظهر من هذا الجدول ان واردات الكمارك بعد ان كانت في (١٨٩٨) (١٣٥٦٨) مليون قرش اصبحت (٢١٩٢٧) مليون قرش في (١٩٠٧) . واذا عددنا زيادة واردات الكمارك دليلا على زيادة التجارة تكون تجارة العراق قد تقدمت تقدما كبيرا خلال هذه السنوات .

ولم تكن زيادة واردات الكمارك ناتجة عن التوسع التجاري حسب ، بل كان لتنظيم ادارة الكمارك أثر في ذلك اذ أن العثمانيين لم يتشبثوا « بتنظيم ادارة الكمارك الا في سنة ١٢٧٨هـ - ١٨٦١ » . وقد بلغ دخل الكمرك ببغداد سنة ١٨٩٢ أو حواليها (١٣٠٠٠٠) ليرة عثمانية وفي سنة ١٣٦٦ مالية ، ١٩٠٦م بلغ (١٦) مليون قرش أي نحو (١٦٥٠٠٠) ليرة عثمانية^(١) .

ويقول كوتلوف أن الانتاج العام في العراق ارتفع في بداية القرن العشرين ، ويعود ذلك الى توسع التجارة الخارجية لان رؤوس الاموال الاجنبية دخلت العراق بكثرة . كما أن الاقطاعيين أخذوا يرهقون الفلاحين رغبة بزيادة الانتاج بالرغم من أن وسائل الانتاج لم تتبدل^(٢) .

وكان تأسيس البنوك من أسباب تقدم التجارة في العراق في أواخر القرن التاسع عشر لان وجودها كان سببا لزيادة ثقة التجار الاوربيين في التجار العراقيين . وفي سنة ١٨٩٠ فتح البنك الشاهي ببغداد ولكنه رحل سنة ١٨٩٣ بعد أن اتفق مع البنك السلطاني العثماني . وبقي البنك العثماني وحده في العراق ففتح له شعبة في البصرة وأخرى في الموصل^(٣) . وبعد أن تطورت أساليب الصناعة في أوروبا بعد الثورة الصناعية خرج " الاوربيون في طلب المواد الاولية لمعاملهم الكبرى وكان العراق من الاقطار

(١) غنيمية ، يوسف ، تجارة العراق قديما وحديثا ، بغداد ، ١٩٢٢ ، ص ١١٢ .

(٢) ن. م ، ص ٤٨ .

(٣) غنيمية ، يوسف ، ن. م ، ص ١١٠ .

التي وجهت أنظارهم لشهرة خصبه وريه وكثرة مواشيه» (١) . ويظهر أن التجار العراقيين كونوا علاقات وثيقة مع أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . وكان الالمان بعد أن نالوا امتياز سسكة حديد بغداد « قد علقوا الامال الطيبة السياسية والعسكرية والتجارية على هذا الخط الخطير الذي به يسودون على الشرق ويزاحمون سياسة بريطانية وتجاريتها » . كما انهم سيروا بواخر شركة « همبورك أميركة » بين بلادهم والبصرة . « وكانت تجارة الالمان تزداد في العراق زيادة مطردة فبلغت قيمة الاموال الالمانية الواردة الى ميناء البصرة سنة ١٩٠٦ (١٠٨٦٥٠) ليرة استرلينية وبلغت (٥٢٨٤١٥) ليرة في سنة ١٩١٢ . وبلغت صادرات العراق الى المانيا (١٠٠٩٠٠) ليرة استرلينية في سنة ١٩٠٦ . وكان يرد الينا من المانيا السكر والبن والنحاس والورق ومضخات الري . ويصدر العراق الى المانيا العفص والصوف والكثيراء والجلود والتمر واللوز والحنظل وريش الطيور» (٢) .

وكان لبريطانية المنزلة الاولى في البضائع التي تصدر من العراق وتدخل اليه . وقد كانت النسبة المثوية لتجارتها من مجموع تجارة بغداد سنة ١٩٠٩ ، (٣٣٤) بالمائة للصادرات و (٥٨٨) بالمائة للواردات . أما ثمن البضاعات التي صدرت من بغداد الى بريطانيا ووردت الى العراق منها فكان في سنة ١٩١٠ (٣٣٠٣٦١) ليرة استرلينية للصادرات و (١٣١٧٧٦٢) ليرة للواردات . ويصدر من العراق الى انكلترا الصوف والصمغ العربي والكردي والكثيراء والجلود والعفص والحنظل والتمر والافيون والحنطة والشعير وغيرها . ويرد من بريطانيا للعراق مصنوعات مانجستر ولنكشاير القطنية (٣) .

(١) غنيمية ، ن٠م ، ص ٧٩ .

(٢) غنيمية ، ن٠م ، ص ٩٠-٩٣ . (٣) غنيمية ، ن٠م ،

ص ١٠٠-١٠١ .

وكان للعراق صلات تجارية مع البلدان الشرقية وخاصة مع ايران والهند . « ولولا ايران لفقدت تجارة العراق خطورتها ، لا بل حياتها » . ويسر التاجر في السنوات التي يكثر فيها الزوار الايرانيون الذين يؤمون الاماكن المقدسة في العراق فيبلغ عددهم ١٠٠٠٠٠٠ زائر ينفقون مدة اقامتهم في العراق مبالغ طائلة ويشتررون من أسواقنا بضاعات مختلفة^(١) . وكانت خيول الموصل من أجواد الجياد العربية وكانت تجارتها رائجة في الهند^(٢) .

ومن الأدلة على تحول الاقتصاد الزراعي والحيواني عندنا في بداية هذا القرن من اقتصاد قائم على أساس اشباع الحاجات الى اقتصاد قائم على الربح . ان كل ما ارسل من المرعز الى بغداد والموصل ارسل به الى لندن وامريكا ولم يبع منه شيء في العراق . وكان عدد الفردات في ١٩٠٣ التي نقلت عن طريق الموصل وبغداد (١٨٠٠) فردة . وان ألف فردة اصدر من الصوف العراقي ومن الكرادي (١٠) آلاف فردة ومن العواسي (١٥) ألف فردة . ثم صعدت الاسعار في لندن ومرسيليا وامريكا فكان لها صدى في بغداد^(٣) . وكنا نرسل الحنظل الى المانيا وانكلترا^(٤) . وفي سنة ١٩٠٣ ألحت المانيا في طلب رجيع الكلب فاشترت منه كميات عظيمة فوضع في أكياس وبعث به اليها . وطلبت ايضا أمريكا وبلغ المبعوث منه (٢٠٠٠٠) كيس وزن الكيس ٦٠ كيلو غراما^(٥) . وارسل نوى المشمش في سنة

(١) ن . م ، ص ١٠٤ . (٢) الجلبلي ، داود ، « مكانة الموصل في الاقتصاديات العامة » ، مجلة غرفة تجارة بغداد ، السنة الرابعة ، العدد (٨) تشرين الاول ، ١٩٤١ ، ص ٥٩٧ .

(٣) الكرمللي ، الأب انستاس ، « الزراعة والتجارة في العراق سنة ١٩٠٣ » مجلة غرفة تجارة بغداد ، السنة الرابعة العدد (٨) ، ١٩٤١ ، ص ٦٥٢ .

(٤) غنيمية ، ن . م ، ص ١٠١ و ٩٣ .

(٥) الكرمللي ، ن . م ، ص ٦٥٦ .

١٩٠٣ الى مرسيلا • وكان مقدار ما ارسل منه (٣٠٠٠٠) كيس وزن الكيس (٦٠) كيلو غراما^(١) • ورغبت المانيا والنمسا وأمريكا في مصارين الغنم سنة ١٩٠٣ فبيع منها مقادير وافرة • وكانت المائة تباع منه سابقا بـ (٦٥-٧٠) غرشا فصعدت الى (١٠٥) بل (١١٠) غروش وحمل منها (٥٠٠٠٠) صندوق • وطلبت لندن وبومباي الذرة البيضاء فأرسل اليهما منها (٢٠٠٠٠٠) كيس زنة كل كيس (٦٠) كغم وبيعت الوزنة (١٠٠) كغم بـ (١٠٨) غروش^(٢) • وفي سنة ١٩٠٣ كان حاصل التمر جيدا وطلب من بلاد عدة لا سيما من مصر وسورية والاساتنة وبيع الطغار منه (٢٠٠٠) كغم بسعر ٩٠٠ الى ١٠٠٠ غرش على سعر الليرة (١٠٨) غروش^(٣) •

ومن الجدير بالذكر ان وسائل التمدن الحديث المادية دخلت العراق قبيل الحرب العالمية الاولى • وكان لدخولها أثر في توير أفكار الناس وتذوقهم لمنجزات المدنية الحديثة • فكانت في بغداد شركة لصنع المنسوجات الصوفية والقطنية والكتانية • ويظهر أن منسوجاتها كانت متينة الصنع • فقماس « الفاصونة [نوع من المنسوجات الصوفية] يفوق على عمل أوروبا صنعا ولطافة »^(٤) • وكان « في محلة قاضي الحاجات وسوق الشورجة عدة ماكينات تشغل بالغاز [النفط] للطحن وتهيش التمن (تمشير) ، وقد تضررت الاهالي من قعقتها ورائحتها وهزها للابنية »^(٥) • وكانت دار للسينوموتوغراف (السينما) في محلة الميدان ببغداد سنة ١٩٠٩ • ويظهر أن الأقبال عليها كان شديدا الى درجة أن معظم ذوي

(١) ن م ، ص ٦٥٧ • (٢) ن م ، ص ٦٥٦ •

(٣) ن م ، ص ٦٥٤ •

(٤) « الرقيب » العدد (٨) السنة الاولى ، ٢٥ صفر ١٣٢٧ ، ١٨

مارت ١٩٠٩ م •

(٥) « الرقيب » العدد (٦) السنة الاولى ، ١١ صفر ١٣٢٧ ، ٤

مارت ، ١٩٠٩ •

الدخول القليلة ينفقون معظم ايراداتهم لهذا الغرض^(١) .

• أما أول سيارة فقد دخلت العراق عن طريق حلب سنة ١٩٠٨ .
وفي سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١ سافر جاويد باشا الى النجف وأبي صخير
بسيارته الخاصة^(٢) . وقد بلغ عدد السيارات حوالي (١٢) سيارة في سنة
١٩١٤^(٣) .

• أما المضخات التي تستعمل لرفع مياه السقي فقد ازداد عددها من
(١٢) في ١٩٠٠ الى عدة عشرات في سنة ١٩١٤ . وقد نصبت عدة مكائن
لصنع الثلج وقيمت معاصر لعرق السوس والصوف^(٤) .

• ولم تكن في العراق سنة ١٩١٤ مصافي حديثة للنفط ، ولكن وجود
منابع غزيرة للنفط في ولايتي الموصل وبغداد قد أثار اهتماما عالميا . وفي
١٩٠٧ أكد ذلك جماعة من الخبراء الالمان^(٥) . وقد وردت تفصيلات
واقية عن ظهور النفط في العراق في مظانها^(٦) .

ولعل أعظم ما شهدته العراق من تطورات في بداية القرن العشرين
حصل في حقل الري . وكانت أوضاع الري في سنة ١٩٠٠ شبيهة بما
كانت عليه لقرون خلت ، فكانت الفيضانات السنوية تجلب الدمار الى
البلاد ، بينما تقل المياه في وقت الصيهور رغم حاجة المزروعات الشديدة
اليها . ولم تكن الحكومة قادرة على السيطرة على تنظيم المياه ، كما كانت
عنايتها بالمبازل قليلة . أما أساليب الزراعة فكانت أولية لم يدخل عليها
تطور جديد . وحصل أن ساءت الحالة في الفرات الاوسط في هذه الفترة

(١) « الرقيب » العدد (٨) .

(٢) البزركان ، علي ، ن.م ، ص ٣٤ .

(٣) Longrigg, S. H., Iraq, 1900 To 1950, London, 1953, p. 64

Ibid, P. 65.

(٤)

Ibid. 64.

(٦) ابراهيم ، عبدالفتاح ، على طريق الهند ، بغداد ، ١٩٣٥ .

فهجرت المزارع وجفت القنوات وأخذت القبائل تتقاتل من أجل البحث عن وسائل الرزق . ومن أمثلة ذلك ما حصل بين قبيلتي البو سلطان والجحيش وزيد سنة ١٩٠٩ ، وقد ذهب ضحية هذه الحادثة ألف قتيل أو يزيد^(١) . وكان سبب سوء الحالة في الفرات الاوسط هو تحول معظم مياه الفرات من فرع الحلة الى فروع الهندية بحيث أصبح ما يسير في فرع الهندية يعادل $\frac{٩}{١٠}$ مياه الفرات . ونتج عن هذه الحالة أن تلت معظم مزارع الحلة والديوانية والدغارة ولم تجد تدابير الحكومة نفعا لقلية المبالغ المخصصة لتنظيم الري لسوء الادارة المحلية . وبعد اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ دعت الحكومة العثمانية مهندس الري السير ويليم ويلكوكس William Willcocks وعينه مستشارا للري في العراق . فجاء للعراق مع (١٢) مهندسا ومكث في هذه البلاد سنتين ونصف درس في خلالها أحوال الري وطبيعة الاراضي . وقام مع هيئة المهندسين برسم الخرائط والتصاميم لمختلف المشاريع التي يتوقف على تحقيقها اعمار الاراضي واتعاش البلاد وتخليصها من أخطار الفيضانات . وبعد أن أنهى من عمله رفع تقريره الى الحكومة العثمانية في نهاية نيسان سنة ١٩١١ . وقد وردت تفصيلات عن مقترحاته في تقريره^(٢) . وعهدت اليه الحكومة العثمانية بناء سدة الهندية وقد تم افتتاحها سنة ١٩١٣ وكانت كلفتها تقل عن نصف مليون ليرة انكليزية^(٣) .

ويظهر من العرض العام الذي قدمناه لبعض نواحي تاريخ العراق في هذه الفترة ، أن نوعا من التحسن المحدود طرأ على الاوضاع العامة في العراق بالقياس الى بداية القرن التاسع عشر وما قبلها . ويظهر هذا التحسن في بعض النجاح الذي أحرزته سياسة مدحت باشا الرامية الى

(١) الرقيب ، العدد ، ٥ ، ٤ صفر ، ١٣٢٧ ، ٢٥ شباط ١٩٠٩ .

(٢) طبعته الحكومة العراقية ببغداد سنة ١٩٣٧ .

(٣) أنظر : Longrigg, Op. cit, P. 64.

توطين العشائر حيث استقرت جماعات قليلة من القبائل وأخذت تعمل في الزراعة وتربية الحيوانات • يضاف الى ذلك ان تحسنا محدودا ظهر في طرق المواصلات ، فمدت أسلاك البرق^(١) وأخذت البواخر تمخر عباب دجلة • ولكن بالرغم من كل ذلك فان عوامل التأخر لا تزال عميقة الجذور ومتشعبة في جميع نواحي الحياة العامة في هذه البلاد • ويقول لونكريك : « أن العثمانيين بعد أن فتحوا ممتلكات الدولة الكلدانية والاشورية التي اشتهرت خصوبتها في التاريخ ، مرة وثانية ، وبعد أن تمسكوا بها مدة قرون أربعة باسم السلطان ، تركوها ، ولا تزال متأخرة جاهلة ، وظلت فقيرة غير مستثمرة ، تعمها الفوضوية وهي ساخطة على حكامها ، ولم توجه الى أي طريق من طرق التقدم • ولم يجد السياح في أي ولاية تركية ، غير الولايات العراقية ، بلادا تكثر فيها القابليات الكامنة التي ظلت مهملة ، كما انهم لم يجدوا في غيرها سوء الحكم وهو آسن لا يتبدل »^(٢) •

هذا هو العراق في نهاية القرن التاسع عشر الذي سنحدثك في الفصول القادمة عن نهضته الفكرية والسياسية في بداية القرن العشرين تلك النهضة التي أثمرت في ثورة العشرين التي هي موضوع هذا الكتاب •

(١) انشأت الدولة العثمانية في العراق ادارة البرق ومدت أسلاك التلغراف ، سنة ١٨٦١ •
(٢) أربعة قرون ، ص ٣٥١ •

الفصل الثاني

حركة التحرر العراقية في بداية القرن العشرين

قد يكون من الصعب أن نفصل حركة التحرر العراقية في هذا الدور عن حركات التحرر السياسية^(١) والفكرية في البلدان العربية الأخرى وخاصة الواقعة منها في الشرق الأوسط . فحركة الوعي العربي في هذه الفترة من تاريخ العرب ، كانت تسير ببطء لأنها اقتصر على الطبقة المثقفة دون الجمهور . وكانت هذه الحركة تعمل على إحياء تراث العرب الثقافي ولا سيما اللغة وتدعو إلى بعث كياناتهم السياسي . والحركة هذه وإن اختلفت ، من حيث القوة والانتشار بين قطر عربي وآخر ، تبعاً لأحواله الاجتماعية والسياسية والثقافية ، كان لها أنصار في مختلف البلدان العربية ومن بينها العراق .

(١) لقد فكر كثير من المفكرين السياسيين في نهاية القرن التاسع عشر في حل المشاكل السياسية ضمن إطار الدين ومن أمثلة ذلك السيد عبدالرحمن الكواكبي الذي شك في حق السلاطين العثمانيين بالخلافة ودعا إلى وجوب اختيار خليفة عربي يحكم بلاد العرب . ولم يكن هذا النوع من التفكير مقتصرًا على الكتاب المسلمين ، بل قام بين مفكري المسيحيين العرب من فكر في حل المشاكل السياسية ضمن دائرة الدين . ومن هؤلاء نجيب عزوري الذي فكر بإيجاد كنيسة كاثوليكية عربية ، كما دعا إلى إيجاد اتحاد يضم البلاد العربية في الشرق الأوسط ، على أن يكون الحجاز مستقلاً عن هذا الاتحاد ليكون مقر خليفة عربي . ومن هذا يظهر أن نجيب عزوري نظر إلى مشكلة سياسية من زاوية الدين ، وهو أمران ألقاه المسلمون ، فهو نادر الحصول عند المسيحيين لأن الدين منفصل عن السياسة عندهم .

وللاستاذ نقولاً زيادة مقال حول هذا الموضوع بعنوان :

« Recent Arabic Literature on Arabism »

منشور على ص ٤٦٨ وما بعدها من مجلة The Middle East Journal

المجلد الرابع ، ١٩٥٢ .

وكانت حركة الوعي العربي في سورية أقدم عهدا ، وأقوى تنظيما ، وأكثر أنصارا بالقياس الى الأقطار العربية الأخرى . ويمكن أن نرجع الاسباب الممهدة لنمو الوعي العربي في سورية قبل غيرها ، الى تأثير الحملة المصرية على سورية بقيادة ابراهيم باشا وما صاحبها من اصلاحات شبيهة بتلك التي أنشأها محمد علي باشا في مصر ، والى الجهود الثقافية للارسانيات التبشيرية ، تلك الجهود التي تمخضت عن تسرب بعض نواحي الثقافة الغربية ، وعن حركة ثقافية ساعدت على احياء اللغة العربية وتيسير الطباعة فيها . وبالرغم من الرقابة الشديدة التي فرضتها حكومة السلطان عبدالحميد على النشر والتأليف ، وبالرغم من رداءة المواصلات عبر الصحراء السورية فقد تسربت الى العراق أضواء فكرية وسياسية من سورية ، عن طريق المطبوعات والاتصال المباشر في مواسم الحج والتجارة . وذلك « أن الوعي القومي العربي الذي نمت جذوره في سورية قد امتدت فروعه الى الأقطار التي تتكلم العربية ، وما لبث أن تحول هذا الوعي بعد أن زال عهد السلطان عبدالحميد^(١) الى حركة تدمر واسعة الانتشار

(١) يقول سليمان فيضي ، وهو احد المعاصرين لعبد الحميد ، على الص ٤٥ ، ٤٦ من كتابه الموسوم بـ « في غمرة النضال » المطبوع ببغداد ، سنة ١٩٥٢ : « لقد قال المؤرخون في السلطان عبدالحميد انه كان من دهاة الملوك ، بل هو أدهى معاصريه . وقد قال فيه الشعب انه ظالم متجبر ، خنق الحريات ، وأزهق الاحرار ، وأنفق مال الدولة على بطانته الفاسقة . لقد عشق الحكم وتمسك بالعرش ، فحكم البلاد حكما فاسدا مدة ثلاث وثلاثين سنة . ذاق فيها الامرين فعمها الخراب ، وقضى المخلصون نجبهم في أعماق السجون . . . والمنافي . . . وعلى أعواد المشانق . وكان الشعب يرسف في قيود الذل والعبودية . . . أما أصوات الغوث والاستنجاد فلم تكن تطرق سمع السلطان ، اذ حال بينه وبين المستغيثين ستار منيع من رجال البلاط والجواسيس ، ممن أجزل لهم السلطان العطاء ، وأغدق عليهم من نعمه وآلائه ، وترك جبل الحكم لهم على غاربه . . . فحالوا بين الرعية والراعي ، ووسوسوا له بالخوف من مطالبب الأمة ، وارتكبوا باسمه =

وذات هدف معين^(١) .

ويظهر أن التقدم الذي أحرزته سورية كان معروفا لدى بعض المنكرين العراقيين في ذلك العصر وانهم كانوا يتطلعون الى تقليده والاستفادة منه ، كما اعتقدوا أن الاتراك لم يكونوا أكثر تقدما من السوريين خاصة والعرب عامة وبالتالي ليسوا على حق في فرض ثقافتهم ولغتهم على العناصر غير التركية التي تتصوي تحت العلم العثماني . وقد ظهر هذا الشعور في مقال اقتبسه محرر مجلة « تنوير الافكار » البغدادية من مجلة « المقتبس » السورية . وقد جاء في المقال السالف الذكر : « أما السعي في تترك^(٢)

= المنكرات والموبقات .

وتصف جريدة الرقيب « البغدادية بعدها الثاني الصادر في ٢٨ كانون الثاني ، ١٩٠٩ ، ١٣ محرم ، ١٣٢٧ هـ حكومة السلطان عبدالحميد بقولها : « ليس من الامور الخافية على العموم ما كانت الحكومة السابقة [يقصد حكومة السلطان عبدالحميد] تجريه من اختلاق الحجج على الرعايا المساكين لاجل نفيهم وتبعيدهم ، بل محوهم ٠٠٠ فلا يكاد الانسان يتفوه بكلمة الا وعليه ألف عين والغالب من كان يساق الى المنفى الذي يكون له قبرا يقبره وهو في قيد الحياة الى أن يوافيه الاجل الموعود ، وصار التجسس ٠٠٠ وسيلة لترقي جملة من الاسافل ٠٠٠ وكم من بريء صار طعما للاسماك وكم من ذي جمية ذهب ضحية ٠٠٠ وكم من مخلص للملك والملة قضى به الحال الى التلف حتى لم يخلو محل من عدة من أولئك المبعدين بلا حق ٠٠٠ ومن جملة الولايات التي كانت تتخذ مقرا للمنفين ومنزلا للمبعدين ولايتنا بغداد وذلك لبعدها عن مركز السلطة حتى كان يعد من فيها منهم بالئات فضلا عن العشرات ٠٠٠ » . هذا هو عبدالحميد الذي كان خليفة المسلمين وحامي الحرمين الشريفين ورئيس الدولة العثمانية في الوقت نفسه .

(١) انطونيوس ، ن . م ، ص ١٢٨ .

(٢) يظهر أن فكرة التترك لم تكن واضحة في ذهن الكاتب اذ انه يحاول أن يقرنها بفرض اللغة التركية على غير الاتراك من مواطني الدولة العثمانية ، والواقع ان فرض اللغة التركية يسبق حركة التترك بكثير وقد تكون الصلة بين الاثنين ضعيفة . اذ من المعلوم أن حركة التترك =

العرب في سورية وفي غيرها من الأقاليم العربية كاليمن والحجاز والعراق
فسعي باطل ليس فيه خير للبلاد ولا للدولة لان تعليمهم بغير لسانهم^(١)
يطول معه زمان نهوضهم الحقيقي ، والاتراك ليسوا بمدنيّتهم على مستوى
الفرنسيين والانكليز في الرقي ٠٠٠ حتى يفيضوا من علمهم على العناصر
الاخري ولذلك كان عمل الحكومة عقيما في نشر التركية فقط في البلاد
العربية ، والدليل على ذلك أن الولايات التركية أحط بكثير من بعض
= تقوم على تفضيل العنصر التركي على غيره من العناصر المكونة
للامبراطورية العثمانية .

وقد ذكر سليمان فيضي على الص ٨٣ ، ٤ من كتابه سالف الذكر
تفضيلات عن هذه الحركة وقال : « لم تكن العنصرية التركية ذات موضوع
قبل عهد جمعية الاتحاد والترقي » . وكانت العاطفة الدينية عند غالبية
الأتراك قوية . وقد أمعن الاتحاديون بحركتهم العنصرية وساهمت صحفهم
في ذلك ، فنشرت صحيفة (الاقدام) التركية مقالا جاء فيه : « أن العرب
يبيعون كل شيء بالمال ٠٠٠ حتى العرض ٠٠٠ الى غير ذلك من الطعن
بشرفهم والدس على شهامتهم وتقاليدهم » .

وقد استخدم الاتحاديون ، فضلا عن الصحافة والمنظمات السياسية،
الدين لتحقيق أغراضهم فشحجوا بعض خطباء الجوامع على النيل من الدين
والخلفاء الراشدين وآل الرسول . وقد جمعت الحكومة أقوال أحدهم
واسمه عبيدالله في كتيب عنوانه « شعب جديد » طبعته منه الملايين ووزعته
على الأتراك . وكان لهذه الحركة أثر في تكتل العرب ضد الأتراك كما
سنرى في الصفحات القادمة .

(١) كانت لغة التعليم في جميع الولايات العربية من الامبراطورية
العثمانية هي التركية . وكانت هذه القضية مشار جدل عنيف بين
الحكومة وقادة الرأي العام في ابلاد العربية . ويقول المعلم داود صليوه
محرر جريدة « صدى بابل » ، العدد (١) من السنة الاولى الصادر بتاريخ
٢١ شوال ١٣٢٧ الموافق ٥ تشرين الاول ١٩٠٩ ان : « كثيرا ما لهجت
جرائدنا الوطنية وغيرها من الصحف والمجلات بطلب اتخاذ لغتنا العربية
رسمية أو تقرب منها في ديارنا هذه » . وقد بين المحرر الاضرار الناجمة
عن هذه السياسة وقال : « انه يستحيل في جميع تلك الاصقاع أن نرى
بين ذلك الشعب الغفير والجمع الوفير من يحسن كلمة تركية ما خلا أفراد
من المدن يعدون على عدد الاصابع » .

الولايات العربية ، فولايتا سورية وبيروت أرقى ولا شك من أدرنة وبيروسة . . . أما درجة التعليم والتهذيب في سورية فأرقى من بلاد الأكراد وأرمينية وولايات آسيا الصغرى . . . ولذلك جاز لنا أن ندعي أن السوريين كالطفل بدأ يجبو نحو المدينة . . . « (١) » .

وكانت المطبوعات السورية بما فيها الصحف ، كالمقتبس والعرفان ، معروفة في هذه البلاد وينقل عنها أصحاب الصحف العراقية المعاصرون (٢) . ولم يسهم حكام مصر اسهاما فعالا في حركة الوعي العربي السياسية في هذا الدور ، وذلك لانهم غرباء عن البلاد من حيث اللغة (٣) والشعور والتاريخ . يضاف الى ذلك ان احتلال البريطانيين لمصر في أواخر القرن التاسع عشر ، وما صحبه من مشكلات مالية وسياسية ، شغلها عن مواكبة سير حركة التحرر العربي بمظهرها السياسي على الأقل . ولم يعد المعنيون بقضايا العرب السياسية أحرارا بالعمل تحت ظل الحكم البريطاني الا اذا كان ذلك العمل لا يضر بمصالح بريطانيا في مصر ولا يكدر صلاتها مع الدولة العثمانية .

- (١) « الأمة تحبو » عن مجلة المقتبس الغراء « تنوير الافكار » ع ٧ من المجلد الاول ، ربيع الاول ١٣٢٩ هـ ، ص ٢٨٠ .
- (٢) « العلم » العدد الاول من المجلد الاول ، ٢٩ مارت ، ١٩١٠ ، ص ٤٥ ؛ « صدى بابل » ع ١٠ ، السنة الاولى ، ٣٠ رمضان ، ١٣٢٧ هـ ١٥ تشرين الاول ١٩٠٩ م .

(٣) يقول بروكلمان ، على الص ٩٩ من الجزء الرابع من كتابه الموسوم بـ « تاريخ الشعوب الاسلامية » طبعة بيروت ، ١٩٥٠ . « وفي مصر كانت الطبقة الحاكمة أسرة محمد علي وأتباعها تعنى بالادب التركي أكثر مما تعنى بالادب العربي ، وان المطابع التي أنشأتها الحكومة في القاهرة لم تطبع الانظمة العسكرية باللغة التركية حسب ، بل طبعت فوق ذلك سلسلة كاملة من آثار الادب التركي الكلاسيكية قبل أن تفكر في اسباغ هذا لشرف على الادب العربي » .

ومع هذا فلا حكام مصر الغرباء ولا الانكليز المستعمرون استطاعوا أن يحولوا دون تزعم شعب مصر العربي للحركة الثقافية العربية في هذا الدور من تاريخ العرب • ففي مصر كانت الصحافة والطباعة تتمتع بنوع من الحرية لا مثل لها في غيرها من البلاد العربية التي كانت تنوء بأثقال استبداد حكومة السلطان عبدالحميد^(١) • ولجأ كثير من الادباء والساسة العرب الى مصر خوفا من رهبة الاستبداد التركي ورغبة في الحرية التي لا حياة للمفكر بدونها •

وفي مصر نمت حركة الجامعة الاسلامية التي زرع بذورها السيد جمال الدين الافغاني • وقد نظم الشيخ محمد عبده هذه الحركة وحولها الى برنامج ثقافي قابل للتطبيق ، اذ كان يقول : « انه ليس من واجب المسلمين ، في مجهودهم الرامي للدفاع عن دينهم ، أن يهتموا ببعث الدراسات الدينية حسب ، بل عليهم أن يدرسوا العلوم الحديثة وتاريخ الاوربيين وديانتهم وبذلك يدركون أسباب تقدم الغرب »^(٢) •

وكان للحركة الفكرية في مصر صدى واسع في العراق • فجامعة الازهر التي تمتعت بشهرة تقليدية قديما والتي جعلها جماعة الشيخ محمد عبده مركزا لفعاليتهم الثقافية حديثا ، كانت مثارا لعجاب جماعة من المعنيين في الشؤون الثقافية في العراق •

وبلغ هذا الاعجاب درجة الرغبة في السير على هديها الثقافي • ففي بداية هذا القرن دعا نعمان الاعظمي اخوانه العراقيين الى « اقامة جامعة كبرى كجامعة الازهر في مصر » كوسيلة الى نشر الثقافة في هذه البلاد^(٣) •

(١) بروكلمان ، ن.م. ، ج ٤ ، ص ١٠٠ •

Gibb, H.A.R., The Modern Trends in Islam, (٢)

Chicago, 1950, P. 39.

(٣) « فقدان العلم والتعلم » ، تنوير الافكار ، السنة الاولى ، ج ١ ،

شعبان ، ١٣٢٨ ، ص ٢١ •

والمطبوعات المصرية ، كالعروة الوثقى والمقطم والمقتطف والهلال تجد من يعتي بها^(١) كما تجد من ينقل عنها في صحف العراق^(٢) . ورحل الشيخ عبدالمحسن الكاظمي^(٣) بعد أن ضيق العثمانيون عليه الخناق لمجاهرتة بأفكاره التحررية^(٤) الى مصر ليجد بين شعبها وقادة الفكر فيها من يعطف على أفكاره الحرة ويشاركه عواطفه العربية . وشارك الكاظمي في مصر ، بعد أن ضاق عليه العراق ، « في المساعي للدعاية العربية ، وارسل القوافي وأنشد القصائد هز بها المحافل ، واستعان « حزب الاتحاد السوري » بشعره في بث مبادئه القومية وأسهم في «جمعية الرابطة الشرقية» التي أنشأها

(١) أخبرني الاستاذ عبدالحמיד زاهد الكتبي انه كان يعنى في فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى باستيراد الكتب الحديثة ، بما فيها المصرية والسورية ، الى مكتبته في النجف وذلك لشدة الاقبال عليها . وقد أصبحت مكتبة الاستاذ زاهد ملجأ للوطنيين وموضعا يلتقون فيه لبحث القضايا السياسية .

(٢) صدى بابل ، السنة الاولى ، ج ١٨ ، ٢٧ ذو القعدة ، ١٣٢٧ هـ ، ١٠ كانون الاول ، ١٩٠٩ م . و « العلم » ع ٢٤ و ٣ مج ١ جمادي الاول ، ١٣٢٨ - ٢٩ نيسان ، ١٩١٠ ، ص ١٢٢ .

(٣) أورد روفائيل بطي ترجمة وافية لشاعر العرب الكاظمي في مقدمة ديوانه المطبوع بالقاهرة سنة ١٩٤٨ .

(٤) يقول الاستاذ روفائيل بطي على الص ٣ من ديوان الكاظمي ان قريحة الكاظمي قد أنارت له سبيل التفهم وكشفت أمام بصيرته حال بني وطنه وملته ، فوجدت في رأسه هموم من التأخر ، وفكر في طرق الاصلاح . فلما وفد على بغداد رائد النهضة الشرقية السيد جمال الدين الافغاني منغيا من ايران تعرف الشاعر الفتى بجمال الدين ولازمه ، وأخذ عنه طرفا من العلوم وتوجيها في التفكير ، واعتنق مبادئه ، ولكن سلطان الظلام كان مخيما على بلاد السواد من خطط الخلافة العثمانية ، فلم تحتمل السلطة صاحب العقل للملاح ، فأخرج الافغاني من العراق ، ولاحتت النقمة على تحرره وجراته من كان يلوذ به من شباب الجيل ، فتخرج موقف الكاظمي ولا سيما ان فكرته اقتدح زنادها بتعاليم الزعيم فصار ينتقد الحكومة ويعدد نقائصها .

في القاهرة أعلام الشرقيين والمصريين»^(١) . وكان اهتمامه بالقضية العربية مثار إعجاب المصريين فسموه « ترجمان العروبة الصادق »^(٢) . ولم يكن ما تسرب للعراق في هذا الدور من أفكار سياسية وثقافية حديثة ، سواء من الأقطار العربية المتقدمة كسورية ومصر ، أو عن طريق الهند وموانيء الخليج العربي^(٣) ، أو عن طريق استانبول^(٤) ، كفيلا بتهيئة الوسائل التي تساعد على ايجاد شعور وطني يضمن القضاء على استبداد وفوضى الحكام العثمانيين وبالتالي يعمل على تقويض حكمهم اذا ما أزفت الساعة التي يمكن فيها اقامة حكم وطني يستمد قوته من تربة هذه البلاد ويقوم على أكتاف أبنائه . ومن عوامل ضعف الشعور الوطني العراقي في هذا الدور اقتصاره على المثقفين من سكان المدن في الغالب ، بما فيهم بعض رجال الدين وأقلية ضئيلة من رؤساء القبائل . وكانت هذه الجماعة ، فضلا عن قلة عددها ، ينقصها التنظيم ، ووحدانية الغاية ووضوح الهدف الذي تعمل من أجله .

ويوضح لنا آيرلند الحالة في العراق في هذا الدور حين يقول : « بقي العراق منعزلا عن الغرب ، وكان ذلك ناتجا عن رداءة المواصلات وبعد البلاد عن سواحل البحر المتوسط ، وكانت المقومات الثقافية تنقص هذه البلاد الغنية التي هي بمثابة سبيرا تركيا ، تلك المقومات التي تساعدها على تقبل الافكار الجديدة التي ظهرت وانتشرت على سواحل البحر المتوسط^(٥) . وهناك أقلية فقط قوامها رجال المهن كالأطباء والمحامين

(١) بطي ، مقدمة ديوان الكاظمي ، ص ٥ .

(٢) بطي ، ن . م ، ص ٦ .

(٣) الاعظمي ، تنوير الافكار ، ج ١ ، العدد السابع ، السنة

الاولى ، ربيع الاول ، ١٣٢٩ ، ص ٢٨١ .

(٤) أنظر : Ireland, W., Iraq, London, 1937, P. 222.

(٥) ان ما بيناه سابقا عن وجود الاتصال الفكري بين العراق

وسورية ومصر يبين قلة التدقيق التي وردت في رأي الكاتب .

والمعلمين والموظفين المدنيين ، تمكنت من أن تكون العمود الفقري للحركة الوطنية عبر الصحراء ، ومع ذلك فمن هؤلاء ومن ضباط الجيش تكونت النواة التي تجمعت حولها الحركة الوطنية في فترة ما قبل الحرب في العراق « (١) » .

وماذا عسى أن يعمل المثقفون في عراق ما قبل الحرب العلمية الاولى ، وهم يعيشون بين جماهير جاهلة^(٢) من أهل المدن ، وبين قبائل تعيش تحت

Ireland, Op. cit, p. 227—8. (١)

(٢) أورد الاستاذ عبدالرزاق الهلالي في كتابه الموسوم بـ « تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني » المطبوع ببغداد سنة ١٩٦١ معلومات وافية عن التعليم في هذه الفترة بنوعيه القديم والحديث ، أي ما كان يجري في المدارس الدينية القديمة والكتاتيب ، وما يتم في مؤسسات التعليم الحديثة . وقد ذكر الهلالي على الص ١٧٧-١٧٨ ، من كتابه السابق ، ان أول مكتب أنشئ في مدينة الموصل سنة ١٨٦١ . وفي عام ١٨٩٤ أنشئ مكتب ثان دون أن يكون في المدن والحواضر التابعة للولاية كلها سوى ثلاث مدارس رشدية . وقد أصبح عدد المدارس في ولاية الموصل (٣٠) مدرسة رسمية سنة ١٩١٤ .

ويقول الهلالي ، على الص ١٨٤ ، انه لم يكن في ولاية البصرة قبل عام ١٨٨٣ أي مدرسة ابتدائية وقد أصبح عددها في سنة ١٨٩٥ ثمانيا مدارس منها ست في مدينة البصرة . وفي عام ١٩٠٥ كان في لواء البصرة (١٢) مدرسة ابتدائية ، وفي لوائي العمارة والناصرية (١٥) مدرسة ابتدائية . أما المدارس الرشدية فكان عددها في عام ١٩٠٥ أربعة مكاتب رشدية .

ولم تكن حالة بغداد الثقافية بأفضل من حالة أختيها الموصل والبصرة ، اذ كان عدد المدارس الابتدائية في ولاية بغداد لا يزيد عن (٣٤) مدرسة ابتدائية . وفي سنة ١٩١٤ لم يزد عدد مدارس البنات في بغداد عن أربع مدارس . ولم يكن في العراق كله عام ١٨٩٩ سوى (٢٠) مدرسة رشدية عدد طلابها جميعا (٨٤٠) طالبا . أما الابتدائية فلم تكن تزيد عن (١٣٠) مدرسة ابتدائية في سنة ١٩٠٨ . (الهلالي ، صص ١٥٣ ، ١٥٦ ، (١٦١) .

ويظهر ان هذه المدارس كانت تتركز في المدن الكبيرة بالدرجة الاولى ، =

ظل نظام اقطاعي بغيض ، وتناحر مع بعضها تارة ومع الحكومة تارة أخرى ؟ وكيف تستطيع النخبة المثقفة أن تعمل ، سيما وانها ترزح تحت ظل حكومة مهملة لا تعترف بحقوق الافراد ، فضلا عن القوميات ، وتجهل أو تتجاهل واجباتها نحو المحكومين رغم انها أعلنت الدستور وجمعت ما اسمتهم بممثلي الشعب في ندوة أطلق عليها مجلس « المبعوثان » .

= يضاف الى ذلك أن بعضها يظهر في الوقائع (السالنامات) الرسمية دون أن يكون له وجود . ومن الادلة على تركيز المدارس في مراكز الولايات هو أن لواء الديوانية رغم أهميته وكثرة نفوسه ، لم تكن فيه مدارس رسمية في ٢٧ محرم ١٣٢٧هـ الموافق ١٨ شباط ١٩٠٩ . وقد وردت من سكانه شكاية نشرت في العدد (٤) من جريدة « الرقيب » الصادرة في التاريخ السابق . واليك نصها : « ان لواء الديوانية يكرر شكاياته من اهمال الحكومة اياه وعدم تشكيل مكتب ابتدائي فيه الان مع ان المعارف تأخذ منها الرسوم تامة ، وكذا نشكو عدم وجود طبيب للبلدية فيها والاهالي بحاجة لذلك لحفظ صحتهم فنوجه أنظار الولاية الجليلة ودائرة المعارف لهذه الشكايات وان لا يتركوا الرعايا هملا بلا صحة ولا تعليم » .

ورغم قلة المدارس وضعف مستواها العلمي فان ما أسس منها لم يحقق الغرض الذي أسست من أجله ، لان التدريس كان يجري بلفظة اجنبية وهي التركية . وقد نشرت جريدة « الرقيب » بعدها السابع من السنة الاولى بتاريخ ١٨ صفر ، ١٣٢٧هـ - ١١ مارت ، ١٩٠٩م ، مقالا تحت عنوان « التربية والتعليم » نورد مقتطفات منه . يقول المحرر : « وبسبب قلة وجود المكاتب الابتدائية في ولايتنا [يقصد ولاية بغداد] نرى أن من يعرف القراءة والكتابة ان راجعنا عدد الاهالي لا يكون الا بنسبة واحد في المائة على جهة المبالغة والا فلعله بنسبة عدد العشائر لا يكون واحدا من ألف . على أن الولاية الان وان زاد فيها الوالي السابق عددا من المكاتب الابتدائية لكنها حتى الان لا تكفي لعشر الاولاد تقريبا ٠٠٠ فالولاية عموما بتوابعها تحتاج تقريبا لمائتي مكتب ابتدائي ولعلها لا تكفي ٠٠٠ وعلى المعارف صرف الهمة في تعميم مكاتب الرشدية أيضا . أما صورة التعليم فيجب أن تكون في ولايتنا لانها عربية (وكذا في عموم العراق وسورية والحجاز واليمن) أولا ، يعني في مكاتبها الابتدائية باللغة العربية المحضة كما فعله مدحت باشا في سورية ، وأن يكون المعلمون ممن يحسنون =

وقد ضرب صاحب « الرقيب » أمثلة عن حالة حكومة العراق بصورة عامة في نهاية العقد الاول من القرن العشرين . ومن هذه الامثلة ما يتعلق بالماكنة التي تدير تلك الحكومة وأعني بذلك موظفيها . ويظهر من رسالة وجهها محمد رشيد نائب خراسان الاسبق الى صاحب « الرقيب » ، أن الحكومة لم تدفع لموظفيها رواتبهم بانتظام وان هذه الرواتب لا تناسب ومستوى المعيشة حينذاك وبالتالي كان الموظفون ، على عهدة صاحب الرسالة ، مضطرين لاختد الرشوة . يقول كاتب الرسالة ، محمد رشيد : « ماذا يعمل الموظف ولا يبلغ معاشه الثلثمائة غرش مع انه لا يقبض منه في السنة الا النصف أو ما يزيد قليلا ، واذا نظرت الى ما يقتضي له ولعائلته من مصرف [نفقات] ... قضيت بالضرورة بأن ما يأخذه لا يكفيه لعشر مصرفه فمن أين يحصل الباقي ان لم يفعل ما ذكرناه من الموبقات [يقصد أخذ الرشوة والاختلاس] مع انه عالم متحقق ان لا سائل يسأله عن أفعاله ولا رقيب يراقب حركاته ... »^(١) . وينقل لنا محرر « الرقيب » صورة شكوى من أحد ملاكي الحلة يقول فيها : « أن المأمورين الذين ترسلهم الحكومة كل سنة لتعداد الاغنام وبيوت العشائر داخل قضاء الحلة يأخذون قيمة كل (قوجان) سند عن الاغنام والويرگو خمس غروش صاغ عن

= التعليم ... » .

ويقول لونكريك ، على الص ٢٠٣ ، من كتابه الموسوم بـ « أربعة قرون ... » قد نتج من اصرار الحكومة على اتخاذ التركية لغة للتعليم في العراق نتيجتان : « أولاها - ان مادة التدريس كانت غير مفهومة فسي الغالب . وثانيتهما - أن الشبان العراقيين نشأوا وهم غير قادرين على الكتابة بيسر بالعربية . ولا يمكن أن تنكر الفائدة السياسية من أمر تحويل العرب بهذا تحويلا نصفيا الى اترك ، كما أن ذلك أجل الشعور بالقومية لدرجة عالية » .

ومن هذا يظهر أن الاتراك لم يكونوا جادين بتعليم رعاياهم من العرب ، وانهم كانوا يقاومون العربية رغم انها لغة القرآن الكريم .
 (١) « الرقيب » العدد (٣) السنة الاولى ٢٠ محرم ١٣٢٧هـ .

تمن (البول) الطابع والكتابة من دون مراعاة لكثرة الاغنام والبيوت وقتلتها . ولا يكتفون بذلك ، بل يكلفون الاهالي بماكولانهم وماكولات الضبطية وعليق دوابهم . فلو أضفنا الفرق على أصل الرسوم لكان رسم الاغنام أربعة غروش ونصفا عوض الثلاث ورسم البيوت خمسة وسبعين غرشا عوض الخمسين ، ان هذه الرسوم المخالفة للقانون تبلغ بنسبة عدد السندات نحو الاربعين ألف غرش وما زالت تقسم بين المأمورين علنا . فأوجب هذه الامور اضمحلال الاهالي الفقراء » (١) .

ويظهر من هذه الامثلة أن الجرائد كانت تتحسس سوء الاوضاع وتعمل على نقدها بصورة موضوعية في أكثر الاحيان .

ورغم استبداد الحكومة واهمالها ، ورغم القنوط الذي سيطر على موقف الجماهير تجاه الحركة التحررية في العراق ، فان هذه الحركة قد بدأت تنظم صفوفها فنشطت في ايصال أفكارها التحررية الى الجماهير وأخذت توضح لهم أهدافها . وقد اتخذ المثقفون من الصحافة وسيلة لتحقيق هذا الغرض . وتمكنوا من بعث حركة صحفية نشطة وحررة في الوقت نفسه ، عملت جادة ، في تلك الفترة ، على التنبيه الى فساد المؤسسات الحكومية وما يصحب هذا الفساد من تأخر في أوضاع البلاد العامة . ولعل المواضيع التي عالجتها صحافة ذلك العصر والتي أشرنا الى بعضها تقوم دليلا على ما ذهبنا اليه .

وفضلا عن ذلك فان الصحافة في هذا الدور عالجت نقطة حيوية تؤلف ركنا أساسيا من أركان الحركة الوطنية ، وهي جعل اللغة العربية لغة التدريس في المدارس . ولا شك أن لهذه الناحية أهميتها القصوى في تنمية الشعور الوطني لما يصحب احياء اللغة من ذكريات وطنية وما ينتج عن معرفتها من تدوق لتراث البلاد الثقافي . وسنرى في الصفحات القادمة

(١) « الرقيب » العدد (٤) السنة الاولى ٢٧ محرم ١٣٢٧ هـ .

أن عدد الصحف في هذا الدور قد كثر كثرة مدهشة بالقياس الى الادوار التي سبقته . ويمكن أن يستتج الباحث ، من كثرة الصحف وحيوية المواضيع التي تعالجها ، أن تقدما فكريا قد أخذت جذوره تمونها وهناك ، وان هذا التقدم الفكري لا بد أن يتمخض عن نمو في الوعي السياسي والاجتماعي .

وسبق أن أشرنا الى الجدل الذي ثار بين الحكومة التركية وبين أرباب الصحف وغيرهم من المثقفين حول استعمال اللغة العربية كلفة للتعليم في المدارس الابتدائية . و يظهر أن هذه القضية الحيوية لم تشر على الصعيد الصحفي حسب ، بل أثيرت على الصعيد السياسي أيضا ، سواء كان ذلك في البلدان العربية الاخرى أم في العراق . وبهنا هنا أن ننظر الى موضوع استعمال العربية في المدارس من الزاوية العراقية فقط ، ونشير الى الموقف الذي اتخذته نواب ولاية بغداد في مجلس الولاية من هذه القضية .

لقد نشرت جريدة « الرقيب » البغدادية في ٨ نيسان ١٩٠٩ مقالا تحت عنوان « المجلس العمومي وبلاد العرب والعربية » جاء فيه : « طلبنا من أعضاء مجلسنا العمومي أن يبذلوا جهودهم ويحصرروا فكرهم في السعي وراء تشييد دعائم لغتنا العربية وان يجعلوا التعليم في اللغة العربية محضا في المكاتب الابتدائية ، ويضاف لذلك درس لتعليم الاولاد اللغة التركية الرسمية وأما المكاتب الرشدية والاعدادية فالتعليم فيها باللغة الرسمية التركية بشرط أن يضاف لها درسا عربيا . . . » (١) .

ويظهر أن هذا الطلب رغم مشروعيته ووجهته ، لم يلق قبولا من مجلس الولاية فأصدر قانونا بتاريخ ١١ مارت ١٣٢٥ رومي الموافق ٢٤

(١) العدد (١٢) السنة الاولى ، ١٧ ربيع الاول ١٣٢٧ هـ - ٨

نيسان ، ١٩٠٩ م .

مارت ١٩٠٩م تناول بعض القضايا التربوية بالعراق ولكنه لم يقر استعمال العربية كلغة للتعليم في المدارس الابتدائية . والى هذا أشار المحرر في مقاله السابق بقوله : « وعندما رأينا مضبطة مجلسنا العمومي [يشير الى القانون السالف الذكر] ... لم نجد لهم من هذا البحث سوى تقديم من يعرف اللغة العربية من المعلمين على غيرهم فهل هذا كان أملا فيهم ؟ أليس هذا نصبا لحقوق العرب والعربية ... ؟ » .

وكان نواب ولاية بغداد الاثني عشر من الموافقين على هذا القانون « سوى الحاج بكر افندي منتخب كربلاء » . ويورد صاحب « الرقيب » جدولا باسماء اولئك النواب ومناطق انتخابهم والعنصر الذي ينتمون اليه ومعرفتهم باللغة التركية ، ويقول : « فمن راجع ذلك يعلم ان ستة منهم لا يعرفون اللغة التركية واربعة يعرفون طرفا منها وواحد عربي يعرف طرفا منها وآخر هي لغة وطنه فكيف امكن الاكثرية الموافقة على هضم حقوق لغتهم الشريفة والاعانة على محوها واضمحلالها ؟) » .

وعندما سأل المحرر احد النواب عن الموضوع اخبره انه وضع المضبطة على ما يرام ولكنه عندما خرج البحث من الكلام الى التحرير لم يعرف ما حرر في المضبطة ، وانه ختمها ويعتقد انها طبق مرغوبة . ويختم المحرر مقاله بقوله « فهل يمكن لولايتنا السعيدة ؟؟؟ ان تنتظر من هذا المجلس المحترم فائدة تذكر حاشا وكلا ... » .

ويظهر ان نواب العراق في « مجلس المبعوثان » لم يقوموا بما كان ينتظره منهم أبناء شعبهم . وقد عاتبهم أحد المعاصرين بقصيدة عنوانها « الندبة العراقية » . وفيها يقول الشاعر مخاطبا اخوته النواب :

فأي امتياز قد حفظتم ذمامه واتم له أهل على كل واجب
وأى اشتراك قد عقدتم شروطه ولم تتركوه قسمة للاجانب

إذا ما سمعتم صوت بيع نفوسكم تخلفتم عنه وحدتم لجانب
فقولوا لنواب العراق أما لكم تشاغلتم عنا بأعلى المراتب
يشق علينا جنكم وخمولكم ولو كنتم نسل الكرام الأطايب
ويشير الشاعر تهمة خطيرة ضد النواب وهي بيع أرض العرب
للإجانب فيقول :

تماهلتوا عن كل فائدة لنا ولا سيما في بيع أرض الأعراب
أما فيكمو من نهضة عريضة كما نهضت يوم امتياز المراكب (١)
فليس اتخبناكم لإصلاح حالكم فنحن اتخبناكم لدفع النوائب (٢)
هذه صورة للعراق في بداية هذا القرن يظهر منها أن نواب العراق
كانوا مهملين لواجبهم ، وإن حكومته سيئة . ولكن الذي يهمنا هنا هو

(١) يظهر ان الشاعر يشير الى قضية كانت تشغل الرأي العام
العراقي في ذلك الوقت وهي قضية تجديد امتياز « الملاحه في نهري دجلة
والفرات » لشركة ستيفن لنج الانكليزية . وجاء في جريدة « صدى بابل »
بعدها العشرين من السنة الاولى المؤرخ في ١٨ ذي الحجة ١٣٢٧ - ٣١ من
كانون الاول سنة ١٩٠٩ « ان امر الملاحه في نهري دجلة والفرات قد
اضحى شغلا شاغلا ومرمى نقد الامه العثمانية قاطبة . وقد لهجت الجرائد
على اختلاف اذواقها بحيث لم تبق جريدة الا وخاضت يم البحث في هذا
الموضوع واستكبرت قرار المبعوثان فيه » . ويظهر ان رد فعل العراقيين
تجاه هذه القضية كان قويا فيقول محرر جريدة صدى بابل ، في عددها
السالف الذكر ، « بيد أن الامه العراقية التي عجمت عود هذه المسألة
واستكبرتها بادر وجاهؤها فعقدوا مجلسا في نادي جمعية الاتحاد في مدينة
السلام وخابروا من اختاروا مخابرتة في هذا الشأن وقاموا بالنذب عن حقوقهم
وطنهم واصلوا اصرارهم عن الاقتناع بهذا الامر وانهم ابوا الا تخليص
الملاحه من يد الاجانب وانهم مستعدون لان يقبلوا الامتياز ويقدموا المبلغ
المفروض . . . » .

(٢) صدى بابل ، العدد ٧٥ ، ٢٨ محرم ١٣٢٩ - ٢٩ كانون
الثاني ١٩١١ .

ان جماعة من مثقفي العراق أخذوا يشعرون بسوء الاوضاع في بلادهم فانقدوا حكومتهم لتقصيرها وحشوا نوابهم في مجلس « المبعوثان » على تنبيه الحكومة على هذا التقصير .

ومع هذا كان الوعي الوطني في العراق يسير سيرا وثيذا ، تحت ظروف كالتى وصفنا ، نحو نهاية غير واضحة في نفوس الجماهير ، وكان المعينون بالحركة الوطنية يدركون أن حركتهم ، رغم المكاسب التي حققتها عن طريق الصحافة وغيرها ، ستبقى محدودة الاثر ما لم يتفهم الجمهور مقاصدها وأهدافها . وحيشذ فكروا في وسائل أخرى تساعدهم على تحقيق أهدافهم ، وقد ساقهم تفكيرهم ، لا سيما وان بينهم من تأثر في الثقافة الاوربية ، الى التنظيم السياسي الحديث كالانخراط في الجمعيات والاحزاب السياسية والتأكيد على دور الصحافة والنشر . ورغم سلامة هذا النوع من التفكير كانت نتائجه بطيئة وغير مؤكدة لان عراق العقد الاول من القرن العشرين كان متأخرا في ثقافته كما أسلفنا ، ولم يسبق لاهله أن تذوقوا فوائد العمل الجمعي^(١) المبني على أساليب سياسية وعلمية حديثة ، كما لم يسبق لهم أن مارسوا هذا النوع من العمل وخضعوا للقيود الاخلاقية الصارمة التي يستلزمها نجاح الاعمال الجمعية .

ومن الادلة على عدم تقييد بعض ساسة ذلك العصر بالقيود الاخلاقية التي يفرضها العمل الحزبي هو أن السيد طالب النقيب ، رغم انخراطه في الاحزاب والجمعيات^(٢) السياسية في العراق وفي البلاد العربية الاخرى

(١) يصف الشاعر الكبير الشيخ علي الشرقي بني قومه بالبيت

الآتي :

قومي رؤوس كلهم ارأيت مزرعة البصل

(٢) انشأ السيد طالب جمعية البصرة الاصلاحية ، وايد المؤتمر

العربي المنعقد بباريس سنة ١٩١١ لمعالجة القضية العربية .

لم يتقيد بدقة بالمفاهيم الحزبية • وكان يمنح ولاءه^(١) للحكومة العثمانية ويسلبه منها بغض النظر عن ارتباطاته الحزبية ودون الالتفات الى ما تجره تصرفاته الفردية من أضرار للقضية التي يعمل الحزب من أجلها وهي استقلال البلاد العربية التابعة للعثمانيين بما فيها العراق •

الصحافة وأثرها في الحركة الوطنية :

سبق أن أشرنا الى أن العراق في بداية هذا القرن كان على صلة بالتيارات الفكرية العربية بمصر وسورية • وكان كثير من صحف هذين البلدين ، كالمقطم والعروة الوثقى والهلال المصرية والعرفان والمقبس الشاميتين معروفًا في هذه البلاد • ومع ان معرفة هذه الصحف كان مقتصرًا على عدد ضئيل من ابناء المدن الكبيرة كالنجف وبغداد والموصل ، الا أن أثرها في الحركة الوطنية لم يكن بالقليل • أما الصحف التركية فانها ، لعوامل متعددة ، كانت منتشرة بين من يجيد اللغة التركية في المدن العراقية المختلفة • ومع هذا فان تأثيرها في الحركة الوطنية ، لاسباب سياسية في الغالب ، كان ضئيلا وغير مباشر • والصحف الايرانية هي الاخرى وجدت طريقها الى العراق في تلك الفترة • ومن هذه الصحف مجلة « بهار » الطهرانية وجريدة « كرماتشاه » الصادرة في تلك المدينة ،

(١) نعمت الحكومة العثمانية على السيد طالب لاستغاله بالقضايا الوطنية في هذه الفترة فديرت اغتياله ولكنها فشلت • ومع هذا فقد نجح السيد طالب باغتيال فريد بك قائد منطقة البصرة واخيرا تصالح السيد طالب مع الحكومة واذاع بيانا في هذا المعنى نشره امين سعيد على الص ٢٤ من الجزء الاول من كتابه سالف الذكر •

قال فيه : « اعلن ... باننا قد اتفقنا في امر تشريك المساعي وكاننا روح واحدة وجسد واحد لاجل رفع شأن وشوكة حكومتنا السنية ... وقد زال ما كان من سوء التفاهم زوالا قطعيا وصرنا كتلة واحدة نعمل على سعادة دولتنا الابدية ونسعى في محافظة وحدتنا العثمانية ... في ٧ ربيع الاول سنة ١٣٣٢ هـ » •

وجريدة « جمالية » الهمدانية^(١) . ويظهر أن الصلات الثقافية^(٢) ، بما فيها المطبوعات ، كانت موجودة بين ايران والاقسام الوسطى والجنوبية من العراق وخاصة سكان العتبات المقدسة .

وكانت الصحافة في العراق ، شأنها في ذلك شأن بلاد الامبراطورية العثمانية الاخرى ، معدومة الوجود تقريبا تحت ظل حكومة السلطان عبدالحميد المستبدة . و مع هذا فقد وجدت بعض المجالات ذات الصبغة التبشيرية في الغالب مثل مجلة « اكليل الورد » التي أصدرها الآباء الدومنيكان في الموصل في كانون الثاني سنة ١٩٠٢ ، وهي أول مجلة تصدر في العراق الحديث^(٣) . وفي ٢٥ آذار ١٩٠٥ أصدر الآباء الكرمليون في بغداد مجلة دينية تحت عنوان « زهيرة بغداد » ولكنها لم تعمر أكثر من سنة . وقد أصدر هؤلاء الآباء مجلة بالفرنسية في سنة ١٩٠٥ تحت عنوان « الايمان والعمل » .

ولم يكن في العراق قبل اعلان الدستور العثماني في ٢٣ تموز من ١٩٠٨ غير ثلاث صحف^(٤) رسمية كانت تصدر في اللغتين العربية والتركية

(١) « العلم » العدد (٥) من المجلد الاول ، رجب ١٣٢٨ - ١٠ تموز ١٩١٠ م . ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٢) ذكر الاستاذ رفائيل بطي على الص ٢ من مقدمته لديوان الكاظمي المطبوع في القاهرة ، ١٩٤٨ ان الشيخ عبدالمحسن الكاظمي روى للصحفي المصري طاهر الطناحي ما محصله : « اخذني اهلي في طفولتي الى كتاب ٠٠٠ انتقلت من عندها الى معلم عجمي يعلمني الفارسية ، لان ابي تاجر ، ولتجار العراق صلات وثقى بفارس والافغان والهند والمكاتب التجارية تجري بهذا اللسان ٠٠٠ » .

(٣) الحسنى ، عبدالرزاق ، تاريخ الصحافة العراقية ، بغداد ، ١٩٥٧ ص ٢٥ . وتوجد من هذه المجلة مجموعة كاملة في مكتبة الاستاذ روفائيل بابو اسحق تبدأ في سنة ١٩٠٢ وتنتهي في ١٩٠٦ .

(٤) هذه الصحف هي : جريدة « الزوراء » البغدادية ، وصدرت =

مرة في كل اسبوع .

وبعد اعلان الدستور خفت الرقابة على الصحف وتمتع الناس بنوع من الحرية لم يألفوه من قبل . وفي سنة ١٩٠٩ قال محرر جريدة « صدى بابل » ان هذه الحرية حركت في العراقيين « الهمم الى انشاء عدة جرائد في القطر بعد ان لم يكن فيه سوى جريدة واحدة^(١) وهي الرسمية^(٢) . وكانت من نتيجة تخفيف الرقابة على الصحف ان اصدرت سلسلة من الجرائد والمجلات « بلغ عددها في سنة واحدة نيفا وخمسين^(٣) صحيفة في مختلف الموضوعات : في السياسة والعلم والادب ، وفي الاحصاء

= في ٥ ربيع الاول ١٢٨٦ هـ - ١٦ حزيران ، ١٨٦٩ واحتجبت في ١١ اذار ١٩١٧ . وجريدة « الموصل » وصدرت في عام ١٣٠٣ هـ - ١٨٨٥ م وتوقفت عن الصدور على اثر اعلان الهدنة في ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩١٨ م . وجريدة « البصرة » وصدرت عام ١٨٨٩ واحتجبت في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ .

(١) يظهر ان الكاتب يقصد بالقطر مدينة بغداد التي هي محل صدور جريدته ، واستعماله هذا بعيد عن التدقيق . يضاف الى ذلك ان عدد الجرائد الرسمية كان ثلاثا لا واحدة كما اسلفنا .

(٢) العدد (٧) السنة الاولى ، ٩ رمضان ، ١٣٢٧ - ٢٤ ايلول ، ١٩٠٩ .

(٣) لقد اورد الاستاذ جورج كيرك Kirk على الص ١٢٢ من كتابه الموسوم « مختصر تاريخ الشرق الاوسط » المطبوع بلندن ، ١٩٥٩ ، جدولاً للصحف الصادرة في البلدان العربية بين ١٩٠٤ - ١٩١٤ نوره هنا للمقارنة : لقد ارتفع عدد الصحف في لبنان من ٢٩ الى ١٦٨ ؛ وفي سوريا من ٣ الى ٨٧ ؛ وفي فلسطين من ١ الى ٣١ ؛ وفي العراق من ٢ الى ٧٠ (يظهر ان ارقامه بعيدة عن التدقيق فيما يخص العراق لان في العراق كانت ٣ جرائد رسمية ومجلة « اكليل الورد » الاهلية قبل هذا التاريخ) . وفي الحجاز من ٠ الى ٦ .

والفكاهة والهزل . «^(١) ويظهر ان هذا العدد لم يستمر على ما هو عليه لان امتياز معظم هذه الجرائد قد الغي بموجب القانون المؤرخ في ٥ آذار ١٩١١ لعدم صدورها مطلقا او انها لم تصدر بانتظام . ولم يبق منها الا سبع جرائد وهي : الزوراء والزهور والرياض والمصباح ولغة العرب وصدى بابل والنوادر . وقد اورد الحسني تفصيلات عن كل من الجرائد والمجلات التي صدرت قبل الحرب العالمية الاولى او في اثنائها ، جديرة بالاطلاع عليها^(٢) .

ومن الجدير بالذكر ان عدد المجلات التي صدرت في العراق قبل الحرب العالمية الاولى كان عشرين مجلة . اما مجموع الصحف التي صدرت في العراق قبل الحرب الاولى وفي اثنائها فكان ٦٩ جريدة بين ادبية وسياسية وهزلية وانتقادية^(٣) .

وكان بعض هذه الصحف يعالج مواضيع ذات اهمية كبرى فجريدة « صدى بابل » التي صدرت في ١٩٠٩ مثلا ، نشرت قصيدة لاحدهم ينتقد فيها نواب العراق في مجلس المبعوثان وقد سبق ان اشرنا الى هذه القصيدة في الصفحات السابقة . ونشرت مقالا بينت به خطأ الحكومة التركية في اصرارها على استعمال اللغة التركية في المرافعات وحذرت الجريدة تركيا من اتحاد العرب ضدها بسبب مقاومتها للمعتهم . وقالت ان الحكومة التركية ان اصررت على استعمال التركية « فانها تقيم قائمة اولاد العرب عليها »^(٤) . وعندما يتكلم المحرر عن قرار مجلس المبعوثان المتعلق بمنح امتياز الملاحه في نهري دجلة والفرات لشركة « لنج » الانكليزية ، يهاجم بعض النواب

(١) الحسني ، ن . م ، ص ٥٠ - ٥١ . (٢) الحسني ، ن . م ، ص ٥١ وما بعدها . (٣) الحسني ، ن . م ، ص ٢ .

(٤) المحرر ، « استعمال اللغة التركية في المرافعات » ، صدى بابل ، العدد ١٧ السنة الاولى ٢٠ ذي القعدة ١٣٢٧ - ٣ كانون الاول سنة ١٩٠٩ .

العراقيين ويلومهم على تقصيرهم في حقوق البلاد ويقول : « ان الامة العراقية التي عجمت عود هذه المسئلة بادر وجهائها فعدوا مجلسا وانهم ابوا الاتخليص الملاحه من يد الاجانب » . ولكن المحرر استثنى ثمانية من نواب العراق الثلاثين لانهم وقفوا بجانب الاهلين في هذا الموضوع (١) . يضاف الى ذلك ان محرر « صدى بابل » نشر لاحد الشعراء قصيدة تعالج موضوعا حساسا وهو الدعوة الى سفور المرأة . وبعد ان يفتخر الشاعر بعروبه يقول :

ماذا بكم في ذا الزمان فتاتكم تشقى وقدما لم يكن بكمو شقي
تخشى سفور قناعها عن وجهها وتقول لم يوجد بكم ابدأ تقي
كتم قديما قطب كل فضيلة في الشرق غير هداكمو لم يشرق

اما مجلة « تنوير الافكار » التي صدرت في ١٣٢٨ هـ فهي الاخرى كانت تعالج موضوعات خطيرة ، فمحررها يدعو بني قومه لانشاء جامعة كجامعة الازهر ، وينقل مقالا تحت عنوان « الامة تحبو » عن مجلة « المقتبس » يعالج فيه كاتبه مشكلات البلدان العربية الممتدة من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي . ويقول فيه « نريد بالامة هنا الامة العربية والشعوب العربية ، وان لكل قطر بل لكل كورة من اقطار بلادها وكورها حالة خاصة بها وفلسفة روحية تختلف عن جاراتها » (٢) .

وكانت مجلة « العلم » النجفية من اشهر مجلات ذلك العصر . وقد بلغت من النضج والرصانة درجة لا يستهان بها . وعندما يتحدث محررها السيد هبة الدينبي الشهرستاني عن مهمة الصحافة يقول : « ليست هي

(١) المحرر ، صدى بابل ، العدد ٢٠ ، السنة الاولى ، ١٨ ذي الحجة ١٣٢٧ - ٣١ كانون الاول ١٩٠٩ .
(٢) « الامة تحبو » تنوير الافكار ، الجزء (٧) من المجلد الاول ، السنة الاولى ، ربيع الاول ١٣٢٩ .

للأمة عينا مراقبا ولسانا ناطقا وخطيبا صادقا ودرعا واقيا ومعلما هاديا ومؤدبا
 ناجحا وصراطا واضحا ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر لا تحمي في الباطل
 حميما ولا تهظم في الحق خصيما ، وكل صحيفة أخطأت هذا الصراط
 فعلى الأمة تأديبها ولو بالسياط » • ثم يشير المحرر الى رسالة الصحافة في
 عصره فيقول : « وقد اضحت الصحافة في عصرنا من الفنون المهمة ذات
 موضوع ونظام وشروط واحكام يتدارسها الغربيون في مدارسهم العالية ،
 واكثر الصحافيين منا يقتحمون في ابوابها اقتحام الاعمى المتهور ولذلك
 قد يكون ما نفسه اكثر مما نصلحه ... »^(١) • فضلا عن ذلك فأن مجلة
 « العلم » قد حاولت ان تحتفظ بنظرتها التقدمية الى الحياة دون ان تشير
 شكوك المحافظين من رجال الدين وغيرهم ، فنشرت مرة تقول : « على
 ان الاسلام مع العلم الصحيح فرسا رهان ورضيعا لبان لا يفترقا حينما من
 الدهر ... » • وقد حاولت مرة ان تبرهن الى قرائها على ان الطب الحديث
 لا يناقض الدين ، ونصحت قراءها بنصائح طيبة عديدة و اشارت الى ما رواه
 احد اطباء المعاصرين وملخصه انه رأى « في احد معتبرات كتب الشعرايين
 رواية (ان السيد الرسول (ص) كان يأكل اللحم بالسكين والشوكة
 يقطعه بالسكين المربوطة في سلسلة الجفنة ويتناوله بسلاي النخيل الذي
 كان يؤتي به مغروزا في اللحم بعدد الأكلين) ... فهكذا كان يفعل
 السيد الرسول (ص) ابتعادا عن الاكل باليد ما امكن لانه انظف وابتعد عن
 شبهة حصول ضرر » •

وقد اهتمت مجلة « العلم » فيما اهتمت فيه ، بالنقد النزيه البناء ففتحت
 ما اسمته باب التقریظ والانتقاد وقالت ان هذا الباب يسمى « عند الأفرنج

(١) « العلم » العدد (١) من المجلد الاول ربيع الاول ، ١٣٢٨ - ٢٩
 مارت ١٩١٠ م • ص ص ، ٤ ، ٧ ، ٢٢ ، والعدد ٢ ، ٣ ، المجلد الاول جمادى
 الاولى ١٣٢٨ - ٢٩ نيسان ١٩١٠ • ص ص ، ١٣٢ ، ١٢٨ •

Critique اي ابداء الرأي فيما يقرأ ويكتب حسنا او قبيحا » . وقد الحق صاحب مجلة العلم بأدارة مجلته مكتبة عامة يؤمها كل احد^(١) .

ولم يكن اهتمام مجلة « العلم » بالمواضيع الوطنية اقل من اهتمامها بالمواضيع الاخرى فيقول محررها : يجب ان « تتوازر في صيانة اوطاننا من مكائد الاعداء ونجتهد في تكثير عدة احرارنا وتوفير رجال السياسة والاصلاح وتوقيرهم بدل ان نرمى كل حر صادق ينبغ من بين الالوف بتهمة وخيانه . فتتفر العامة من آرائه فلا تساعده في قول ولا عمل . فلا يقوم لقومنا سوق . ولا يستقيم فيهم نظام وتندب المهمات عندئذ رجالها ولا ثمة من رجال » . وينقل المحرر قصيدة للسيد خيرى الهنداوي تحت عنوان « اين كنا واين صرنا » نقل منها ما يأتي :

شهدت بالعلی لنا امة الغرب وهل ينكر الفتى الاستادا

* * *

قد تلقت منا العلوم ففا تننا بما تلقت استعدادا

* * *

اخلق الدهر جده العلم منا مثل ما اهلك الردى الامجادا

فعدا عندها الكساد رواجا وانبرى عندنا الرواج كسادا

بددت شملنا الليالي على حين امنا من الليالي البدادا

فاحلت فينا الدمار سريعا وانتقتنا جماعة وفرادا

ما بقى عندنا من المجد شيء غير ذكرى تشق منا الفؤادا

يا آل فخر اضعت منك رجالا يال فخر لم تحفظ الاولادا

ليت قومي الاولى ترى اليوم ما حل بنا او تشهد الاضدادا

influence of
Afghans ?

(١) محبوبة ، جعفر ، ماضى النجف وحاضرها ، ج ١ ، صيدا ،

١٣٥٣ ، ص ١٢٠ .

قد هبطنا والخذ في الجو يسمو مصعدا في فضائه مرتادا^(١)]
 وكانت جريدة « الرقيب » البغدادية من أكثر جرائد ذلك العصر
 رزانه ونزاهة واكثرها صراحة في نقد الحكومة . وقد اثنى عليها كثير من
 ابناء عصرها وغيرهم . فوصفتها مجلة « العلم » السالفة الذكر بأنها « سادت
 جل جرايد العراق لو لم نقل كلها : في الرواج والانتشار واستقامة القلم
 والقدم في كل مضمار » . وقال عنها سليمان فيضى نائب البصرة في مجلس
 المبعوثان ، « وفي كانون الثاني سنة ١٩٠٩ صدرت جريدة الرقيب لصاحبها
 الحاج عبداللطيف تيان ، وكانت أجراً الصحف آنذاك في نصرة الحق
 وفي مقارعة ظلم الحكومة فلاقى صاحبها من الغنت والاضطهاد الشيء
 الكثير »^(٢) .

وكانت مجلة « لغة العرب » البغدادية من اشهر مجلات ذلك العصر
 اصدرها في بغداد الآباء الكرمليون المرسلون فكان العلامة الاب انستاس
 الكرمللي صاحبها ، والاستاذ الشاعر المطبوع الشيخ كاظم الدجيلي مديرها
 المسؤول . برز عددها الاول في غرة رجب ١٣٢٩ هـ - اول تموز ١٩١١ .
 وقد كان موضوع مشكلات اللغة العربية وما يدعو الى بعثها وانتشارها من
 بين المواضيع التي اولتها مجلة « لغة العرب » كبير اهتمامها .

ومن الجرائد التي خدمت النهضة العربية عامة والعراقية خاصة جريدة
 « بين النهرين » . وصدرت في بغداد في السادس من كانون الاول ١٩٠٩
 وعاشت اكثر من ثلاث سنوات . وكانت « مصباح الشرق » من الجرائد
 السياسية الجريئة وقد صدرت في بغداد في اول آب ١٩١٠ واستمرت
 تصدر بانتظام سنة كاملة حتى عطلتها الحكومة . ولهذه الجريدة جهود

(١) « العلم » العدد (٥) ج ١ ، ١٥ رجب ١٣٢٨ هـ - ١٠ تموز

١٩١٠ م . ص ص ٢٠٣ ، ٢٠٩ - ٢١٢ .

(٢) في غمرة النضال ، ص ٨٢ .

مشكورة في خدمة النهضة العراقية • وقد بلغت الجراءة بها وبزميلتها
« بين النهرين » مبلغا كبيرا ، فطالبنا بأقامة حكم لا مركزي في العراق^(١) •

وقد اورد الاستاذ الحسني تفصيلات عن المجلات والجرائد التي
صدرت في هذا الدور من تاريخ العراق جديدة بالاطلاع عليها^(٢) •

لقد اشرنا الى جملة من الصحف والمجلات التي صدرت في العراق
خلال هذه الفترة وضررنا امثلة لاهم المواضيع التي عالجتها ، وربما نبين
للقارىء مما اوردنا ان بعض هذه الصحف قد اصف بالجرأة والاخلاص
للقضية العامة مما عرض الكثيرين من اصحابها لمشكلات كثيرة لا سيما وانها
كانت تعمل تحت ظل حكومة سيطر على تصرفاتها الاستبداد في كثير من
الاحيان • هذا فضلا عن الصعوبات التي نشأت عن المشكلات الفنية للطباعة
في ذلك الدور ، وفوق هذا كله كان القراء لا يزيدون على عدد الاصابع
خاصة في المدن الصغيرة وذلك لتأخر الثقافة كما اشرنا الى ذلك في السابق •
وكانت هذه الصحف عرضة للتعطيل ، فعندما اعلنت الحرب العالمية الاولى
اصدرت وزارة الداخلية امرا بتعطيل جميع الصحف في بغداد والبصرة ،
غير ان « صدى الدستور » البصرية استمرت في الصدور معتمدة على نفوذ
السيد طالب النقيب وحزبه • « ولم تكثف الحكومة بتعطيل الصحف ، بل
شردت اصحابها ، فنفت عبدالحسين الازري^(٣) وداود صليوه صاحب
جريدة (صدى بابل) ، والاب انستاس الكرمللي صاحب مجلة (لغة العرب)
الى قيسرى ، ونفت ابراهيم^(٤) صالح شكر وعبد اللطيف ثيان الى الموصل ،

Ireland, Op. cit, p. 235. (١)

(٢) الحسني ، ن . م . ص ص ٢٥ - ٣٠ ، ٤٩ - ٦١ ؛ فيضي ،
سليمان ، ن . م . ص ٨٠ - ٨٣ •

(٣) صاحب جريدة « مصباح الشرق » البغدادية •

(٤) صاحب مجلة « شمس المعارف » البغدادية •

وفر سليمان^(١) الدخيل الى نجد ، ولجأ الكاتبان السيد رشيد الهاشمي
والشيخ كاظم الدجيلي الى البصرة^(٢) .

وبالرغم من كل ما سبق فإن الصحافة في هذا الدور قد قامت بدور
لا يستهان به في تيقظ الأفكار وفي توسيع افق القراء ، على قلتهم ، بخصوص
ما يجري في العالم الذي يعيشون فيه من حركات سياسية واجتماعية . وقد
صحب ازدياد الوعي الفكري في العراق ، نتيجة لجهود الصحافة وغيرها
من وسائل التثقيف ، اتساع في دائرة الوعي السياسي في البلاد . وقد تظهر
للقارئ اهمية الصحافة في ذلك الدور اذا علم ان الصحافة كانت « محور
الحركة الوطنية في العراق يوم لم يكن فيه احزاب او منظمات سياسية .
كانت تقارع الاستبداد بشجاعة فائقة وتلقى الضربات بصبر وثبات... »^(٣) .

ولكن بالرغم من اهمية الدور الذي قامت به الصحافة ، وبالرغم من
النشاط والاخلاص الذي اتصف به كثير من ارباب الصحف في ذلك العهد
نأن الصحافة لم تستطع ان توصل الافكار التي بشرت بها الى الجمهور
بصورة فعالة ومباشرة . وذلك لان جماهير عراق العقد الاول من القرن
العشرين كانت لا تزال جاهلة وقلما كانت تستجيب الى دعاة الحركة
الوطنية من المثقفين .

فعاليات المبشرين واثارها الثقافية :

ان من أقدم المبشرين الذين وردوا لهذه البلاد هم الآباء الكرمليون
والكبوشيون . وقد أنشأ الاخرون لهم رسالة في بغداد في سنة ١٦٢٦ ،
ثم قصد منهم جماعة الى الموصل في السنوات التالية . وقد وجدوا من

(١) صاحب مجلة « الحياة » البغدادية .

(٢) فيضى ، سليمان ، ن . م ، ص ٨٣ .

(٣) فيضى ، سليمان ، ن . م ، ص ٨٠ .

الجيليين ، حكام الموصل ، ترحيباً ساعدهم على نجاح فعاليتهم^(١) . أما الآباء الكرمليون فقد حلوا في البصرة في سنة ١٦٢٣م وفي بغداد سنة ١٧٢١م^(٢) . وقد سمح والي بغداد للمكرمين في سنة ١٧٢٨ ، بتوصية من فرنسا ، بانشاء كنيسة ومدرسة للصبيان^(٣) . وفي سنة ١٧٥٠ انشأ الدومنيكان رسالتهم في الموصل ، واشتهر هؤلاء الآباء بصناعة الطب التي مارسوها لخير الاهالي من أي مذهب كانوا^(٤) . وقد فتحو مدارسهم للطلاب من كل ملة ونحلة^(٥) . ولما رأوا ما يعانيه المعلمون والمتعلمون من المشقات انشأته عن عدم توفر الكتب اللازمة أسسوا مطبعتهم (١٨٦٠م - ١٢٧٧هـ) سدا لهذه الحاجة وتسهيلاً للمعلمين والطلاب فطبوعوا الكتب العديدة في اللغات الثلاث العربية والكلدانية (في كلتا لهجتيها) والفرنسية على اصول حديثة^(٦) . ومن أقدم مطبوعاتهم « الدرّة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة » لمؤلفه قورلس بهنام بني وعدد صفحاته (٣١٦) وقد طبع في الموصل سنة ١٨٦٧م وتوجد منه نسخة في مكتبة الاستاذ روفائيل بابو اسحق ببغداد . وكان أول مطبوع طبع في مطبعة الدومنيكان في الموصل هو « رياضة درب الصليب » سنة ١٨٦١م^(٧) . ولم يقتصر الدومنيكان على

(١) نصري ، القس بطرس ، ذخيرة الاذهان ، ج ٢ ، الموصل ،

١٩١٣ ، ص ١٩٥ - ٩٦ .

Gallances, H., Settlement of the Carmelites in (٢)

Mesopotamia XVII & XVIII Centuries, London, 1927.

p. 329.

(٣) نصري ، ن . م . ٢ : ١٩٦ .

(٤) نصري ، ٢ : ٣١٩ .

(٥) الصايغ ، سليمان ، تاريخ الموصل ، ج ١ ، بيروت ، ١٩٢٨ ،

ص ٣٢٣ .

(٦) الصايغ ، ن . م . ١ : ٣٢٤ .

(٧) بطي ، روفائيل « تاريخ الطباعة العراقية » لغة العرب ، ح ٥

تشرين ٢ ، ١٩٢٦ ، ص ٢٧٦ - ٨٠ .

طبع الكتب الدينية ، بل طبعوا كتباً عديدة لتعليم اللغة العربية وغيرها من اللغات المحلية والعلوم . ومن مطبوعاتهم في هذه المواضيع « مبادئ التهجئة لتدريس الصبيان » طبع عام ١٨٦٢ ، ومختصر في التواريخ القديمة للقس لويس رحمانى ، وطبع في سنة ١٨٧٦^(١) .

ويورد الاستاذ روفائيل بطي قائمة بمطبوعات الدومنيكان بالموصل وقد بلغ عددها (١٧٤) مطبوعاً^(٢) . وعند المقارنة بين تأسيس أول مطبعة حديثة على يد المبشرين بسورية وبين مطبعة الدومنيكان بالموصل نجد أن مطبعة المبشرين الامريكين في بيروت كانت أقدم عهداً ، حيث أسست سنة ١٨٣٤ ، وأغزر اتاجاً^(٣) . ويستطيع القاريء أن يقدر أهمية وجود المطبعة في الموصل اذا علم ان أول مطبعة أهلية^(٤) أسست في بغداد هي مطبعة « دار السلام » وكان تأسيسها سنة ١٨٨١م - ١٣٠٩هـ^(٥) . أي بعد مرور أكثر من ثلاثين سنة على تأسيس مطبعة الدومنيكان في الموصل .

وكان للمبشرين الدومنيكان فضل سبق في فتح مدارس البنات حيث أنشأ الراهبات ، المعروفات بأخوات المحبة ، في سنة ١٨٧٣-١٢٩٠هـ ، مدارسهن في الموصل للبنات المسيحيات والمسلمات على السواء^(٦) .

(١) بطي ، روفائيل ، ن . م . والصفحة .

(٢) « تاريخ الطباعة العراقية » لغة العرب ، ج ١٠ ، نيسان ١٩٢٧ ،

ص ٥٩١ - ٩٥ .

(٣) انطونيوس ، ن . م . ، ص ١٠٠ .

(٤) لقد اشار المرحوم سركيس على ص ٣٠٣ من الجزء الثاني من مباحثه الى ان اول مطبعة حديثة رسمية انشأت في العراق في عهد داود باشا أي حوالي ١٨٢٠ ، ويظهر أن وجودها ، ان صح ، كان لاغراض الدعاوة لانها كما تقول الرواية جلبت لطبع كتاب يتناول مدح الوالي . ولا توجد مطبوعات طبعت فيها بعد تلك الفترة . وفي سنة ١٨٧٠ اسس الوالي مدحت باشا مطبعة لطبع جريدة الولاية الموسومة بـ « جريدة الزوراء » .

(٥) العلاف ، عبدالكريم ، بغداد القديمة ، بغداد ، ١٩٦٠ ، ص ١٥٧ .

(٦) الصايغ ، ن . م . ، ١ : ٣٢٤ .

دور الجمعيات والاحزاب السياسية في الحركة الوطنية :

قد يكون من المناسب قبل الكلام عن فعاليات الجمعيات والاحزاب السياسية في عراق ما قبل الحرب العالمية الاولى أن نشير الى ما يأتي :
أولاً - كانت هذه المؤسسات السياسية على ضرين أولاهما ما كان فروعا للمؤسسات السياسية المؤلفة في البلدان العربية الاخرى أو في استانبول .
وثانيهما ما كان محليا وسنورد تفصيلات عن النوع الثاني من الجمعيات في الصفحات التالية .

ومن الجدير بالذكر أن في هذا الدور من تاريخ العرب لا توجد قضايا اقليمية تخص كل قطر على حدة ، بل كانت الجمعيات التي تأسست قبل الحرب العالمية الاولى تسير على خطط مختلفة ومناهج متعددة ولكنها تعمل لغاية واحدة وهي انعاش القضية العربية . وبعد أن أعلنت الحرب العالمية انفصمت الوحدة وانقسم المسعى وكانت مصر أول ما اعترلت بنفسها تشد قضيتها المصرية . وعلى هذا « لم تكن قضية عراقية بادية بدء وانما كانت قضية عربية والعراق مركز من مراكزها وفيه طرف من أطرافها »^(١) . وفي عهد مبكر نسمع عما يسمى بالاتحاد العربي فيروى محرر جريدة « الرقيب » ان مندوبي بغداد في مجلس (المبعوثان) العثماني قد انشطروا الى شطرين ، وان « عبدالمهدي جلبي وساسون أفندي التحقا بجمعية الاتحاد والترقي . ومصطفى أفندي آلوسى وشوكت باشا التحقا بفرقة الاتحاد العربي وان الحاج علي أفندي آلوسى زاده بقي على الحياض »^(٢) .

ويورد الشيخ علي الشرفي أسماء الجمعيات التي تشكلت بين اعلان

(١) الشرفي ، الشيخ علي ، « النوادي العراقية » ، جريدة « النهضة العراقية » ، السنة (١) العدد ٢٠ ، ٢٣ ايلول ، ١٩٢٧ .
(٢) العدد ، (٧) السنة (١) ، ١١ مارت ١٩٠٩ ، صفر ، ١٣٢٧ .

الدستور العثماني وبين اعلان الحرب العامة ويذكر أمكنة تشكيلها وهي :

أ - جمعية الاخاء العربي وتشكلت في سنة ١٩٠٩ والمشكل لها شفيق بك المؤيد وزملاؤه . ب - المنتدى الادبي وأسسها عبدالحميد الزهراوي ورفقاؤه سنة ١٩٠٩ . ج - الجمعية القحطانية وتشكلت في سنة ١٩٠٩ ، أسسها خليل حمادة باشا وصحبه . د - جمعية العهد ، وأسسها عزيز بك علي المصري . وجميع هذه الجمعيات كانت في الاستانة . أما الجمعيات التي تشكلت في مصر فهي : ١ - حزب اللامركزية وتألف سنة ١٩١٢ ، ألفه فؤاد الخطيب وزملاؤه . ٢ - جمعية الثورة العربية وتأسست سنة ١٩١٤ . وفي سورية تأسست : ١ - الجمعية الاصلاحية البيروتية وكان تأسيسها سنة ١٩١٣ . ٢ - جمعية الفتاة العربية ، تأسست سنة ١٩١٣ . أما في العراق ، فتأسست : أ - جمعية البصرة الاصلاحية . ب - جمعية العلم في الموصل وتحولت الى فرع من جمعية العهد . ويقول العمري أن جمعية العلم كانت تقبل الى عضويتها غير الضباط أيضا^(١) . وقد أورد سليمان فيضي تفصيلات عن هذه الجمعيات وغيرها وذكر أسماء مؤسسيها^(٢) .

ثانيا - ان هذه المؤسسات بصنفيها لم تكسب أنصارا كثيرين من الطبقة العامة ، بل كانت من صنع المثقفين ومقتصرة عليهم في الغالب ومع هذا فدورها في الحركة الوطنية خلال هذا العهد من تاريخ البلاد لم يكن قليل الأهمية .

ثالثا - كان معظم العراقيين العاملين في المؤسسات السياسية المكونة خارج العراق كجمعية العهد وغيرها ، من ضباط الجيش العثماني ، الذين التحقوا بالشريف حسين ثم بالملك فيصل بسورية ولم يرجعوا للعراق الا

(١) ن . م ، ١ : ١٦٨ .

(٢) في غمرة النضال ، بغداد ، ١٩٥٢ ، ص ٢٨٥-٢٨٦ ؛ سعيد

أمين ، ن . م ، ج ١ ، ص ٥٠-٥٠ .

بعد تكوين الحكومة العراقية الحديثة سنة ١٩٢١ ، لذا كان اسهامهم في الحركة الوطنية قبل الثورة وفي أثنائها محدودا وغير مباشر^(١) .
يضاف الى ذلك ان بعض أقطابهم أمثال الجنرال نوري باشا السعيد ، قد وقف موقف المناوئى للثورة لانها تخالف اتجاهه السياسى وهو العمل للقضية العربية عامة ، والعراقية خاصة ، ضمن اطار التعاون مع بريطانيا العظمى لا ضدها كما هو الحال في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ .

ومن الأدلة على ذلك ما ورد في رسالة أرسلها المؤتمر العراقي بدمشق الى رؤساء الشامية في النجف الاشرف . واليك مقتبسات منها :
المؤتمر العراقي ٢٩ حزيران^(٢) ، رقم ٦٦ ، ١٣ شوال ٣٣٨ ، دمشق .
« سوف ترفعون شأن القطر العراقي وتعلون مكاتته في أنظار الامم والشعوب بهذا المظهر الشريف الذي تظهرون به من حين لآخر كأمة راقية متحدة تطلب حقها الطبيعي بالاستقلال التام . . . أصبحت هذه الدولة [بريطانية] تسعى السعي الحثيث للمحافظة على نظام حكمها الحالي في العراق مع تغيير طفيف تهدئة للمخاطر النائرة . . . وقد علمت انها لا تنجح وحدها في الوصول الى غايتها هذه بدون مساعدة بعض أبناء البلاد نفسها فبذلت جهدها للحصول على ذلك وتوهمت انها نجحت فسي تسخير بعض العراقيين الى ماربها هذه .

وربما حضر اليكم من الشام «الجنرال نوري السعيد» ليقوم بهذه المهمة المهمة المشار اليها التي أناطتها به السلطة البريطانية ألا وهي توطيد أركان الاحتلال وتثبيت أقدامه في العراق بمفاوضة العراقيين ودرس أفكارهم وتسكين خواطرهم وتعليلهم بالاماني والمواعيد الكاذبة . . . لا يحتاج بعد

(١) الشرقي ، علي ، « النوادي العراقية » النهضة العراقية ، ٢١٤ ، ٢٦ ايلول ، ١٩٢٧ .

(٢) ١٩٢٠ وذلك بعد مقارنة التاريخ الهجري بالميلادي .

هذا أن نبين لكم واجبكم الذي تقومون به ازاء هذا الرجل اذا فارقتا اليكم بهذه المهمة وخصوصا الاجتهاد بمقاطعته والاعراض عن أقواله وتحذير الناس من الوقوع في حباله والسهر على تتبع خطواته ومراقبة حركاته وعرقلة مساعيه .

لا تبالوا أيها الاخوان به ولا تقيموا له وزنا ولو ادعى الكلام باسم الملك حسين أو الملكين فيصل وعبدالله أو باسم المؤتمر العراقي أو أي جمعية أخرى فإنه غير مفوض ولا مرخص وهكذا يجب عليكم الاعراض عن كل أحد يرد عليكم من الشام وعدم مذاكرته بمسائلكم ما لم يكن بيده تفويض من المؤتمر العراقي الموجود في حاضرة الشام (١)

رابعا - لقد طرأ انحراف في الاتجاه السياسي ، لاسباب خاصة وعامة ، لبعض أقطاب الحركة الوطنية في فترة ما قبل الحرب العالمية فوقفوا تجاه الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ موقف المتفرج أو بالاحرى موقف المشبط . فذكر الاستاذ سليمان فيضي ، وهو من المشتغلين بالحركة الوطنية مع السيد طالب خلال هذه الفترة ، ان السيد طالب كان « وطنيا صلبا يقارع ظلم الحكومة العثمانية بلا خوف أو وجل ، ويرفض معاونة الانجليز باباء وشمم وبقيت صفحته الوطنية ناصعة البياض حتى سنة ١٩٢٠ حين لمست منه تساهلا مع الانجليز فكان ذلك ايذانا بانقطاع المودة بيننا » (٢) . وقد وجه السيد (ع . ظ) كتابا مفتوحا الى « ائتاب صاحب الدولة العميد طالب باشا والى رجال الامة العراقية وزعمائها » قال فيه : « أيها الزعيم المطاع نريد أن تصلح بلادنا وتؤلف بين قلوب رجالنا » (٣) . فأجاب السيد طالب : « غير اني لما أتيت دار

(١) « الفرات » العدد ، ٢ ، السنة الاولى ، ٢٨ ذي القعدة ١٣٣٨ .

(٢) في غمرة النضال ، ص ١٣٣ .

(٣) « الشرق » العدد ١٦ ، ١٨ ايلول ١٩٢٠ ، ٤ محرم ١٣٣٩ .

السلام وجدتها ويا للأسف في حالة يرثى لها . حيث اني رأيت فيها مساح لانواع القلاقل والمجن ، أغراضا شخصية فاسدة ، وامورا فوضوية كاسدة ، هياجا في الداخل وثورات في الخارج فمن جهة يطالب بالاستقلال التام ، ومن جهة تنهب الاموال » . وبين في رسالته انه فاوز ممثلي الحكومة البريطانية في العراق فأبدوا رغبتهم في التفاهم على امور منها « مسألة اصدار عفو عام عن المجرمين الذين زلزلوا كيان البلاد » . ثم يقول : « تعرضت عندئذ هذه المسائل على زعماء الحركة في بغداد فلم يعيروها اهتمامهم ولا خطوا خطوة في سبيل التفاهم مع الحكومة دفعا للمشاكل بل بذلوا قصارى جهدهم في القاء الفتن واتارة القلاقل بين العشائر والقبايل برفع النظر عما يترتب على عملهم هذا من الخطر على البلاد وأهلها » (١) .

وكان لتبدل موقف السيد طالب أثر كبير في أن تكون البصرة من أقل مناطق العراق اسهاما في ثورة العشرين مع انها كانت أكثرها فعالية في الحركة الوطنية خلال فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى كما سنرى في الصحائف التالية .

حزب العهد :

أسس هذا الحزب عزيز بك علي المصري سنة ١٩١٣ ، وقد انخرط في صفوفه جماعة من الضباط العرب ، وللعراقيين منهم علاقة ممتازة بهذه المؤسسة (٢) . وقد جاء في منهاج هذا الحزب : « ان جمعية العهد السياسية سرية انشئت في الاستانة غايتها السعي وراء الاستقلال الداخلي للبلاد

(١) « الشرق » العدد ١٨ ، ٢١ ايلول ١٩٢٠ ، ٧ محرم ١٣٣٩ .

(٢) البصير ، محمد مهدي ، ن . م ، ج ١ ، ص ٢٦-٣٣ . لقد أورد البصير منهاج الحزب وشروط الدخول فيه ، كما أورد تفصيلات عن فعالياته جديرة بالاطلاع عليها .

العربية على أن تكون متحدة مع حكومة الاستانة اتحاد المجر مع النمسا» • ويرى الدكتور البصير ان أهداف الحزب الحقيقية أعمق مما ورد في هذه المادة ، وذلك انه كان يعمل على انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية ويستدل على ذلك من اشتراك كثير من أعضائه بالثورة العربية في الحجاز، ومن محاولة جماعة من ضباط الحزب اشعال نار الثورة في بغداد فيسبل نشوب الحرب العامة وخيبتهم في ذلك^(١) •

وكان للحزب فرع في بغداد وآخر في البصرة • وكان فرعه في بغداد نائب النشاط^(٢) في عهد الاحتلال كما سنرى •

النادي الادبي :

تأسس هذا النادي في بغداد على يد جماعة من المشتغلين بالحركة الوطنية ومنهم مزاحم الباجهجي وحمدى الباجهجي وغيرهما • ومن أعضائه البارزين الشيخ محمد رضا الشيبسي وبأقر الشيبسي ، وتحسين العسكري ، بهجت زينل ، عبدالمجيد كنه ، مبدر الفرعون وغيرهم • كان النادي المذكور مرتبطا ارتباطا وثيقا بحزب الائتلاف والحرية في البصرة ، وكانت جريدة « النهضة » لسان حال الحزب • وقد أغلقت الحكومة هذه الجريدة ففر محرروها الى البصرة^(٣) •

الجمعية الاصلاحية في البصرة :

أسسها السيد طالب النقيب في ٢٨ شباط ١٩١٣ ، وقد انضم اليها أكثر الضباط العرب في البصرة • وكانت تطالب الحكومة بالنظام اللامركزي • وقد اتسع نفوذ رئيسها السيد طالب « حتى أصبح الولاة يتملقونه والقواد يطلبون رضاه »^(٤) •

(١) ن ٠ م ، ج ١ ، ص ٣٣-٣٤ •

(٢) فيضي ، سليمان ، ن ٠ م ، ص ٢٥٧ •

(٣) فيضي ، ن ٠ م ، ص ١١٦ •

(٤) ن ٠ م ، ص ١٣٠ •

وكانت جمعية الاصلاح على صلة بحركة التحرر العربية في الخارج . وعندما تبنى « حزب اللامركزية الادارية العثماني » بالقااهرة عقد المؤتمر العربي الاول في باريس^(١) ١٩١٣ م - ١٣٣١ هـ أبرق رئيسها السيد طالب النقيب للمؤتمر يعلن فيها تأييده لقراراته^(٢) . هذا فضلا عن اشتراك اثنين من العراقيين وهما السيدان توفيق السويدي وسليمان عنبر^(٣) في أعمال هذا المؤتمر .

ويظهر أن السيد طالب لم يكن متصلا بالمشغلين في القضايا الوطنية خارج العراق حسب ، بل كانت له صلات بمن كان يعتقد أنهم يشاطرونه الرغبة في العمل من أجل مقاومة سياسة الاتحاديين التعسفية في العراق . وكانت تجري بينه وبينهم مراسلات^(٤) من أجل تحقيق هذا الغرض . ويقول الشيخ جواد الجواهري لما ميز الاتراك « بين العنصر التركي وسائر العناصر صار ميل النفوس العراقية الى أخذ الاستقلال الاداري...»

(١) وردت تفصيلات عن أعمال هذا المؤتمر في كتاب كتبه أحد أعضاء الجمعيات العربية ، ثورة العرب ، القااهرة ، ١٩١٦ ، ص ٧٥-٧٩ ؛ اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر « المؤتمر العربي الاول ، ١٩١٣ ، ص ١٤ .

(٢) البصير ، ن ٣٠ ، ج ١ ، ص ٣٨ .

(٣) أنظر : Longrigg, Op. cit, p. 46.

(٤) ذكر الاستاذ سليمان فيضي على الص ٩٨ من كتابه السالف الذكر أن السيد طالب كتب الى عدد من الوجوه يطلب تأييدهم بهذا الخصوص ومنهم : السيد زيدان ، عبدالله الفالح السعدون والشيخ خيرالله [لعله يوسف الخيرالله] في المنتفك . والى السيد طفار في السماوة . والى عطية أبو الكلل ونقيب الاشراف في النجف . والى محمد علي فاضل داود يوسفاني في الموصل . والى يوسف السويدي ، وعيسى الجميل ، ومحمود نديم الطبقبجلي في بغداد . والى الحاج نجم البدرابي ، وأحمد المصطفى ، وفائق الخضير في العمارة . والى الحاج عباس العلي في الكوت . والسيد هادي زوين والسيد علوان الياسري في الفرات »

حتى انه كان بيننا وبين المرحوم السيد طالب مكاتبات سرية بهذا الخصوص»^(١) .

وقد استطاعت جماعة السيد طالب أن تحبط مساعي حكومة الاتحاديين الرامية للتدخل في الانتخابات النيابية سنة ١٩١٣ لولاية البصرة، وخاصة في لوائي البصرة والعمارة ، حيث فاز مرشحو جماعة السيد طالب وهم : عبدالله صائب ، عبدالمجيد الشاوي وسليمان فيضي عن العمارة . والسيد طالب ، وعبد الوهاب القرطاسي وعبدالله الزهير وأحمد نعيم كحالة عن البصرة . أما في لواء الناصرية (المنتفك سابقا) فقد نجحت حكومة الاتحاديين في فرض مرشحها وهم : معروف لرصافي^(٢) ، وحمزة بك (وهو تركي الاصل) وقريش أفندي^(٣) .

وقد نشطت جمعية الاصلاح البصرية نشاطا ملحوظا في فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى وبادر رئيسها السيد طالب « الى بث دعائه في كثير من أنحاء القطر مزودين بالمناشير السرية والتعليمات اللازمة ... ولقيت دعوة أولئك المبشرين في شواطئ الفرات الاوسط نجاحها الاكبر حيث لبي كبير زعماء ذلك الصقع المرحوم مبدر آل فرعون^(٤) وجماعة من

(١) الحسين ، الثورة ، ص ٢٠٨-٩ .

(٢) يقول سليمان فيضي ، ص ٨٧ من كتابه السابق أن عددا كبيرا « من العراقيين يعاضدون جمعية الاتحاد والترقي ويعملون في فروعها بنشاط وهمة وعلى رأسهم المرحوم الشاعر معروف الرصافي الذي استمر في دعوته لهم بقلبه وقلمه ولسانه ... يدفعهم أحد دافعين الجهل أو المصلحة الشخصية » .

(٣) فيضي ، ن.م ، ص ١٠٢-١٠٤ .

(٤) جاء على الص ٧٠ من تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن «العشائر والسياسة» «ان مبدر الفرعون كان دائما موضع ثقة عند موظفي الحكومة العثمانية . وكان غالبا ما يتردد على بغداد لتقديم المعلومات عن عشائر الفرات - تلك الخدمة التي استمر في تأديتها بكل كفاءة الى الادارة =

رفقائه الشيوخ في مقدمتهم السيد علوان الياسري دعوة النهضة فصاروا ينددون بالموظفين المحليين ويتأففون ويتضجرون من كثرة الرسوم والضرائب ... ثم انهم أرسلوا البرقيات العديدة الى الإستانة يعربون فيها عن استيائهم الشديد من معاملة مأموري الحكومة» (١) .

وكان تقديم مضبطة تحمل (٣٠٠) توقيع من وجوه البصرة وتتضمن طلب استقلال العراق عن الدولة العثمانية ، من أهم الاعمال التي أسفرت عنها حركة جماعة السيد طالب في ولاية البصرة . يضاف الى ما سبق أن مؤتمرا عقد في المحمرة حضره شيخا المحمرة والكويت والسيد طالب نفسه ، كانت غايته المداولة في مستقبل العراق السياسي وقد اتفق المؤتمر على أن يعمل كل فرد منهم ما بوسعه لتحقيق استقلال العراق أو تكوين حكومة ذاتية فيه . وبعد انفضاض المؤتمر أرسل السيد طالب وجماعته عددا من الرسل الى كربلاء والنجف ليثيروا الاهلين هناك وليهيئوا الافكار للمستقبل (٢) . وكان سليمان فيضي من بين الذين اتدبوا للسفر بغية الاتصال بالمشغولين بالحركة الوطنية في أنحاء العراق (٣) وخاصة الموصل . وكان للسيد طالب أنصار في بغداد ففاز أحد مؤيديه ، وهو المحامي فؤاد أفندي بعضوية مجلس (المبعوثان) ، كما انتخب السيد محمد الكيلاني بالرغم من انه لا يؤيد سياسة الاتحاديين .

وبعد هذا الاستعراض العام لفعاليات جماعة السيد طالب في ولاية البصرة نود أن نشير الى العوامل التي ساعدته على اضعاف سلطة الحكومة

= البريطانية . ان انتماء الشيخ مبدر الفرعون الى النادي الادبي في بغداد ، وهو مؤسسة سياسية ، لمقاومة العثمانيين ، وتأييده لحركة السيد طالب بالبصرة تجعلاني أميل الى أخذ رواية دائرة الاستخبارات البريطانية بنوع من الحذر .

(١) البصير ، ن٠م ، ج ١ ، ص ٤٢ .

(٢) أنظر : Ireland, Op. cit, p. 233.

(٣) فيضي ، سليمان ، ن٠م ، ص ١١٨ .

العثمانية في البصرة وتوسيع نطاق الحركة الوطنية بحيث أصبح أنصارها في كثير من المناطق العراقية المختلفة يشعرون بنوع من الاشتراك بالعمل من أجل تحقيق هدف عام وهو الحصول على استقلال البلاد . وكان تحالف السيد طالب مع امراء العرب المجاورين كالشيخ خزعل أمير المحمرة والشيخ مبارك أمير الكويت ، من العوامل التي مكنته من الوقوف في وجه العثمانيين في البصرة خلال السنوات التي سبقت اعلان الحرب العالمية الاولى . وفي سنة ١٩١٣ حصلت ازمة بين السيد طالب والحكومة أسفرت عن مقتل والي البصرة . وفي أثناء هذه الازمة كتب « السيد طالب الى حليفه الشيخ مبارك الصباح أمير الكويت والشيخ خزعل أمير عربستان ليمداه بالسلاح والعتاد ، فدفقت عليه الاسلحة بكثرة » (١) . ويظهر ان الانكليز لم يعارضوا في عقد محالفة كهذه ، لانها لا تهدد مصالحهم ، وربما كانت تخدم هذه المصالح بصورة غير مباشرة لانهم كانوا يخشون من وصول الالمان عن طريق سكة حديد بغداد الى فم الخليج العربي . ولهذا رأى الانكليز أن أي تدهور يصيب سلطة العثمانيين في البصرة يعرقل مشاريع الالمان الرامية للوصول الى الخليج وعندئذ تهدد طريق الهند . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان هذا الارتباك والتدهور قد يصلح أن تتخذ منه انكلترا وسيلة للتدخل في شؤون هذه البلاد اذا ما حان الوقت لذلك . وفضلا عن ذلك فان السيد طالب « كان من أدهى الرجال وأشدهم بأسا ، وكان لا يتورع عن الاقدام على أخطر المجازفات في سبيل تحقيق غاياته ، وكان يلتزم أعوانه ويحميهم ويبطش بخصومه ... كان كريما مسرفا ... وكان وطنيا صلبا ... » (٢) . ومع هذا فقد تغير موقفه هذا وانحاز للانكليز كما أسلفنا .

وبعد ان استعرضنا مظاهر الحركة الوطنية والمؤسسات التي كانت

(١) فيضي ، سليمان ، ص ١٠٨ .

(٢) ن ٣٠ ، ص ١٣٣ .

عمل في الحقل الوطني ، في هذا الدور من تاريخ العراق ، نقول : هل كانت الحركة الوطنية هذه منبثقة عن تنظيم شعبي متمثل بكتل شعبية لها مناهج واضحة وتعمل على أسس عقائدية ؟ هل كان المشتغلون في الحركة الوطنية ، سواء من كان منهم منخرطاً في سلك الجمعيات والأحزاب السياسية أو من يعمل بصورة فردية ، مدفوعين بدوافع قومية بحتة تعمل على بعث الكيان العربي أو العراقي على الأقل ؟

وللجواب على السؤال الأول نقول : ان الحركة الوطنية ، في هذا الدور من تاريخ العراق ، كانت في الغالب من صنع المثقفين وهم أقلية ضئيلة حينذاك ، وقلما تغلغت في الأوساط الشعبية ، وذلك للجهل المتفشي بين أوساط الشعب ؛ ولشيوع النظام القبلي في البلاد ، وما ينجم عنه من منح الولاء للعائلة والقبيلة لا للحزب ؛ وأخيراً لقلّة من يتقيد بالمفاهيم الحزبية ، وما تتطلبه من قيود أخلاقية صارمة ، من أبناء الشعب بما فيهم بعض مثقفي ذلك العصر . وقد ضربنا ، فيما سبق ، أمثلة تؤيد وجهة نظرنا هذه فلا نرى ضرورة للتكرار .

وللاجابة على السؤال الثاني نقول : يبدو أن فكرة القومية بمفهومها الحديث لم تكن واضحة في أذهان معظم المشتغلين بالحركة الوطنية في ذلك العهد . ويعود ذلك لتغلغل الروح الإسلامية في نفوس معظمهم بصورة خاصة ، وللأسباب الأخرى التي أشرنا إليها قبل قليل بصورة عامة . وقلما نجد بينهم من كان يجرؤ على نقل الخلافة الإسلامية من آل عثمان وإقامة حاكم عربي مقام الخليفة العثماني .

ويؤيد ذلك أن مؤسسي حزب العهد ، وغالبيتهم من العراقيين ، أوردوا في مناهج حزبهم أن « غاية الجمعية السعي وراء الاستقلال الداخلي للبلاد العربية ، على أن تكون متحدة مع حكومة استانبول على غرار اتحاد النمسا والمجر . وان الجمعية ترى ضرورة بقاء الخلافة الإسلامية وديعة

مقدسة بيد آل عثمان» (١) .

وعندما أوفدت جمعية البصرة الإصلاحية الاستاذ سليمان فيضي للموصل سنة ١٩١٣ وجد عند وصوله : « ان المؤمنين بانقضية العربية قلائل ، وان المشتغلين فيها أقل ، وان النزعة الدينية التي يتميز بها أهل الموصل تقف حائلا بينهم وبين التمرد على الدولة العثمانية ذات الصبغة الاسلامية والخلافة المقدسة ... » (٢) .

وقد تجرأ بعض المشتغلين بالحركة الوطنية فاجاز نقل الخلافة من العثمانيين ولكن لا ليقيم محل الخليفة العثماني رئيس دولة عربي ، بل ليقيم محله خليفة عربيا . فذكر الاستاذ سليمان فيضي أن السيد طالب النقيب أرسل في أوائل سنة ١٩١١ كتابا الى الشريف حسين يخبره أن النواب العرب وقعوا على الوثيقة التالية : « نحن نواب العرب في مجلس الامة نعهد الى حسين باشا في حكم مكة ، ونقر باسمنا واسم البلاد العربية التي تمثلها بأن له وحده السلطة الدينية على البلاد العربية . ونحن مستعدون أن نجاهر علانية بهذه البيعة متى دعت الاحوال الى ذلك » . ويذكر أن الموقعين على هذه الوثيقة كثيرون ولكنه عرف ثلاثة منهم فقط وهم : « السيد طالب النقيب ، وشكري العسلي ومحمد شفيق باشا المؤيد نائبى دمشق » (٣) .

[وكان موقف الشيعة من العراقيين حول شكل رئاسة الدولة العربية أو العراقية فيما يخص صلته بالاسلام لا يختلف من حيث الجوهر عن موقف السنة حول هذه القضية . فالشيعة الامامية لا يعترفون بالسلطة

(١) فيضي ، سليمان ، ن.م ، ص ١٣٦ .

(٢) في غمرة النضال ، ص ١٢١ .

(٣) في غمرة النضال ، ص ٨٧-٨٨ .

الروحية للخليفة العثماني وبعده غاصبا^(١) للحكم ، ومن ثم لا يرون حرجا دينيا في ابعاده عن رئاسة الدولة الاسلامية ، ومع هذا فانهم اشترطوا في الرئيس الجديد أن يكون ذا صبغة اسلامية . وقد ظهرت هذه الرغبة في المضابط التي وقعها علماء الدين ورؤساء العشائر وغيرهم والتي حملها الشيخ محمد رضا الشيبسي في سنة ١٣٣٨هـ الى الملك حسين في الحجاز ، وجاء في هذه المضابط « أن تكون للعراق حكومة عربية اسلامية يرأسها ملك عربي مسلم » . وقال السيد محمد باقر الحلبي قصيدة بهذه المناسبة جافها :

فليحيى (عبدالله) وهو لشعبنا ملك ووالده الشريف امام
وعلى الرجال العاملين تحية وعلى حماة المسلمين سلام^(٢)

وربما اتضح للقارىء مما قدمناه عن مظاهر حركة التحرر العراقية ، وعن اتجاهات معظم القائمين بها ، والاطار الذي كانوا يعملون في حدوده ، أن لا سبيل للمثقفين ، ان أرادوا الخلاص من ربة الحكم العثماني ، وخاصة بعد أن تبنت حكومة الاتحاديين حركة التتريك ، الا الاستعانة برجال الدين لتحقيق هذا الغرض . وقد رأى المشتغلون بالحركة الوطنية من المثقفين أن كسب رجال الدين الى جانب الحركة التحررية يحقق لها هدفين : أولهما - تزييف ادعاء الأتراك ، في نظر الجماهير على الأقل ،

(١) ينظر الشيعة الامامية ، وهم الغالبية العظمى في ايران والعراق ، للخلفاء الامويين والعباسيين بأنهم غاصبون للحكم من أئمتهم الاثني عشر ولكن الغالبية العظمى من مجتهدتهم يوجبون الجهاد تحت راية هؤلاء المعتصبيين اذا كان ذلك الجهاد لغرض حماية الثغور الاسلامية . وعلى هذا أصدر معظم مجتهدي الشيعة في العراق فتاواهم بوجوب قتال الانكليز تحت راية العثمانيين في معركة الشعبية خلال الحرب العالمية الاولى .
(٢) محبوبية ، جعفر ، ماضي النجف وحاضرها ، ج ١ ، صيدا ، ١٣٥٣هـ ، ص ٢٥٩ ، ٦٠ .

في أن خلفاء آل عثمان حماة الدين وانهم يعملون لمصلحة الاسلام؛
وثانيهما - الاستفادة من نفوذهم في كسب تأييد الجماهير ورؤساء القبائل
في الوسط والجنوب للحركة الوطنية ليكتب لها النجاح كليا أو جزئيا .
وقد أحرز المثقفون في هذا المضمار نجاحا كبيرا وخاصة في بغداد وفي
أوساط العتبات المقدسة في العراق . وقد شجع المثقفين في تنفيذ خطتهم
هذه وجود المجتهدين^(١) من علماء الامامية في هذه الاماكن واستجابة

(١) كان لهؤلاء المجتهدين ورجال الدين الاخرين نفوذ كبير على
الشيعة في جميع الاقطار الاسلامية وخاصة في العراق وايران . وكان
باستطاعة هؤلاء المجتهدين أن يتدخلوا في كل حقل من حقول الحياة العامة
التي لها مساس بالدين ، بما فيها القضايا السياسية . وكان باستطاعة
كل فرد من الشيعة أن يعرض أية مشكلة تدخل الاعتبارات الدينية في
حلها ، على المجتهد ويطلب منه أن يصدر فيها أحكاما تنطبق مع أحكام
المذهب الجعفري . وقد يكون هذا الحكم متعلقا بتكفير ملك أو وزير ظالم
أو تكفير من يأتزم بأمره أو يحارب من أجل تنفيذ أحكامه الجائرة .
وقد كان لبعض هؤلاء المجتهدين مواقف محمودة استنكروا فيها
تدخل الاجانب في شؤون البلاد . ومن أمثلة ذلك ما ذكره الاستاذ علي
آل بازرگان على الص ٤ من كتابه الموسوم بـ « الوقائع الحقيقية ٠٠٠ » أن
آية الله المرزا حسن الشيرازي قد أصيب حوالي سنة ١٩٠٠ بحجر طائش
في أحد أزقة سامراء ، وعندما علم القنصل الانكليزي ببغداد بالخبر توجه
الى سامراء لمقابلة الامام الشيرازي فرفض الامام مقابلته ، وعندما أبلغه
القنصل بأنه مستعد للاقتصاص ممن أساء للامام ولو أدى ذلك الى ارسال
انذار للحكومة العثمانية رفض عرضه قائلا : انه لا يعتقد بوجود عداء بينه
وبين أهل سامراء وان ما حدث كان نتيجة الصدفة ، ولا يرى « حاجة لدس
أنف بريطانيا في هذا الامر الذي لا يعنيه لانه والحكومة العثمانية على دين
واحد وقبلة واحدة وقرآن واحد ٠٠٠ » . وقد قدرت الحكومة العثمانية
موقف الامام الشيرازي وطلبت من الشيخ سعيد النقشبندي أن يشكره
على فعله هذا .

وكان للمرزا حسن الشيرازي دور محمود في عرقلة مساعي الانكليز
للتدخل في بعض شؤون ايران . وقد أورد براون Browne على الص
٢٧١-٧٢ من الجزء الرابع من كتابه الموسوم بـ « تاريخ فارس الادبي » =

معظمهم الى تحقيق هذا الهدف .

ومن الجدير بالذكر ان معظم مجتهدي ذلك العصر قد أسهموا في ايجاد الحلول لمشكلات العصر الرئيسة ، فوقفوا بجانب الشعب الايراني في كفاحه ضد الاستعمار الانكليزي والروسي^(١) ، وأيدوا فكرة الاهتمام بالثقافة الحديثة بما فيها دراسة اللغات الاجنبية الحديثة في العراق ، كما أيدوا حركة الدستور في ايران والعراق ، وكان لجهودهم آثارها المشكورة في كفاح العراقيين مع الانكليز ابان ثورة العشرين كما سنرى في الفصول القادمة .

لأما تأييد العلماء لاقتباس الثقافة الحديثة فقد ظهر في منطقتين من

المدرسة الجعفرية
في بغداد

= المطبوع بلندن ، ١٩٠٩ : ان ناصر الدين شاه وبطانته كان قد انصاع الى ضغط الدبلوماسيين البريطانيين فمنح امتياز التبغ في ايران الى شركة بريطانية سنة ١٨٩٠-٩١ . ورغم محاولة حكومة ايران أن تنفذ هذه الاتفاقية ، فانها لم توفق وذلك لمعارضة رجال الدين بزعامة المجتهدين مرزا حسن الشيرازي والحاج مرزا حسين الاشتياني . وكان لسعي السيد جمال الدين الافغاني أثره البالغ في اقناع هذين المجتهدين ليقفوا بجانب الشعب الايراني في محنته . ويعتقد براون أن قضية فشل امتياز التبغ لعبت دورا فعالا في الحركة الدستورية في ايران والتي تمخضت عن نجاح الايرانيين في الحصول على الدستور في ٥ اب سنة ١٩٠٦ .

(١) لقد أورد براون في كتابه سالف الذكر ، ص ٣٧٢ ، اشارات عن دور المجتهد ملا محمد كاظم الخراساني وجماعته في كفاح ايران من أجل الحرية والاستقلال . وقد تأثر الشيخ محمد كاظم من سلوك روسيا العدائي تجاه ايران ولذا أعلن الجهاد عليها في ١١ كانون الثاني سنة ١٩١١ . وبينما كان ينوي السفر من العراق الى ايران ليتزعم حركة الجهاد ضد الروس توفي فجأة في اليوم التالي ، وقد قيل أنه توفي مسموما . وقد نشرت جريدة « النجف » الصادرة بالفارسية بعدها الحادي والثلاثين مقالا بتاريخ ٢٩ ذي الحجة ١٣٢٩هـ أبنت فيه الشيخ الخراساني ، ذكرت فيه عن نشاطه العلمي فقالت انه يدرس في الليل والنهار ، ويوقع على أكثر من مائة رقعة استفتاء يوميا ويرسل (٣٠٠) رسالة الى أنحاء العالم . وان أركان الديمقراطية قد هدت بوفاته .

مناطق العراق المهمة وهما بغداد والنجف الاشرف .

أما في بغداد فقد أثمرت هذه الحركة في فتح « مكتب الترقى الجعفري العثماني » والذي يعرف بالمدرسة الجعفرية اليوم . وكانت الحاجة الشديدة الى توفير مختصين باللغات الاجنبية والمحاسبات التجارية من أهم بواعث فتح هذه المدرسة . وكانت هذه الوظائف مقتصرة في الغالب على اليهود الذين حازوا قصب السبق حينذاك في اتيقان علم المحاسبات الحديثة واللغة الفرنسية لانهم كانوا يدرسون هذه العلوم في مدرسة الاليانس الاهلية التي أسستها الطائفة اليهودية ببغداد . وقد فكر جماعة من المثقفين أمثال جعفر الحاج محمد حسن أبو التمن ورؤف القطان ومهدي الخياط بحل هذه المشكلة . وقد عمل جعفر أبو التمن على اقناع الحاج سلمان الحاج داود أبو التمن^(١) باعتباره من وجوه عائلة آل ابي التمن على تبني هذه الفكرة . وقد تمخضت جهود العاملين على فتح المدرسة الجعفرية عن تأسيس هيئة لتنفيذ هذا المشروع باسم « هيئة تأسيس مكتب الترقى الجعفري العثماني » . وقد رأى الحاج سلمان وصحبه الاستعانة برجال الدين ليكسبوا عطف الجمهور على مشروعهم . وكان لهم ما أرادوا حين تبني العلامة الشيخ شكر في بغداد هذه الفكرة وقبل أن يكون بين العاملين على انجازها . وبعد أن تبلورت الفكرة لدى هذه

(١) كان الحاج داود من الاسر المعروفة ببغداد . وذكر الاستاذ علي آل بازركان على الص ٥٠-٥١ من كتابه سالف الذكر أنه لم ينسى « مجلسه [الحاج داود] في مسجده وقد وضع أكوام المجيديات (عملة عثمانية تساوي ربع دينار عراقي تقريبا) أمامه والمجاهدون حوله وهو يسألهم عن عدد من يعيلونهم ليدفع لهم نفقات كسائهم ومعيشتهم ٠٠٠ ثم انه تزعم ما يزيد على الاربعمئة مجاهد وسافر بهم للعمارة لقتال الانكليز ٠٠٠ » . وقد مات الحاج داود في الاسر بمدينة البصرة . وجاء في « صدى بابل » العدد ١٠ ، ١٥ تشرين الاول ١٩٠٩ ، أن لعائلة الحاج داود أيادي بيضا في تأسيس المدرسة الجعفرية بما قدمته من مال وجهد لنجاح المشروع .

الجماعة عملوا على كسب تأييد عالم متجدد من علماء الشيعة وهو المجتهد العلامة السيد محمد سعيد الجبوبي . وما كادوا يعرضون الامر على العلامة الجبوبي حتى وجدوا منه تأييدا قويا لفكرتهم . وقال أن ايجاد معهد يهيء للمسلمين تعلم اللغات الاجنبية ويكون منهم كتبة ومحامين يعد من الامور الحيوية لهم . وكان لنفوذ الجبوبي الروحي اثر كبير في اقناع المعارضين لفكرة التجدد من أبناء الجعفرية . وقد قررت الهيئة التأسيسية لمدرسة الجعفرية تقديم عريضة لوالي بغداد بتاريخ السادس من شهر شوال سنة ١٣٢٦هـ يطلبون منه الاذن بفتح المدرسة . واليك صورة قرار الهيئة . وعينت كلا من علي جلبي العينهجي وجعفر محمد حسن أبو التمن (١)

(١) روى محرر جريدة « المستقبل » العدد ٦٠٥ ، السنة (٣) ، ٢٢ جمادي الاخر ١٣٨٢ ، ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٦٢ أن الاستاذ كاظم شكاره المشرف العام على ادارة المدارس الجعفرية في هذه المدارس منذ عام ١٩٢٢ ، أخبره أن جعفر أبا التمن استهل « نشاطه الاجتماعي وكفاحه الوطني منذ الايام الاولى لشبابه وكانت مساهمته الفعالة في تأسيس - مدرسة الترقى الجعفري العثماني - عام ١٩٠٨ هذه المدرسة التي سميت بعد ذلك بالمدرسة الجعفرية قد لعبت دورا بارزا في تنوير الاذهان وتوجيه النشء وبعث الهمم ونشر الوعي بالاضافة الى انها كانت منتدى وطنيا سريا تتجمع حوله العناصر الوطنية المجاهدة ، وحمل أبو التمن العبء الكبير في بناء المدرسة وادارتها وتنظيمها ، وكان مع جماعة مؤسسي الجعفرية الشيخ شكر والحاج سلمان أبو التمن وحاج حسين الشهرستاني وعلي العينهجي وعلي السيد مهدي البغدادي والحاج عبدالغني كبه والحاج جعفر الملائكة ، لا يظن عليها بمال ولا يبخل بجهد أو وقت ، ومنذ تأسيسها حتى عام ١٩٢٠ كان أبو التمن أمينا لصندوق المدرسة الجعفرية ولكن عمله كأحد قادة ثورة العشرين الوطنية الكبرى ومطاردة السلطات البريطانية له حالا دون أن يبقى أمينا للصندوق بعد ذلك ولكنه بقي عضوا فعالا في الهيئة الادارية حتى عام ١٩٢٧ . واقارار للحقيقة أقول ان المدارس الجعفرية مدينة في وجودها لابي التمن » .

وكتب لي السيد علي نقي الحيدري انه استخرج من كتابه الموسوم بـ « الدوحة الحيدرية » الذي هو في دور الاعداد : ان العلامة السيد أحمد الحيدري التحق بكرلاء هو وآخرون ليعبلا من أجل الثورة العراقية في =

بضعة رجبها ٥٢ في القعدة ٥٣

الأمانة مبنية مكتبة الزبي المحفوي الشافعي لوالدهما

أما بعد فبما نقرر لدينا ان اقتناع الكلب لبلد يكون ان شاء الله ليلة السبت ثاني يوم في الحج للامم ~~٥٣~~ وقد بينا
لتسليم لفئة القفوسية حيا - كلوا ساهوا انديا في الاسبوع ثبات ليدالي ليلة السبت التذاتنا وليلة الخميس من السنة
الواحد ونصف الاثناة الثالثة وذلك في محرم من غير ما سألنا وحنيا قطان نزر محمد يوفى جلي ليلة الالبيالي كذلك
من الساعة الواحد ونصف الاثناة الثالثة وذلك في محرم من غير ما سألنا فيلزم الباشة والاهتمام مقتضات التفتاوم رسوم

هيئة تأسيس مكتبة الزبي المحفوي الشافعي

ما جازي
عديكم

صاف زلي
عديكم

بشرف
القدس

Handwritten text, possibly a date or reference number, located at the top left of the page.

Handwritten text, possibly a title or main heading, located in the upper middle section of the page.

Handwritten text, possibly a list or detailed notes, located in the lower middle section of the page.

لتنفيذ هذا القرار كما يظهر من الوثيقة سالفة الذكر. وعندما قدم طلب رسمي لوالي بغداد بهذا الخصوص امتنع في أول الامر ولكنه بعد لأي وافق على فتح المدرسة وخاصة بعد أن علم انه « لا يوجد أي جعفري في المدارس الحكومية » ويذكر الاستاذ علي آل بازركان انه عمل على افناع الوالي بوسائل مختلفة^(١) . وقد عين علي آل بازركان معلما للغة التركية في المدرسة بعد فتحها وكان يدرس دون مقابل وعندما عينت له ادارة المدرسة راتبا رفض ذلك كما يظهر من وثيقة عثرت عليها بين الوثائق التي تحتفظ بها ادارة المدرسة . وقد فتحت المدرسة الجعفرية بتاريخ ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٦ كما يظهر من الوثيقة المنشورة هنا . ويقدر القاري أهمية فتح المدرسة الجعفرية اذا علم أن الفرقة الجعفرية ، وهي تؤلف الاكثريّة في العراق ، كان « يحظر عليها في الدور السابق الاستبدادي القيام بأمر المكاتب العمومية الجعفرية فكانت تقتصر على المدارس البسيطة^(٢) في النجف وكر بلاء وسامراء والكاظمية حيث كان يدرس علم الفقه وبعض العلوم الدينية واللغة العربية لا غير »^(٣) . وكانت المدرسة الجعفرية تعني فيما تعني به ، اللغة الفرنسية والرياضيات والعلوم المدنية^(٤) . يضاف الى ذلك أن هذه المدرسة كانت « أول مدرسة أخذت تعلم الامين القراءة

= سنة ١٩٢٠ تحت قيادة الامام الشيرازي . وكان جعفر أبو التمن من بين العاملين بهذا الحقل » وربما كان [السيد أحمد] يخرج هو والمرحوم المجاهد الحاج محمد جعفر أبو التمن وغيره الى ساحة القتال لبعض شؤون القبائل وزعمائهم واصلاح ذات بينهم » .

(١) ن ٥٠ ، ص ٤٨ .

(٢) كان الافضل أن يقول الكاتب القديمة لان المدارس البسيطة

لا تعلم الفقه .

(٣) « صدى بابل » العدد ١٠ ، ٣٠ رمضان ١٣٢٧ - ١٥ تشرين

الاول سنة ١٩٠٩ .

(٤) « صدى بابل » العدد ٩ ، ٢٣ رمضان ١٣٢٧ - ٨ تشرين

الاول سنة ١٩٠٩ .

والكتابة والحساب ومسك الدفاتر ليلا» (١) . كما ان طلابها كانوا يرتدون
الملابس الحديث في المناسبات الرسمية كما يظهر من الوثائق المنشورة هنا .
ويظهر ان الاقبال على هذه المدرسة كان كبيرا « فبلغ عدد الطلبة فيه
[المكتب] ما يتيف على الثلثمائة طالب ولولا ان ضاق المكان وغصت
الساحة بالطلبة لما اعتذر المكتب عن قبول كثيرين غيرهم » (٢) .

وقد ظهرت ثمار تأييد العلماء لاقتباس الثقافة الحديثة لا في بغداد
حسب ، بل في النجف الاشرف أيضا . وعندما شعر جماعة من أهالي النجف
ممن يحملون الجنسية الايرانية في الغالب ، بضرورة تأسيس مدارس تعنى
بالعلوم الحديثة واللغات الاجنبية كالفرنسية والانكليزية ، ظفروا بتأييد
وتشجيع الغالبية العظمى من رجال الدين المعاصرين أمثال الحاج ميرزا حسين
(الخليلي) وآية الله الملا كاظم الاخوند الذي عرف بأبي الاحرار (٣)
والشيخ فتح الله المعروف بـ « شيخ الشريعة » والشيخ عبدالله المازندراني
وغيرهم . وقد تأسست لهذا الغرض هيئة علمية ضمت بالاضافة الى من
اشترك فيها من العلماء عددا من التجار أمثال الحاج عبدالكريم البوشهري
وغيره .

وقد أسفرت هذه الحركة عن تأسيس مدرستين احدهما تسمى
المدرسة « العلوية » التي فتحت أبوابها للطلاب سنة ١٣٢٦ هـ . والثانية
تسمى المدرسة « الرضوية » (٤) وهي شبيهة بالمدرسة « العلوية » من حيث

(١) آل بازرگان ، علي ، ن . م ، ص ٥٠ .

(٢) « صدى بابل » العدد ١٠ ، ٣٠ رمضان ١٣٢٧ - ١٥ تشرين
الاول سنة ١٩٠٩ م .

(٣) الخاقاني ، علي ، شعراء الغري ، ج ٧ ، النجف ، ١٩٥٥ ،
ص ٣ .

(٤) لقد استقيت كثيرا من المعلومات عن هاتين المدرستين من
الاستاذ جعفر الخليلي . وقد أخبرني ان اسم هذه المدرسة « المرتضوية » =

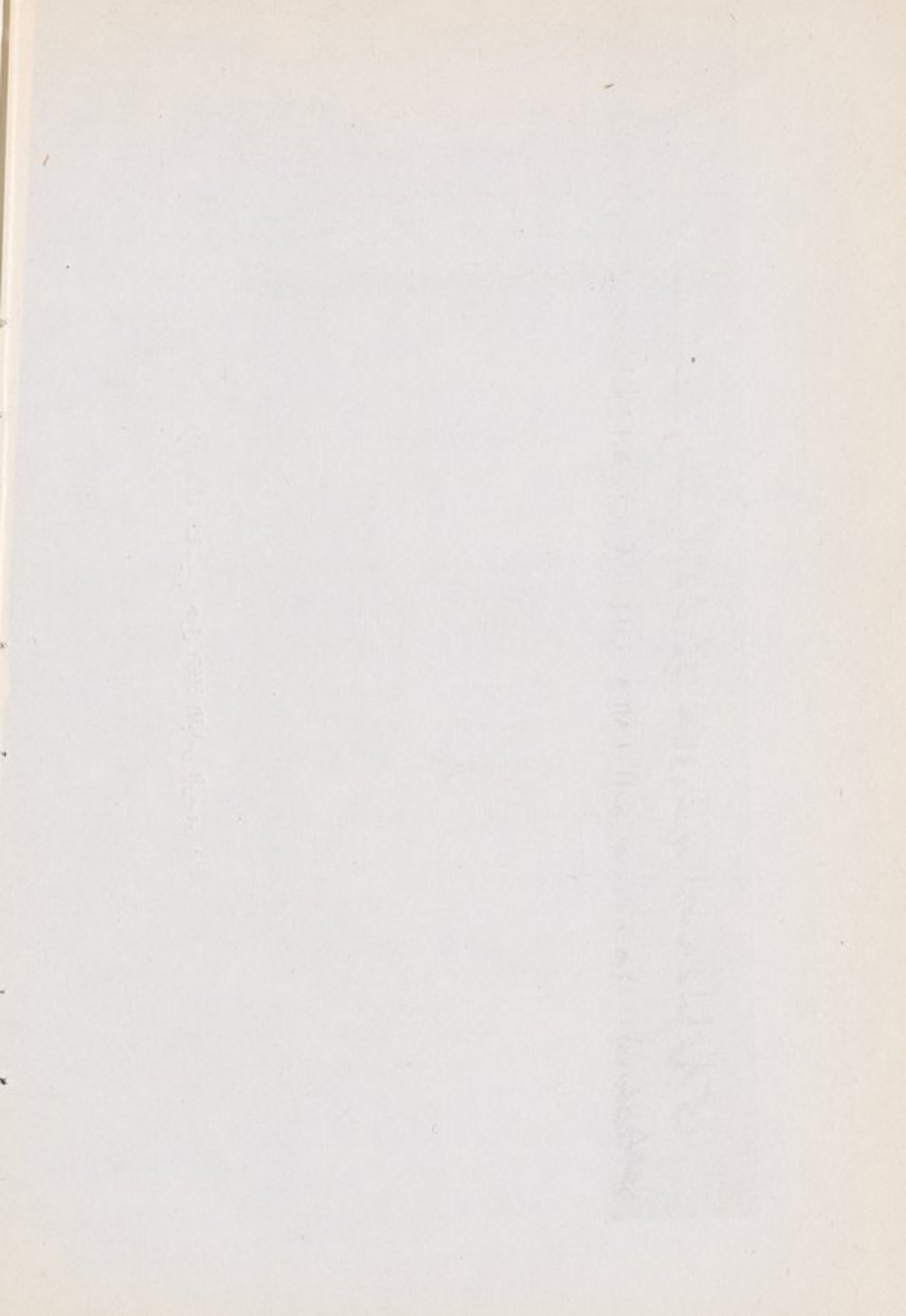
تتمتع لدى هيئة تأسيس مكتبة لدراسة تجموعتها العثماني المحترمة الرضفة في لباس الرسمى

لطلاب المكتبة لتسفر باختيارهم وان يكون ذلك في الايام الرسمية دون غيرها

مكتبة جامعة القاهرة
مكتبة جامعة القاهرة
مكتبة جامعة القاهرة

حاديان
فانين

قرار هيئة التأسيس حول اتخاذ اللباس الرسمي •



الهدف والمنهج^(١) . وكانت المدرسة « العلوية » فضلا عن مهمتها الثقافية ، بمثابة ناد ثقافي وسياسي ، اتخذ منه المشتغلون بالحركة الدستورية الايرانية مقرا لاعمالهم . وقد زودت المدرسة « المرتضوية » خاصة بقاعة للمطالعة فيها أنواع الجرائد والمجلات . وكان درس الرياضيات والمقتين الفرنسية والانكليزية من بين الدروس التي تعنى بها المدرسة « العلوية » أما الرياضة فكانت أشبه بالتعليم العسكري وكان لها لباس عسكري خاص له أوسمته وإشارات وعلاماته . وكان للدين درس خاص سمي بـ « الشرعيات » خصص له درس أو درسان في الاسبوع . وكان طلبة المدرسة « العلوية » في المواسم والمناسبات يرتدون اللباس الاوربي الحديث ، شأنهم في ذلك شأن طلاب المدرسة « الجعفرية » ببغداد الذين كانوا يرتدون اللباس الاوربي أثناء الدراسة .

وتحصر أهمية هاتين المدرستين لا في أنهما كاتتا من الوسائل التي ساعدت على نشر الثقافة الحديثة في محيط محافظ كمحيط النجف الاشراف حسب ، بل ان تأييد معظم العلماء لفكرة تأسيسهما ومنهجهما أكسب حركة التجدد قوة وقبولا في الاوساط المحافظة وخاصة بين الجماهير الجاهلة . يضاف الى ذلك أن عددا من خريجيها^(٢) أسهموا في الحركة الثقافية في العراق أمثال الاديب جعفر الخليلي والسيد ضياء الدين بحسر

= لا «الرضوية» كما وردت في كتاب الشيخ جعفر محبوبه الذي سيرد ذكره بعد قليل .

(١) محبوبه ، جعفر ، ماضي النجف وحاضره ، ج ١ ، صيدا ، ١٣٥٦ ، ص ٩٩ .

(٢) كان من خريجي المدرسة « العلوية » الشيخ هادي والشيخ مهدي الجزائريان ، وهما من عائلة الشيخ عبدالكريم الجزائري أحد أبطال الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ . وممن درس فيها السيد علي حسام الدين الذي تقلد عددا من الوظائف في الدولة العراقية . ومن خريجيها الشيخ عبدالرزاق الشيخ راضي ، ومن طلابها الشاعر السيد محمود الحبوبى .

العلوم رئيس محكمة التمييز الشرعية الجعفرية ببغداد .
وقد بلغ تأييد العلماء لهاتين المدرستين درجة كبيرة ، وقد أجاز
المجتهد الأكبر الملا كاظم الاخوند صرف الحقوق الشرعية على أمثال هذه
المدارس .

ويقدر القارىء أهمية فتح المدرسة « الجعفرية » ببغداد والمدرسة
« العلوية » و « المرتضوية » في النجف ، وعناية هذه المدارس بالعلوم
الحديثة واللغات الاجنبية الحية ، اذا علم ان العامة من الشيعة في ذلك
العصر يعدون العناية بأمثال هذه الامور كفرا محضاً^(١) . وبالرغم مما في
هذا القول من مبالغة فانه لا يخلو من الحقيقة .

ويظهر أن تأييد العلماء لانشاء المدارس الحديثة لم يقتصر على ما
ذكرنا من الامثلة ، بل انهم كانوا يحثون مقلديهم اينما وجدوا على
الارتشاف من منابع الثقافة الحديثة .

وقد أوردت جريدة « الرقيب » نبذة بهذا المعنى تحت عنوان « جواب
الاستفتاء من الجعفرين » ، قد تقوم دليلاً على ما ذهبنا اليه . وجاء في هذه
النبذة : « جواز دخول اولاد الجعفرية الى المكاتب لتعلم العلوم والمعارف
والكلمات واللغات المختلفة التي تمس الحاجة الى تعلمها وتقضي الضرورة
بعدم جهلها مع التحفظ على القواعد الاسلامية وعقائدهم مما لا ينكر ولا
قائل بعدمه ، ولذا ان أساطين العلماء الاعلام المجتهدين في النجف وكرهلاء
دفعاً للشبهة الواقعة في أذهان الجهلة قد كتبوا لعموم الجعفرية يحثونهم
ويشوقونهم الى تأسيس وتشييد مكاتب كهذه حاوية للشروط المتقدمة
وذكروا أن ذلك من أفضل الاعمال الخيرية »^(٢) . وكانت هذه النبذة
موقعة بتوقيع « جعفر الحاج محمد حسن » .

(١) آل بازركان ، علي ، ن.م ، ص ٤٧ .

(٢) العدد (١١) ١٤ ربيع الاول ، ١٣٢٧ هـ ، ٥ نيسان ، ١٩٠٩ م .

ومن المؤسف انني لم أعتز على أصل الاستفتاء الذي قدم للعلماء ،
كما انني لم أعتز على نص أجوبتهم ولكن ذلك لا يضعف هذا الدليل
عندي ، لان تأييد العلماء لفتح المدارس الحديثة كالمدرسة « الجعفرية »
ببغداد ، والمدرستين « العلوية » و « المرتضوية » في النجف يعد سابقة
يمكن القياس عليها ، كما ان علانية هذا الجواب ونشره بالجرائد العامة
يجعل احتمال كذبه بعيدا .

وعند المقارنة بين موقف العلماء في مصر في بداية القرن العشرين
من اقتباس الثقافة الحديثة وتعلم اللغات الاجنبية وبين موقف العلماء في
العراق ، وخاصة في العتبات المقدسة ، من الموضوع نفسه ، نرى أن الشيخ
محمد عبده وجماعته كانوا يعملون على ادخال العلوم واللغات الحديثة في
صلب منهاج جامعة الازهر ، وكانوا يقولون بضرورة تطوير أساليب
الدراسة القديمة في الجامعة المذكورة لتساير التطورات العلمية والتربوية
الحديثة على ألا يمس ذلك بجوهر الدراسات القديمة . وقد اتخذت
هذه الحركة في العراق في بداية القرن العشرين اتجاها مغايرا وذلك أن
معظم العلماء في هذا الدور أيدوا الاهتمام بالثقافة الحديثة وباركوا حركة
دراسة اللغات الاجنبية ولكنهم لم يدخلوا هذا التغيير في صلب المدرسة
القديمة وأبقوها على حالها كما كانت لقرون خلت . ولم يتقدم أحد منهم ،
فيما نعلم ، بمناهج عملي يستهدف اصلاح طرق التدريس القديمة أو
يجري تغييرات أساسية في منهاج التدريس القديمة كما فعل الشيخ محمد
عبده وتلامذته في جامعة الازهر .

وكان من نتيجة ذلك ان قامت المدرسة الحديثة بجوار المدرسة
القديمة دون أن يكون بين الاثنين صلة وثقى . وفي الوقت الذي نجحت
فكرة التجديد في مصر وأخذ الازهر يقبل فكرة ادخال الشيء النافع من
العلوم الحديثة دون أن يفقد كيانه القديم ، انكشفت فكرة التجديد في

الايواساط الدينية عندنا وأخذت تزول بزوال مؤيديها من العلماء . ومع هذا فقد بدأت مؤخرا فكرة تنظيم الدراسات الدينية في النجف الاشرف على يد جماعة « منتدى النشر » فأسست هذه الجماعة « كلية الفقه » قبل سنوات قليلة . ولكن قلة موارد هذه الجمعية وقلة المؤازرة التي تلقاها من ممثلي المدرسة القديمة جعلت نتائج أعمالها محدودة . ومن العسير على المرأ أن يتنبأ لها ، اذا لم تتغير الظروف المحيطة بها ، بمستقبل يضاهاى جامعة الازهر أو يقتررب منها على الأقل .

ويحدثنا المستر « ونكيت » R. Wingate عن الحالة في النجف الاشرف قبيل الحرب العالمية الاولى ، فيقول : « كانت النجف ، باعتبارها أكثر مراكز الشيعة قدسية ومركز مجتهديهم ، تتمتع بتأثير قوي فسي الاواساط الشيعية وخاصة في القضايا التي لها علاقة بشؤون ايران الى حد قيل معه أن المجتهد يستطيع تحريم شاه ايران^(١) . وقد اتاحت للنجف فرصة ممتازة لاطهار نفوذها عندما اندفعت موجة عارمة Unfortunate لحرارة ديمقراطية تبنتها طبقة المثقفين وعمت الشرق لعشر سنوات خلت ،

(١) ان التحريم ، كما هو معلوم ، اجراء كان يتخذة الباباوات تجاه الخارجين على تعاليم الكنيسة وهو غير معروف بهذا المعنى عند المسلمين . والمجتهد ، كما أسلفنا ، قد يحكم بتكفير شخص مسلم ارتكب عملا يستوجب ذلك . وقد يحكم بالامتناع عن اتيان عمل من شأنه أن يسبب ضررا للمسلمين . وعندما أفتى العلماء في أوائل هذا القرن بتحريم التدخين على أثر منح الحكومة الايرانية امتيازا يخول شركة انكليزية احتكار التبغ في ايران ، حدث مرة ، كما حدثني من أثق بقوله ، ان الشاه أمر خادمه أن يحضر له جوزة التدخين (نارجيله) فامتنع الخادم عن القيام بهذا العمل قائلا له أن المجتهد قد حرم التدخين ولا يسعني لاعتبارات دينية أن أعين على عمل محرم . وموقف الخادم هذا تجاه الشاه يشبه موقف المسيحيين ممن تحرمه الكنيسة ومع هذا لا يصح أن نعتبر التحريم أمرا يقره الاسلام .

تلك الموجة التي أسفرت عن نجاح الحركة الدستورية في ايران وتركيا • وقد قامت قيامة النجف في هذه الفترة وأصبحت مركزا للمناورات السياسية • وكان دعاة الدستور يعرفون جيدا ان فرصة نجاحهم ضئيلة ما لم ينالوا تأييد كبار المجتهدين • وقد استخدم هؤلاء كل وسيلة متيسرة لديهم ليصلوا الى غرضهم هذا • وكان النجاح حليفهم لان الاخوند الخراساني^(١) قد انضم الى جانبهم • ومنذ ذلك الوقت أصبحت النجف مرآة تعكس عليها حركات الاحزاب السياسية المختلفة في ايران • وكان العيون بالحركة الدستورية خارج النجف Outs دائيين على نيل

تأييد كبار المجتهدين لحركتهم الامر الذي خلق مشكلات لمن فيها Ins ••• وينجرف الجهلاء والخرافيون^(٢) من السكان مع دعاة الحركة الدستورية وحينئذ يضطر المجتهد ، الذي تعتمد قوته على تأييد الناس له ، ان يؤيد قضية كهذه ذات تأثير بعيد النتائج^(٣) • ويستمر المستر ونكيت فيقول : « ان ما قلناه يعكس الجانب الديني في النجف ، فمن مجتهداتها الى علمائها الى طلبتها يكونون معنيين بالجهل وهم عرضة لتلاعب الساسة الاتهازيين في طهران وبغداد الذين يعملون على توريطهم في اعطاء حكم يكون له ، باعتباره صادرا عن علماء المدينة المقدسة ، تأثير كبير على العقل العام أو الرأي العام Common Mind » .

[تأثير حركتي الدستور الايرانية والتركية في الحركة الوطنية :

ان البحث في الحركتين الدستوريتين الايرانية والتركية خارج عن موضوع هذا الفصل ، ويستطيع الباحث ان يجد تفصيلات وافية عنهما في

(١) يقصد المجتهد الاكبر ملا كاظم الاخوند •

(٢) ان مسؤولية هذا الكلام السمج تقع على الكاتب •

Reports, I, p. 67 — 8.

(٣)

الكتب^(١) التي خصصت لهذا الغرض . ولكن قد يكون من الضروري أن نشير هنا الى أن الحركة الدستورية ، بدورها الاول ، في تركيا قد سبقت مثلتها في ايران اذ يرجع تاريخ أول دستور تركي الى سنة ١٨٧٦ . ومع هذا فإن تعليق هذا الدستور لمدة (٣٠) عاما ، رضخت خلالها الدولة العثمانية بما فيها العراق الى حكومة عبد الحميد الاستبدادية ، جعل تأثيره في البلاد التابعة لهذه الدولة بحكم العدم^(٢) . أما حركة الدستور التركية ، بدورها الثاني (١٩٠٨-١٩٠٩) ، فانها متأخرة عن حركة الدستور في ايران لان أول دستور منحه مظفر الدين شاه للشعب الايراني كان في ٥ آب سنة ١٩٠٦^(٣) . ولهذا رأيت أن أبحث تأثير حركة الدستور الايرانية في حركتنا الوطنية أولا .

لقد ساهم الايرانيون ، بما فيهم بعض العلماء ، الساكنون في العتبات المقدسة العراقية ، بحركة بلادهم الدستورية . فكان لوجودهم بين ظهرانيا أثر مهم في تبيه العراقيين ، وخاصة سكان الاماكن المقدسة منهم ، لاضرار الاستبداد ولاهية الحكم الدستوري في حياة السكان . ومع هذا فان تأثير عامة الايرانيين محدود . ولكن تأييد العلماء ، ذوي الكلمة العليا في حياة معظم العراقيين والاييرانيين في ذلك العهد ، للحركة الدستورية ، أكسبها

(١) لقد وردت أسماء عدد من الكتب التي تبحث في حركة الدستور التركية في كتاب :

Birge, J. K., Aguide to Turkish Area Study, Washington, 1949, p. 93.

أما حركة الدستور الايرانية فقد بحثت بالتفصيل في :
ملكزاده ، مهدي ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، ٦ مجلدات ، طهران ، ١٣٣٠ .

Birge, Op. cit, p. 93. (٢) أنظر :

Browne, E. G., The Press and Poetry of Modern (٣)

persia, Cambridge, 1914, p. 310.

قوة وقبولاً لا في الأوساط الإيرانية حسب ، بل في الأوساط العراقية أيضاً . وكان النجف الأشرف مركز هذه الحركة .

لقد جابهت العلماء ، وخاصة في العتبات المقدسة في العراق ، خلال العقد الأول من القرن العشرين ، مشكلة معقدة وهي : هل ينسجم الحكم المطلق مع قواعد الشريعة الإسلامية أم لا ؟ وهل الدساتير والمجالس النيابية ضرورة تقتضيها مصلحة المسلمين ؟

وليس غريباً أن تطرح مشكلة كهذه أمام هؤلاء العلماء وفي هذا الوقت بالذات . لأن هذه المشكلة كانت مشكلة العصر أولاً ، ولأن هؤلاء العلماء حينئذ ، كما أسلفنا ، يحتلون الصدارة في حل مشكلات الناس بما فيها المشكلات السياسية ثانياً . ولذا فإن هذه المشكلة لم تكن قضية عابرة آثارها المصادفات ، كما أنها لم تكن حركة منفصلة عن سير الحركات العامة خلال ذلك العصر في إيران وفي البلدان التابعة للإمبراطورية العثمانية بما فيها العراق . وكان الجانب السياسي من هذه الحركات يتلخص في القضاء على الحكم الاستبدادي والاستعاضة عنه بحكم دستوري نيابي يكون الحكم فيه للامة لا للملوك والسلطين .

وكان تطلع شعوب هذه المنطقة للحكم الديمقراطي ناتجاً عن ازدياد اتصالها في أوروبا التي قطعت ، حينذاك شوطاً بعيداً في إقامة حكومات ديمقراطية ، وعن انتشار الثقافة الحديثة في تلك الربوع نتيجة لتيسر المطبوعات وتقدم الصحافة وغير ذلك من وسائل المدنية الحديثة .

وكانت هذه القضية مثار جدل ونقاش حاد بين العلماء « واستغرق البحث فيها ... مدة ... » وكان النقاش في هذه الموضوعات بين المجتهدين الاعلام في غاية العمق الفلسفي والاجتماعي مراعين مطابقة ذلك للكتاب والسنة واصلو الفقه . كما كان البحث والجدل بين العلماء والادباء

والطلبة والشعب^(١) في النجف نهاية في العنف والقسوة ، وتمخض الجدل فولد الانقسام الى طبقتين : أحرار ومستبدين ولكن الاكثرية من المجتهدين أقتوا بالحرية وبوجوب الاخذ بنظرية الملكية المشروطة بالدستور والديمقراطية «^(٢) .

وقد ثار الجدل المشار اليه بين العلماء على أثر استفتاء^(٣) تقدم به جماعة من دعاة الدستور الايرانيين واليك نصه : « الى حضرات المجتهدين حفظة الحكمة الالهية : لا بد وانكم سمعتم بمجلس الشورى الشعبي^(٤) وأنتم تعرفون جيدا ان هذا المجلس الذي يعمل على حفظ القوانين المستمدة من الطريقة الاثني عشرية المقدسة لمحو الظالمين والخائنين ونشر العدل على جميع البلاد واعلاء شأن الراية الأيرانية ، يؤسفنا أن عددا من الانانيين المفسدين الذين أخذوا ينشرون الافتراءات والاكاذيب من أجل محو هذا المجلس . فنحن نتنظر فتواكم في بيان تكليف المسلمين في هذا الشأن » .

جواب الاستفتاء : هذا ما قرره المجتهدون الاعلام : بسمه تعالى وبه نستعين ، بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على القوم الظالمين الى يوم القيامة : أما بعد فباتأييدات الالهية

(١) لا نقر الكاتب على اشراك شعب أكثريته جاهلة حينذاك في مناقشات غاية في الخطورة كهذه .
(٢) كمال الدين ، محمد علي ، التطور الفكري في العراق ، بغداد ، ١٩٦٠ ، ص ٢٣ .

(٣) نقلنا نصوص الاستفتاء وجوابه عن كتاب السيد محمد علي كمال الدين ص ٢٣ ، ٢٤ السالف الذكر وهو نقلها بدوره عن كتاب (انقلاب مشروطيت ايران) الذي ترجمه الى الفارسية عن الروسية (م . هوشيار) وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٩٥١ .

(٤) ذكر براون Browne على الص ٣١ من كتابه سالف الذكر المطبوع في كمبرج ١٩١٤ : ان مظفر الدين شاه منح الشعب الايراني الدستور في ٥ آب ١٩٠٦ وفتح اول مجلس للامة في ٧ تشرين الاول ١٩٠٦ .

والمراحم السماوية وتحت توجيهات الهادي العالي الشأن حضرة صاحب الزمان (روحنا فداء) : ان قوانين المجلس المذكور على الشكل الذي ذكرتموه هي قوانين مقدسة ومحترمة وهي فرض على جميع المسلمين أن يقبلوا هذه القوانين وينفذوها • وعليه نكرر قولنا : ان الاقدام على مقاومة المجلس العالي بمنزلة الاقدام على مقاومة أحكام الدين الحنيف • فواجب المسلمين أن يقفوا دون أي حركة ضد المجلس • أ ه •

التوقيع كاظم الخراساني

وذكر الاستاذ كمال الدين أن المؤلف الذي نقل عن كتابه الاستفتاء وجوابه السالفي الذكر قد أشار الى أن توقيع هذا المجتهد (كاظم الخراساني) كان بتوكيل وقرار من المجتهدين ولم يشذ منهم غير واحد وهو السيد كاظم اليزدي • وقد أورد قائمة بأسماء من عرفه منهم وشاهده^(١) وهم : (١) الشيخ كاظم الخراساني (٢) الشيخ محمد تقوي الشيرازي (٣) الشيخ عبدالله المازندراني (٤) مرزا حسين الشيخ خليل (٥) شيخ الشريعة (٦) السيد مصطفى الكاشاني (٧) السيد علي الداماد (٨) الشيخ عبدالهادي شليلة البغدادي (٩) الشيخ حسين النائيني (١٠) الشيخ محمد حسين القميشي • (١١) السيد مصطفى النقشواني • ولقد وردت تراجم وافية لمعظم هؤلاء المجتهدين في مظانها^(٢) •

ويظهر أن العلماء قد أيدوا حركة الدستور لا في ايران حسب ، بل في البلاد العثمانية أيضا • فعندما أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ « أرسل أولئك المجتهدون ، بوكالة المجتهد الشيخ كاظم الخراساني ، برقية الى عبدالحميد في الاستانة يفتون فيها بوجوب تنفيذ الدستور »^(٣) •

(١) التطور الفكري في العراق ، ص ٢٤ •

(٢) محبوبية ، جعفر ، ماضي النجف وحاضره ، ج ١ ، صيدا ،

١٣٥٣ ، ص ص ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٣ ، ٢٨٠ •

(٣) كمال الدين ، محمد علي ، ن ٠ م ، ص ٢٧ •

وقد استمر العلماء على مواكبة الحركة الدستورية وأظهروا تأييدهم لها في كثير من المناسبات . فعندما خلع الشاه محمد علي الذي كان معارضا للدستور وأقيم مقامه أحمد مرزا ، احتفل العلماء احتفالا عظيما بهذه المناسبة في الثاني من رجب سنة ١٣٢٧هـ ، واشترك في هذا الاحتفال العثمانيون والایرانيون^(١) .

وقد تقوم هذه الحادثة دليلا على مدى تأثير حركة الدستور الإيرانية في ايقاظ كثير من العراقيين ، لان تأييد العلماء لها جعل الناس يعتقدون بأن فكرة قيام حكومة دستورية حديثة لا تتعارض مع تعاليم الاسلام . يضاف الى ذلك ان اشتراك عدد من العراقيين بمناسبات كهذه يدل على ان حركة الدستور بدأت تربح مؤيدين من الاوساط الشعبية .

ويظهر أن تأثير حركة الدستور الإيرانية لم يكن مقتصرًا على اوساط العتبات المقدسة ، بل تعداها الى بغداد . فنجد جريدة « الرقيب » البغدادية مثلا تراقب حركة الاحرار في ايران وتشر اخبار كفاحهم مع حكومتهم بلهجة تتم عن التأييد . ومن ذلك ما نشرته تحت عنوان « حوادث ايران » من أن الاحرار في ايران أبرقوا بتاريخ ٢٠ آذار ١٩٠٩م الموافق ٢٧ صفر ١٣٢٧هـ « لحضرات حجج الاسلام الخراساني [محمد كاظم] والمازندراني [الشيخ عبدالله] في النجف الاشرف . . . » يخبرونهم بانتصاراتهم على جيش الحكومة ، ويعلمونهم أن الغلبة كانت « للاحرار وقد قتلوا . . . جملة من العساكر وأخذوا منهم عدة أسارى بعد اندحارهم . . . وقد أعطت هذه البشارة روحا جديدا للاحرار الإيرانيين »^(٢) .

(١) محبوبية ، جعفر ، ن . م ، ص ٩٣ .

(٢) السنة الاولى ، العدد (١٠) ١٠ ربيع الاول - ١٣٢٧ هـ -

١ نيسان ١٩٠٩ .

وفي مناسبة أخرى تقول جريدة « الرقيب » تحت عنوان « ما كربلاء؟ وما بغداد؟ » •

« ان السيد أكبر شاه الايراني - المعين لحزب الاستبداد - الذي كان مبعدا من ايران وجاء للعتبات الشريفة وسكن كربلاء وبناء على خطبه ووعظه ضد المشروطية ، وان ذلك مخالف لمبادئ بلادنا الحرة المشروطة اخرج من كربلاء ... ولكنه ... جاء الى الكاظمية فلا ندري هل تحويله من كربلاء الى الكاظمية بدل طبعه وميله لجهة حزب شاه ايران الذي هو ضد المشروطية ؟ ... ولا ندري هل ما لا يجوز التفوه به في كربلاء يجوز اعلانه في الكاظمية ؟ ... ونوجه لذلك أنظار من يهمهم اشراب قلوب الاهالي عموما حب الحرية والمساواة وبغض الاستبداد والعداوات ... يا عجباً هل يخطر على فكره وجود حدث في الاسلام أشد وأقوى ، وأضر ، وأهلك على الامة من تفريق الكلمة واعادتهم بعد ان وقفهم الله للخروج من ظلمات الجور والاستبداد الى نور العدالة والحرية والمساواة اليها ... » (١) •

أما تأثير الانقلاب الدستوري العثماني سنة ١٩٠٨ في حركة التحرر العراقية فكان عميقاً ومباشراً • ومن الجدير بالذكر ان محمود شوكت باشا رئيس وزراء الدولة العثمانية وبطل الدستور عام ١٩٠٨ ينتمي الى عائلة عراقية شهيرة (٢) • وقد ظهر تأثير الانقلاب الدستوري العثماني في نواحي متعددة أهمها : أولاً - قيام حركة صحفية ، قوية ومتنورة في الغالب ، على أثر اعلان الدستور • وقد أسهمت الصحافة ، كما بينا

(١) العدد (١١) السنة الاولى ، ١٤ ربيع الاول سنة ١٣٢٧ -

٥ نيسان ١٩٠٩ •

(٢) هو أحد رجال المؤرخ العراقي الشهيد سليمان فائق ، المتوفى

١٨٩٦ وأخ السيد حكمت سليمان أحد رؤساء الوزارات العراقية •

سابقا ، بتوسيع دائرة المتعلمين في البلاد ، كما ساعدت على نشاط
الوعي السياسي فيها •

ثانيا - سهل الانقلاب الدستوري العثماني قيام عدد من الجمعيات
والاحزاب السياسية العربية والعراقية أسهمت في الحركة التحررية ، كما
أسرنا الى ذلك سابقا •

ثالثا - أفسحت حركة الدستور العثماني المجال الى عدد من العراقيين
للاسهام في ادارة شؤون الدولة العثمانية كنواب في « مجلس المبعوثان »
العثماني وكضباط في الجيش العثماني وغير ذلك • وقد أسهم هؤلاء في
الحركة التحررية كما أسلفنا •

رابعا - ساعد الانقلاب الدستوري العثماني على تيسير اتصال العراق
بالعالم الخارجي عن طريق الصحافة والمطبوعات والسفر بينما كان ذلك
محدودا أو منعدما في عهد حكومة عبدالحميد الاستبدادية •

وبعد هذا نقول يظهر ان تأثير الحركتين الدستوريتين الايرانية
والعثمانية قد أخذ يتغلغل في أوساط جماهير المدن الرئيسة في العراق
كبغداد والبصرة والعتبات المقدسة ، ولعل تبني رجال الدين لحركة
الدستور في هذا الدور من تاريخ العراق كان السبب الاول في ذلك •
وليس غريبا أن نرى « مجلة العلم » النجفية تنشر ورود سؤال « في
ثامن شهر محرم الحرام سنة ١٣٢٨هـ من بلاد سورية الى النجف
الاشرف الى حضرة حجة الاسلام شيخ المجتهدين الاعلام ناشر الوية
العدل والدستور الباذل قواه في حفظ الثغور العلامة الرباني المولى محمد
كازم الخراساني ... »^(١) •

وليس غريبا أيضا ان أكد العلماء علانية على وجوب تنفيذ الدستور

(١) السنة الاولى ، ١٤ ، ج ١ ، ٢٩ ، مارت ١٩١٠ ، ص ١٤ •

« وأعلنوا فتاواهم وأخذت صورها (بالفوتو) ونشرت وأصبحت اجتماعاتهم في النجف وتظاهراتهم تقام في الصحن الشريف والجوامع والمدارس علنية بعد ما كانت أشبه بالسرية وعم النقاش والجدل معظم أنحاء العراق بين مقلدي أولئك المجتهدين فكانت مدرسة شعية كبرى استعرضت فيها جميع النظريات في شكل الحكم واتجتت وعيا عاما في العراق . وبالاخص العتبات المقدسة » (١) .

ويبدو أن الناس ، بما فيهم العلماء ، قد انقسموا ، في ذلك الدور من تاريخ العراق ، حيال المفاضلة بين الحكم الدستوري والاستبدادي السى فريقين : أحدهما مؤيد للحكم الدستوري وثانيهما معارض له . ويظهر ان هذا الجدل قد تعدى دوائر المثقفين وانتقل أحيانا الى الاوساط الشعبية . وقد نشرت جريدة « الرقيب » البغدادية مقالا تحت عنوان « الاحرار وحزب التقهقر في كربلاء » جاء فيه « ان من أعظم ما ابتشر به الاحرار الايرانيون والعثمانيون في كربلاء هو وصول الشيخ جواد ... وغص الجامع بأهله لاستماع خطبه المؤثرة فذكر بمناسبة الحال ما أمر به النبي (ص) من اجراء العدل والمساواة والمؤاساة ... وقال ان الحسين (رض) لم يقتل الا بسيف الاستبداد فعارضه أحد أركان المستبدين في كربلاء ولم يجسر على القيام والتفوه بكلمة (لانه أحقر من ذلك) بل كان مساقا من جماعته وحزبه الذين (يريدون ليطفئوا نور الله) فقال من حضرة الشيخ وئله وهاج عوته ولولا حضور وكيل المتصرف ... [لحصل ما لا تحمد عقباه] ... ورغمما عن أركان حزب التقهقر التمسوا من حضرة الخطيب الحضور في اليوم التالي وأحاطوا به احاطة الهائلة بالقمر ... فرمى الله بالذل والخزي أولئك الاضداد لكل فضيلة وعند ذلك تهلكت وجوه

(١) كمال الدين ، محمد علي ، ن ٠ م ، ص ٢٧ .

الاحرار ... وتكلم الخطيب بما خطر له من مدح العدل وقدح الظلم
والثناء على الاحرار والظعن في المستبدين الاشرار فلم يستطع من أولئك
الظلمة أحد أن يفوه بكلمة ... (١)



(١) السنة الاولى ، العدد (١٠) ١٠ ربيع الاول ١٣٢٧ ، ١ نيسان

الفصل الثالث

الاحتلال الانكليزي للعراق

ان الاسباب التي دفعت بريطانيا لاحتلال هذه البلاد متعددة أهمها :
أولا - المصالح الاقتصادية - كان لبريطانية مصالح تجارية في هذه البلاد يرجع وجود بعضها الى ما قبل القرن التاسع عشر ، وقد سبق أن أشرنا الى نمو هذه المصالح في الفصل الاول من هذا الكتاب . وقد ازدادت في بداية هذا القرن ، أهمية هذه البلاد الاقتصادية في نظر العالم بما فيه بريطانيا . اذ أن وجود منابع غزيرة للنفط في ولايتي الموصل وبغداد قد أثار اهتماما عالميا في ذلك الحين ^(١) . يضاف الى ذلك ما أثاره تقرير وليم ولكوكس عن مشاريع الري في العراق ، وما ينتج عن انجازها من مستقبل زراعي زاهر ، من اهتمام حول أهمية العراق الاقتصادية في المستقبل . وقد كتب ولكوكس في ١٩٠٩ « يبشر العثمانيين بيوم يفيض النضار عليهم فيه كالانهار » . وقال : « انه اذا عملت الحكومة ما أشار به في تقريره من أعمال الري وأنفقت مليونين و٢٠٠ ألف جنيه لمد السكة الحديد من بغداد الى دمشق عادت بلاد ما بين النهرين الى سابق عزاها ومجدها » ^(٢) .

ثانيا - المصالح السياسية والضرورات العسكرية . كانت سياسة بريطانيا تقوم على عمل كل ما من شأنه أن يحفظ مصالح امبراطوريتها في الشرق وخاصة الهند . فعملت جادة ، في وجه المنافسة البرتغالية والهولندية والفرنسية ، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، من

Longrigg, Op. cit, p. 65.

(١)

(٢) « صدى بابل » ، العدد ١٨ ، السنة الاولى ، ١٣٢٧ هـ ، ١٠

كانون الثاني ، ١٩٠٩ م .

أجل السيطرة على الطرق البحرية الموصلة للهند • وقد ازداد اهتمام بريطانيا في هذه الناحية بعد ظهور منافستين بريتين^(١) قويتين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهما ألمانيا^(٢) وروسيا ، لا سيما ان كلتا الدولتين كانتا تعملان للحصول على قواعد في نهاية الخليج العربي الشمالية • وقد أظهرت ألمانيا اهتمامها في منافسة بريطانيا في هذه المنطقة ، عندما شرعت ببناء سكة حديد بغداد ، ثم عملت على مدها الى سواحل الخليج العربي في بداية هذا القرن • وروسيا هي الاخرى أظهرت نياتها التوسعية في هذه المنطقة حين « اتضح أن القنصل الروسي في بغداد كان يعمل للحصول على ميناء وقاعدة بحرية على الخليج العربي ، وان شركة مساوية روسية تقدمت ١٨٩٨ بطلب للحكومة العثمانية بانشاء سكة حديد من طرابلس ، في سورية الى الكويت »^(٣) •

وكان من نتيجة هذه الفعاليات أن صرح اللورد كرزون Curzon حاكم الهند سنة ١٨٩٢ « بأنه يعد سماح أية دولة لروسيا بأن تنشأ ميناء على الخليج الفارسي اهانة لبريطانية وتغيرا للاوضاع القائمة هناك ، وسيبا لقيام حرب عالمية »^(٤) • يضاف الى ذلك ان الحكومة البريطانية عقدت

(١) أن تفوق بريطانيا البحري جعلها تنظر لمنافساتها من الدول البرية باهتمام أكبر من منافساتها من الدول البحرية •

(٢) كانت ألمانيا في بداية هذا القرن تعمل على منافسة انكلترا في العراق وسواحل الخليج العربي • وقد حصلت في سنة ١٨٩٩ على امتياز تمديد سكة حديد برلين - بغداد الى بغداد ثم الى سواحل الخليج العربي • وكانت انكلترا تراقب هذه الفعاليات بقلق نظرا لما لألمانيا من الرغبة في التوسع سياسيا واقتصاديا في هذه المناطق • وقد ظهرت نيات ألمانيا واضحة في تأسيسها لشركة « ونكهاوز » لغرض القيام بأعمال تجارية هناك • يضاف الى ذلك انها فتحت لها قنصلية في بندر بوشهر بالرغم من أن الرعايا الألمان في تلك المدينة لا يزيدون على ستة أشخاص •

Kirk, Op. cit, p. 89.

(٣)

Ibid, 88.

(٤)

اتفاقا سريريا سنة ١٨٩٨ مع مبارك شيخ الكويت^(١) تعهد بموجبه ألا يؤجر أرضا أو يمنح امتيازاً لاي أحد الا بموافقة بريطانية^(٢) .

وفضلا عن ذلك كان لبريطانية مطامع اقليمية في العراق . اذ كانت تنوي اقتطاع القسم الجنوبي من هذه البلاد وربطه في الهند^(٣) . وقد ظهرت رغبة بريطانية في احتلال العراق قبل الحرب اذ « أن أمر احتلال الفاو والبصرة من الهند لم يكن مشروعا جديدا ، اذ كانت قد اقترحتة ، رسميا ، لجنة خاصة ألفت لهذا الغرض في الخامس عشر من كانون الثاني ١٩١٢ من أجل تعزيز مركز بريطانية في بلاد العرب التركية أمام الموقف العدائي الذي كان يبديه الموظفون الاتراك »^(٤) .

ثالثا - الاسباب الناشئة عن انضمام تركيا الى المانيا في الحرب العالمية الاولى . ويمكن أن نقسم هذه الاسباب الى صنفين : أ - حماية المصالح البريطانية وتأييد أصدقائها في رأس الخليج العربي . كان الاتراك في هذا الدور قد أظهروا عداؤهم لبريطانية دون أن يكونوا في حرب معها . وقد ذهب ممثلوهم وممثلو الالمان الى ايران ليثيروا شعور الايرانيين ضد بريطانيا ، وحتى شيخ المحمرة كان هدفا لدعاوتهم . وكانت بريطانية تخشى أن يستولي الاتراك على نهاية الخليج العربي وبذا يضعفون النفوذ الانكليزي هناك ، وحينئذ تفقد بريطانيا حلفاءها من الشيوخ ، وخاصة شيخي الكويت والمحمرة . يضاف الى ذلك أن بريطانية كانت تعتقد أن

(١) كان الكويت في ذلك العهد قائممقامية تابعة للبصرة ولم يكن له صفة دولية حتى يصح التعاقد مع أميره على اعتباره خاضعا لسيادة السلطان ولكن خوف بريطانية من أن يصبح الكويت ميناء روسيا أو نهاية لخط حديد بغداد جعلها تثبت علاقاتها مع أمير الكويت .

Kirk, p. 89.

(٢)

Ibid, p. 127.

(٣)

(٤) آيرلند ، فيليب ويلارد ، العراق ، بيروت ، ١٩٤٩ ، ص ٢ .

صداقتها مع ابن السعود مهددة ، الى حد ما ، بالخطر^(١) .

ب - حماية آبار النفط في عربستان من بلاد ايران : يظهر أن حماية النفط في هذه المنطقة كانت ثانوية ، كما يعتقد آيرلند ، إذ أن وزير الهند كتب في رسالة خصوصية الى نائب الملك في الهند بعد أن صدرت الاوامر للحملة الانكليزية بالتوجه الى العراق يقول : « كنت أعتبر على الدوام بأن أهم ما نستهدفه من ارسال الحملة هو التأثير المعنوي على شيوخ العرب ، أما حماية منابع النفط فقد كانت شيئاً ثانوياً عندي من بين الاعتبارات الاخرى »^(٢) .

ج - الخوف من اعلان الجهاد ضد بريطانية : كان خوف بريطانية ، من أن الاتراك ، بالتعاون مع الالمان ، يستطيعون أن ينظموا حركة جهاد تمتد من بلاد العرب الى السند ضدها ، من بين الاسباب الرئيسة التي جعلتها ترسل حملة لفتح العراق^(٣) . وقد تم ارسال الحملة بالرغم من معارضة حكومة الهند في أول الامر ، لاسباب عسكرية ، ولانها كانت تخشى أن تؤدي مبادءها لتركية وخليفة المسلمين بالعدوان ، الى اثاره حفيظة المسلمين الهنود^(٤) .

وقد اتخذ دعاة حركة الجهاد من ايران مسرحاً رئيساً لفعاليتهم ، فانتشروا في معظم أنحاء البلاد ونظموا عصابات كان من نتيجة فعاليتها أن اضطرت بعض القناصل الروس والانكليز في ايران الى ترك مراكزهم . ثم بذلت جهود لحمل ايران على الدخول في الحرب بجانب المانية وتركيا .

Longrigg, Op. cit, p. 77.

(١)

(٢) العراق ، ص ٤ .

Moberly, F. J., The Campaign in Mesopotamia Vol 2, (٣)
London, 1924, p. 1.

(٤) آيرلند ، ن ٣٠ م ، ص ٢-٣ .

يضاف الى ذلك أن بعثة تركية المانية ارسلت لاقناع أمير الأفغان على الدخول في الحرب ومهاجمة الهند ، ولكن الامير الافغاني كان مترددا ، بالرغم من ان المتطرفين من شعبه كانوا يضغطون عليه لاعلان الجهاد . أما في جزيرة العرب فان تأثير حركة الجهاد كان ضئيلا ، ورغم ذلك فقد استطاع مثيرو هذه الحركة أن يخلقوا لبريطانية بعض المتاعب^(١) . أما داخل العراق فقد أسفرت حركة الجهاد عن بعض النجاح .

هذه هي أهم الأسباب التي دفعت بريطانيا لارسال حملة لاحتلال البصرة بقيادة الجنرال « دلامين » « W. S. Delamain » فبلغت هذه الحملة قرية « الفاو » في ٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ واستولت عليها بسهولة . ثم ترك دلامين سرية في الفاو وركب النهر بمعظم قواته متوجها نحو (عبادان) لحماية مؤسسات النفط فأنزل قواته في منطقة (سنية) بدون مقاومة من الترك^(٢) . وما كان قائد القوات العثمانية في البصرة على علم بسقوط (الفاو) بأيدي الانكليز ، ولولا أن يخبره الموظفون الملكيون الذين تركوا هذه القرية فارين الى البصرة ، لما اطلع على هذا النبأ المحزن الا بعد وقت طويل وفي ايراد هذه الحقيقة ما يدل على عدم استعداد الاتراك للطوارئ ، وضعف دائرة الاستخبارات ودوائرهم العسكرية^(٣) . وصحب هذه الحملة السربرسي كوكس Percy Cox كأكبر ضابط سياسي . وعند دخول البريطانيين العراق أعلن كوكس أن الحكومة البريطانية لم تكن في حرب مع سكان ضفاف النهر (شط العرب) العرب طالما ابتعدوا عن القيام بأعمال عدوانية ، وان عدااء الاتراك اضطر بريطانيا لاتخاذ هذه الخطوة

Moberly, Op. cit, p. 2.

(١)

(٢) العمري ، محمد أمين ، تاريخ حرب العراق ، ج ١ ، بغداد ،

١٩٣٥ ، ص ١٠ .

(٣) الحسين ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، ج ١ ، صيدا ،

١٩٣٥ ، ص ١١ .

لتحمي أصدقاءها وتحفظ مصالحها^(١) . وبعد أن اشتبك الترك مع الانكليز بمعارك عديدة^(٢) تمكن الانكليز من دحرهم واحتلال البصرة في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٤^(٣) . وبدخول الانكليز البصرة يكونون قد احتلوا ثغر العراق الوحيد وقبضوا على مفتاح الخليج العربي واستولوا على مدينة تبلغ تجارتها السنوية ستة ملايين دينار^(٤) . وقد أذاع « كوكس » بهذه المناسبة بيانا على السكان قال فيه : « لقد احتل الانكليز البصرة ، ومع هذا فليس لنا عداء ... مع السكان واني أعدكم بمستقبل ملؤه الحرية والعدالة »^(٥) . وقد غنم الانكليز ، فيما غنموا في البصرة ، مخزنا لسكة حديد بغداد - البصرة ، التي كان في نية الالمان ايصالها الى هاتين المدينتين . فاستفادوا مما فيه من مواد فائدة عظيمة في مد سكك الحديد بين البصرة والقرنة وبين الاخيرة والعمارة وبين بغداد والكوت^(٦) .

وبعد ان احتل الانكليز البصرة انسحب أحد قواد الاتراك « صبحي بك » الى القرنة وانسحب « عادل بك » الى الناصرية . ويمكن أن يستتج الباحث من السهولة التي تم فيها احتلال البصرة أن الاتراك لم يكونوا مستعدين للدفاع عن العراق حينذاك ، وان القيادة العامة في تركيا لم تكن على علم تام بما كان ينويه الانكليز تجاه هذه البلاد . ومن الأدلة على ذلك ان القيادة التركية جردت العراق من القوات النظامية سوى فرقة

(١) Longrigg, Op. cit, p. 78.

(٢) وردت تفصيلات عن الحروب بين العثمانيين والانكليز في : Moberly, Op. cit, Vols, 1, 2 & 3.

(٣) العمري ، ن.م ، ج ١ ، ص ١١ .

(٤) الحسين ، ن.م ، ص ١٣ .

(٥) Wilson, Op. cit, p. 11

(٦) الحسين ، ن.م ، ص ١٣ .

واحدة في البصرة ، كان في نيتها أن تسحبها لولا التماسات والي بغداد^(١) .
يضاف الى ذلك أن تركيا لم تحتفظ باسطول قادر على تأمين سيطرتها على
سواحل الخليج ، بل كانت السيادة البحرية هناك لانكلترا . وبعد أن
فتح الانكليز المناطق المجاورة لمدينة البصرة تقدموا نحو « القرنه »
واحتلوها وبذا سيطروا على دلتا دجلة والفرات وسهل عليهم استعمال
شط العرب للملاحه . واستولوا على منطقة المزارع الغنية الواقعة بين
القرنه والبحر ، كما مكنتهم احتلالها من حماية بلاد عربستان الفارسيه من
غارات الاتراك وأخيرا كان لاحتلال هذه المنطقه تأثير أدبي في نفوس
القبائل العراقيه .

وفي ٤ شباط ١٩١٥ زار اللورد « هاردنك » ، حاكم الهند ، البلاد
التي تم للجيش البريطاني فتحها ، ومما قاله في هذه المناسبه : « ان الاحتلال
الانكليزي أثار مسائل تقتضي حلا سريعا ، وقد جئت الى هنا لارى الاحوال
المحليه بعيني ولا نستطيع رسم خطط المستقبل من غير أن تبادل
الآراء مع بقية الدول الكبرى ، ولكنني اؤكد لكم أن المستقبل يجلب لكم
عهدا أفضل من ذي قبل »^(٢) .

أما الاتراك فانهم أعادوا النظر في تنظيم قواتهم النظامية في العراق
وأوكلوا قيادتها الى « سليمان عسكري بك » . يضاف الى ذلك انهم عملوا
ما بوسعهم لكسب تأييد العراقيين لهم في حربهم مع الانكليز وذلك عن
طريق اعلان الجهاد المقدس فكان لهم ما أرادوا .

وأفتى معظم العلماء من السنة والشيعة بوجوب الجهاد لدفع الضرر
عن المسلمين ورأوا أن تعزيز موقف العثمانيين المسلمين تجاه الانكليز غير
المسلمين أمر لا مناص منه حسبما تقتضيه أحكام الشريعة الاسلاميه .

(١) الحسيني ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، ج ١ ، ص

١٠ - ١١ .

(٢) الحسيني ، ن ٠ م ، ص ١٦ .

ولعل أهم العوامل التي ساعدت على نجاح حركة الجهاد في العراق خلال هذا الدور هي :

أ - ضعف الوعي الوطني في العراق حينذاك ويعود ذلك الى عوامل متعددة ، وقد سبق أن بحثنا بعض هذه العوامل في الفصل الثاني من هذا الكتاب فلا ضرورة للتكرار . يضاف الى ذلك أن المثقفين في العراق ، وان كانوا على علم بما أحرزته حركة الوعي القومي العربي في سورية والحجاز من تقدم خلال الحرب العالمية الاولى ، لم يستطيعوا ايصال هذه الافكار الى الجمهور وكسبه لتأييدها . وكان موقف الانكليز ، ممثلا بحكومة الهند ، مناوئا لبث الشعور القومي في العراق خلال الحرب ، لذا عملوا على عزل العراق عن حركة الوعي العربي في البلدان العربية الاخرى ، هذا في الوقت الذي كانوا يباركون هذا الوعي ويشجعونه في غير العراق رغبة في دعم موقف حليفهم الشريف حسين . ومما يؤيد موقف الانكليز هذا « أن حكومة الهند لم تبذل الا قليلا من الجهد ، عدى جهودها مع ابن السعود ، في اقناع العرب لحمل السلاح ضد الاتراك »^(١) . ويقول لورنس « ان ثورة الحسين لم تنجح في اثارة السكان المدنيين ... في العراق ، ويعزى ذلك الى الموقف غير الودي الذي وقفته السلطات العسكرية في الهند من هذه الحركة ، وقد عمدت هذه السلطات الى اخفاء أو تصغير أخبار نجاح الثورة . وكان هدفها من ذلك اخماد روح الاستقلال بين السكان العرب المحليين » . وعندما ارسل لورنس الى العراق سنة ١٩١٦ لكي يدرس احتمال قيام العراقيين بالثورة ضد الاتراك ، وجد أن السلطات البريطانية المحلية تعارض في ذلك^(٢) .

(١) آيرلند ، ن.م ، ص ٦٦ .

Lawrence, T.E, Seven Pillars of Wisdom, New york, (٢)

1938, p. 60.

ب - كان المثقفون المشتغلون بالسياسة أقلية ضئيلة ينقصها التنظيم الحزبي الذي هو ضروري لكل فعالية سياسية ناجحة ، كما تنقصها الصحافة الموجهة ووسائل الاتصال الأخرى بالرأي العام ، لذا لم تستطع هذه الفئة أن توجه سياسة البلاد توجيها صحيحا . وكان من نتيجة ذلك ان نحيت هذه الجماعة عن العمل السياسي ، الذي هو من صميم اختصاصها ، وتركته الى طبقة الروحانيين الذين لا يجيدون فن السياسة في الغالب فوجهوا جهود العراقيين في هذه الحركة الى جهة لم تعد عليهم بفائدة كبيرة .

ج - كان لدعاوة العثمانيين وتقربهم من رجال الدين أثر كبير في التأثير في عواطفهم وحملهم على توجيه الرأي العام المتأثر بالعواطف الدينية حينذاك ، نحو مصلحة العثمانيين التي كان من مقتضياتها أن يحمل العراقيون السلاح في وجه الانكليز في حركة لا تعود عليهم بفائدة كبيرة . ويعود اهتمام العثمانيين في ايجاد الدور السياسي الديني في العراق الى حركة الجامعة الاسلامية التي تبناها السلطان عبدالحميد . وبعد أن نشر الدستور « أخذ المرخصون من مركز جمعية الاتحاد والترقي يترددون بين الاستانة والنجف وبين بغداد والنجف وهكذا بعض ولاة الاتحاديين كأحمد جمال باشا [١٣٢٨هـ] وبعض المتصرفين كصائب بك وحمزة بك وغيرهم من الذين يترددون على النجف ويديرون بعض المناورات السياسية »^(١) . وبالرغم من أن هدف ساسة العثمانيين من وراء الدعوة للجهاد كان سياسيا ، نجد بعض الاعلام المجتهدين ، مدفوعين بعقيدتهم الدينية يعيرون هذه الحركة اهتماما كبيرا . وقد كان من بين هؤلاء المرحوم الشيخ مهدي الخالصي الذي نشر رسالة عنوانها « الحسام البتار في جهاد الكفار »^(٢) .

(١) الشرقي ، الشيخ علي ، « النوادي العراقية » النهضة العراقية ، العدد (٢٥) ٥ تشرين الاول ، ١٩٢٧ ، ٨ ربيع الثاني ، ١٣٤٦هـ .
(٢) نشرت هذه الرسالة في جريدة « صدى الاسلام » البغدادية بأعداد متسلسلة ، وقد أورد محرر الجريدة بتاريخ ٣ ذي القعدة سنة =

ومن الاسباب التي يوردها الخالصى عن وجوب الجهاد ما تضمنه معنى الآية الكريمة (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) ، « مضافا الى أن الخراج في الاراضي الخراجية للمسلمين فيجب على الوالي الدفع عنه وحفظه عن استيلاء الكافر عليه وانفاقه في مصالح المسلمين »^(١) . وقد عثرت على وصف لاجتماع عقد لتحريض الناس على الجهاد أورد ملخصه هنا ليظهر لك مدى اهتمام الناس بهذه الحركة حينئذ . يقول محرر « صدى الاسلام » : « لم تكن نظن أن أحدا بقي في تلك الاصقاع لم يحضر لكننا لما شارفنا مسجد الكوفة ألقينا جملة من العشائر والوفاء من الناس والفرسان قد حضروا لاستقبال راية أمير المؤمنين (ع)^(٢) والاستظلال بها لما مرت على مسجد الكوفة [كثرت الجموع] ثم أخذت العشائر والفرسان بالهوسات^(٣) والكل محتفون حول انسان رفعة المجد حضر صاحب السعادة الفريق الاول « محمد فاضل » باشا فتقدم المشار اليه ... الى مسجد مقام نبي الله يونس حيث تقام الحفلة » . ثم يستمر المحرر بحديثه فيقول : « ذكرنا كثرة الخلائق الواردة والمستقبلة وقد انظم البعض الى البعض فكان محشرا هائلا واجتماعا مدهشا يتقدم ذلك المحشر ثلثة من

= ١٣٣٣ هـ العدد (٤٤) نبذة عن هذه الرسالة وعن مؤلفها جاء فيها :
 « ألف العالم الورع والمجتهد المطاع حضرة الشيخ مهدي الخالصى من أكابر أئمة العلم والاجتهاد في العراق رسالة نفيسة دون فيها ما يتعلق بامور الجهاد وما يترتب على الامة الاسلامية من القيام بشروطه وقواعده وأركانه مما لم يسبق له نظير فرأينا أن ننشرها تباعا في جريدتنا » .

(١) الخالصى ، الشيخ مهدي ، « الجهاد » صدى الاسلام ، العدد ٤٩ ، ٩ ذي القعدة ، ١٣٣٣ هـ .

(٢) يقصد به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، لان الشيعة اذا اطلقوا كلمة أمير المؤمنين مجردة قصدوا بها عليا (ع) .

(٣) هوسوا بمعنى ركلوا الارض بأرجلهم أثناء الهيجان والتهيبه للحرب . ويطلق على هذه الحركة بالانكليزية "War-dance"

حجج الاسلام وكوكبة من المشايخ وزمرة من الاشراف» (١) .
وقد أفتى بالجهاد معظم علماء العصر (٢) « ولم يكتف العلماء بالفتيا فقط ، بل خاضوا تلك المعامع بانفسهم ووقفوا ووقوف الابطال وأبلوا بلاء حسنا وكان أشدهم جهادا وأكثرهم صبورا وجلادا المرحوم العلامة السيد محمد سعيد الجبوبي فإنه قاد جيشا جرارا الى جبهة الشيعية وكذلك العلامة الشهير شيخ الشريعة والعلامة السيد علي الداماد فان لهما مواقف مشهورة في حرب (القرنه) وما بعدها » (٣) . ويذكر الشيخ فريق ان السيد الجبوبي انفق أموالا طائلة لغرض الجهاد ولما قدم له ممثل الاتراك مالا يتولى انفاقه على المجاهدين رفض ذلك (٤) . وقد أخبرني السيد محمد سعيد كمال الدين الذي رافق حملة الجبوبي في طريقها من النجف الى الشيعية ان نفقات الجبوبي على الحملة كانت كبيرة الى حد انه اضطر الى رهن أملاكه الخاصة لينفق منها على المجاهدين . وكان الامام السيد مهدي الحيدري من بين العلماء الذين التحقوا بساحات الجهاد في

(١) صدى الاسلام ، ع ١١٤ ، ٢٨ محرم ، ١٣٣٤ هـ . وجاء في العدد (٥٦) من الجريدة سالفة الذكر المؤرخ ١٧ ذي القعدة ، ١٣٣٣ هـ ان اجتماعا مماثلا حصل في كربلاء عندما « اجتمع السادة والعلماء والموظفون والاشراف والاهلوفى كربلاء يتقدمهم حضرة صدر العلماء السيد اسماعيل وهو من أجلة المجتهدين . . . فسار بهم . . . الى صحن سيد الشهداء الامام الحسين (ع) وهناك تناول سيفا مرصعا تاريخيا من موقعه الخاص ، وكان محفوظا ومعلقا في القبة المباركة . . . وقال خذوا هذا السيف وقدموه الى حضرة القائد العام نور الدين بك » .

(٢) البازركان ، علي ، ن . م ، ص ٤٣ . ويخطا الاستاذ البازركان في ايراد اسم الشيخ كاظم الاخوند بين من أفتوا مع أن الاخوند توفي قبل اعلان الحرب بثلاث سنوات أي ١٩١١ م .

(٣) معجوبة ، جعفر ، ن . م ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .

(٤) الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، ج ١ ،

بغداد ، ص ٣٧ .

العمارة • وقد نجح المجاهدون الذين كان يقودهم في دحر الجيش البريطاني في معركة نهر « الروطة » في ٥ ربيع الاول سنة ١٣٣٣ هـ .

وقد أسفرت الدعوة للجهاد عن تجمع عدد من أهالي المدن والعشائر يتراوح بين ١٠ - ١٥ ألف مقاتل بينهم ١٥٠٠ مجاهد من الاكراد^(١) .

وقد توجه هؤلاء لمقاتلة الانكليز في « الشعبية » قرب البصرة^(٢) ، فهجموا في ٤ نيسان ١٩١٥ على المواقع الانكليزية المحصنة في الشعبية ووقعت معارك دامية في الشعبية وفي غابة « البرجسية » ، أبلى المجاهدون فيها بلاء حسنا .

وكانت للمجاهدين العراقيين مواقف مشهودة في جهات «صخرية» شمال « عران » وفي « مزيرعة » على الضفة اليمني من دجلة • كما اشتركوا في قتال الانكليز على أبواب الاهواز طلبا للتقدم على شط كارون لتهديد الانكليز في شط العرب • وقد اصطدمت الجموع العراقية بالجموع الانكليزية في أوائل شباط ١٩١٥ وربحوا في تلك المناورة التي اضطرت الانكليز الى التقهقر ولكن انسحاب الجيوش التركية في جبهة «صخرية» أثر في ذلك الموقف مما أدى الى انسحاب القوات المجاهدة^(٣) • وبالرغم

(١) الحسيني ، العراق دوري الاحتلال والانتداب ، ص ١٦-١٧ •
 وجاء في مجلة مرآة العراق ، ١٥ شباط ، ١٩١٩ ، ص ١٢ : ان عدد المجاهدين في الشعبية كان عشرة الاف مقاتل ، بينما الحسيني يجعل عددهم (١٣) ألفا • ومن الطبيعي أن يحصل هذا الاختلاف في تقدير العدد لانه لم يسجل هؤلاء المجاهدون بسجلات خاصة •

(٢) كان المجاهدون بقيادة ضياء بك ، وعهدت الى السيد محمد سعيد الحبوبى والشيخ عجمي السعدون والشيخ عبدالله الفالح رئاسة كل قسم من الاقسام الثلاثة التي انقسموا اليها • وكانت أغنية المجاهدين « بارض الشعبية باجر (بكرة) تفكته ايثور (يثور) » • وقد كان السيد هادي مكوطر ممن اشتهروا في حرب الشعبية فقال أحدهم بحقه « ثلثين الجنه الهادين » أي أن الله يعطيه ثلثي الجنة مكافأة له على عمله •

(٣) الشرقي ، علي ، النوادي العراقية ، النهضة العراقية ، ج ٢٢ ، ٢٨ ايلول ، ١٩٢٧ •

من قلة المؤن وسوء معاملة الضباط الأتراك للمجاهدين قدم هؤلاء مساعدة فعلية أكبرها القواد الأتراك^(١) .

وبعد هذا العرض الموجز لحركة الجهاد في العراق ، خلال هذا الدور ، وأسباب نجاحها ، نطرح السؤالين التاليين وهو : ما الفائدة التي جناها العراق من هذه الحركة ؟ وما تأثير حركة الجهاد هذه في تهيئة أفكار العراقيين للثورة على الإنكليز في سنة ١٩٢٠ ؟ وللإجابة على هذين السؤالين نقول: أن تدخل العلماء في حركة الجهاد وتأييدهم لها وضح موقفهم تجاه الإنكليز وجعلهم يعلنون ان امارة الكافر على المسلم غير جائزة وبذا أصبحوا ملزمين ، أدبيا على الأقل ، بالفتيا في وجوب قتال الإنكليز سواء كان ذلك باشتراك العراقيين مع الأتراك المسلمين أو بقتالهم للإنكليز بصورة منفردة كما حصل في ثورة العشرين . ولا شك ان توضيح موقف العلماء هذا أكسب حركة مقاومة الإنكليز قوة كبيرة ومهد الطريق للمثقفين بعد الحرب العالمية الاولى للاستفادة من هذه القوة واستعمالها في التأثير على الجمهور العراقي الذي كان مصيره ، في تلك الفترة ، بيد العلماء الذين كانوا قادة الحركة السياسية في العراق كما بنا سابقا . يضاف الى ذلك ان اشتراك جماعات كبيرة من العراقيين ، وخاصة أفراد القبائل ، في قتال الإنكليز وسفرهم الى البصرة ، واطلاعهم بصورة مباشرة على وسائل الحرب الحديثة ، وسع خبرتهم حول شؤون العالم الخارجي . وكانت هذه المشاركة بمثابة مدرسة عملية مكنت هذه القبائل من الامام ببعض القضايا العسكرية والسياسية التي جابهتهم ابان ثورة العشرين فيما بعد .

ومن الواضح ان الأتراك وقفوا ، بعد فشل حركة الجهاد عسكريا ، من العراقيين اخوانهم في الدين وزملائهم في الخنادق العسكرية في معارك

(١) الحسني ، ن٠م ، ص ١٦-١٧ .

« الشيعية » وغيرها ، موقفا مشينا فأهانوا رؤساءهم ونكلوا بكثير من أهالي المدن والعشائر •

وفي مرة قال أحمد بك أوراق ، أحد القواد الاتراك ، بحضور المجاهدين من العراقيين « اتنا لو فتحنا الشيعية والبصرة يبقى علينا واجب ثان وهو فتح العراق وخاصة الفرات أولا وعشائر شط دجلة ثانيا لانهم خونة » فأجابه الشيخ بدر الرميض رئيس بني مالك « أتم الخونة للإسلام ... و تحزبكم ضد العرب كاف لمصداق قولي وأتم بعد هذا أولى بالحرب والقتال ممن نحارب ولولا فتوى علمائنا لما وجدتمونا في هذه الساحات التي نقاتل فيها »^(١) . ويقول الشيخ جعفر محبوب « وبعد مرور شهر على حادثة الشيعية بعثت الحكومة العثمانية بعثا مؤلفا من ألف من المشاة والفرسان بقيادة (عزت) بك الى النجف للقبض على المنهزمين من الجندية وقائمقام النجف يومئذ (بهجت) بك وكان فظا غليظا سيء الادارة متهورا خرق السياسة معدوم الكياسة غير ملتزم بدين ولا يركن الى مذهب وقد ضغط على النجفيين حتى كاد أن يستأصل أموالهم بتحميلهم الضرائب الباهظة وساق الرجال وشردهم بلا جريمة وتعدى كثيرا على الاشراف ومس بعض الكرمات المقدسة ... »^(٢) .

وقد أثر هذا الموقف السيء من جانب الترك في نفوس كثير من العراقيين وجعلهم يعتقدون ان خلاص بلادهم من الترك لا يقل أهمية عن خلاصه من الانكليز ، وان قضية الرابطة الاسلامية ، كما فهمها الترك حينذاك ، قضية خاسرة ، وان الاتراك لم يكونوا جادين بالدعاوة لها ، وان أهدافهم ، وان أخفوها بستر الدين ، هي سياسة بالدرجة الاولى ولا صلة لها بالدين •

(١) فرعون ، فريق ، ن.م ، ج ١ ، ص ٣٩-٤٠ .

(٢) ماضي النجف وحاضرها ، ج ١ ، ٢٤٦-٤٧ .

ولا شك ان جلاء هذا الموقف لدى كثير من أفراد الجمهور العراقي
نزع القضية العراقية وشد من أزر المثقفين وجعلهم يستفيدون من فهم
جماعات كبيرة من الجمهور لنوايا الاتراك الحقيقية وذلك بأن وضحو
للجمهور ، الذي أخذ يصغي اليهم أكثر فأكثر ، ان موقفهم المناوئ تجاه
الاتراك ومقاومتهم لمشاريعهم في السابق ، لم تكن ناتجة عن تماهّل من
جانبهم في شؤون الدين أو رغبة في اضعاف شوكة الاسلام ، بل انما هو
ناجم عن سوء الحكم التركي الذي لا يتحقق في ظلّه مصلحة العراق بأي
حال من الاحوال .

وقد أخذ المثقفون يفكرون ، بعد سقوط البصرة بيد الانكليز وفشل
حركة الجهاد ، برسم الخطط للمستقبل لا سيما انهم اعتقدوا « ان الحكومة
العثمانية أدبرت أيامها وتلاشت في العراق ، وأخذ العراقيون^(١) يفكرون
في خسارتهم وربحهم من الحالة العسكرية والسياسية الموجودة في البلاد
... وكانت مؤامرات ومراجعات في « الشعبية » وتحت أنثالات البرجسية
كما كانت مواجهة ومناجزة حزبية هناك وهكذا كانت الحالة في « مزيرعة »
و « أبو عران » حول القرنة وفي « الشلوة » و « العلة » على أبواب الاهواز
وكرتت المؤامرات في الشطرة وفي الناصرية وفي الشامية وفي النجف وفي
كربلاء ولكن التريبة السياسية ضعيفة في نفوس العراقيين والحدق السياسي
قليل فلم تنجح أكثر الخطط السياسية التي وضعتها هذه المؤامرات ولم
تكن وحدة تامة بعد أن فقد المركز في البصرة وأبعد الزعيم السيد طالب
وكانت الافكار كلها متجهة اليه ... »^(٢) .

(١) لا نقر الكاتب على هذا التعميم لان الجمهور العراقي حينذاك
لم يبلغ من النضج السياسي ما يجعله يسهم بفعاليات سياسية كالتي
وصفها الكاتب .

(٢) الشرقي ، الشيخ علي ، « النوادي العراقية » النهضة
العراقية ، العدد (٢٢) ٢٨ ايلول ، ١٩٢٧ م ، ١ ربيع الثاني ١٣٤٦ هـ .

وما عاد المجاهدون من الشيعة حتى أخذت الحركة الرامية للتخلص من حكم الاتراك ، الذين كان نجمهم آخذاً بالافول ، تؤتي ثمارها في كثير من أنحاء العراق وقد تعد حركة النجف الاشرف التي حصلت بعد معارك « الشيعة » مباشرة ضد الترك تعبيرا عمليا لهذا الاتجاه . ويحدثنا المستر ونيكت "Wingate" عن هذه الحركة فيقول : « وعندما هزم الاتراك في بداية الحرب بمعركة الشيعة ، تلك المعركة التي أسهم بها عدد من النجفيين ، اهتبل النجفيون هذه الفرصة التي كانوا ينتظرونها منذ القديم . وكان الاتراك عارفين بما تيسر لهم النجف فأخذوا عدة احتياطات لتلافي هذا الوضع ، من بينها اعلان الاحكام العرفية في النجف ، وبالرغم من كل ذلك فقد استطاع كريم الحاج سعد أن يدخل البلدة مع (٣٠) من أعوانه خلال فتحة عملوها في سورها في نيسان ١٩١٥ . وقد تمكن المغيرون من أن يمحطروا الترك بوابل من الرصاص لمدة (٢٤) ساعة . وفي أثناء ذلك تدفقت المعونة من الخارج وهبت المدينة لمعاونة الثائرين . وقد وجد الترك أن الماء والطعام قد قطع عنهم ، وأنهم يواجهون عشرة آلاف مسلح لذا رأوا أن المقاومة نوع من العبث فسلموا بعد ثلاثة أيام . فأخذ الثوار أسلحتهم وسهلوا لهم الانسحاب عن طريق الكفل . وبقيت النجف منذ ذلك التاريخ حتى شهر آب سنة ١٩١٧ مستقلة استقلالاً تاماً تحت حكم شيوخ « الزقرت »^(١) و « الشمرت »^(٢) .

ومن الجدير بالذكر انه بالرغم من نمو الحركة المعادية للترك في

(١) الزقرت والشمرت طائفتان كانتا تسكنان النجف . وقد تكونتا حوالي سنة ١٢٢٨ للهجرة في عهد المجتهد الاكبر الشيخ جعفر الكبير . وقد أورد الشيخ جعفر محبوبه على الصفحة ٢٤٠ وما بعدها من الجزء الاول من كتابه الموسوم بـ « ماضي النجف وحاضرها » معلومات مفصلة عن هاتين العشيرتين العربيتين .

Reports, I, p. 68.

(٢)

كثير من أنحاء العراق ، خلال سنوات الحرب ، نجد كثيرا من العراقيين^(١) يستمرون على معاوتهم للترك في حربهم مع الانكليز حتى نهاية الحرب . ولعل ذلك يعود الى قوة العاطفة الدينية في نفوس الجمهور وبعض المثقفين من جهة ، والى ضعف الوعي الوطني في العراق من جهة أخرى . وبعد أن فشل الاتراك في صد الانكليز في منطقة البصرة انسحبت معظم قواتهم الى الكوت والناصرية وقد لاحقتهم القوات الانكليزية فاحتلت العمارة في ٧ حزيران ١٩١٥ ، والناصرية في ٢٥ تموز من السنة نفسها . ويقدر العمري^(٢) أسرى الاتراك في هذه المعارك بنحو (١٠٠٠) جندي و (١٥) مدفعا وقد أصبحت جبهة الانكليز بعد هذه الانتصارات تمتد من الناصرية الى العمارة فالاهواز^(٣) .

لقد أخذ الترك يتحصنون بعد ذلك في الكوت التي كانت ذات أهمية عسكرية في نظر الفريقين المتنازعين ، اذ باحتلالها تدخل ولاية البصرة بأسرها في قبضة الانكليز ، كما ان احتفاظ الاتراك بها يساعدهم على أن يشغلوا الانكليز في جبهتين هما جبهة العمارة والناصرية . وأخيرا تمكن الانكليز من احتلالها في ٢٨ ايلول ١٩١٥ وبذا أمنوا سيطرتهم على دجلة والفرات ونهر الغراف ، كما أسروا نحو (١٢٨٩) جنديا وغنموا (١٧) مدفعا من الترك^(٤) .

وكانت خطة بريطانية في أول الامر تنطوي على الاكتفاء باحتلال ولاية البصرة ولكن نجاح قواتها في احتلال هذه الولاية دون تقديم تضحيات

(١) لقد استمر الشيخ عجمي السعدون على معاونة الترك حتى نهاية الحرب ، وبعد الحرب انسحب معهم الى الاناضول واكتسب الجنسية التركية وتوفي هناك قبل سنتين .

(٢) حرب العراق ، ج ١ ، ص ١٣-١٤ .

(٣) الحسنی ، ن ٠ م ، ج ١ ، ص ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

(٤) العمري ، المصدر السابق ، ص ١٥ .

كبيرة ، جعل فكرة احتلال بغداد من الامور المقبولة لدى الاوساط البريطانية . وكان قائد القوات البريطانية في العراق الجنرال نيكسون "Nixon" من المؤيدين لفكرة احتلال هذه المدينة . وقد بين لحكومته ان احتلال بغداد ضروري لتهدأة الحالة في ايران ، وان له تأثيرا اديا في نفوس الشرقيين . وهو بعد ذلك لا يجرد الترك من مركز مهم للتجمع ، وقاعدة للتجهيزات العسكرية حسب ، بل انه يسهل على القوات البريطانية هزيمتهم عندما يهاجمونها عن طريق النهر من آسيا الصغرى أو من سورية . وقال الجنرال نيكسون ان احتلال بغداد سيفقد الاتراك بواخرهم النهرية ومؤنهم ويؤدي الى تقوية مركز بريطانيا حتى في حالة فشلها في حملة الدردنيل ، وأخيرا ان احتلال هذه المدينة سيجعل من الصعب جدا على تركيا أن تتصل بآفغانستان . وحينئذ يصعب عليها وعلى حلفائها الالمان أن يحرضوا الافغانين وقبائل الحدود الشمالية الغربية الهندية على الثورة ضد بريطانيا . وبالرغم من المصاعب العسكرية التي جابهت حكومة الهند وقله القوات المتوفرة لديها ، خول نيكسون في ٢٣ تشرين الاول سنة ١٩١٥ بالزحف على بغداد .

وكان للحالة العسكرية والسياسية في البلاد العربية الاخرى تأثيرها في وضع بريطانيا في العراق . وفي هذه الفترة بالذات كانت وزارة الخارجية البريطانية قلقة عن الوضع في مصر وكانت تخشى أن يهب العرب لمعاونة الترك ضد الانكليز . ونتيجة لذلك بدأت المفاوضات بين الشريف حسين والسلطات البريطانية هناك بالرغم من أن المستر شميرلن لم يكن مؤيدا لها بالكلية لان ما كانت تتوخاه ، كما يظهر ، لا ينسجم مع وجهات النظر السائدة في الهند والعراق^(١) .

Moberly, Op. cit, II, pp. 10—33.

(١)

معركة سلمان باك^(١) : كان الجنرال طاوزند "Townshend" يعتقد ، في ضوء خبرته الماضية عن ضعف مقاومة الترك ، ان قواته لن تجد صعوبة في احتلال بغداد . وكان أهم ما يشغله من الناحية العسكرية حينذاك صعوبة المواصلات وعدم كفاءة وسائل النقل وقتلتها من جهة ، واعداء العرب العراقيين للجيش الانكليزي الزاحف نحو بغداد من جهة أخرى .

وقد علم طاوزند ، قبيل وصوله سلمان باك ، أن القوات التركية ببغداد قد تلقت مددا من الاناضول وان الجنرال فون كولتز "Von der Golts" الالمانى قد توجه الى بغداد في (١٠) كانون الاول ١٩١٥ لتنظيم الدفاع التركي هناك . وقد أورد لنا موبرلي^(٢) "Moberly" معلومات متقنة ومفصلة عن تحصينات الاتراك وجهود قائدهم نورالدين في تهيئة وسائل الدفاع عن هذه المنطقة ، جديرة بالاطلاع عليها . وقد ربح الاتراك هذه المعركة وكبدوا الانكليز خسائر فادحة اذ خسروا (٤٠٥١١) قتيلاً في ٢٢ كانون الاول ١٩١٥ وهو اليوم الاول من أيام المعركة عدى خسائرهم في الايام التالية . وقد بلغت اصابات الاتراك (٦١٨٨) قتيلاً وهي تزيد على اصابات الانكليز بمجموعها بقليل . ويقول موبرلي ان الاتراك لم يسبق لهم أن حاربوا في العراق مثلما حاربوا في معركة سلمان باك ، والواقع انهم لم يحاولوا سابقاً أن يسترجعوا مركزاً فقدوه^(٣) .

(١) كان موقع سلمان باك ، قبل دفن الصحابي سلمان الفارسي فيه ، يعرف بالمداين عاصمة الفرس الساسانيين . ويوجد في سلمان باك طاق كسرى الذي يبلغ ارتفاعه (٩٥) قدماً . ومن الجدير بالذكر ان هذه المنطقة قد شهدت معارك تاريخية مشهورة خلال القرون الستة الاولى للميلاد . وقد استولى الرومان على المدائن او طيسفون مرارا خلال حروبهم مع الساسانيين . وفي سنة ٦٣٧م استولى العرب المسلمون عليها بعد أن دحروا الفرس في معركة القادسية .

Op. cit, II, pp. 62—108. (٢)

Ibid, 108. (٣)

وبعد معركة سلمان باك اعتقد الخبراء العسكريون أن وضع القوات البريطانية في العراق سيكون حرجا ، وان تراجع الانكليز في سلمان باك سيؤثر في علاقتهم مع العرب وفي وضعهم في ايران ، وان العرب قد يسبون للبريطانيين مضايقات في الناصرية على الفرات وفي عربستان^(١) .

حصار الكوت^(٢) :

لقد كان تراجع الانكليز من سلمان باك محفوفا بالمخاطر ولكنهم بعد لأي وصلوا الكوت فحاصروهم الاتراك فيها . ويقول طاووزند أن الاسباب التي دعت الى البقاء في الكوت هي ايقاف تقدم الجيش السادس التركي الذي كان لا يقل عن الجيوش الانكليزية كفاءة ، واحباط خطة فون كولتر الذي قيل انه جاء مع جماعة من الضباط الالمان ليقود الجيش التركي ويهاجم القوات البريطانية القليلة العدد ويخرجها من العراق ، وأخيرا أن بقاء طاووزند في الكوت سيهاأ الوقت الكافي للجنرال نيكسون لتنظيم الامدادات التي بدأت تدفق عليه^(٣) . وقد استمر حصار الكوت

Ibid, 129.

(١)

(٢) كانت بلدة الكوت الواقعة على دجلة حيث يتفرع نهر الغراف منه ، مكونة من (٦٥٠) بيتا وكوخا . وتتمتع الكوت بأهمية تجارية ، اذ كانت مركزا لنقل الحبوب التي يأتي معظمها من شط الغراف . ويخرج منها طريقان للقوافل يتجهان الى بغداد كما ترتبط بطرق للقوافل مع بدة ومندلي على حدود ايران . ويبلغ عدد سكان الكوت عند وضع الحصار عليها (٦٠٠٠) نسمة . وقد ذاق الكوت مرارة الحصار وأكل أهلها لحوم الخيل والبغال . ويقول موبرلي ، على الص ١٦٣ ، ج ٢ ، من كتابه سالف الذكر ، ان الجنرال طاووزند قد فكر في أن يخرج السكان العرب بأجمعهم من المدينة ، وعندما استشار السير كوكس قال له ان قضية كهذه تقررهما الاعتبارات العسكرية ولكنه يود أن يذكر الجنرال أن برد الشتاء سيؤدي الى هلاك النساء والاطفال بعد أن يقذفهم الى الصحراء . وقد عدل الجنرال طاووزند عن هذه الفكرة التي لا تقرها القوانين البشرية .

Moberly, Op. cit, 11, p. 159—160.

(٣)

حوالي خمسة أشهر أي انه بدأ في ٧ كانون الاول سنة ١٩١٥ وانتهى في ٢٩ نيسان سنة ١٩١٦ . وقد لاقى الفريقان المتنازعان مصاعب جمّة ، وذاق الانكليز المحاصرون ويلات الحصار فأكلوا لحوم الخيل وخلعوا أبواب وشبائك البيوت لاستعمالها في الوقود . وقد حصلت بينهم وبين الاتراك مفاوضات لرفع الحصار أظهر الانكليز خلالها استعدادهم لدفع مليون أو مليوني ليرة لخليل باشا قائد القوات التركية ولكنه امتنع عن قبول هذه الرشوة وأصر على التسليم بدون قيد أو شرط . ويقول موبرلي ان تسليم الكوت كان نهاية محزنة لمشروع كان الهدف منه احتلال بغداد ، وان خسائر البريطانيين منذ البداية حتى تسليم الكوت كانت كبيرة اذ بلغت (٤٠) ألفا بين قتيل وأسير ، وأخيرا ان تسليم الكوت كان ضربة قوية للمشرف البريطاني (١) .

وقد بقيت القوات التركية والانكليزية بعد تسليم الكوت هادئة ولم تتم بفعاليات عسكرية مهمة حتى نهاية سنة ١٩١٦ . ويعود ذلك الى أن كلا الفريقين كان منهوكا نتيجة للخسائر الجسيمة والمصاعب الجمّة التي صحت العمليات الحربية السابقة . فالانكليز لم يجدوا مبررا للقيام بهجوم ضعيف لا تتطلبه ظروفهم الجديدة ، كما ان الاتراك ، وان انجزوا هدفهم القريب باحتلال الكوت ، لم تكن قواتهم العاملة بالعراق كافية للقيام بهجوم . يضاف الى ذلك ان الروس أصبحوا يهددون بغداد وقد يتطلب ذلك تحويل معظم أو جميع قواتهم لهذا الغرض . وقد رأى البريطانيون ان انسحابهم الى الجنوب يؤدي الى تهديد القبائل العراقية لخطوط مواصلاتهم ، كما يكون تأثيره سيئا على الحالة العامة في ايران وافغانستان . يضاف الى ذلك ان احتفاظ الانكليز بمراكزهم على دجلة سيهدد مواصلات الاتراك اذا ما حاولوا الذهاب الى الحي كما يسهل مهمة

Ibid, 458.

(١)

الروس المتقدمين نحو بغداد • وقد أبلغت الحكومة البريطانية ممثلها في العراق ان سياستها في الوقت الحاضر دفاعية وانها لا تعلق أهمية على استرداد الكوت أو احتلال بغداد^(١) •

ويقول موبرلي ان احتلال الروس لراوندوز واقترابهم من خاتقين جعل الاتراك يهتمون للامر • وقد قيل ان أنور باشا جاء الى بغداد في مايس ١٩١٦ وقرر انه لا ينوي ايقاف الروس حسب ، بل سيحتل كرماشاه كخطوة لتنفيذ خطة الالمان والترك الرامية لاثارة القلاقل في ايران • وقد نصحه ضباط أترك وألمان بعدم جدوى هذه الخطة وان هجوما كهذا سيبدد قوة الاتراك وينهي موبرلي كلامه باعتقاده أن مجازفة الاتراك في ارسال قواتهم الى ايران كانت من الاسباب المهمة لضياح بغداد من أيديهم^(٢) •

ولا يهمنا هنا أن نبحت في تطور الحروب بين الاتراك وأعدائهم من الانكليز والروس ، بل ما يهمنا هو موقف العراقيين من هذه الحروب وفهم الاسباب التي دعتهم لاتخاذ موقف كهذا •

يقول الجنرال فون كولتز « أما العرب فكانوا ينتظرون نتيجة المعركة لينظمو الى الجانب الرابع ومع هذا يمكن القول انهم كانوا أكثر ميلا للانكليز منهم الى الاتراك »^(٣) • ويظهر أن هذا الرأي بعيد عن التدقيق لآز، التقارير الانكليزية تشير الى أن العراقيين لزموا جانب الترك في أكثر الحالات التي كان الانكليز فيها طرفا في النزاع • ففي حصار الكوت يقول موبرلي « كان أهل الكوت على اتصال دائم ببعدهو ••• وبالرغم من ان الجنرال طاوزند أخذ منهم جماعة كرهائن فانه كان يخشى من أن

Moberly, Op. cit, 3, p. 1. (١)

Ibid, p. 14. (٢)

Ibid, p. 301. (٣)

العدو قد يحثهم على الثورة في الليل • والواقع أن أهل الكوت قد سبوا
لنا ازعاجا لانهم كانوا ينهاون ممتلكاتنا عند سنوح كل فرصة^(١) • وعندما
حاول الانكليز أن يزحفوا من الناصرية الى الكوت عن طريق الغراف
وقفت العشائر في وجههم واضطرتهم على التراجع • ولما حاول الجنرال
گورنج "Gorringe" في (٧) كانون الثاني ١٩١٦ أن يتقدم من الناصرية
صدته العشائر واضطرتته الى التراجع بعد أن وصلت طلائع جيشه الى
السويج^(٢) • وبعد هذه الحادثة أخبر الجنرال گورنج قائد القوات
البريطانية في العراق بأن القبائل حول شطرة المنتفك تعارض اية حركة
نحو الحي وانه يقترح الانسحاب من البطنجة ففوض بالانسحاب • وفي
طريقه الى الناصرية هاجمته قوات كبيرة من العرب تقدر بـ (٥٠٠٠)
مقاتل وكبدت قواته (٣٧٣) قتيلًا وكانت اصابات العرب تقدر بـ (١٠٠٠)
قتيل^(٣) • وكانت قوات العرب بقيادة عجمي السعدون تقاتل الانكليز في
المناطق المجاورة للناصرية^(٤) • أما في منطقة العمارة وشيخ سعد كانت
غارات العرب ، على رواية موبرلي ، مستمرة حول معسكرات الانكليز وفي
الاماكن النائية في الليل كانوا ينهاون ويهاجمون القوات المنعزلة عندما
تحين الفرصة ، وكان الجيش يستعمل لواء الخيالة للحراسة ، ورغم كل
ذلك بقي غزوهم مستمرا وكلفوا الانكليز مقدارًا كبيرًا من الاصابات كما
سبوا لهم ازعاجا غير متناه •

ان هذه الامثلة وغيرها توضح أن ميل العراقيين الى الترك كان واضحا
والسبب في ذلك هو قوة العاطفة الدينية لدى الجمهور العراقي لا سيما ان

Ibid, II, p. 158.

(١)

(٢) يقصد المؤلف قرية سويج الدجة الواقعة بين الشطرة

Moberly, II, p. 210—11.

والناصرية •

Ibid, 2, p. 296.

(٣)

Ibid, 2, p. 301.

(٤)

الزعامة السياسية كانت لرجال الدين في تلك الفترة من تاريخ العراق •
 وقد استأنف الانكليز هجومهم على الاتراك في أوائل سنة ١٩١٧
 وكان هدفهم في هذه المرة احتلال بغداد وقد تمكنوا من احتلالها في ١١
 آذار ١٩١٧ • وقد أورد موبرلي تفصيلات وافية ومتقنة عن الحركات
 العسكرية التي قام بها الجنرال مود عندما هجم على بغداد واحتلها (١) •
 ويقول موبرلي أن الترك قد قرروا في ١١ آذار ١٩١٧ الانسحاب
 من بغداد ، وليس فقط ان بغداد كانت تحت حكم الترك لقرون خلت ، بل
 أن للترك ارتباطات دينية وتاريخية وعاطفية ببغداد ، يضاف الى ذلك ان
 فقدها يجعل بقاء الاتراك في العراق من الامور الصعبة (٢) •

وكان لاحتلال بغداد أثر كبير في رجحان كفة الانكليز في العراق ،
 اذ لم يكن احتلال بغداد قد جرد الاتراك من أحسن قاعدة يديرون منها
 حركاتهم في العراق حسب ، بل انه سهل تقدم الروس من كرمانشاه وبذا
 زال خطر احتلال ايران واحتمال تهديد الهند • يضاف الى ذلك أن
 شيوخ العرب في جنوب العراق الذين كانوا قبل ذلك مبتعدين عن الانكليز
 ويعتدون على قواتهم تقاطروا بأعداد كبيرة ليقدّموا ولاءهم للانكليز •
 وفضلا عن ذلك فان احتلال بغداد أثر في تهدأة الاحوال في جنوب ايران ،
 وساعد على تقوية مركز أمير الافغان المحايد أمام دعاة الحرب من شعبه ،
 كما أن المعارضين في الهند أصبحوا عالمين بأن بريطانيا لا تزال قوية
 وستحتفظ بمركزها في الشرق (٣) •

وبعد احتلال بغداد استمر الانكليز في احتلال الاقسام الاخرى من
 العراق ، وكانوا عند اعلان الهدنة في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ على أبواب

- Ibid, 215. (١)
 Ibid, 241—42. (٢)
 Moberly, 3, 251. (٣)

مدينة الموصل^(١) وكان الاتراك قد أدخلوا المدينة ولكنهم عادوا إليها بعد الهدنة • وفي (٣) تشرين الثاني دخل الانكليز مدينة الموصل وانزلوا العلم التركي وانذر قائدهم بالسفر حالا • وتقدمت الجيوش الانكليزية فاحتلت الموصل •

الادارة البريطانية في عهد الاحتلال :

كانت الادارة عسكرية بالدرجة الاولى وقد طلبت الحكومة البريطانية من هذه الادارة ألا تعير اهتماما كبيرا للقضايا غير العسكرية • وقد جاء في التقرير الاداري لولاية بغداد الصادر في سنة ١٩١٧ ما يلي : « ان المبدأ الذي تدار بموجبه ولاية بغداد حددته حكومة صاحب الجلالة في آب ١٩١٧ بقولها : ان الادارة المدنية يجب أن توضع تحت اشراف السلطات العسكرية ••• ويكتفى في الوقت الحاضر بحد أدنى من الاجراءات الادارية ، ذلك الحد الذي يكفي لحفظ النظام ويقوم بما تتطلبه القوات العسكرية • أما تعديل القوانين وادخال الاصلاحات فيجب أن يكتفى بأقل مقدار ممكن منه • ولا ترغب حكومة صاحب الجلالة أن تثار قضايا ادارية كبيرة أو متناقضة حتى يبعد الخطر التركي »^(٢) • وبعد أن تم احتلال العراق على يد البريطانيين يقول لونكريك : « ان الادارة

(١) يذكر لونكريك على الص ٩٢ من كتابه السابق أن رسائل تبودلت بين الكولونيل لچمن "Leachman" وعلي احسان قائد القوات التركية حول اخلاء الموصل ، فادعى علي احسان ان الموصل ليست من العراق وان جيوشه ليست حامية للموصل ، بل هي جيوش محاربة • وقد عقد مؤتمر في ٧ كانون الثاني ، ١٩١٨ بمدينة الموصل توصل فيه الفريقان الى الاتفاق على اخلاء الموصل خلال عشرة أيام • وقد أورد الدكتور فاضل حسين تفصيلات وافية عن قضية الموصل في كتابه الموسوم بـ « مشكلة الموصل » المطبوع ببغداد ، ١٩٥٥ •

Administration Report of the Baghdad Wilayat, (٢)

1917, p. 1.

التركية قد اختفت ، وتنتج عن ذلك أن كثيرا من العراقيين السنة وجماعة من كبار الموظفين قد اختفوا معها ، وقد حصل ركود في أوساط السياسة المحلية . وأعطيت للحاجات العسكرية أفضلية على كل شيء ، ووضعت قيود على سفر المدنيين ، ففي جنوب العراق منحت السلطة العليا للعسكريين ، وقد خصصت مصادر الثروة المحلية لاغراض الجيش واستخدم العمال العراقيون للقيام بالحاجات العسكرية بما في ذلك تحسين الملاحة في دجلة وبناء السكك الحديدية . وقد تولدت التزامات مدنية عن القيام بالحاجات العسكرية سألقة الذكر فحصلت آلاف الادعاءات حول ما ارتكب من مظالم . ورفع الناس ، من صغارهم الى كبارهم ، شكاوى كثيرة .^(١) .

أما الجنرال هالدين فيقول لقد تأثر الريفيون بالادارة الصارمة التي كانت خطوطها شبيهة بالادارة البريطانية في الهند^(٢) . وقد وصف التقرير الاداري لولاية بغداد سنة ١٩١٧ هذه الادارة بقوله : « ان الضرورة الملحة لسد احتياج قواتنا الى أبعد حد من المصادر المحلية ، والضرورة اللازمة لاتخاذ الاجراءات الكفيلة بتنفيذ الاوامر الصادرة من الوطن ، تلك الاوامر الرامية لتوسيع رقعة احتلالنا حتى تشمل ولاية بغداد بأجمعها ، نقول ان هذه الضرورات تتطلب ايجاد ادارة أكثر تعقيدا من الادارة الموجودة حاليا في ولاية البصرة . وقد اضطررتنا ظروف الحرب أن ننشأ منظمات تضطلع بامور ادارية تتطلبها حكومة كاملة النمو ، أما الموظفون اللازمون لهذه الادارة فقد جهزوا أما من ضباط الجيش أو من السكان المدنيين ، وقد خدمنا الاخرون بصورة عامة بنشاط ورغبة ، وقليل منهم لم يحقق الثقة التي وضعناها فيهم . وتقسم الدوائر الحكومية بصورة تقريبية الى مجموعتين : (١) الدوائر التي خلفتها الحكومة التركية وقد أعيد تأسيس

Longrigg, Op. cit, p. 92.

(١)

Haldane, Op. cit, p. 24.

(٢)

هذه الدوائر تحت اشراف البريطانيين ومنها : أ - المالية ب - الاوقاف ج - الكمر ك د - التربية • (٢) الدوائر المدنية التي لم تكن موجودة في العهد التركي والتي هي ضرورية لكل دولة متمدنة من جهة ، كما انها ضرورية لسد حاجات الجيش من جهة أخرى • ومن أمثلتها الري ، والزراعة (وكلاهما في ذلك الوقت يشغلان تحت اشراف الجيش) • (٣) الدوائر شبه المدنية "Quasi-Civil Departments" ولقد أسست هذه الدوائر لتقوم بسد حاجات الحرب الموقته ، ومن هذه الحاجات مراقبة الاتجار مع العدو وتجهيز الجيوب لاغراض مدنية • أما دوائر الحكومة المدنية الاخرى فكانت تدار من قبل الجيش موقتا ، وكان الجيش مسيطرا عليها تماما أثناء الحرب • ومن هذه الدوائر : المساحة ، السكك الحديدية ، التلغراف ، الاشغال وغير ذلك • ان فعاليات الدوائر الاخيرة لم تكن ذات مستوى مشابه لمستوى المجموعات السابقة ، بل ان مستواها يفوق الاولى كثيرا لانها تعمل لاغراض عسكرية (١) •

وقد أورد التقرير السابق قائمة بالموظفين الذين استخدمتهم حكومة الاحتلال (٢) في تلك الفترة للعمل في ولاية بغداد • أما الوحدات الادارية

Administration Report of the Baghdad Wilayat, (١)
1917, p. 1—2.

(٢) يورد هذا التقرير (ص ٢) عدد الضباط الذين خدموا في الادارة المدنية او كانت رواتبهم تدفع من قبل مالية الادارة المدنية وكان موظفو الادارة المدنية لولاية بغداد كما يلي :

- » ٣٨ ضابطا استعيرت خدماتهم من دائرة الاركان العامة في العراق •
- ١٠ ضباط من الخدمة المدنية الهندية والدوائر المدنية الهندية •
- ٦ ضباط من دوائر حكومة الهند السياسية •
- ١ ضابط من الدائرة السياسية لحكومة بمباي •
- ٣ ضباط من الخدمة المدنية في السودان •

التي كانت في العراق أيام الاحتلال ، فقد وردت أسماؤها في لونكريك^(١) .
 أما الاساليب الادارية التي اتبعها الانكليز في العراق فكانت مبنية ،
 كما يقول الجنرال هالدين ، « على خبرتهم السابقة في الهند . وكانت هذه
 الاساليب قاسية لم يألفها الشعب ولم يكن مستعدا لقبولها بصورة كلية .
 وكان ضباط الادارة الهندية مجريين ، وان بعضهم كان ذا مقدرة فائقة .
 وكان هؤلاء معتادين على ادارة مجتمع مستقر لذا حاولوا تطبيق النظام
 على مجتمعهم الجديد . أما الضباط الذين سبق أن اشتغلوا بالادارة في
 السودان فقد كانت أساليبهم أكثر مرونة . أما ما تبقى من الضباط الذين
 استخدموا في الادارة المدنية في العراق فانهم لم يكونوا ذوي خبرة سابقة
 في الادارة ولا يعرفون عن البلاد ولا عن سكانها شيئا لذا استخدموا بوظيفة
 معاون حاكم سياسي ، وقد عين بعضهم ، أحيانا ، بوظيفة حكام سياسيين^(٢) .

١ = ضابط مجند حديثا « من الاهلين اسمه الماجور أي . بي سوان »

٥٩

ويمكننا أن نقول أن هذه النسبة تصحح على ولاية البصرة أيضا . وقد
 جاء في التقرير أن الادارة المحلية عملت كل ما بوسعها للاستفادة من النابغين
 من السكان المحليين واستخدامهم في سلك الادارة ولكنها فشلت . وكان
 يشغل الادارة التنفيذية خمسون موظفا نصفهم أتراك والنصف الاخر
 عرب ولكنهم كانوا يحبون العثمانيين وترك كلا الفريقين وظائفهم بعد
 جلاء الجيش العثماني . وهناك موظفون اداريون يقرب عددهم من (١٤٠)
 كلهم تركوا وظائفهم ، ولم نستفد ممن بقي للأسباب الاتية :
 (١) جماعة توقفنا ، في حالات قليلة عن توظيفهم لاختلافهم للعثمانيين .
 (٢) الجماعة الذين احتفظوا بتقاليدهم التي ورثوها من الحكم العثماني وهي
 لا تتفق ومقاييسنا . (٣) جماعة لم يرض عنهم الملاكون وزعماء القبائل .

Longrigg, Op. cit, p. 112. (١)

Haldane, Op. cit, p. 21. (٢)

ويورد لنا حاكم شعبة كركوك السياسي الماجور لونكريك^(١) وصفا للحالة في العراق بعد احتلال الانكليز لبغداد جاء فيه : « كان احتلال الانكليز لبغداد بداية عصر جديد . وقد شهد العراق ، من جراء أوضاع الحرب ، تغييرات قل ان شهد مثلها قطرا آخر في العالم . فاستبدل العراق بأسياده الشرقيين المسلمين ، الذين حكموه أربعة قرون ، أسادا مسيحيين غربيين . وقد طرأ على النواحي الادارية تغير أساسي تناول الروح والفعالية . وكان الفتح العسكري مصحوبا بتأثير حضاري قوي ناتج عن اتصال العراق بمدينة الغرب . وظهر هذا التأثير واضحا في الحقول السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وقد طرأ على هذا المجتمع الشرقي تغير واضح أصبح معه مضطرا لمواجهة مشاكل عالمية جديدة خلقتها ظروف هذا المجتمع الجديدة . وأصبح المجتمع العراقي في الوقت نفسه ، وجها لوجه مع الاوربيين ، وأمكنه هذا الاتصال من الاطلاع على أحوال الشعوب الغربية وعلى مواطنهم . وكان الشعب العراقي وحكومته سابقا ، يرزحان تحت حالة من التأخر والفاقة لا سبيل لنكرانهما . ومن الجدير بالذكر أن التأثير بالوضع الجديد كان متفاوتا . فالقبائل لم تتأثر بالاضاع الجديدة الا قليلا ، أما المجتمعات المدنية فقد ظهرت بوادر التقدم عليها بوضوح . فمن الناحية السياسية نجد أن حركة القومية العربية قد اشتد ساعدها ، وقد نظر اليها المتطرفون من معتقيها نظرة جديدة . وأخذت هذه الحركة تقوي صلاتها بالحركات القومية في سورية ومصر . وبالرغم من ذلك فإن هذه الحركة لم تحل دون بقاء جماعة كبيرة من العائلات السنية والبيروقراطية التركية مخلصه للمبادئ والمثل العثمانية . ولو تركنا القومية جانبا لرأينا ان هناك عناصر قوية في العراق تنظر بعناء لفكرة وجود

Reports of Political Officers of the Occupied (١)
Territories, 1917. p. 61.

حكومة • فالقبائل مثلا ، لم تصدق ، الا بعد لأي ، فكرة امكان قيام حكومة تمكن من تهيئة ماء لري المزارع ، وتعمل على تأمين الاسواق ، وتسمى للحيلولة دون وقوع معارك دموية بينها ، وتسهر هذه الحكومة على مداواة مرضاها • ويمكن القول ، على العموم ، ان الدولة يجب أن تكون مكروهة في نظر هذه القبائل ، وتبقى بعيدة عنها • وهي في نظرهم شبيهة بما يطلقون عليه ببغ الاولاد "Bugbear" • أما الشيوخ فقد نظروا الى هذه الدولة نظرتهم الى عدوهم ، ورأوا ان أي تقدم يحرزه هذا العدو يكون معناه انقاصا لقوتهم وتقليل الامكانياتهم • ومن الجدير بالذكر ان هذا الشعور الذي وصفناه لا يقتصر على العرب من العراقيين ، بل تعداه للاكراد منهم • والاكراد ، وان كانوا يكرهون الترك ، لا نظن انهم يرحبون باستبدالهم بالعرب ، اذ سبق ان نمت لهؤلاء ميول قومية • أما رجال الدين الشيعة في الفرات الاوسط فكانوا لا يميلون الى الرضوخ لاي حكومة علمانية علمانية "Secular" (١) •

ونختم هذه المقبسات التي تمثل الى حد كبير نظرة معظم المسؤولين الانكليز الى البلاد التي فتحوها حديثا بحد السيف ، بآراء نائب الحاكم الملكي العام في العراق السير آرنولد ولسن ، كما عرضها بصورة رسمية لوزارة الخارجية البريطانية ، وهي كما سترى أكثر الآراء تطرفا وأبعدها عن الواقع • كتب السير ولسن لوزارة الخارجية يقول : « ان التشابه بين العراق وبقية بلاد العرب ، على الاغلب ، مفقود تماما من الناحية السياسية والجنسية وغيرها من الروابط ••• والعربي الاعتيادي في العراق يرى ، خلافا لحفنة من سياسي بغداد الهواة ، ان تقدمه من الناحية الخلقية والمادية مضمون تحت رعاية بريطانية • وعليه يجب ألا نعقد تشابها بين العراق وبقية الاقطار العربية والاسلامية من الناحية السياسية ، كما يجب أن

(1) Longrigg, Op. cit, p. 75 — 76.

(١)

يبقى العراق منفصلا عن هذه البلدان قدر الامكان ولكنه يبقى خاضعا لبريطانية «...» ويقول أيضا «ان من زأبي أن نضع العراق تحت الحماية البريطانية ، وسيكون بإمكانه بمرور الزمن أن يتحول الى دولة عربية منحها مركز دومنيون تحت التاج البريطاني» (١) .

ويتعد السير ولسن عن التدقيق التاريخي حين يقول : « ليس بوسع العراق أن يستغني عن الوصاية ومرد ذلك الى فقدان الاداريين الاكفاء في هذه البلاد من جهة ، والى أن أهل العراق لا يتذوقون شعور المواطنة من جهة أخرى . يضاف الى ذلك أن موارد البلاد الاقتصادية ، بالمعنى العام ، غير كافية» (٢) .

وسنضرب أمثلة فيما يأتي عن اجراءات حكومة الاحتلال الادارية والمالية ليتسنى لنا تقدير أقوال المسؤولين الانكليز وادعاءاتهم فيما يتعلق بحسن ادارتهم للعراق في فترة الاحتلال من جهة ، وتأثير هذه الاجراءات في تهيئة الظروف التي حملت العراقيين على الثورة عليهم في سنة ١٩٢٠ من جهة أخرى .

أولا - الاجراءات المالية - كانت حكومة الاحتلال مشغولة بالدرجة الاولى بجمع الضرائب . وقد كتب الجنرال هالدين يقول : « لقد كانت المسائل المالية تحتل الصدارة في نظرنا» (٣) .

وقال حاكم الديوانية السياسي سنة ١٩١٨ ان جزءا كبيرا من وقته يخصص للقضايا المالية أو القضايا التي ترتبط بها بصورة غير مباشرة (٤) .

-
- Kirk, Op. cit, p. 138 — 139. (١)
Wilson, Op. cit, Vol. 2, p. 11. (٢)
Op. cit, p. 57. (٣)
Reports, I, p. 201. (٤)

وكانت التبرعات الشبيهة بالاجبارية تجمع بأسماء مختلفة منها : (١) تبرعات للصليب الاحمر . وقد تألف لهذا الغرض مجلس من الرؤساء الروحانيين وأعيان البلدة وقرروا بذل المساعي التامة وتأليف اللجان من مختلف الطوائف لجمع الاعانات . ولم يكن ذلك مقتصرًا على أبناء المدن ، بل تعداه الى رؤساء العشائر فوجهت لهم دعوة لهذا الغرض . وقيل في هذه الدعوة أن تبرعات رؤساء العشائر ستكون برهانا ساطعا على اخلاصهم للجيش البريطاني منقذ البلاد والعباد من أيدي الجور والظلم . ومن الجدير بالذكر ان ما صرفه البريطانيون خلال احتلالهم للعراق كان مخصصا بالدرجة الاولى لراحة الجيش وتمكينه من القيام بمهمته . وقد اقتبس آيرلند فقرة من تقرير قدمه السير جون هيويت الى مجلس الحرب ١٩١٩ جاء فيها : « نحن نرى بالاجماع وبكل تأكيد بأن فكرة صرف المخصصات التي كانت مخصصة للجيش كانت متأثرة بالرغبة في ترويض تقدم البلاد بعد الحرب لا أساس لها من الصحة ، ونعتقد بأن الصرف جرى وهدفه تأمين كفاءة الجيش وراحته » (١) .

(٢) تبرعات لجمعية بناء الملاجئ للجنود في بريطانيا . (٣) تبرعات لبناء الاثر الخالد للقائد مود (٢) . (٤) استعمال وسائل مختلفة لجمع المال . ففي سنة ١٩١٨ أ حالت السلطات البريطانية احتكار بيع الخمر المحلية (العرق) في مدينة البصرة على رجل يهودي بعشرين ألف ربية في الشهر (١٥ ربية لكل ليرة) . وفي بعض الحالات يظهر أن السلطات

(١) العراق ، ص ١٠٤ .

(٢) جريدة العرب ، العدد ، ١١٢ ، ١١ مايس ، ١٩١٨ ، والعدد ، ١١٣ ، ١٣ منه ، ١١٤ ، ١٥ منه ، ١١٦ ، ١٦ منه . والاعداد ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٨٦ ، ٨٧ لسنة ١٩١٨ بتواريخ مختلفة .

البريطانية ، مدفوعة برغبتها للحصول على المال بأية وسيلة ، سمحت ببيع الترياق Opium ومنحت بائعه في البصرة اجازة لبيعه . كما سمحت لحملة اجازات بيع الترياق بفتح ثلاث محلات في العشار لبيع هذه المادة للعمال الايرانيين . وفي تلك السنة كان المجاز بيع الحشيش سجيناً لانه يشتغل في التهريب ، ولذا كانت الاجازة حين كتابة التقرير غير ممنوحة لمن تقدموا لطلبها^(١) . ولا ندري اذا كانت القواعد الانسانية العامة تيسح اجراءات كهذه .

ويظهر أن السلطات البريطانية في عهد الاحتلال لم تتردد في أخذ رسوم على جثث الموتى^(٢) التي تدفن في مقابر النجف . وكانت هذه الضريبة تسمى ضريبة « الدفنية » وكانت تؤخذ على ممن تجاوز عمره الثلاث سنوات وجلب للمدفن في وادي السلام (مقبرة النجف) أو الحضرة « مرقد الامام علي (ع) » . ويصف المستر ونيكت *W. G. Nicot* النجف هذه الضريبة بأنها مربحة ، وان حصيلتها في سنة ١٩١٨ كانت (٤٨٠٠٠) روبية ، ويتنبأ أن يكون دخلها في العام المقبل (١٢٠٠٠٠) روبية وذلك بعد أن ترفع القيود عن نقل الجناز . وهناك ضريبة أخرى متممة للضريبة سالفة الذكر وتسمى ضريبة الحجر الصحي (الكرتينية) . ويصفها ونيكت بأنها مربحة جدا وان لها مبرراتها التامة . وكانت السلطات تأخذ (٤) روبيات عن كل جنازة تصل الى النجف ، وقد بلغت حصيلتها في سنة ١٩١٨ (٥٣٠٠٠) روبية وتأمل السلطات المحلية أن تبلغ حصيلتها في السنة القادمة (١٢٠٠٠٠) روبية .

هذه أمثلة عن الرسوم والضرائب التي لا يسندها مبرر شرعي

Reports, Vol I, p. 245.

(١)

(٢) كان مقدار هذه الضريبة (٧٥٠) روبية على كل جنازة تدفن في الرواق ، و ٦٢٥ روبية على التي تدفن في الطرمة (٣١٢٥) روبية على التي تدفن في الحجر ، و (٢٥) روبية على التي تدفن في الصحن (٦٢٥) ربيات على التي تدفن خارج المدينة .

واضح ، أما الضرائب الشرعية وكثرتها وطرق جبايتها فسنبحثها في فصل آخر من هذا الكتاب .

ثانيا - الاجراءات الادارية : ان الحكومة المحتلة عاملت أبناء العشائر معاملة شعب غير متمدن فاعتمدت في حل مشاكلهم على التحكيم العشائري واكتفت بأخذ الدية (الفصل) من القاتل^(١) . يضاف الى ذلك أن حكومة الاحتلال بلورت العادات العشائرية في نظام أسمته « نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية »^(٢) . ويرى الاستاذ ضياء شكاره أن حكومة الاحتلال سنت نظاما خاصا لادارة المناطق العشائرية قيل انه مستمد من نظام الحكم الذي أنشأه وطبقه في بلوجستان السير روبرت ساندمان . ويقول ان الادارة البريطانية العسكرية اتخذت خطة جديدة لتعزيز النظام القبلي واعادة بناء المجتمعات العشائرية واخضاع العشائر للانظمة البدوية بقوة القانون وذلك بالوسائل التالية : أولا - تعزيز نظام المشيخة . ثانيا - اشراك شيوخ العشائر في الحكم . ثالثا - منح نظام خاص لحسم المنازعات المدنية والجزائية بين أفراد العشائر وفق العادات والتقاليد البدوية^(٣) .

ويظهر أن كثيرا من موظفي حكومة الاحتلال كانوا سييء الادارة

(١) Political Officer's Reports from Iraq, Aug. 1919. p. 1.

(٢) وقد أصدر هذا النظام في بغداد في اليوم الـ ٢٧ من تموز ، ١٩١٨ ، الميجر جنرال ايج.دي فانشو القائم بأعمال القائد العام للحملة العراقية . وهو مكون من (٦٢) مادة . وقد جرت عليه تعديلات عديدة ، منها التعديل الذي ضمن بقانون سمي (قانون تعديل نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية لسنة ١٩٢٤) . كما عدل مرة أخرى بقانون سمي قانون ذيل نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية لسنة ١٩١٨ ، رقم ٧٦ لسنة ١٩٣٣ . وقد الغي هذا النظام بعد قيام ثورة ١٤ تموز الخالدة سنة ١٩٥٨ .

(٣) الحياة الاجتماعية والاقتصادية (نسخة مطبوعة على الآلة الطابعة) ص ٨ .

« ولقد كان جهل أولئك الموظفين بنفسية العراقيين واختلافهم العريض مع الهند ، في الشعور والاحساس والتقاليد السبب الاول في مضاعفة النقمة والاستياء وأصبح سلوك السلطة الجديدة موضع ريبة الاوساط الوطنية » . وعندما عينت حكومة الاحتلال الكابتن كرين هاوس F.S. Greenhouse حاكماً على النجف ، أساء السيرة حتى انه اذا مر بشارع جعل أمامه من يستعمل السوط^(١) ليفسح الطريق للحاكم المذكور . وجاء بعد هاوس الكابتن ونيكت الذي كانت شراسته مضرب المثل^(٢) .

ويقول العمري أن جيش الجواسيس كان منتشرًا في المدن والقرى والعشائر ، ولم يكن اذ ذاك أثر لحرية المطبوعات أو الاجتماع ، يضاف الى ذلك ان الحكام السياسيين قلدوا اناسا من العوام بعض المناصب الامر الذي أزعج الاهلين^(٣) .

ويظهر أن سلطات الاحتلال كانت تلجأ الى السخرة أحيانا لتهيأة ما تحتاجه من العمال وقد كتب حاكم الشنافية يقول : « لقد استخدم عدد من العرب في بناء سكة الحديد وكنا نلجأ الى جمع العمال بالقوة في حالات كثيرة »^(٤) .

(١) لقد أخبرني شاهد عيان أن الناس ضجوا من صاحب السوط فشكوا الامر للشيخ عبدالكريم الجزائري ، وصادف أن اجتمع الشيخ والحاكم في أحد البيوت وقبل دخول الحاكم شهد الشيخ فعلة صاحب السوط مع الناس فما لبث الشيخ أن صفعه ولم يقل الحاكم شيئاً احتراماً للشيخ .

(٢) علي ، عباس ، ن . م ، ص ٣٩ .

(٣) مقدرات العراق السياسية ، ج ٣ ، ص ٤ .

Reports, I, 58.

(٤)

يقول حاكم الشنافية أن الشيوخ قد أظهروا تدمرهم من جمع العشائر للعمل ، وان ما يكسبه هؤلاء يساوي (٤) آئات يومياً ولذا كان الشيوخ مضطرين لان يدفعوا لهؤلاء من جيوبهم . ومما قاله الشيوخ أن هؤلاء =

ويظهر أن سلطات الاحتلال لم تعط ناحية التربية والتعليم ما تستحقه من الاهتمام . وفي مرة تباحت المس بيل Gertrude Bell مع أحد زملائها حول التربية والتعليم في العراق ، وما عملته الحكومة في هذا الحقل ، فظهر لهما أن ما عمله الانكليز في هذا الحقل لا يبعث على الارتياح . وتضيف بيل الى ما سبق قولها « ان الناس في العراق مبالون الى التعليم العالي ، وان تقاعسنا عن ذلك يجعلهم يعتقدون اننا نريد أن نبقئهم متأخرين عن قصد » (١) .

ان الامثلة التي أوردناها تشير الى بعض مساوئ دور الاحتلال البريطاني للعراق ، ومع هذا فلا يخلو هذا الدور من محاسن . ومن أهم هذه المحاسن ان الاحتلال الانكليزي هياً لبعض العراقيين فرصة مواتية للاتصال بالمدينة الغربية اتصالاً مباشراً ، والتأثر بهذه المدينة بقدر ما كانت الاحوال الاجتماعية والفكرية لهؤلاء الافراد تسمح بذلك .

يضاف الى ذلك أن حكومة الاحتلال بأنظمتها الجديدة ، وأساليبها الادارية المتقنة ، واستعمالها الطرق العلمية لمعالجة مشاكل البلاد ، قدمت نموذجاً حياً لحكومة حديثة تفوق كثيراً حكومة العثمانيين المنقرضة . وكان للجهود التي بذلتها حكومة الاحتلال في سبيل نشر النظام واطاعة القانون أثر كبير في توضيح فكرة الحكومة الحديثة خاصة لافراد القبائل الذين لم يسبق لهم أن شعروا بوجود الحكومة الا قليلاً . ولهذا ساعدت فترة الاحتلال الانكليزي للعراق على تهيئة الظروف الملائمة لقيام الدولة العراقية الحديثة سنة ١٩٢١ .

= الناس كانوا يتركون حقوقهم ليقوموا بالعمل الامر الذي أدى الى تأخر الزراعة ، وأخيراً يبين أن ادارة السكك لم تعمل محلات لا يواء هؤلاء العمال .
The Letters of Gertrude Bell, Vol. 2, London, (١)
1947, p. 396.

حالة العراق الاقتصادية في عهد الاحتلال :

كان التأثير الاقتصادي للاحتلال الانكليزي يختلف في جنوب العراق عنه في وسطه وشماله ، ويعود ذلك الى طول المدة التي قضاها الانكليز في الجنوب من جهة ، والى قوة نفوذهم هناك وما يتبع ذلك من استقرار من جهة أخرى . ويقول لونكريك « ان الضباط السياسيين استطاعوا ، نتيجة للاستقرار في جنوب العراق ، وبعد هذه المنطقة عن خط النار ، أن يوسعوا اتصالاتهم ويجبوا الضرائب ويستخدموا الشبان ويقاوموا الجرائم بغيرة ودقة ناتجة عن خبرة شخصية ... وقد استطاعوا تأمين الطرق ومنعوا المنازعات القبلية ، وكانت الاماكن البعيدة فقط من ديار المنتفك وبني حجوم لم تستقر استقرارا تاما . أما أهل البصرة فقد ظهرت عليهم امارات الثراء ، ولما كان قادتهم اناسا ثاقبي الرأي ، نرى السكان يظهران اهتمامهم في مستقبل مدينتهم التجاري أكثر من اهتمامهم في الحركة القومية^(١) التي كانت منتشرة بين ظهراينهم في فترة ما قبل الحرب ... »^(٢) . ويوضح لنا الاستاذ سليمان فيضي التغييرات التي طرأت على حالة أهل البصرة بعد الاحتلال حين يقول : « أدى انتقال الحكم من أيدي العثمانيين الى الانكليز ، الى حدوث تبدلات جوهرية في حياة الناس ، وفي القيم الاجتماعية والسياسية للأفراد ، أو بالأحرى ان الاحتلال الانكليزي للبصرة كان بمثابة انقلاب حاسم في مختلف نواحي الحياة فيها . فحين عدت الى المدينة كان الكثير من أوصافها قد تغير ، فبرزت الى الميدان طبقة

(١) لقد أشرنا سابقا الى أن تغيير الاتجاه السياسي للسيد طالب النقيب زعيم الحركة القومية في البصرة ، وميله للتعاون مع الانكليز بعد احتلالهم للعراق كان من الاسباب الرئيسة لضعف الحركة القومية في البصرة . أما تفضيل البصريين لمصالحهم التجارية على مصالحتهم القومية ، كما يعتقد لونكريك ، فهو أمر فيه نظر .

Op. cit, p. 93.

(٢)

جديدة من التجار والمتعهدين والوجهاء ، بلغت في الترحيب بالمتحليين الجدد ، وربطت مصالحها بمصالحهم . بينما ناوأ المستعمر أولئك الذين أعرضوا عن التمرد على أعتابه ، وربأوا بانفسهم من التهاك على نيل مرضاته ،^(١) . وقد أثمرت الحرب في الحياة المعاشية بالبصرة فارتفعت ايجارات البيوت فيها الى أربعة أو خمسة أضعاف ما كانت عليه سابقا . وان القضايين والخبازين رفعوا أثمان حاجياتهم وسببوا مشاكل للمستهلك . وكانت مشكلة التمور وأثمانها أهم المشكلات التي نالت اهتمام الاهلين . وقد أظهر المزارعون تدمرهم من سلوك كاسبى التمور وشركات النقل . وكان كاسبو التمور يدفعون (٢٠٥) روبية للكاراة الواحدة بينما يريد المزارعون (٥٠٠) روبية لكل كاراة ، وحجة الاولين أن هيئة السيطرة على الاغذية في الاسواق الاوربية لا تقدم أكثر من هذا الثمن . أما تجار النجف فكانوا ، كما يقول وينكت في سنة ١٩١٨ ، يعيشون بعقلية العصور الماضية ، تلك العصور التي كانت فيها البضائع التجارية تنقل بطرق القوافل ، ولذا فهي محفوفة بالمخاطر . وكان التجار يأملون من صفقاتهم التجارية ربحا يساوي ١٠٠٪ من ثمنها . وكان الزائر الايراني الذي أمّ النجف بدافع التقوى ، والبدوي المتوحش الذي بهرته مظاهر المدنية ، تحت رحمة هؤلاء التجار . فلا استتباب الامن الذي كان مفقودا في العهد التركي ، ولا تدفق البضائع الى النجف بعد معركة الشعية ، التي أصبحت بعدها النجف ، سوق العراق التجاري « Eporium » استطاعا أن يغيرا عقلية التاجر النجفي . فهو يحفظ صفيحة النفط ، مثلا ، في سردابه لمدة طويلة على أمل أن يزيد سعرها آتة . ويعتقد وينكت ان علاجهم الوحيد هو أن تجعل اليهود يقطنون بينهم أو تسهل هجرة الهنود الى بلدتهم^(٢) .

(١) في غمرة النضال ، ص ٢٠٢ .

Reports, I, p. 68.

(٢)

أما الحالة في بغداد ، فيقول التقرير الرسمي عنها : « ان الصعوبات التي يتعرض لها جميع التجار في كل أنحاء العالم ، أثناء الحرب ، وقد فعلت مفعولها في العراق وتعرض التصدير ، مثلا ، لصعوبات ناشئة عن قلة وسائل النقل . ولم تتوفر وسائل النقل لتصدير الجلود والصوف والمواد الخام الاخرى التي تجمعت في بغداد قبل احتلالنا ، والتي نحن في حاجة ماسة لها في الوطن . ويصدق ذلك على التمور أيضا وعلى هذا فقد تأثر الوضع المالي في ولاية بغداد بصورة عكسية ، ولكنه ما لبث أن تحسن . وبالرغم من ذلك فان عملتنا قد تكدست في الاسواق ، وحصل لها كساد كبير نظرا لقلّة البضائع المستوردة » (١) .

ويشير الاستاذ علي البازركان الى أن ازمة اقتصادية قد اجتاحت بغداد بعد دخول جيوش الاحتلال فيها ، واختفت من الاسواق جميع المواد الغذائية وارتفعت أسعارها ارتفاعا فاحشا ووزع الطحين والشعير بالبطاقات الى الاهلين بكميات قليلة جدا (٢) . ويشير الجنرال هالدين الى أن حالات كثيرة حصلت أثناء الحرب استخدمت فيها دور الملاكين لايواء الجند . وقد اعتبر الملاكون هذا الاجراء في أول الامر قضية لا مناص منها ، ولكن بعد أن مضى وقت طويل على عقد الهدنة ، بدأ شعور عدم الرضا ينتشر بين أصحاب هذه الدور لا سيما وان دورهم لا تزال مشغولة [١٩٢٠] بالجند وبأجرة تقل عن الاجور السائدة حينذاك في السوق (٣) .

أما تأثير الاحتلال بالنسبة لطبقة خاصة من السكان يطلق عليها هالدين طبقة « الافندية » ، فكان سيئا « اذ بقي المئات من هؤلاء بدون عمل فلجأوا لبيع ممتلكاتهم أو رهن دورهم ولم نعرهم اهتماما كبيرا بعد الهدنة .

Reports of the Baghdad Wilayat, 1917. p. 3. (١)

(٢) البازركان ، ن ٠ ، ص ١٥ .

Op. cit, p. 23.

(٣)

وتقاس أهمية هؤلاء بما يستطيعون اثارته من اضطرابات» (١) . ولم يعط هؤلاء الافندية الذين كانوا موظفين عند الحكومة العثمانية رواتب تقاعدية كافية . وأما الراتب الزهيد الذي كان مخصصا لهم فكان يسلم اليهم مصحوبا بالتحقير والاهانة الامر الذي اضطر بعضهم الى تركه . وقد ساء وضع هؤلاء فاضطروا الى رهن وبيع ممتلكاتهم (٢) .

ولم يسلم سكان المدن الاعتياديون - التجار وأصحاب الحوانيت والفنانون وأمثالهم من التأثير بالاوضاع الجديدة ، فوضعت اليد على بيوت معظمهم لغرض ايواء الجند ، كما تأثروا بارتفاع أسعار المواد الضرورية وغيرها . يضاف الى ذلك أن ضريبة الاملاك وقدرها ١٠٪ من مبلغ الايجار السنوي للدار أثرت في حياتهم الاقتصادية (٣) .

وكتبت المس بيل في ٣١ كانون الثاني ١٩١٨ الى أبيها قائلة : « ان تكاليف الحياة هنا عالية وبالرغم من انني استلم جراية Ration ولكنني مضطرة ان اشترى الصابون والسكر والبيض بأثمان عالية ... » (٤) .

ولم تكن المشكلات المالية التي جابهت حكومة الاحتلال مقتصرة على المجتمعات المدنية ، بل ظهرت مثل هذه المشكلات في الريف أيضا . ومن أهم هذه المشكلات مشكلة الملاكين الغائبين The Absentee Landlords وعندما يتحدث حاكم الحلة السياسي في سنة ١٩١٨ عن هذه المشكلة يقول : « تتطلب مشكلة الملاك المتغيب حلا سريعا . وغالبا ما يكون هؤلاء الملاكون من البغداديين الذين اتبعوا أساليب ٥٠٪ منها على الأقل ، كانت

Ibid, p. 24. (١)

(٢) العمري ، طاهر ، ن.م ، ج ٣ ، ص ٣٠٦ .

Haldane, Op. cit, p. 24. (٣)

The Letters, II, p. 36. (٤)

ملتوية Shady للحصول على سند طابو لارض واسعة وخصبة . ولم يكن هذا الملاك ، في حالات كثيرة ، قد رأى الارض التي يمتلكها . وفي تسع وتسعين حالة من مجموع مائة حالة ، لم يستلم الملاك حصته من الناتج بصورة كاملة . واغتم أفراد القبائل ، في بعض الحالات ، ضعف الحكومة التركية خلال الحرب فادعوا ملكية الارض التي كانت تسكنها قبيلتهم منذ عهد قديم . فحن الان أمام صنفين من الادعاءات المتناقضة ، يمثل أحدها الملاك ، الذي يحتفظ بمسئداته الرسمية كاملة ، والذي يدعي أن القبائل المتوحشة ، التي لا تتورع عن سلب الحقوق ، قد سلبته حقه . أما الصنف الثاني فيمثل أفراد القبائل ، وهؤلاء لا يقل اصرارهم حول مشروعية حقهم عن اصرار الملاك . ويدعي هؤلاء ان المسئد الذي يثبت أحقيته بأرضه ، التي انحدرت اليه من أسلافه ، أتلغه موظفون فاسدون لحكومة فاسدة . وفي الوقت الذي يعترف فيه القبلي بوجود مسئدات لدى الملاك ، لكنه لا يعترف بمشروعيتها ، ويقول انه لم يدفع ايجار الارض الا في الحالات التي يجبر فيها على ذلك « (١) » .

ومن أشهر الامثلة على هذا النوع من المشكلات هي قضية الارض بلواء الناصرية (٢) (المنتفك سابقا) ويقول حاكم المنتفك السياسي : « لقد راجعني عدد من الملاكين معظمهم من آل سعدون ، وادعوا انهم لم يستلموا ايجار أرضهم لعشر سنوات خلت منذ احتلالنا لمدينة الشطرة . وبعد ان دقت الموضوع وجدت أن الارض في جميع لواء المنتفك لم تكن مثبتة الحدود بصورة مضبوطة ، فبعض الاراضي تكون مساحتها الفعلية آلاف الافدنة بينما المساحة المسجلة بورقة الطابو لا تتعدى خمسين

Reports, I, p. 121.

(١)

(٢) أوردت في كتابي الموسوم بـ « مشكلة الاراضي في لواء المنتفك »

المطبوع ببغداد سنة ١٩٥٦ ، تفصيلات وافية حول هذا الموضوع .

مشاركة^(١) أو أكثر • ومن الصعوبة بمكان انه لا توجد عقود حديثة بين الملاكين والزراع في الوقت الذي نجد مثل هذه العقود في سوق الشيوخ • ويدعي المزارعون أن معظم الاراضي التي يطالب بها آل سعدون هي أميرية • وقررت [الحاكم] انه في حالة عدم مطابقة المساحة المذكورة في سند الطابو لمساحة الارض التي تعينها الحدود ، تدفع الملاكية للملاك على أساس الدونمات المثبتة في السند • فمثلا ، لو أن شخصا يدعي ملكية أرض مساحتها (٢٠٠٠) دونم ، وان ما هو مثبت في سند الطابو يساوي (٢٠٠) دونم فقط يدفع له عشر ملاكية المقاطعة المذكورة ،^(٢) • ان هذا الاجراء الذي اتخذه حاكم الناصرية ينطبق وسياسة حكومة الاحتلال الرامية لتأييد شيخ القبيلة والزراع ضد الملاكين • ويؤيد ذلك ما رواه العمري من أن الحكام البريطانيين كانوا « يسمعون شكوى الفلاحين من دون أن يلتفتوا الى براهين الملاكين • فأصبحت طبقة الملاكين في مقدمة المستأين »^(٣) • ويقول الجنرال هالدين أن سياسة الحكومة البريطانية الرامية الى تأييد أفراد القبائل دون الملاكين أدت الى أن أفراد القبائل بالغوا في تقدير أهميتهم بما في ذلك تدميرهم من اجراءات البريطانيين الادارية ، بينما الملاكون لم يرتاحوا الى هذه الحالة^(٤) •

(١) المشاركة أو الدونم وحدة للمساحة وتساوي (٢٥٠٠) م^٢ .
 Political officer's Reports, Aug. 1919, p. 90.

(٢) مقدرات العراق السياسية ، ج ٣ ، ص ٧ .
 Op. cit, p. 23.

(٤)

عهد الحلفاء ووعودهم

ونذكر هنا نص الوعود الرسمية التي قطعها الإنكليز وحلفاؤهم للعراقيين في أثناء الحرب العظمى وفي زمن الهدنة مبتدئين بمنشور الجنرال مود ، وهو أولها ، فقد صدر يوم ١٩ آذار سنة ١٩١٧ وهذا نصه :

« يا أهالي ولاية بغداد :

انني باسم ملكي المعظم واسم شعوبه التي يحكم عليها أوجه اليكم الخطاب الاتي : ان الغرض من معاركنا الحربية هو دحر العدو واخراجه من هذه الاصقاع فتماما لهذه المهمة وجهت الي السلطة المطلقة على جميع الاطراف التي تقايل فيها جنودنا .

ان جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بصفتهم قاهرين أو أعداء ، بل بصفتهم محررين فقد أخضع مواطنوكم منذ أيام هلاكو لمظالم الغرباء فخربت قصوركم وذوت حدائقكم وأنت أشخاصكم وأسلافكم من جور الاسترقاق . لقد سيق أبناؤكم الى حروب لم ينشدوها وجردكم القوم الظلمة من ثروتكم وبددوها في أصقاع شاسعة . تكلم الترك من أيام مدحت باشا عن الاصلاح ، أفليس دثور العراق وافقاره برهانا على بطلان هذه المواعيد ؟

انها ليست أمنية جلاله ملكي المعظم وأمنية شعوبه فقط ، بل هي أيضا أمنية الامم العظمى المتحالفة معها حكومة جلالته أن تعودوا كما في السابق وقد كانت أراضيكم مخصبة وكان العالم يتغذى بألبان آداب أجدادكم وعلومهم وصناعاتهم وقت كانت بغداد احدي غرائب الدنيا .

« لقد ارتبط قومكم بممتلكات جلاله ملكي المعظم بعروة المصالح الوثقى فقد تبادل تجار بغداد وتجار بريطانيا من مدة مائة سنة المنفعة والصداقة . أما الالمان والاتراك الذين نهبوكم اتم وذويكم فقد اتخذوا

بغداد مدة عشرين سنة مركزا يهجمون منه على نفوذ البريطانيين وحلفائهم في ايران والبلاد العربية ولذلك لم تستطع الحكومة البريطانية السكوت عما يحدث في وطنكم حاضرا أو مستقبلا ، ولا تتسامح قياما بواجب مصلحة الشعوب البريطانية ومصلحة حلفائها في أن يرتكب الترك والامان ما ارتكبوه مرة ثانية في بغداد .

ويجب عليكم يا أهل بغداد ، يا من جئنا نحكمكم من الظلم والغزو ونضمن حرية تجارتكم ويا من ستألون ما يستوجب أدق اهتمام الحكومة البريطانية أن تعلموا أن هذه الحكومة لن تفرض عليكم أنظمة أجنبية عنكم فأميتها الوحيدة أن تحقق ما تطمح اليه نفوس فلاسفتكم وكتابكم مرة أخرى ولسوف يسعد أهالي بغداد ويتمتعون بالغنى المادي والادبي بفضل نظامات توافق قوانينهم المقدسة ومطامحهم القومية .

لقد طرد العرب في الحجاز الترك والامان الذين بغوا عليهم ونادوا بعظمة الشريف حسين ملكا عليهم وعظمتهم يحكم مستقلا حرا وهو متحالف مع الامم التي تحارب دولتي تركية ومانيا ، وهذا شأن أشرف العرب وامراء نجد وكنوكيت وعسير .

لقد ذهب كثيرون من أشرف العرب ضحية في سبيل الحرية على أيدي أولئك الحكام الغرباء الذين ظلموهم . وانكلترا وحلفاؤها مصممون على أن لا تذهب دماء هؤلاء الابطال هدرًا ، وأمنية انكلترا وحلفائها أن تسمو الامة العربية مرة أخرى وتستعيد عظمتها ومجدها وأن تعمل لادراك هذه الامنية متحدة متفقة .

يا أهل بغداد تذكروا انكم تألتم ٢٦ جيلا آذاكم الظلمة والغرباء الذين سعوا دائما الى الايقاع بين البيت ورب البيت كي يستفيدوا من شقاقكم فهذه السياسة مكروهة عند بريطانيا وحلفائها لانها اغراء بالعداوة

ولا يستقيم معها حال ولا يستقر معها سلام ، وأنا مأمور بأن ادعوكم بواسطة اشرافكم وشيوخكم الطاعين في السن وممثلكم الى الاشتراك في ادارة مصالحكم الملكية لمعاوضة ممثلي بريطانيا السياسيين المرافقين للجيش كي تنظموا الى ذوي رحمكم شمالا وشرقا وجنوبا وغربا في تحقيق مطامحكم القومية .

صدر من مركز رئاسة الجيش البريطاني ببغداد في ٢٤ جمادي الاولى سنة ١٣٣٥ هـ الموافق ١٩ مارس سنة ١٩١٧^(١) .

٢

وقد اكد الفريق الاول السير وليم مارشال قائد جيش الاحتلال في العراق بيان سلفه الجنرال مود بيان جديد قال فيه أن « الجنرال مود ... لم يجد سعة في عمره لانجاز هذا الوعد فقد وضع الاساس وبقي علي اتمام البناء » . ويستمر مارشال بيانه فيقول : « ويمكننا اليوم أن نبين أن الوعود التي اعطيت مرارا يجب ان تنجز في اول فرصة ممكنة وبمناوبة عربون في الوقت الحاضر يدل على نياتنا الحسنة أبلغكم ما يأتي : ١ - يسمح لاسرى الحرب المعتقلين في الهند بالرجوع الى اوطانهم ما عدا الذين من الجيش التركي . ٢ - تطلق الحرية التامة للتجارة وتخفف تضيقات الحصار في داخل الاراضي المحتلة . ٣ - يخفف التضييق أيضا على العمل الشخصي . ٤ - يسمح بنقل الجثث التي تدفن في كربلاء والنجف بشروط مناسبة . ٥ - تفتح الطريق من جديد للزيارات المنظمة للاماكن المقدسة . ٦ - يعطى راتب شهر مكافأة للموظفين الدائمين من الاهالي في دوائر الحكومة الملكية من الذين لا يخدمون فعلا في صفوف الجيش وقد قاموا بوظيفتهم حق القيام .

٧ - يختار بعض المسجونين في السجون الملكية ويطلق سراحهم .

(١) سعيد ، أمين ، ن م ، ج ٢ ، ص ١٠ - ١٢ .

٨ - يوزع طعام والبسة على فقراء بغداد والمدن الاخرى وتخفف القوانين
الحالية بعض تخفيف •

٣

وزار وفد من علماء النجف الحاكم السياسي ، يوم ٣ تشرين الثاني
سنة ١٩١٨ وكلفوه أن يبلغ القائد العام للجيش البريطاني في العراق تهنيتهم
بما ناله الحلفاء من نصر في ميدان سورية وفي البلقان وذكروه بما للعرب
من حقوق فأرسل اليهم ردا بأسم القائد العام هذا نصه :

« يود القائد العام منكم أن تذكروا علماء النجف واعيانها وتجارها بما
هو معروف عند كل أحد وهو أن بريطانية العظمى تحارب المانيا لاجل
سيانة العهود التي لا يحل نقضها وتأمين حرية الشعوب الصغيرة التي تتوقف
سعادتها على رعاية العهود ، والنتيجة الحاضرة للفوز الذي أحرزته جنود
الحلفاء في الشرق الادنى هي تحرير الشعوب التي قاست العذاب من جور
الدول الوسطى وحلفائها • وقد اذعنت بلغاريا للصالح بعدما هزمت فأجلت
جنودها عن البانيا وصربيا والجبل الأسود وعلى حسب ما تقتضيه حقوق
الشعوب فالناطق التي يسكنها اليونانيون تعطى لليونان والتي يسكنها
الصربيون تعطى لصربيا ويتخذ الحلفاء هذا المنهج الذي يسرون عليه في
معاملة الشعوب الاخرى قاعدة لهم في سياستهم نحو العرب وكما أن
الصربيين اشتركوا في استرداد بلادهم فالعرب ايضا حاربوا جنبا الى جنب
مع الحلفاء لتحرير قطر عربي (١) •

٤

وفي يوم ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ نشرت السلطة البريطانية
المحتلة في العراق نص المشور الذي اذاعته الحكومتان الانكليزية والفرنسية

(١) سعيد ، امين ، ن . م . ج ٣ ، ص ١٥ ،

عن الغاية من مواصلتهما الحرب في الشرق الأدنى وهذا نصه : « ان الغاية التي ترمي اليها بريطانيا العظمى وفرنسة من مواصلتهما في الشرق تلك الحروب التي اثارت مطامع الالمان ، هي تحرير الشعوب الراضحة منذ زمن تحت نير الاستبداد التركي تحريرا تاما وتشبيد حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من رغائب الاهالي الوطنيين الصادرة عن رضاهم وحسن اختيارهم . وتوصلا لهذه الغاية فقد اتفقت بريطانيا العظمى وفرنسة على تشجيع ومساعدة تنظيم حكومات وطنية في سورية والعراق التي قد تم تحريرهما والاعتراف بهذه الحكومات عندما يتم تنظيمها فعلا . وان بريطانيا وفرنسة لا يخطر في خلدتهما قط ارغام هذه البلدان على قبول نظامات معينة من أي نوع » (١) .

واخيرا تقول المس بيل : « ان النقد الذي يوجه لنا هو انا وعدنا بحكم ذاتي ، ولكن ليس انا لم نخط خطوة نحو هذه الغاية حسب ، بل انا اقمنا نظاما يختلف تماما عن الحكم الذاتي . وقد قالت جريدة عربية بحق انا وعدنا بقيام حكومة عربية يساعدها مستشارون بريطانيون ولكننا في الواقع اقمنا حكومة بريطانية يساعدها مستشارون عرب » (٢) .

كانت البيانات والتصريحات السابقة أهم ما صدر عن المسؤولين الانكليز . ويظهر ان بعض هذه التصريحات وان نسبت للعسكريين ، فإنها كانت من صنع الساسة وصادرة عن علمهم . فالدوائر السياسية في لندن والهند هي التي اعدت منشور الجنرال مود ، مثلا ، قبل ان يطلع الجنرال المذكور عليه او يؤخذ رأيه فيه . والدليل على ذلك ان مود اذاع المنشور المنسوب اليه مع أنه لا يؤيد جميع محتوياته ، اذ كان الجنرال مود « يعد تشجيع الحركة العربية في بلاد ما بين النهرين شيئا غير مرغوب فيه ، كما

(١) الحسنی ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ج ٢ ، ص ٦١ .

The Letters, Vol II, p. 407.

(٢)

تقرره وزارة الخارجية «^(١) وكان الجنرال مود بالاضافة الى ذلك يعتقد ان تطبيق مقترحات حكومة صاحب الجلالة بشأن العرب لن يعود على بريطانيا بمنافع عسكرية»^(٢) . وقد كثرت تعليقات الكتاب على العهود التي قطعها الانكليز للعراقيين ، بما فيها منشور الجنرال مود . فالحسني يقول :

« ان الانكليز اسرفوا في قطع العهود الطيبة للعراقيين ، اسرافهم في العتب بهذه العهود وفي الاساءة الى هذا الشعب الوديع . واذا كان الاتراك قد سعوا الى الايقاع بين البيت والبيت لكي يستفيدوا من الانشقاق - على حد تعبير الجنرال مود - فان الانكليز سعوا الى الايقاع بين الاخ واخيه والوالد وولده فأوجدوا الفوضى في اخلاق الشعب وعودوه على امتهان الكرامات ، وامعن حكاهم في سلب حرية الافراد والجماعات . »^(٣) اما ولسون « Wilson » فيقول عن الفقرة الاخيرة من بيان مود « اذا كانت هذه الفقرة تعني شيئا فان الحلفاء نظروا بعطف الى فكرة اتحاد فدراي لبلاد العرب ، وهذه الفكرة تناقض تماما منطوق اتفاقية سايكس - بيكو » Sykes-Picot «^(٤) .

وعندما يعلق الحسني على بيان الفريق مارشال يقول : ان هذا الوعد من السر وليم مارشال وان جاء مؤيدا للوعود التي قطعها الجنرال مود ، بعيد فتحه لبغداد ، فقد قوبل بسرور غير منكور ولا سيما وعده باتخاذ التدابير الممكنة لازالة الشكوى من تصرفات الجند المحتل وعبه بمقدرات البلاد واعراض الناس . ويقول الحسني : « والمتأمل في هذا الخطاب السخيف يرى أن حكومة الاحتلال البريطانية ترى في تسريح أسرى الحرب ، والسماح بنقل الجنائز ، وتخفيف المراقبة على الاسفار ، واعانة

(١) ايرلند ، العراق ، ص ٦٥ . (٢) ايرلند ، ن . م ، ص ٦٦ - ٦٥ . (٣) الحسني ، العراق في دوري الاحتلال ، ج ١ ، ص ٦٢ .
Op. cit, I, 237-9. (٤)

بعض الفقهاء ، نوعا من الحكم الذاتي فهل رأيت اسخف من هذا ؟ » (١) ،
وقالت المس بيل : « كان نشر التصريح الانكليزي - الافرنسي في
العراق ضرورة يؤسف لها ، مهما كانت اهميته السياسية في الجهات الاخرى
من العالم . فمع ان هذا التصريح جاء مكررا للنوايا التي كانت قد اذيعت
على العراقيين عند احتلال بغداد قد صدر في وقت كانت فيه مصائر الحرب
محفوظة بالشك والريبة وبذا كان يعتبر ضرورة عسكرية بينما نشر
التصريح الانكليزي الافرنسي بعد انتصار الحلفاء فقبول والحالة هذه
بالتصديق » (٢) .

وبالرغم من صراحة بعض المهود التي منحها الانكليز للعراقيين ،
وبالرغم من ان بعضها صدر في ايام السلم اي بعد الهدنة كما هي الحال
في التصريح الانكليزي - الفرنسي ، فإن الانكليز كما يظهر لم يكونوا
جادين في منح العراق الاستقلال . وهناك ادلة تاريخية تؤيد ذلك ، منها
البرقية التي أرسلها وزير الهند في لندن الى سكرتير الشؤون الخارجية في
« سمشلا » مقر نائب الملك في الهند والى الدوائر العسكرية والملكية البريطانية
في العراق ، والمؤرخة في ٢٩ آذار ١٩١٧ . ومن الجدير بالذكر ان هذه
البرقية صدرت بعد اعلان منشور مود سالف الذكر ، والذي أشارت فيه
السلطات البريطانية الى منح هذه البلاد استقلالها . واليك بعض محتويات
هذه البرقية :

(١) تبقى البصرة والناصرية وشط الحبي وبدرة بحدودها الغربية
والشمالية تحت الادارة البريطانية بصورة دائمة . (٢) تكون بغداد مملكة
عربية يديرها حاكم أو حكومة من أهلها تحت حماية بريطانية في كل شيء

(١) الثورة العراقية الكبرى ، صيدا ، ١٩٥٢ ، ص ٢٢ .

(٢) فصول من تاريخ العراق الحديث (ترجمة جعفر خياط) ،

بيروت ، ١٩٤٩ ، ص ١٦٦ .

الا الاسم « فانه يبقى عربيا » وبطبيعة الحال لن تكون لها علاقة مع الدول الاجنبية التي يجب على قناصلها أن يقدموا براءتهم الى الحكومة البريطانية .

(٣) تدار بغداد (خلف ستار عربي بقدر المستطاع) بواسطة وكالة وطنية وفقا للقوانين والشرائع الموجودة . (٤) في حالة ما اذا كانت البصرة لم تلحق ببغداد فإن رئيس الادارة العراقية العام يكون المندوب السامي المقيم في بغداد ، وتكون البصرة تحت ادارة حاكم يرتبط به اما اذا الحقت بها فإن رئيس الادارة العراقية يسمى آتذ حاكم البصرة ومندوب العراق السامي . وتتكون هذه البرقية من (١٢) مادة يتعلق بعضها بأمور تفصيلية^(١) .

ويظهر ان الانكليز كانوا يعلقون اهمية كبيرة على بقائهم في العراق فكتبت المس بيل في ١٠ نيسان ١٩٢٠ تقول : « نحن الآن على وشك قيام تظاهرة عربية وطنية ، تلك التظاهرة التي أعطف عليها شخصيا . واني على يقين اننا ان تركنا هذه البلاد علينا ان نعيد النظر في مركزنا في آسيا كلها . ففقدانا للعراق يجر وراءه فقداننا لايران ثم الهند . وسيحل محلنا سبعة شياطين يكون اي واحد منهم اكثر سوء من الذي كان قبل وجودنا في هذه البلاد »^(٢) . وكتب حاكم الديوانية السياسي في ١٩١٨ يقول : « ان السياسة التي اتبعناها منذ احتلال هذه البلاد هي تركيز النظام القبلي وعندما يستقر النظام البريطاني في طول العراق وعرضه سيصبح وجود القبيلة غير ضروري للفرد العراقي ، وان هذا الفرد سيحني ثمار عمله وسيعيش بسلام وأمن لا لانه من أبو سلطان أو من بني حسن ، بل لانه مواطن عراقي يتمتع بمزايا الوضع الجديد وقبل أن يزول النظام القبلي نأمل أن نستبدل طبقة « الافندية » الحاضرة بموظفين نختارهم من أحسن أبناء المدن والقبائل ، وهناك أمل بأن القبيلة ستمدنا بعناصر مفيدة »^(٣) .

(١) آيرلند ، العراق ، ص ٦٣ .

The Letters, II, p. 395.

(٢)

Reports, I, p. 120.

(٣)

وقد ظهرت رغبة بريطانية ، فيما يتعلق بقائها في العراق ، واضحة حين أصدر نائب الحاكم السياسي العام منشورا في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ قال فيه : « ان الطريق المثلى التي يخطو بها الاهالي أول خطوة هي اشتراكهم فعلا في ادارة امورهم المحلية الخاصة ثم يرتقون مع الزمن الى امور أوسع نطاقا ، وطبقا لهذه الخطة تقرر أن ينشأ « مجلس بلدي » للنظر في امور البلدية » (١) . ويعلق فليبي على هذه المجالس المقترحة بقوله : « انه سيكون لتلك المجالس رئيس ونائب رئيس وسكرتير من البريطانيين بينما يكون للاعضاء المنتخبين الحق التام في البحث والمناقشة من دون أن يكون لهم حق التصويت » (٢) . ويقول أمين سعيد ان هذا البيان به أفكار العراقيين الذين كانوا يأملون أن تنشأ بريطانية دولة عربية في بلادهم الى أن الانكليز عازمون على حكم العراق حكما عسكريا استعماريًا (٣) .

ومن الجدير بالذكر أن الغالبية العظمى من العهود سألقة الذكر كانت غامضة وصادرة من جهات عسكرية لا تتمتع بالسلطات السياسية التي هي من اختصاص وزارات الخارجية والبرلمانات في الدول الديمقراطية . وقد يكون للتصريح الفرنسي - البريطاني الذي أشرنا اليه سابقا نوع من صفة الالتزام الدولي لانه صادر من جهة مسؤولة وهي وزارتا الخارجية في البلدين المذكورين ، ومع هذا يظهر أن الدولتين لم تكونا جادتين فيه اذ أن اتفاقية سايكس - بيكو ، التي بقيت سارية المفعول بعد صدوره ، تناقضه بصراحة . ولم يكن التصريح الفرنسي - البريطاني سالف الذكر

(١) أورد أمين سعيد نص المنشور على الص ١٦ من الجزء الثاني من كتابه الموسوم بـ « الثورة العربية الكبرى » .

(٢) فيليبي . هـ . سنت جون . أيام فيليبي في العراق (ترجمة جعفر خياط) بيروت ، ١٩٥٠ ، ص ١٨ .
(٣) ن . م . ج ، ٢ ، ص ١٧ .

سببا في ابطال مواد هذه الاتفاقية الخاصة بالمناطق التي تناولها التصريح المذكور . وقد بقيت اتفاقية سايكس - بيكو سارية المفعول حتى ألغيت ضمنا بعد أن قرر مؤتمر الصلح بباريس مبدأ الاستفتاء في مناطق متعددة ، من بينها البلدان المنسلخة عن الدولة العثمانية . وقبل ذلك كان « الانكليز والفرنسيون يعملون سرا لابقاء قضية البلاد العربية بمعزل عن المؤتمر الا انهم اضطروا الى مجازاة الرئيس ولسن فوافق مندوبوهم يوم ٣٠ يناير [كانون الثاني] سنة ١٩١٩ ٠٠٠ على قرار ٠٠٠ يقضي بفصل أرمينية وبلاد العرب عن تركيا واستفتاء سكانها في تقرير مصيرها وفي اختيار وصي لها ٠٠٠ »^(١) . ومن الملاحظ أن الوعود والمواثيق التي حصل الاتفاق عليها بين السلطات البريطانية في مصر والشريف حسين ، رغم ضعف سندها القانوني لانها لم تأخذ شكل معاهدة أو اتفاقية موقع عليها من وزارة الخارجية البريطانية ، لم تنص على منح جميع البلاد العراقية ، باعتبارها من البلاد التي تناولتها اتفاقية الحسين - مكماهون ، استقلالها بعد الحرب . ويظهر أن بريطانيا كانت تتجنب كل ما من شأنه أن يلزمها صراحة بالاعتراف باستقلال العراق بعد الحرب^(٢) .

وقد سبق ان أشرنا في بداية هذا الفصل الى الاسباب التي حملت

(١) سعيد ، أمين ، الثورة العربية الكبرى ، ج ٢ ، ص ١٩ .

(٢) أورد سليمان فيضي على الص ١٨٩ - ١٩٠ ، من كتابه المذكور سابقا ، صورة لمشروع اتفاق كان المنوى عقده بين السيد طالب النقيب والسلطات البريطانية في الخليج العربي . وكان المشروع يتألف من عدد من المقترحات ينص الخامس منها على انه « اذا تم اخراج الترك من البلاد ، تؤسس دولة مستقلة دستورية تحت حماية الانجليز ، ملكية أو جمهورية حسب رغبة الشعب » . وقد قابلت الحكومة البريطانية هذه المقترحات بالرفض ، رغم انها تؤمن مصالحها الاقتصادية في العراق .

- بريطانية على اتخاذ هذا الموقف تجاه استقلال العراق • وبعد ان تناولت ما يتعلق بالعهود التي قطعتها بريطانيا للعراق ، سأتناول بحث التدابير التي اتخذها العراقيون للحصول على استقلال بلادهم • وسأقسم هذه التدابير تسهيلا للبحث الى ما يأتي : أ - تشكيل الجمعيات والاحزاب السياسية • ب - القيام بالاحتجاجات والمظاهرات • ج - القيام بالانتفاضات المحلية • د - القيام بالثورة سنة ١٩٢٠ •

[**الجمعيات والاحزاب** : لقد وردت اشارات الى نشوء جمعية سرية اسمها « جمعية النهضة الاسلامية » اتخذت النجف الاشراف مركزا لها • وكانت هذه الجمعية ، التي أسهم بعض الروحانيين^(١) بفعاليتها ، تستهدف مقاومة النفوذ البريطاني في النجف والمناطق المجاورة لها • ويقول عباس علي أن هذه الجمعية تأسست في عهد الكابتن مارشال ، حاكم النجف السياسي ، الذي كان لسوء سيرته أثر في اقدام جماعة من النجفيين على اغتياله^(٢) • ويظهر أن لهذه الجمعية صلة في قضية اغتيال حاكم النجف • وكانت هذه الجمعية قد وهدت « مساعيها مع الناقمين على سياسة السلطة المحتلة واستحسنت فكرة اغتيال الحاكم كذريعة للقيام بثورة يمتد لهيها الى جهات مختلفة »^(٣) • وتقول المس بيل بخصوص هذه الجمعية انه عندما « استولت الفرقة الخامسة عشر على هبت وغزت عانة ، وقع في ايدينا ضابط الارتباط الالماني ومعه جميع أوراقه • وقد دلت هذه المستندات على

(١) كان من بين الروحانيين الذين أسهموا بأعمال هذه الجمعية السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري • واشترك فيها لقيف من رؤساء النجف أمثال كاظم صبي وعباس علي الرماحي • ومن الشباب الذين اشتركوا فيها عباس الخليلي وعبدالرزاق عدوه وغيرهما •

(٢) زعيم الثورة العراقية ، ص ٤١ •

(٣) الحسنسي ، عبدالرزاق ، العراق في دوري ٠٠٠ ، ج ١ ، ص ٣٦ •

وجود « لجنة للثورة الإسلامية » في النجف ، كانت غايتها الصريحة جعل النجف مركزا لخلق الاضطرابات بين العشائر . و كان مائة من رجال الدين أو أكثر متورطين فيها ، لكنها لم تكن تضم اناسا ذوي أهمية من الدرجة الاولى . وكان الرئيس شخصا من أسرة بحر العلوم العلوية . وكان نشطا في الدعوة الى الجهاد حتى سقوط بغداد « (١) » .

وقد ورد ذكر لجمعية سرية أخرى باسم « الجمعية الوطنية الإسلامية » . وقد تألفت عقيب الهدنة في كربلاء ، تحت اشراف آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي وتحت رئاسة ابنه المرزا محمد رضا . وكان هدفها العمل ضد حكومة الاحتلال . ومن أهم العاملين فيها السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني ، والسيد حسن القزويني ، والسيد عبدالوهاب وعبدالكريم العواد وعمر الحاج علوان وشقيقه عثمان وطفليح الحسون من رؤساء الناصرية وعبدالمهدي آل قنبر ومحمد علي أبو الحب وغيرهم (٢) .

جمعية العهد العراقي : أشرنا في فصل سابق الى تأسيس جمعية العهد قبيل اندلاع الحرب العالمية الاولى . وكانت هذه الجمعية عند تأسيسها تعمل للقضية العربية^(٣) بمعناها الشامل دون تخصيص قطر معين من الاقطار العربية . وقد انقسمت هذه الجمعية خلال الحرب العالمية الاولى الى جمعيتين ، اطلق على احدهما اسم « جمعية العهد العراقي » والثانية « جمعية العهد السوري » . وقد وردت تفصيلات عن الوقت الذي انقسمت

(١) فصول من تاريخ العراق الحديث ، ص ٥٠ .

(٢) العمري ، طاهر ، ن ٠ م ، ج ٣ ، ص ٣٣٣ .

(٣) البصير ، ن ٠ م ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

فيه جمعية العهد الى شطرين وعن دوافع هذا الانقسام في مظانها^(١) . وقد جاء في المادة الاولى من برنامج جمعية العهد العراقي ما نصه : « ان غايات الجمعية الاساسية هي ما يأتي : (أ) استقلال العراق استقلالاً تاماً ضمن الوحدة العربية وداخل حدوده الطبيعية ... (ب) طلب المساعدة الفنية والاقتصادية من بريطانيا العظمى على أن تكون هذه المساعدة بالثمن وأن لا تمس استقلال العراق التام . (ج) انهاض الشعب العراقي لبياري أرقى الامم الغربية . (د) السعي لخير الامة العربية عامة^(٢) . »

وكان الاتجاه العام الذي يسيطر على رجال العهد هو أن التعاون مع بريطانيا أمر ضروري لنجاح القضية العربية عامة والعراقية خاصة . ويظهر أن هذا الرأي لم يعتنقه منتسبو العهد حسب ، بل اعتنقه آخرون من الساسة العراقيين . ويؤيد ذلك ما رواه الحسني من أن « المشتغلين في السياسة من العراقيين والمنضمين الى حزب العهد العراقي والى الاحزاب والجمعيات السياسية الاخرى في العراق كانوا على قسمين : يدين أحدهما بالقومية العربية ويرى أن التعاون مع الأنكليز انما هو انتصار للقضية العربية . ويقول الآخر بضرورة الاستغناء عن معاونته هؤلاء الأنكليز ما داموا يعملون على تقويض الخلافة الاسلامية في تركيا . وكان القائلون في الرأي الاول أكثرية في حزب العهد العراقي فاتصروا على مخالفيهم^(٣) . »

ويمكن تلخيص الاعمال التي قام بها حزب العهد العراقي في الشام خدمة للقضية العراقية :

-
- (١) بيل كرتروود ، فصول من تاريخ العراق الحديث ، ص ١٣٣ ؛ الحسني ، عبدالرزاق ، الثورة العراقية الكبرى ، ص ٤٤ ؛ البصير ، ن . م ، ج ١ ، ص ١٠٠ .
 - (٢) سعيد ، أمين ، ن . م ، ج ٢ ، ص ٢١ .
 - (٣) الحسني ، الثورة ، ص ٤٥ .

- (١) قدم الحزب احتجاجات على سياسة الحكومة المحتلة في العراق .
 (٢) قام حزب العهد بدعوة واسعة ومنظمة لحركة الكفاح في العراق
 ولانشاء دولة عراقية مستقلة فيه (١) .
 (٣) اغتتم حزب العهد فرصة وجود لجنة الاستفتاء الامريكية (٢)
 فأظهر لها رغبته في استقلال العراق ورفع الحواجز السياسية والاقتصادية
 بينه وبين سورية المستقلة . ولكي يطلع الحزب للجنة المذكورة على
 وجهة نظره كاملة ، قدم لها بياناً (٣) مفصلاً .

(١) الحسني ، الثورة ، ص ٤٥ ،

- (٢) قرر مجلس الاربعة المكون من انكلترا وأمريكا وفرنسا
 وإيطاليا في ٢٠ آذار ١٩١٩ ارسال لجنة مختلطة لاستفتاء سكان فلسطين
 وسورية بما فيها لبنان واستجلاء رغبتهم في اختيار الدولة أو الدول التي
 ينتدبونها على بلادهم وفقاً للمادة (٢٢) من عهد عصبة الامم . وقد جاء
 هذا القرار ضربة على اتفاقية سايكس - بيكو التي جعلت سورية من حصة
 فرنسا . ولما كانت فرنسا وانكلترا يعلمان ان الاستفتاء لن يكون
 بصالحيهما امتنعا عن ارسال ممثليهما في لجنة الاستفتاء ، فاضطر الرئيس
 ويلسن رئيس الولايات المتحدة الامريكية الى ارسال لجنة أمريكية فقط
 طالما كان القصد منها الوقوف على رغائب الشعب . وقد تجولت اللجنة
 في ربوع سورية ولبنان واستمعت للاهلين . وكان المستر كراين رئيس
 اللجنة قد طلب بالحاح من السلطات البريطانية أن يزور العراق ولكن
 طلبه قوبل بالرفض . وظهر الى اللجنة أنه «لا معنى للقول بأن هذه الشعوب
 [شعبا سورية بما فيها فلسطين ولبنان] لا تصلح لحكم نفسها بنفسها» .
 (٣) يتكون البيان المشار اليه من عدة نقاط أهمها : (١) نطلب
 الاستقلال التام للقطر العراقي . . . (٢) أن يكون لنا في العراق حكومة
 مدنية دستورية ملكية ويكون ملكها أحد أنجال الملك حسين . . . (٣) نحتج
 على فقرة الانتداب من المادة (٢٢) من قرار عصبة الامم ونرفضها رفضاً
 باتاً . (٤) ما نحتاجه من المعونة في الامور الفنية والاقتصادية نستعين به
 من أمريكا على ان لا تمس باستقلالنا التام . (٥) نرفض مهاجرة كل عنصر
 غريب عن العنصر العربي الى البلاد العربية المحررة كالهنود واليهود .
 (٦) نطلب الاستقلال التام للقطر السوري .

(٤) كان رجال حزب العهد في الشام ممن عملوا على اثارة الاضطرابات في شمال العراق ضد السلطات البريطانية^(١) .

(٥) اتصل حزب العهد العراقي في الشام بالاحزاب والجمعيات الاخرى في داخل سورية وخارجها لغرض توحيد المساعي من أجل القضية العربية والعراقية .

(٦) ارسل رجال العهد كميات من المال لتصرف على الحركة الوطنية في العراق^(٢) .

ان قضية المال الذي ورد من سورية للعراق على يد العهدين من أكثر القضايا التي ورد عنها تناقض كبير . فناجي السويدي يدحض رواية المس بيل القائلة بأن أباه استلم (١٦٠٠٠) ليرة ويقول : « لم أسمع بورود شيء من الاموال والذخائر ، من سورية الى العراق ، سوى ما قد بلغني من اعطاء مبلغ ، أظنه لا يتجاوز الاربعمئة جنيه ، دفع في أوائل سنة ١٩١٩ ، أي قبل نشوب الثورة بسنة ، لكي يصرف على بعض الجمعيات العراقية »^(٣) . وعندما سئل ناجي شوكت عن الاموال التي وردت من العهدين في سورية الى العراق قال : « لم أسمع ولا أظن »^(٤) . وعلي البازر كان هو الآخر

(١) بيل ، المس كر ترود ، فصول ، ص ١٣٤ .

(٢) تقول المس بيل على الص ١٣٤ من كتابها السابق « لقد أخبر يوسف أفندي السويدي السيد طالب باشا بأن مجموع ما قد تسلمه هو (١٦٠٠٠) ليرة وشكاً من عدم كفاية المبلغ ٠٠٠ وعلم أن (٣) آلاف ليرة أخرى كان تسلمها الشيخ سعيد النقشبندي » . ويقول جعفر خياط مترجم كتاب بيل سالف الذكر ان الشيخ سعيد تسلم (١٠٠٠) ليرة أخرى من عضوين من أعضاء جمعية العهد جاء من الشام لاصلاح الخلاف الواقع بين أعضاء الجمعية المذكورة .

(٣) الحسنی ، الثورة ، ص ٢٠٤ .

(٤) الحسنی ، ن . م ، ٢٠٤ .

ينفي ورود أموال من سورية لاعانة الثوار في العراق ويقول : « ان الثورة العراقية لم تستعن بأموال من الخارج ، عدا (١٥٠) باونا سلمها جميل المدفعي الى جلال بابان »^(١) . وكان لجمعية العهد العراقية في الشام فرع في الموصل وهو الاسم الذي أخذته جمعية « العلم » الموصلية التي أسرنا اليها سابقا ، وآخر ببغداد . ويظهر أن فرع جمعية العهد بالموصل ، بحكم الظروف الجغرافية وسهولة الاتصال بين الموصل والشام ، كان أكثر نشاطا من فرعها ببغداد . وقد نشرت^(٢) جريدة « صدى الاحرار » الموصلية لصاحبها محمد رؤف الغلامي جملة من الرسائل المتبادلة بين فرع الجمعية بالموصل ومركزها في الشام . وقد وردت في رسالة مؤرخة في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩١٩ عدة من القضايا الهامة نورد لك ملخصا لها .

(١) أشارت الرسالة الى انها جواب لرسالة مؤرخة في (٨) تشرين الثاني سنة ١٩١٩ . (٢) قال مرسلو الرسالة « بإمكاننا أن نرسل تحاريركم الى بغداد بصورة دائمية . . . » . (٣) أخبر المرسلون مركز الجمعية بالشام بأنه « لم تترك الحكومة الاحتلالية شيئا من أنواع الشدة والقسوة الا استعملته مع الاهلين . . . أما الجزء النقدي الذي قد شكل أعظم منبع لواردات حكومة الاحتلال فان المحكومين يعدونه نعمة كبرى ازاء العذاب الجسماني والحقارة . . . وأما الضغط على الافكار العامة فقد بلغ أقصى شدته وقد منعت السلطة المحتلة اصدار الجرائد الوطنية السياسية منعاً باتا فلا يوجد الان في جميع العراق سوى الجرائد الرسمية الانكليزية وهي جريدة الموصل وجريدة نجمة الكركوكية التي تصدر نصفها باللغة التركية والنصف الآخر بالعربية وجريدة العرب البغدادية وجريدة الاوقات البصرية وتصدر الى جنبها في البصرة جريدة بصرة تايمس باللغة الانكليزية

(١) الوقائع الحقيقية ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٢) كانت هذه الرسائل تنشر في « صدى الاحرار » تحت عنوان

صفحات مطوية من تاريخ الحركة الوطنية بتوقيع « مؤرخ » .

ولا يوجد في العراق سوى مجلة واحدة وطنية هي مجلة اللسان الادبية .
وقد منعت أيضا حرية الكلام والاجتماع وبثت الجواسيس بين جميع
طبقات الناس . وشددت التكرير والمراقبة على مدرسة النجاح الاهلية .
وكان في الموصل على زمن الاتراك مدرسة للمعلمين وأخرى ثانوية وعدة
مدارس ابتدائية فألغت حكومة الاحتلال المدرستين المذكورتين وقفلت
كثيرا من المدارس الابتدائية . ثم أن حكومة الاحتلال منعت بيع الاراضي
وشراءها^(١) وتصحيح حدودها وايجارها أكثر من ثلاث سنين وعمدت
الى تأجيل الدعاوى العائدة للتصرفات غير المنقولة وقد أعلنت عن هذا
المنع مرارا عديدة . وربما [كان] قصدها من ذلك ضبط الاراضي
الصالحة لتعطيها الى الشركات الانكليزية أو تملكها للملايين الهنود الذين
تنوي جلبهم من الهند للاستيطان في العراق » (٤) « ذكرتم لنا عن
الوفد الامريكي وملاقاته مع وفود العراقيين وينتم أن الوفد قد أفرد فصلا
خاصا بالعراق نعم اننا لا نشك في مساعيكم ولكننا نم نجد في أعمال
الوفد موقفية تستحق أن تسمى موقفية لا في مسألة سورية ولا في قضية
العراق ويجب أن لا ننسى أن معظم أهالي الولايات المتحدة هم من
جنس الانكليز فكلاهما (انكلو ساكسون) ومع ذلك فاننا نرى ان أمريكا
بمثابة ذنب لانكلترا وآلة صماء في يدها وان مطالب ولسن الاربعة
عشر الخلافة لم يتحقق منها أي مطلب كان أما الانكليز فقدرهم
وخداهم كثار على علم ولقد غدروا بالعرب ونحن نعلم أن الانكليز
سيقومون باحباط كل مساعي العرب الاستقلالية وانهم سيقوضون كل بنيان
عربي كما قوضوا دعائم تركية ثم أن فرنسا ستعمل بكل ما في وسعها
للاستيلاء على جميع سورية وأعالي الجزيرة . فهل يمكن الاعتماد على

(١) تظهر الغرابة في هذا الاجراء ، والعهدة في صحته أو عدمها
على الجهة التي بعثت الرسالة وهي جمعية العهد بالموصل .

هذه الدول أو على احداها؟ اننا لا نعتقد بذلك ... والذي تصوره أن لا خلاص للعرب خاصة ولا للإسلام عامة بعد ان كشف الحلفاء عن مكنوناتهم ... الا باتفاق العرب والترك مع البلشفيك والمانيا والنمسا ... هذا وان الامارات العربية التي توقفت عن معاضدة الحكومة الحجازية حتى الان فانها تبادر الى مؤآخاتها عند أدنى اشارة من سلطان استانبول ... [و] عند وقوع حرب عامة في المستقبل ننتسكل حينذاك من اتحاد العرب والترك قوة اسلامية لا يستهان بها تحيي الامل في قلوب كافة المسلمين ... ثم أن الكثير من العراقيين الذين يميلون الى الاتراك في هذا الوقت أكثر من ميلهم لحكومة الحجاز ويشقون بحكومة الترك المتشكلة أكثر من ثقتهم بحكومة عربية في بدء تشكيلها ... ولا يخطر على بالنا ... واسطة أخرى لحياة العرب والاسلام الا ما تصوره من الاتحاد الاسلامي - البلشفي - الجرماني . ولا نقصد بالاتحاد مع البلشفيك قبول اصولهم وتطبيقها في محيطنا فاننا نعدده مضرًا ببلادنا ولكننا نقصد بذلك الاستمداد من قوة الروس والاستفادة من هذا الاسم الجديد وتهديد الناكئين للعهود ... لقد سئم الناس من التحريض الادبي في طلب الاستقلال ... باسم الجنسية والوطن فعلينا أن نترك أمثال هذه الامور وأن نكون عمليين بانتهاز الفرص والتكلم باسم الجامعة الاسلامية ... (٥) تقولون انكم مواظبون على الالاح في تشكيل حكومة العراق الوطنية فما هو سلاحكم في هذا الخصوص؟ أتظنون ان انكلترا تدعن لذلك بمجرد الطلب والالاح؟ . (٦) ونقول لكم بكل صراحة انه ان كان في الموصل نوع من الامل في الخلاص من الانكليز عند الكثير من الناس فانما يتوقعونه من (مصطفى كمال) ^(١) حيث ان لهذا القائد اسما كبيرا في هذا البلد ... (٧) (٨) (٩) (١٠) نشرنا بعض مواد تحريركم بين طبقات الاشراف غير ان اليأس الذي

(١) يقصد كاتب الرسالة ، معتمد جمعية العهد بالموصل ، مصطفى كمال أناتورك باعث تركيا الحديثة .

قد استولى على العامة كان نصيب بعض المؤازرين لحركتنا من الاشراف منه أكثر وعليه فان النشرات أصبحت لا تجدي نفعا اذا لم تعضدها الافعال . (١١) (١٢) [يطلب الفرع من المركز أن تكون الصراحة رائد الجميع في أعمالهم السياسية] . (١٣) (١٤) ^(١) الانكليز لا يتركون العراق الا اذا اضطروا بقوة السلاح ، أما سكان البلاد ^(٢) فلا تنتظر منهم فائدة لانهم مشغولون بتحصيل رزقهم ابان هذا الغلاء المستولي على العراق وقد استخنت [أصبح ذليلا] الكثير منهم فلم يبق الاعتماد بطرفنا الا على أعضاء جمعيتنا وهم قوة لا يستهان بها وكذلك على سكان البوادي والجيال فالکرد عصيانهم متوال على الحكومة الاحتلالية وفي كل يوم لهم وقائع وأخبار وقد قتلوا سابقا حاكم زاخو ثم حاكم العمادية وفي أوائل الشهر قتلوا حاكم ولاية الموصل المستر (بل) وحاكم عقرة امام (بيرة كبيرة) ثم استولوا على عقرة نفسها فأثارتهم ممكنة أيضا لقد سمعنا من بعض مشايخهم بعض التذمرات كقولهم ماذا نصنع فقد راجعناكم وراجعنا دمشق واصلنا بالقسطنطينية بخصوص القيام بحركة ضد الانكليز فلم نأخذ جوابا شافيا ان ارسال الضباط الى العشائر والتغلغل بينهم وتشكيل العصابات الفنية منهم يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار قبل القيام بالثورة مع علمنا بأن الثورة التي لا تستمد معيها من دولة قوية أو دول تمد وتساعد بعضها بعضا لا ينتج عنها الا اراقة الدماء التي قد تذهب دون الحصول على المقاصد المطلوبة » ^(٣) .

التوقيع : معتمد جمعية العهد العراقي في الموصل . المنصور (رؤف الغلامي) .

- (١) يقول ناشر الرسالة « مؤرخ » كتبت المادة الرابعة عشر بحروف الشفرة كما وجدتها في أصل الكتاب .
 (٢) يظهر انه يقصد سكان مدينة الموصل .
 (٣) جريدة « صدى الاحرار » السنة الخامسة ، العدد (٢٠٤) ١٩ رجب ، ١٣٧٢ ، ٣ نيسان ، ١٩٥٣ .

ومن الملاحظ أن محتويات هذه الرسالة تلقي أضواء على اتجاهات فرع جمعية العهد بالموصل وتبين الى أي مدى كانت سياسة الفرع منسجمة مع سياسة المركز في الشام أو مختلفة عنه .

أولا - التعاون مع الترك وعلاقته بالقضية العربية عامة والعراقية خاصة : كان المركز في الشام ينتهج سياسة تختلف عن سياسة الفرع في هذه الناحية . فالمركز في الشام كان يرى أن التعاون مع الاتراك ، وخاصة مع جماعة الاتحاديين منهم ، لا يخدم القضية العربية عامة ولا العراقية خاصة . وما عملهم ضد الاتحاديين في فترة ما قبل الحرب ، وانضمامهم الى ثورة الشريف حسين ضد الترك ، الا أدلة على ذلك الاتجاه . أما فرع العهد في الموصل فيرى ، كما جاء في الفقرة السادسة من رسالته سالفة الذكر ، ان التعاون مع تركيا الحديثة بقيادة مصطفى كمال هو الحل الوحيد للقضية العربية عامة والعراقية خاصة . ثانيا - يرى المهديون في الشام أن التعاون مع الانكليز أمر ضروري لنجاح القضية العربية والعراقية ، بينما رجال العهد في الموصل ، كما جاء في الفقرة الرابعة من رسالته السابقة ، لا يأملون خيرا للعرب أو للعراقيين من التعاون مع الانكليز ويقترحون جهات أجنبية أخرى مثل الالمان والبلاشفة بدلا من الانكليز وحلفائهم . ثالثا - كان المهديون في الشام لا يعلقون أهمية كبرى على فكرة الجامعة الاسلامية بدليل تأييدهم لثورة الشريف حسين على الترك وعدم تأييدهم لفكرة الجهاد ضد الكفار ، بينما المهديون في الموصل ، كما جاء في الفقرة الرابعة من رسالته السابقة ، يعلقون اهتماما كبيرا على الجامعة الاسلامية كوسيلة لحصول العرب والعراقيين على استقلالهم .

ويمكن أن يستنتج الباحث ، اضافة الى ما سبق ، أن سياسة رجال العهد في الموصل متأثرة الى حد كبير بالعواطف الدينية ، وان الجامعة

الاسلامية التي يؤكدون عليها كوسيلة لانقاذ العرب عامة والعراقيين خاصة من الاستعمار الغربي ما هي الا فكرة أقرب الى الوهم منها للواقع ، خاصة في الوقت الذي صدرت فيه تلك الرسالة ، أي في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٩ . يضاف الى ذلك ان الوعي القومي ، كما يظهر من الرسالة عامة ، لم يكن واضحا في نفوس من تمثل الرسالة آراءهم . فتراهم يعتمدون على الترك والجرمن والبلاشفة والنمساويين لانقاذ العراق من الاستعمار و لا يرون خيرا في الاعتماد على سورية أو الحجاز . و اذا علم القارئ ان معظم هذه الدول كانت منهزمة في الحرب العظمى الاولى وانها منشغلة بمشكلاتها الداخلية والخارجية المعقدة ، يقدر مدى المساعدة المرجوة منها تجاه جيوش الحلفاء التي كانت تحتل معظم البلاد العربية تقريبا . ثم انهم قد سأموا من الدعوة للاستقلال باسم الجنسية والوطن وعدوا هذه الوسائل عقيمة لا نفع فيها .

وكان لحزب العهد العراقي فرع في بغداد برئاسة الشيخ سعيد النقشبندي . ويظهر أن هذا الفرع كان قليل النشاط ، اذ عندما قدم بغداد من سورية عارف حكمة ، أحد أعضاء حزب العهد في الشام ، رأى دولا ب العمل واقفا والحركة الوطنية ساكنة فلم يكن منه الا أن قابل الشيخ سعيد وتحادث معه بشأن الحالة السياسية السائدة في بغداد فأعلمه الاخير ان الادارة العسكرية مع الانشقاق المستحکم في صفوف الوطنيين ، يمنعان من المواظبة على السعي والاستمرار في العمل ، وبعد أخذ ورد داما أياما ، تألفت هيئة ادارية لفرع العهد ببغداد . وما لبث حزب العهد أن اصطدم بجمعية سياسية أخرى وهي جمعية « حرس الاستقلال » . وكان محور الخلاف بينهما هو أن جمعية العهد تفضل ، بعد انشاء الدولة العراقية ، الاعتماد على مساعدة بريطانية الفنية ، بينما جمعية الحرس لا ترى ضرورة لهذا التقييد وتعتقد ان باستطاعة الدولة العراقية المقبلة أن

تطلب المساعدة الفنية من أية دولة كانت • ويوضح الحسني أسباب الخلاف بين الجمعيتين بقوله ان الحرسيين كانوا « يأبون ربط القضية العراقية بحزب العهد في الشام لبعدها عن العراق عن الشام من جهة ، ولانشغال المهديين في مكافحة الفرنسيين ، بمساعدة البريطانيين من جهة أخرى ، في حين أن الحرسيين يكافحون الانكليز في العراق ، فالاستعانة بالمهديين في الشام ، أو ربط الحركة العراقية بهم يفقدها قوتها ، ولا يبعد أن يقربها الى الخطر ، وعلى هذا أخذ « حزب الحرس العراقي » الشروع في العمل المنمر دون الاستعانة بأحد من الخارج » (١) • وقد أرسل حزب العهد في الشام وفدا برئاسة جميل المدفعي للتوفيق بين الحزبين • وعند وصوله وجد ان أعضاء حزب العهد في بغداد « غير متوحدين ولا متحدين [وانه لم يجد] منهم عملا بتاتا وان حزب حرس الاستقلال قد قام بخدمات كبيرة للقضية العربية عامة والعراقية خاصة [وانه يقترح] أن توحد أعمال الحزبين (حزب العهد وحزب حرس الاستقلال) وان يستبدل منطوق المادة السابعة من منهاج حزب حرس الاستقلال والتي تقول : (على العراقيين ان يستعينوا بالخبراء الفنيين الاجانب من أي حكومة كانت مشتهرة في ذلك الفن للاستفادة من خبرتهم في انهاض الحياة الاقتصادية والفنية) بالمادة الثالثة من منهاج حزب العهد والتي تنص على ان (تقتصر الاستعانة بالخبراء الفنيين البريطانيين وحدهم) • وقد رفض حزب الاستقلال اقتراحات المدفعي هذه (٢) •

ويعتقد العمري ان هذا النزاع والتشاحن قد أضرا « ضررا بليغا بكلتا الجمعيتين اذ أن ذلك لم يمكنهما من القيام بعمل ما وأوجب اليأس والحزن في قلوب الجمهور وأصبحت الجمعيتان المذكورتان معدومتا

(١) الحسني ، الثورة ، ص ٥٤ •

(٢) البازركان ، علي ، الوقائع ، ص ١٨١ - ١٨٢ •

الوجود وساد السكون في بغداد خلال بضعة شهور من جراء عدم نشاط الحزبين وخلافهما ٠٠٠» (١) . وقد وضع الاستاذ أحمد سامي الدبوني أسباب الخلاف بين الحزبين برسالة بعثها الى فرع جمعية العهد بالموصل بتاريخ ٢٦ تشرين الاول ١٩٢٠ . وأشار في رسالته الى أن أسباب الخلاف كانت شخصية بالدرجة الاولى . ويقول ان الخطأ كان من الجهتين وهو نهور الحرسيين وشكوك العهدين» (٢) .

حزب حرس الاستقلال : تشكل حزب الحرس في أواخر جمادى الثانية ، ١٣٣٧هـ ونهاية شباط سنة ١٩١٩ . وكان مركزه بغداد . وقد أورد الحسيني أسماء الهيئة المؤسسة وأسماء الهيئة الادارية لهذا الحزب . ويقول ان الجمعية كانت « تعقد جلساتها ، في أكثر الاحياء ، برئاسة السيد محمد الصدر وتسترشد بأرائه وتوجيهاته الثمينة » (٣) .

واليك أهم مواد منهج جمعية الحرس : المادة الثانية : تسعى الجمعية المذكورة وراء استقلال البلاد العراقية استقلالاً مطلقاً . المادة الثالثة - تعترف الجمعية باسناد منصب الملوكية في هذه البلاد الى أحد انجال جلالة الملك حسين ، على أن يكون ملكاً دستوريا ديمقراطياً . المادة الخامسة - يجب على الجمعية أن تفرغ قصارى جهدها في سبيل ضم المملكة العراقية الى لواء الوحدة العربية .

وكان لانضمام جمعية سياسية سرية عرفت « بجمعية الشبية » لحزب حرس الاستقلال أثر في تقوية مركزه من جهة وفي توحيد مساعي الوطنيين من جهة أخرى (٤) .

(١) مقدرات العراق السياسية ، ج ٣ ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٢) مؤرخ ، صدى الاحرار ، العدد ٢١٢ ، ١٥ رمضان ، ١٣٧٢ .

٢٩ ايار ، ١٩٥٣ .

(٣) الثورة العراقية الكبرى ، ص ٥١ .

(٤) الحسيني ، الثورة ، ص ٣٠ .

وكان تأسيس مدرسة أهلية باسم (المدرسة الاهلية)^(١) في ايلول سنة ١٩١٩ من الاعمال المهمة التي انبثقت عن فعاليات حزب حرس الاستقلال . ويورد لنا الاستاذ علي البازركان تفصيلات وافية عن أسباب تأسيس هذه المدرسة وعن انخدمات التي قدمتها للقضية الوطنية^(٢) .

وعندما تحدثنا المس بيل عن هذه المدرسة تقول : « قام جماعة من شبان بغداد ، كان قسم منهم قد تعلم في استانبول وأوربة ، بحركة تستهدف نشر التعليم على أساس ان الادارة البريطانية لم تعر هذه الناحية من الخدمة العامة اهتماما كافيا . وكان هدفهم هذا لا يمكن أن يؤاخذوا عليه فجمعوا مبلغا محدودا من المال وأسسوا مدرسة ثانوية أهلية في كانون الثاني ، ١٩٢٠^(٣) لكن أهميتها السياسية سرعان ما أصبحت أكثر من أهميتها التعليمية . وما ان حل الربيع حتى كانت مقرا للوطنيين المتطرفين »^(٤) .

وانشأ حزب حرس الاستقلال فروعاً له في الكاظمية والحلة والنجف الاشرف والشامية وغير ذلك من المدن العراقية^(٥) . وسنعود للكلام عن فعاليات حزب حرس الاستقلال في الاشهر التي سبقت اعلان الثورة في الـ ٣٠ من حزيران ١٩٢٠ .

(١) لقد غير اسم المدرسة الاهلية بعد غلقها في ١٢ آب ١٩٢٠ ، وسميت مدرسة « التفيض الاهلية » .

(٢) الوقائع الحقيقية ، ص ٩١ .

(٣) أجزت المدرسة في ١٤ ايلول ١٩١٩ ويظهر أن الفرق بين هذا التاريخ والتاريخ الذي أوردته المس بيل قد أمضي في الاستعداد لفتح المدرسة .

(٤) فصول من تاريخ العراق الحديث ، ص ١٤٦ .

(٥) العمري ، مقدرات ، ج ٣ ، ص ٦٠ .

الاستفتاء العام سنة ١٩١٨ :

وصلت تعليمات من الحكومة لبريطانية الى وكيل الحاكم الملكي العام ، الكولونيل ولسن ، يطلب فيها اليه أن يقوم بالتأكد من معرفة آراء العراقيين حول النقاط التالية :

- (١) هل يفضلون دولة عربية واحدة تقوم بارشادها بريطانيا وتمتد من حدود ولاية الموصل الشمالية الى الخليج الفارسي (العربي) ؟
- (٢) وفي هذه الحالة ، هل يرون ان الدولة الجديدة يجب أن يكون على رأسها أمير عربي ؟
- (٣) واذا كان الامر كذلك ، من هو الذي يرشحونه؟^(١)

ويقول الحسني حول هذا الاستفتاء أن وكيل الحاكم الملكي العام استدعى الحكام السياسيين في الالوية و « بعد أن زودهم بالاسئلة الثلاثة ، وطلب منهم الحصول على مضابط بالاجوبة المؤيدة لسياسته ، عاد الحكام الى مناطقهم ... »^(٢) . أما المس بيل فقد أظهرت شكوكها في فائدة استجواب كهذا بقولها : « يمكننا أن نشك فيما اذا كان مثل هذا الاستجواب الذي يجري باشراف الحكومة أو أية جهة أخرى ، سوف يمكن بواسطته استخراج أجوبة قد تكون مفيدة لتدل المستجوب على شيء ... »^(٣) .

وقد حاول الحكام المحليون تحقيق رغبة الحكومة المركزية « فكان بعضهم يستدعي معارفه ويكلفه توقيع مضابط يطلبون فيها استمرار الحالة الراهنة ، والبعض الآخر يوعز بأن تتضمن هذه المضابط طلب الحماية البريطانية المطلقة ، ويسعى غيرهم لجعل هؤلاء المعارف أكثرية تطلب أميراً

(١) بيل ، المس ، ن٠م ، ص ١٢٢ .

(٢) الحسني ، الثورة ، ص ٥٢ .

(٣) بيل ، ن٠م ، ص ١٢٢ .

عربيا تحت الهيمنة البريطانية ...» (١) .

وكانت نتائج الاستجواب متباينة ففي كربلاء مثلا عجزت الحكومة عن الحصول على الجواب المطلوب . وكان لفتوى المجتهد الأكبر الشيخ محمد تقي الشيرازي أثر كبير في فشل السلطات الانكليزية في الحصول على جواب يطمئن رغباتهم . وقد استفتى أحدهم الشيخ المذكور « في جواز انتخاب غير المسلم للإمامة والسلطنة على المسلمين ... » فأجاب سماحته : « ليس لاحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمامة والسلطنة على المسلمين » (٢) . ويظهر أن فتوى شبيهة بهذه قد أصدرها المجتهدون في الكاظمية ولكننا لم نعثر على نصها . وتقول المس بيل « قد حرم المجتهدون في كربلاء والكاظمية على المسلمين أن يصوتوا لغير تشكيل حكومة اسلامية ، فبلغ الاختلاف حدا أوقف سير الاستجواب ... » (٣) . وقد نجح الانكليز في الحصول على مضابط تؤيد وجهة نظرهم من الموصل ونواحيها . فذكر العمري أن مسيحيي « الموصل وطوائفها الاخرى وسكان أفضيتها [أعطوا] مضابط على حدة مضمونها كمضمون المضبطة المحررة اعلاه [يشير الى مضبطة الموصل المؤرخة في ١٠ كانون الثاني سنة ١٩١٩] . ويقول أن ضجة عظيمة حصلت « حول تلك المضابط استوجبت القيل وقال فأخذ الجمهور يلوم الذوات الذين وقعوا عليها من دون أن يأخذوا رأي الشعب في القضية ... » (٤) . ويذكر الحسيني أن مضبطة الموصل بقيت « موضع سخط المخلصين الغيارى عامة وأبناء الموصل خاصة ... » (٥) .

(١) الحسيني ، م٠ ن ، ص ٣٠ .

(٢) لقد أورد الحسيني على الص ٣١ - ٣٢ من كتابه الموسوم بـ « الثورة العراقية الكبرى » نص الاستفتاء . كما أورد نص المضبطة التي حررها أهل كربلاء جوابا للاستفتاء .

(٣) فصول ، ص ١٢٣ .

(٤) مقدرات العراق السياسية ، ج ٣ ، ص ١٠ .

(٥) الثورة ، ص ٣٣ .

أما أهل الحلة فانهم أعطوا مضبطة «صرح فيها السكان الذين كان يرشدهم على الاغلب السيد محمد علي القزويني ... تصریحا قلیبا بأنهم یحبذون استمرار الادارة البريطانية رافضین الاذعان للدعاية الوطنية وغيرها» (١) .

ویظهر أن السلطات الانكليزية حصلت على مضبطة الحلة بصورة غیر مشروعة فیحدثنا الدكتور مهدي البصير ، الذي كان حاضرا في الحلة عند اجراء الاستفتاء الذي نتجت عنه المضبطة سالفه الذكر ، عن ذلك بقوله : « أحب الحاكم السياسي أن یستشير السيد محمد علي القزويني بشأن استطلاع رأي الاهلین في الاجابة على الاسئلة الثلاثة فأشار علیه بأن توجه الاسئلة الى سبعة رجال فقط ، على أن یختارهم هو ویرأسهم ، فوافق الحاكم ، ولكن صدر ذلك الوجه ضاق عن سره فأفشاءه . ولما تحقق الوطنیون صحة الخبر اجتمعوا في بیت أحدهم للمداولة بالامر واجباط الدیسسة فانفقوا على توجيه عریضة للحاكم وقعها جمع كبير من أرباب الثراء والجاه وینهم رئیس البلدية الحاضر ، وقدمها الاخير الى الحاكم فرفض أن یستلمها منه وطلب الیه أن یقابل السيد محمد علي القزويني فأبی هذا اجابة طلب الحاكم . ونفذ في النهاية رأي الوجه الناصح الامین للسلطة فاجتمع سبعة رجال ورأسهم حضرته وقرروا طلب تعین السیر برسي كوكس ملكا على العراق ... فلهج الصغير والكبير بدم هذه الفعلة السيئة » (٢) .

ویقول العمري ان السلطات الانكليزية استحصلت ، المضبطة سالفه الذكر ، من الحلة بطريقة غیر مشروعة ، وما علم الاهلون بقصتها حتى وقعوا مضبطة قالوا فيها : « نريد تأسيس حكومة عربية مستقلة » (٣) . وقد اهتم

(١) بیل ، المس ، فصول ، ص ١٢٢ .

(٢) القضية العراقية ، ج ١ ، ص ٦٩ - ٧٠ ؛ وعلي ، عباس ،

ن م ، ص ٣٨ ؛ والحسني ، الثورة ، ص ٣٣ .

(٣) مقدرات ، ج ٣ ، ص ٢٣ .

وكيل الحاكم الملكي العام بأمر النجف الاشرف لمكاتها الدينية ، فسافر اليها وعند وصوله عقد اجتماعا ضم لفيما من العلماء والوجهاء ورؤساء القبائل التابعة للنجف والشامية وقد اورد الحسيني (*) تفصيلات عما دار في هذا الاجتماع وعن النتائج التي أسفر عنها . وكانت المضبطة التي قدمت من منطقتي النجف الاشرف والشامية مخيبة لآمال السلطات البريطانية لانها أعربت عن رغبة الاهلين في تأسيس حكومة عربية مستقلة . وقد قدمت مثل هذه المضبطة من بغداد . وعندما يتحدث العمري عن المضابط التي قدمت جوابا للاستفتاء الذي أجراه الانكليز في العراق يقول : « أما في بغداد والنجف والكاظمية وكربلاء فان الاعيان والوجوه كانوا قد درسوا القضية وقر رأيهم أن يطلبوا تأسيس حكومة عربية مستقلة تحت رئاسة أحد أنجال الملك حسين فنظموا مضابطا بهذا المعنى ووقعوا عليها وقدموها اجابة على الاسئلة الثلاث المبحوث عنها ، ما عدا زمرة من المقربين » (١) .

وقبل الانتهاء من الكلام عن جواب الاستفتاء الذي صدر من النجف الاشرف أود أن أشير الى نقاط ثار حولها جدل بين كاتيين كتبنا عن الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، وهما الشيخ فريق الفرعون والاستاذ علي البازركان . فالشيخ فريق يقول : ان المجتمعين بحضرة وكيل الحاكم العام في النجف أرجأوا اجتماعهم بغية استشارة العلماء . وان أحد المجتمعين وهو السيد هادي النقيب (٢) قال في الاجتماع « لا نريد غير الانكليز » . وان الشيخ

(*) الثورة العراقية ، ص ٣٦ - ٣٧ .

(١) ن م ، ج ٣ ، ص ٢٤ .

(٢) يقول حاكم النجف السياسي على الص ١٠٨ من الجزء الاول من مجموعة تقارير الحكام السياسيين التي رمزنا لها سابقا بـ Reports « ان السيد هادي نقيب الاشراف ٠٠٠ كان من أعظم مؤيدي الحكومة ، ولكنه رجل مذبذب وضعيف ولذا فهو عديم الفائدة عند الحاجة . وانه قليل الذكاء ٠٠٠ وعلى الحكومة أن تسنده وتسند ابن أخيه الكليدار [يقصد سادن حضرة الامام علي (ع) السيد عباس] لتستفيد منهما عند الحاجة » . ويقول الاستاذ عباس علي على الص ٣٨ من كتابه الموسوم =

عبدالواحد الحاج سكر قال للسيد هادي ان هذا رأيه الشخصي وان أكثر الحاضرين لا يؤيدونه . وان الشيخ محمد رضا الشيباني قال : « ان العراقيين يرون من حقهم أن تتألف حكومة وطنية مستقلة استقلالاً تاماً ، وليس فينا من يفكر باختيار حاكم أجنبي »^(١) . ويستتج البازركان من الوضع الذي ساد الاجتماع أن رجال الفرات تنقصهم الجرأة الادبية والشجاعة في ابداء الرأي في حضرة الحاكم « وتملصوا تملص الخائف المترقب بحجة امهالهم لمراجعة رجال الدين ، فليت شعري [على حد قوله] ما حاجتهم الى مراجعة شيوخ الدين وهم قد حددوا أهدافهم الوطنية وعينوا أمانيتهم القومية وعرفوا رأي زعمائهم الروحانيين بذلك قبل الاجتماع ، بل ما حاجتهم الى مراجعة رجال الدين وفيهم فطاحل العلماء وكبارهم أمثال الشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ محمد جواد صاحب الجواهر ؟ » . ويختم البازركان حديثه عن هذا الموضوع بقوله : « واذا كان نقيب النجف لا يمثل الا نفسه فمن الذي يمثل النجف اذن ؟ »^(٢) .

ان الذي أود أن أشير اليه هنا هو ان رغبة المجتمعين في استشارة العلماء ليس عليها اعتراض . اذ بالرغم من وجود الشيخ عبدالكريم الجزائري بينهم وهو ممن كان يرجع الى رأيه حينئذ في الامور الدينية والسياسية والشيخ محمد جواد الجواهري وهو من المشتغلين في السياسة ، فان الكلمة النهائية والواجبة الاتباع في هذا الموضوع وغيره يومئذ ، كانت

= ب « زعيم الثورة العراقية » المطبوع ببغداد ، ١٩٥٠ ، أن السيد هادي كان ثرياً وقحاً وان الشيخ محمد رضا الشيباني تعامل عليه ونجح في اسكاته . ومن هذا يظهر أن السيد هادي لم يكن من الرجال الذين يحسب حساباً لرايهم . ان استعمال اللغة السمجة أمر لا يقره العرف التاريخي لذا أرجو أن يأخذ القارئ ما قيل عن السيد هادي النقيب وابن أخيه السيد عباس بشيء من الحذر .

(١) الحقائق الناصعة ، ج ١ ، ص ٧٤ - ٧٨ .

(٢) الوقائع الحقيقية ، ص ٧٢ - ٧٥ .

للمجتهد الاكبر وهو السيد كاظم اليزدي حينذاك . وما يؤيد هذا الرأي هو أن المجتمعين ذهبوا لمشاورة السيد اليزدي في اليوم التالي وبعد تردد^(١) قال لهم : « احتاروا ما هو أصلح للمسلمين »^(٢) . والذي اعتقده أن الاستاذ علي البازركان غير مصيب حين يعتقد أن رجال الفرات لا حاجة لهم بمراجعة رجال الدين لانهم عينوا أمانتهم القومية وحددوا أهدافهم الوطنية ، لان الدعوة باسم القومية أو الوطنية لا يمكن أن تؤثر في الجمهور ، ومن الصعب عليه أن يفهمها حينذاك . وسبق أن وضحنا في أماكن متعددة من هذا الكتاب أن الكلمة النهائية في الامور السياسية بالعراق خلال هذه الفترة كانت لرجال الدين . يضاف الى ذلك ان السيد هادي النقيب الذي عده الاستاذ البازركان ممثلا للمنحرف لم تكن له صفة دينية مطلقا فهو ليس من صنف المجتهدين ولا من صنف الفضلاء الذين دونهم وحتى لم يكن من الطلبة الذين هم في القاعدة من الهرم الديني . وكل ما في الامر انه ورث لقب النقابة عن أجداده . ومن الجدير بالذكر ان ليس للنقابة أهمية دينية بين أوساط الشيعة كما هي الحال عند السنة ،

(١) كان المجتهد الاكبر السيد كاظم اليزدي غير ميال للتدخل في الامور السياسية . وقد اتخذ موقفا فاترا تجاه حركة الدستور في ايران بالرغم من أن معظم علماء العصر ، كما أسلفنا ، أيدوا هذه الحركة . وعندما يستفتيه الناس في الامور السياسية يقول اني أعرف الحلال والحرام ولكني لا أعرف السياسة . وكان لابتعاده عن السياسة أثر في اعتقاد حاكم النجف السياسي في سنة ١٩١٨ ، كما دونه على الص ١٠٦ في مجموعة التقارير ، انه يميل الى الانكليز . وقد توفي السيد اليزدي في ٣٠ نيسان ، ١٩١٩ ، فانفرد الشيخ محمد تقي الشيرازي بالزعامة الدينية . وكان لفتاواه ومواقفه الايجابية من الحركة الوطنية أثر فعال في انضمام جماعات غفيرة من العراقيين تحت لواء الثورة ضد الانكليز في سنة ١٩٢٠ . وكان الشيخ الشيرازي من رجال الدين الافذاذ الذين واكبوا سير الحركات التحررية في عصورهم ووجهوا مؤيديهم لخدمة مصلحة الوطن العليا .

(٢) الحسنی ، الثورة ، ص ٣٨ .

والمرجع الديني الاعلى عند الشيعة هم المجتهدون فقط .

ويستطيع الباحث أن يستتج من الطريقة التي أجري فيها استفتاء سنة ١٩١٨ ومن الحوادث التي رافقته ما يأتي : أولا - يظهر أن الحكومة البريطانية تدخلت في الاستفتاء بصورة مباشرة ، كما حصل في الحلة ، أو بصورة غير مباشرة ، كما حصل في بعض المناطق العراقية الاخرى ، لذا لا يمكن الركون الى نتائج الاستفتاء التي جاء بعضها مؤيدا لرغبة السلطات البريطانية في العراق وهي ادعاؤها بأن العراقيين يفضلون استمرار الحكم البريطاني في العراق . ثانيا - لقد رأَت السلطات البريطانية ، لاسباب عملية ، أن تقصر الاستفتاء على رؤساء الناس ووجوههم ولم تحاول أن تستمزج رأي الجمهور حول موضوع خطير كهذا . وكبت المس بيل رغبة منها في توضيح وجهة نظر حكومتها قائلة : « ان سواد الناس الذين وجهت اليهم الاسئلة لم يكن لهم رأي خاص ، وهم في وضع لا يمكن أن يكونوا فيه مثل هذا الرأي . ولذا فقد كان غير عملي بصورة واضحة أن تقوم باستجواب عامة الناس من أفراد القبائل والرعاة ... والمأمول في أية حالة كانت أن يرددوا بالايجاز ما يقول لهم رؤساؤهم ، وبذا يكون من الانفع ان تحال الاسئلة على رؤسائهم فقط . وعلى هذا الاساس كان الشيوخ والرجال المهمون في المناطق الريفية ومراكز الاقضية والولايات هم الذين سئلوا عن آرائهم في هذا الشأن » (١) . وقد اتضح هذا النقص القانوني في طريقة الاستفتاء للكثيرين ممن وجهت اليهم الاسئلة السابقة . ففي الاجتماع الذي عقد لهذا الغرض بكر بلاء قال السيد عبدالوهاب آل الوهاب : « ان هذه الجمعية لا تمثل مدينة كربلاء تمثيلا صحيحا ، وان هنالك طبقات مختلفة يجب ان تستشار في هذا الموضوع ... » (٢) . وندد

(١) فصول ، ص ١٢٢ .

(٢) الحسنی ، الثورة ، ص ٣١ .

العربي بالموقعين على عريضة الاستفتاء بالموصل لانهم لم يستمزجوا رأي الجمهور حول الموضوع^(١) .

وكان باستطاعة السلطات البريطانية في العراق ، لو أرادت الوصول الى نتائج تعبر عن رغبات العراقيين ، أن تتبع طرق الاستفتاء التي اتبعتها لجنة الاستفتاء الامريكية في سورية سنة ١٩١٩ حين أتاحت فرصا^(٢) كافية للسوريين بأن يعبروا عن آرائهم بحرية فقبلت العرائض من الافراد والمؤسسات وصنفتها واستخرجت منها نتائج صحيحة . ونستطيع القول أن الاحوال الاجتماعية والسياسية في العراق تقارب ما هي عليه في سورية حينذاك ، وما تم في سورية على يد لجنة الاستفتاء الامريكية يمكن أن يتم بالعراق على يد السلطات البريطانية في هذه البلاد .

الحركات المحلية :

لقد قامت في مناطق مختلفة من العراق حركات ذات صبغة محلية نشأ بعضها عن التذمر من الاجراءات الادارية الصارمة التي فرضتها السلطات البريطانية ، بما فيها فرض الضرائب الثقيلة التي لم يعتد على دفعها أهل البلاد وخاصة سكان المناطق الريفية . وكانت الدوافع الوطنية واضحة في بعض هذه الانتفاضات لا سيما تلك التي حصلت تحت توجيه وارشاد جمعيات سياسية أمثال بعض حركات الشمال التي قامت بمعونة وارشاد جمعية العهد في الشام وفرعها في الموصل وحركة النجف التي كان لجمعية « النهضة الاسلامية » صلة بها . وكان بعض هذه الحركات ذات هدف استقلالي محلي وهو التخلص من السيطرة الانكليزية أمثال حركة الشيخ محمود في السليمانية . وقد وردت تفصيلات وافية عن

(١) مقدرات ، ج ٣ ، ص ١٠ .

(٢) انطونيوس ، جورج ، يقظة العرب ، ترجمة ناصرالدين الاسد

واحسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ٦١١ .

الحركات العسكرية في مظانها^(١) لذا لا أرى ضرورة لبحث هذه الناحية ،
وسأقتصر على ذكر الخطوط العامة فقط .

أولا - حركة الشيخ محمود : لقد اتفق الشيخ محمود ، أحد زعماء
الاكرد البارزين في السليمانية مع الانكليز على اقامة حكومة محلية في
منطقته . وقد نشأت هذه الحكومة فعلا ولكنها ما لبثت ان اصطدمت مع
سلطات الاحتلال فكان ذلك سببا للقضاء عليها . ويقول أمين زكي ان
حكومة الشيخ محمود : « تأسست بعد الحرب العامة في احدى زوايا
كرديستان الجنوبي (السليمانية) . . . بتعاضد من الحكومة الانكليزية
ومساعدتها . فبدل أن تقوم هذه الحكومة بوظيفتها بهدوء ، اذا بها تضطر
للاشتباك مع الانكليز . . . »^(٢) . وقد حصل التصادم بين قوات الاحتلال
والشيخ محمود لانه أظهر ميولا استقلالية من جهة ، ولوجود مصاعب
ادارية واقتصادية تحول دون تحقيق فكرة وجود دولة كردية من جهة
أخرى . ومن هذه الصعوبات ، كما رأها ولسن ، تأخر البلاد ورداءة
المواصلات واضطراب جبل الامن بين القبائل . يضاف الى ذلك أن بلاد
كرديستان لا تستطيع أن تعيش من الناحية الاقتصادية والجغرافية الا كجزء
من العراق لان المدينتين اللتين تستوردان منتجات هذه المنطقة هما الموصل
وبغداد . ويضيف ولسن قائلا : ان هذه الحقائق كانت معروفة لدى
الجميع ، لهذا أظهر عدد من مثقفي الاكرد رغبتهم في ادارة لامركزية
لنطقتهم ضمن اطار دولة عراقية ، على أن تكون هذه الدولة تحت

(١) العمري ، محمد طاهر ، تاريخ مقدرات العراق السياسية
(ثلاثة أجزاء) بغداد ، ١٩٢٥ ؛ والحسني ، عبدالرزاق ، الثورة العراقية ،
صيدا ، ١٩٥٢ ؛ بيل ، المس ، فصول من تاريخ العراق الحديث (تعريب
جعفر خياط) بيروت ، ١٩٤٩ ؛ وشاكر ، صابر ، موجز تاريخ التركمان ،
ج ١ ، بغداد ، ١٩٦٠ .

(٢) خلاصة تاريخ الكرد وكرديستان ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص ٢٦٥ .

ارشاد بريطانية » • وقد تمكن الشيخ محمود من الصمود في وجه القوات البريطانية حيناً ولكن الانكليز قضوا على حركته وحكموا عليه بالاعدام ثم أبدلوا حكمه بالسجن المؤبد^(١) وأخيراً عفي عنه •

وقد حصلت حوادث في منطقة العمادية والعقر والكويان ضد السلطات البريطانية قتل فيها عدد من ضباطهم وجنودهم • وقد أورد العمري تفصيلات عن هذه الحوادث^(٢) • وتعزو المس بيل حركة الكويان خاصة ومعظم حركات الاكراد في كردستان الشمالية الى تحريض الاتراك من جهة ، والى العداة المستحکم بين السكان المسيحيين المحليين والاكرد في هذه المناطق^(٣) •

ثانياً - الحركات الثورية في دير الزور والموصل :

لقد كان معظم الحركات التي حصلت في جهات دير الزور والموصل ضد الانكليز يجري بتأييد ومعونة جمعية العهد العراقي بسورية وفرعها بالموصل^(٤) • وكان لواء دير الزور ، بعد انسحاب الاتراك منه ، قد انضم الى الحكومة القيصلية في سورية^(٥) ، ولكن سوء ادارة الحكومة السورية وفقدان سيطرتها التامة على موظفيها حملت الاهالي في دير الزور على طلب الانضواء تحت الادارة البريطانية • وقد اهتمت السلطات البريطانية هذه الفرصة فاحتلت دير الزور وأسست فيه حكمها الذي دام سنة كاملة • وقد نال أهل الدير من عنت السلطات البريطانية ما جعلهم يندمون على انضوائهم تحت حكمها ويطلبون العودة الى سورية • وكان من نتيجة ذلك ان استفاد رجال جمعية العهد العراقي من نفوذهم في الحكومة

Op. cit, 2, p. 138.

(١)

(٢) مقدرات العراق ، ج ٢ ، ص ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ •

(٣) فصول من تاريخ العراق ، ص ٩٧ •

(٤) البصير ، ن ٢٠ م ، ج ١ ، ص ١١٤ •

(٥) العمري ، ن ٢٠ م ، ج ٣ ، ص ٢٨٤ •

الفصلية في الشام وعملوا على تخليص دير الزور من حكم البريطانيين •
ومن الذين ساعدوهم في تحقيق هذا الغرض رمضان الشلاش الذي كان
ضابطا في الجيش التركي سابقا ثم انخرط في جيش الشريف حسين •
وتمكن رمضان الشلاش بمعونة قبيلته البوسراي التي هي فرع من
العكيدات أن يحتل دير الزور في ١١ كانون الاول سنة ١٩١٩ • وقد ضم
الدير الى الدولة العربية في سورية بعد مفاوضات جرت بينها وبين السلطات
البريطانية في العراق^(١) • وكانت الاهمية السياسية لاحتلال الدير تفوق
اهميته العسكرية • وعندما يتحدث هالدين عن الحركات في دير الزور
والمناطق المجاورة يقول : « كانت الدعاوة الموجهة من سورية في الفترة
التي تبدأ بشهر نيسان أو مايس سنة ١٩١٩ تعمل على تسميم أفكار السكان
في العراق وخاصة القبائل الساكنة في الجهات السفلى من نهر الفرات •••
وقد اختار العاملون ضدنا منطقة دير الزور ••• نقطة انطلاق لعملهم •
وتمكن هؤلاء أن يسيروا وفق خطة محكمة جيدا ، فاتخذوا من رمضان
الشلاش أداة لتنفيذ هذه الخطة • وكانت المهمة التي أناطتها الحكومة
الشريفية برمضان هذا تلخص في اثارة قبيلته لاحتلال دير الزور ، وحيث
تنصل هذه الحكومة من المسؤولية بحجة انها لا تملك القوة الكافية لتأديبه ،
ولكنها في الوقت نفسه تجني ثمار هذه العملية وتضم منطقة دير الزور
اليها » •

وكان سؤال الساعة الذي تردد على الالسن هو ماذا يكون رجوع
الحكومة البريطانية تجاه هذه الحركة ؟ ويجب هالدين على هذا السؤال
يقوله : « ان بريطانيا لم تستطع أن تعمل شيئا تجاه القائمين باحتلال دير
الزور • وانها قبلت الاهانة التي وجهت اليها وأصبح واضحا ، في ذهن
البعض ، منذ ذلك الحين ، أن قيام حركة في العرق أصبح قضية مسلما

(١) البصير ، ن ٥٠ ، ج ١ ، ص ١٢١ - ١٢٣ •

بها » • وأصبح واضحاً في طول البلاد وعرضها انه اذا كان بمقدور قبيلة العكيدات ، التي هي من أصل غير شريف Base-borne ، على حد قول الجنرال هالدين ، والتي لا تتمتع بشهرة كبيرة كقبيلة محاربة ، أن تطرد البريطانيين من دير الزور بمحض ارادتها ، فكم يكون عندئذ سهلاً على قبائل الفرات الاسفل التي اشتهرت بقوة الشكيمة أن تقوم في الدور نفسه • ويستمر الجنرال هالدين بكلامه فيقول : « أصبح وضعنا ، في نظر قبائل الفرات الاسفل بعد ما أصابنا من الانتكاسات السابقة ، سيئاً • وأعتقد ، حتى الجبناء منهم ، انهم يستطيعون دحر قواتنا » • ولم يرد هالدين أن يبحث مسألة إعادة احتلال دير الزور وهل انها عملية أو غير عملية ولكنه يقول : « لو كان بمقدورنا أن نعيد احتلال دير الزور ، بعد أن سلمت للحكومة العربية السورية ، بسرعة وبصورة فعالة ، لكان بإمكاننا أن نتجنب المضايقات التي جابهناها في منطقة البو كمال وعانة • وقد أجازف وأقول اننا لو قمنا بذلك لما قامت الحركات التالية ضدنا في العراق » • وقد اتضحت ، كما يقول هالدين ، نتائج ضعف الانكليز لاصدقائهم من العرب فتنبأ فهد بك بن هذال ، رئيس فخذ العمارات من قبيلة عنزة ، الذي حافظ على ولائه للانكليز أثناء الثورة العراقية لسنة ١٩٢٠ ، أمام أحد الضباط الانكليز في شباط ١٩٢٠ وقال : « اذا لم تعيدوا احتلال دير الزور ، صدقتموني في ذلك أم لم تصدقوني ، فانكم ستواجهون ثورة في الفرات الاسفل ، خلال ستة أشهر » (١) •

ولا أريد أن أناقش هنا صحة تنبؤات الجنرال هالدين وصديقه الشيخ فهد بن هذال عن أسباب قيام الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ولكني أقول انهما يبسطان هذه الاسباب تبسيطاً لا يقره الواقع ، كما يظهر لك من الفصول السابقة واللاحقة من هذا الكتاب •

أما الحركات الثورية التي قامت في شمال العراق والتي حظت بتأييد ومعونة فرع جمعية العهد بالموصل ، فيلخصها الاستاذ عبدالمنعم الغلامي بما يأتي : أ - واقعة حرق القطار في عين الدبس جنوب الشرفاط في الغارة التي شنت بتاريخ ٢٤ مايس ١٩٢٠ برئاسة فهد بن بطيخ من لواء الكوت وعبدالعزيز الفتيان من أهل عانة . ب - واقعة تلعرف المشهورة في يوم ٤ حزيران ١٩٢٠ . ج - واقعة الجرناف بالقرب من (القيارة) في أول تموز ١٩٢٠ . وكلا الواقعتين كانتا بقيادة جميل محمد آل خليل أفندي . د - واقعة الخميرة (موضع بين قرية شيخ ابراهيم وقرية المحلية بقضاء تلعفر) وكانت قد جرت بين جماعة من عشيرة العفاريث من عبدة برئاسة مبرد بن مناور السوكي وبين قوة انكليزية يقودها دتن حاكم تلعفر في ايلول ١٩٢٠ . هـ - واقعة البوير (قرية من قرى ناحية حميدات) . وممن اشترك فيها سليمان أغا الكركري ويونس ابن الثائر المشهور بليل^(١) .

يضاف الى ذلك أن قوة نظامية يقدرها هالدين بألف رجل وردت من سورية في ٢٦ مايس ١٩٢٠ وعسكرت في الفدغمي على نهر الخابور ويصحبها مثل هذا العدد أو أكثر من القبائل غير النظاميين . وكانت خطة قائدها ، الذي قيل انه جميل باشا^(٢) والذي كان يوقع رسائل لغرض الدعاوة باسم « قائد القوات العراقية الشمالية » ، تنطوي على التقدم نحو الموصل بغية الاتصال بحركة القبائل القادمة من الشمال وتلك التي قدمت من الشرفاط على الفرات^(٣) . ويظهر ان المصادر صامتة عن مصير هذه القوة وعن

(١) « المعرفة » السنة الثانية ، ج ٣٩ ، ١٥ اب ، ١٩٦٢ ، ص ٢٠ .

(٢) يقصد جميل المدفعي أحد رؤساء مجلس الاعيان خلال العهد

الملك في العراق .

Haldane, Op. cit, p. 39.

(٣)

الانجازات التي تمت على يدها . ويلوح لي أن بعض المؤرخين العرب^(١) قد نسبوا ما أنجزه جميل محمد آل خليل أفندي في تلعفر الى جميل المدفعي قائد القوة العسكرية في الفدغمي في ٢٦ من مايس ١٩٢٠ . والادلة على ذلك كثيرة منها :

أولا - يظهر من رواية الجنرال هالدين عن حادثة تلعفر ان جميل المدفعي وقواته لم تكن موجودة في تلعفر عند وقوع الحادثة فيها . والجنرال المذكور يقول : « لقد عقد الوجيهاء المحليون اجتماعا في ليلة ٣/٢ حزيران خطب فيه ضابط سابق^(٢) في الجيش التركي قائلا ان قوات كبيرة تعود لحكومة الشرفاء في سورية قادمة نحونا ، واتم مدعوون للتعاون في هذا المضمار ، أما في الانضمام الى القوات القادمة أو احتلال تلعفر وضمه الى الدولة الشريفة في سورية » .

وقد ذهب بعد ذلك جميع الاغوات أو الوجيهاء المحليون على أمل أن ينضموا الى القوات القادمة لكنهم ما لبثوا أن غيروا رأيهم وعادوا . وفي صباح الرابع من حزيران هاجمت مدينة تلعفر جماعة من رجال القبائل وانضم اليها سكان المدينة وحينئذ قتل أحد أفراد الجندمة ضابطهم الكاتبين ستورات Staurt حينما كان يتجول هناك^(٣) . ويظهر من هذه الرواية ان قوات جميل المدفعي العسكرية في الفدغمي لم تكن موجودة في تلعفر^(٤) عند وقوع الحادثة .

(١) الحسيني ، عبدالرزاق ، الثورة العراقية الكبرى ، ص ٤٨ - ٤٩ ؛ البصير ، ن. م. ، ج ١ ، ص ١٣١ .

(٢) أعتقد أن الجنرال هالدين يشير الى جميل محمد قائد حركة تلعفر الذي كان ضابطا سابقا في الجيش العثماني .

(٣) Haldane, Op. cit, p. 41 — 2.

(٤) لقد أورد شاكر صابر على الص ١٣٨ - ٣٩ من الجزء الاول من كتابه « موجز تاريخ التركمان » معلومات عن حركة تلعفر وأسماء بعض الاغوات الذين اشتركوا فيها .

ثانيا - ان رواية الأستاذ عبدالمنعم الغلامي ، وهو من المعاصرين والمستغلين في القضايا الوطنية ، التي أوردناها سابقا تبين ان قائد الحركة في تلعفر هو جميل محمد آل خليل وليس جميل المدفعي .

ثالثا - لقد قابل الأستاذ علي البازركان جميل محمد الخيال^(١) في استانبول سنة ١٩٣١ وسأله عن قصة تلعفر فقال له : « كنت قائد الدرك عند القوة الانكليزية في تلعفر ... وكانت القوة التي أنا أقودها من الدرك الموصلين فقتل احدهم الضابطين البريطانيين ومن معهم ولما كنت موظفا لدى الانكليز (أي قائد الدرك) وقتت بهذا العمل ضدهم حكموا علي بالأعدام ... فقلت له ولكن المشهور أن الذي هجم على قلعة تلعفر وقتل قائد الحماية هو جميل المدفعي ، فأجابني ليس الامر كذلك لاني أنا الذي متهم بالقتل وأنا المحكوم علي بالأعدام » . ويستطرد الأستاذ البازركان فيقول : ان شخصا اسمه الحاج زكي الذي كان موظفا عدليا بديار بكر حينذاك ، أيد أقوال جميل محمد السابقة^(٢) .

رابعا - الحركات الثورية في النجف : لحركة النجف ضد سلطات الاحتلال البريطانية أسباب يمكن أن نجعلها بما يأتي :

أ - تدمير شيوخ المحلات النجفية من حكم البريطانيين . سبق أن أشرنا الى أن النجفيين طردوا الحماية التركية في نيسان سنة ١٩١٥ . وبقيت النجف منذ ذلك التاريخ حتى آب ١٩١٧ مستقلة استقلالاً ذاتياً تاماً يحكمها شيوخ الاطراف الاربعة التي كانت تنقسم لها المدينة^(٣) . ويظهر أن سلطتهم على المدينة كانت واسعة ، حتى ان أحدهم وهو عطية أبو كلل ،

(١) هو جميل محمد آل خليل نفسه .

(٢) الوقائع الحقيقية ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

Reports, I, p. 68.

(٣)

زعيم الزقرت، استطاع ان يؤسس له حكومة مؤقتة Interim-government في النجف بين ١٩١٥ - ١٩١٦^(١) . وعندما قدم الانكليز للنجف في آب ١٩١٧ وجدوا سلطة زعماء الاطراف النجفية قوية ، لذا فانه ليس من السهل عليهم ان ينشروا نفوذهم هناك دون معارضة^(٢) . فكفروا بالاستعانة بالشيوخ أولا في حكم النجف ولكنهم ما لبثوا ان عينوا الكابتن بلفور F.C.C. Balfour أول حاكم للشامية والنجف . ولم تمضى مدة طويلة على تعيينه حتى أظهر الشيوخ تمردهم ضد الحكومة ، على أنر اجراءآت اتخذتها لحفظ الامن ، كما تدعي ، في النجف . وكان من أشهر القائمين بهذا التمرد عطية أبو كلل الذي قاد مظاهرات نجم عنها الحاق ضرر بممتلكات الحكومة وبعض ممتلكات الاهلين في أبي صخير والنجف . وقد مرت هذه الحادثة دون تأثير كبير ، ولكن الحكومة اتخذت منها دليلا على أن حوادث مماثلة ، من شأنها القضاء على سلطة الحكومة ، ستبعتها حتما . وكان تبوء الحكومة في محله ، اذ استمر عطية أبو كلل وكريم الحاج سعد بعد الحادثة سالفه الذكر ، على تحريض الناس علنا للقيام بالنورة ضد الحكومة . وكان من نتيجة تحريضهم أن تعرضت احدى طائرات الحكومة لرصاص الاهلين المنبعث من جوانب النجف الاربعة . وقد انزعجت السلطة من ذلك فوضعت غرامة على النجف قدرها (٥٠) ألف روبية و (٥٠٠) بندقية^(٣) .

ب - تدمير النجفيين من تعنت الاداريين البريطانيين : تعاقب على حكم النجف قبل قيام الحركة الرئيسية في سنة ١٩١٨ ثلاث حكام وهم الكابتن كرين هاوس Greenhouse والكابتن وينكت Wingate

Longrigg, Op. cit, p. 95. (١)

Reports, I, p. 69. (٢)

Ibid, p. 69. (٣)

والكاتبين مارشال W. Marshall . وكان الاولان « على جانب عظيم من سوء السيرة والصلف والمس بكرامة النجفيين ، وكانا ان أرادا التجول في البلدة أرسلوا في مقدمتهما ثلاثة من الشرطة الاكراد الشرسي الاخلاق فيسيرون وهم حاملوا السياط فيزعجون الناس ويطلبون منهم الوقوف اجلالا واعظاما لحضرة الحاكم الذي يتهادى خلفهم بعبارات فارصة لا تتحملها - بالطبع - نفوس الاهالي الاية »^(١) . واذا علمنا أن قبضة الاتراك على النجف ، في كثير من أدوار حكمهم كانت ضعيفة ، وان النجف لستين خلنا كانت مستقلة تقريبا ، تقدر مبلغ التذمر من سلوك رجال الادارة البريطانية . يضاف الى ذلك ان البريطانيين شددوا قبضتهم على النجف فكتب أحد حكامهم السياسيين يقول : « ان أي تراخ يظهر منا في النجف يضعف سيطرتنا على الفرات بأكمله »^(٢) .

ج - ثقل الضرائب وتووعها : كانت النجف تزرع ، شأنها في ذلك شأن مدن العراق الاخرى ، تحت ثقل الضرائب البريطانية . وقد أشرنا فيما سبق الى بعض هذه الضرائب كضريبة الدفنية التي كانت حصيلتها في عام ١٩١٨ (٤٨) ألف روية وتخميناتها للسنة المقبلة (١٢٠٠٠٠٠) روية . وضريبة الكرتينة وحصيلتها للسنة نفسها (٥٣٠٠٠٠) روية وتخميناتها لسنة ١٩١٩ (١٢٠٠٠٠٠) روية^(٣) . وضريبة الكودة وحصيلتها لسنة ١٩١٨ (٨٠) ألف روية . وضريبة السمك وحصيلتها (١٤٠١٨٦) روية وضريبة الحطب والقصب وحصيلتهما (٤٠) ألف روية . وهناك ضرائب متفرقة أهمها :

(١) محبوبة ، جعفر ، ماضي النجف وحاضرها ، ج ١ ، صيدا ، ١٣٥٢ ، ص ٢٤٩ .

Reports, I, p. 85. (٢)

(٣) لم يتحمل النجفيون جميع هذه الضريبة ، بل يساهم بها ذوو الموتى الذين يجلبون أمواتهم للدفن في النجف .

أ - ضريبة ماء الشرب وقدرها نصف آنة على كل قرية • ب - ضريبة البناء • ج - الذبحة • د - ضريبة النفط وتخميناتها لسنة ١٩١٩ تساوي (١٢) ألف روبية • هـ - ضريبة الوردية وتؤخذ من حيوانات الاجرة وكانت حصيلتها (٥٢٠) روبية ، (١٥٠٠) روبية في الشهر في الكوفة والنجف على التناظر • و - ضريبة الميدانية وقدرها ٢٥٪ من أثمان الحيوانات التي تباع في السوق عدا الغنم • وبلغت حصيلتها (١٠٠٠) روبية و (٣٠٠) روبية في الشهر في النجف والكوفة على التناظر • ز - ضريبة الدلاية - وتؤخذ على جميع المواد التي تباع بالمراد • ح - الحراسة وبلغت حصيلتها (١٠٠٠٠٠) روبية و (٧٥٠٠) روبية في النجف والكوفة على التناظر • يضاف الى ذلك التبرعات الاختيارية اذ عندما بنت الحكومة دارا لها في النجف تبرع الاهلون ب (٤٠٠٠) روبية^(١)

ويختم الحاكم السياسي تقريره عن الضرائب في النجف بقوله :
« لقد حصلت زيادة في حصيله الضرائب هذه السنة في النجف والكوفة عن السنة الماضية • وان ما جمعناه في الربع الاول من سنة ١٩١٨ يزيد على مثيله في السنة الماضية • أما في الكوفة فيزيد على (٣) أضعافه »^(٢) •
ثالثا - يظهر أن الميول الاستقلالية والوطنية كانت قوية في النجف • وكان النجفيون يضيقون ذرعا بحكم الانكليز • وقد وردت تفصيلات عن هذه الناحية في كتاب الشيخ محبوبة وغيره^(٣) • ويلوح لي أن العامل الوطني والديني لعبا دورهما في حركة النجف الرئيسة سنة ١٩١٨ ومن الأدلة على ذلك : أ - اشراك « جمعية النهضة الاسلامية » في النجف في

Reports, I, pp. 76, 77, 89. (١)

Reports, I, p. 89. (٢)

(٣) ماضي النجف وحاضرها ، ج ١ ، ص ٢٤٨ - ٢٥٥ ؛ الحسن ، عبدالرزاق ، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، ج ١ ، ص ٣٨ ، وفرعون ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤١ - ٤٢ •

تديرها • وتقول المس بيل ان المستندات التي عثرنا عليها عند ضابط
الارتباط الالماني في عانة « دلت ••• على وجود لجنة للثورة الاسلامية في
النجف ، كانت غايتها الصريحة جعل النجف مركزا لخلق الاضطرابات
بين العشائر • وكان مائة أو أكثر من رجال الدين متورطين بها ، لكنها
لم تكن تضم اناسا ذوي أهمية من الدرجة الاولى ، وكان الرئيس شخص من
أسرة بحر العلوم العلوية كان نشطا في الدعوة الى الجهاد حتى وقت
سقوط بغداد « (١) •

ويقول الشيخ محبوبه ان جماعة من النجفيين ألفوا « جمعية سرية
قوامها ثلثة من الاعلام كالعلامتين السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ
محمد جواد الجزائري وغيرهما وكانت عليهما تدور رحي الجمعية ومن
أنكارهما تستمد وقد مرت على الجمعية أشهر عديدة وهي تسعى من وراء
الستار للانتقام من السلطة المحتلة والوصول الى غايتها الشريفة وقبل ان
تعم طبقات النجفيين وتصل الى غيرهم من قبائل العراق دفع الحماس
المتزايد فريقا من أفراد الجمعية الى اضرام نار الثورة قبل أن يحصلوا على
آراء الجمعية ••• « (٢) •

ب - كانت للقائمين بالحركة صلات مع العشائر خارج النجف •
ويذكر الاستاذ جعفر الخليلي أن منظمي الثورة « دبروا الامر تديرا أعوزه
الكثير من الاحتياط والعمل اذ اكتفوا بالاتصال ببعض القبائل على الاخص
(العوابد) و (آل علي) و (الحواتم) وادخلوا في اليمين بعض رجالات
القبائل مثل مرزوق العواد ووادي العلي وسلمان الفاضل ومشكوف من
شيوخ بني حسن وعددا كبيرا من شيوخ النجف وحملة السلاح كالبو كلل
وكاظم صبي وكريم الحاج راضي وعباس علي الرماحي والحاج نجس ،

(١) فصول ، ص ٥٠ •

(٢) ماضى النجف ، ج ١ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ •

الذي كان له شأن يذكر ، وأقسم الجميع على أن يحملوا السلاح في وجه الانكليز ساعة تطلق أول رصاصة من النجف ...» (١) . وكتب الحاكم السياسي لمنطقة النجف يقول : « لقد بينت المحاكمات بأن حركة النجف Riot التي نجم عنها مقتل مارشال لم تكن الا جزء من حركة كانت ترمي الى اغتيال جميع الحكام السياسيين في المنطقة ، وكان بالامكان أن تتجح هذه الحركة لو لم يتسرع النجفيون بالقيام بها » (٢) .

وقد نتج عن حركة النجف الرئيسية مقتل الكابتن مارشال في ١٩ آذار ١٩١٨ . وما كان من الحكومة الانكليزية ببغداد الا ان تضع الحصار على مدينة النجف ، ذلك الحصار الذي دام أربعين يوما ذقت المدينة خلاله أنواع المشقات . وما رفع الحصار الا بعد أن خضع الاهلون لشروط الحكومة القاسية التي كان من بينها دفع غرامة قدرها (٥٠) ألف روبية وتسليم (١٠٠٠) بندقية وارسال (١٠٠) شخص للمهند كأسرى حرب .

الوسائل السلمية للحركة الوطنية :

قد يكون من المفيد ، قبل البحث في الوسائل السلمية للحركة الوطنية ، أن أشير الى أن بحث الوسائل السلمية بصورة منفصلة عن الحركات العسكرية السابقة ، لا يعني انفصال الحركتين ، السلمية والعسكرية ، عن بعضهما ، بل كانت الواحدة منهما في الواقع متممة للآخرى من جهة وانهما كانا يحصلان ، أحيانا ، في وقت واحد أو في أوقات يتلو بعضها بعضا . ولكن تنوع الحوادث العسكرية ، واختلاف الوسائل السلمية ، وحدوثها في أمكنة وأزمنة مختلفة ، جعلني أبحث

(١) « كيف عرفت الشيخ عبدالكريم الجزائري » جريدة « الايام » السنة الاولى ، العدد (١٠٠) ، ١١ ربيع الاول ، ١٣٨٢هـ ، ١٢ آب ، ١٩٦٢م .

Reports, I, p. 69 — 70.

(٢)

كل حركة منهما على حدة ليسهل على القارىء تتبع حوادثهما ويقدر أهميتهما ثم يخرج من كل ذلك بنتيجة •

وكان من بين الوسائل التي اتبعت لمقاومة السياسة البريطانية في العراق : أ - نشر الدعاوة الواسعة ضد حكمهم في العراق • وكان لهذه الدعاوة^(١) مراكز متعددة من أهمها المركز الذي انشاءه العراقيون في سورية • وكان معظم هؤلاء من ضباط الجيش العثماني الذين التحقوا بجيش نرفاء مكة في سورية والحجاز خلال الحرب العالمية الاولى • وقد اسندت لهؤلاء بعد الحرب مراكز ادارية وعسكرية مهمة في سورية خاصة • فآثار وجودهم في سورية واشغالهم مراكز خطيرة فيها ، تدمر بعض السوريين حتى نادى بعضهم ان « سورية يجب أن تكون للسوريين »^(٢) • وكان من نتيجة تدمير السوريين من الجالية العراقية ولدوافع وطنية ، أن انبرى معظم العراقيين في سورية لشن حملة دعاوة واسعة ضد الادارة البريطانية في العراق ، كان هدفها الدعوة لاستقلال العراق ، والافسراك العراقيين الموجودين بسورية في ادارة البلاد العراقية على الاقل^(٣) •

ومن أهم الاعمال التي قام بها العراقيون في سورية : (١) اتصالهم بلجنة الاستفتاء الامريكية التي أشرت اليها سابقا ، وتوضيحهم قضية العراق لهذه اللجنة • وكان من نتيجة هذه الجهود ان أشارت اللجنة المذكورة الى قضية العراق في تقريرها الذي قدمته للرئيس ولسن ، رئيس الولايات المتحدة الامريكية • ومن الاخطار التي رأتها اللجنة في سياسة البريطانيين في العراق ،

(١) يقول هالدين على الص ٢٨ من كتابه السابق : « ان الدعاوة ذات التأثير القوي التي استعملت ضدنا لم تتخذ شكلا واحدا من الاشكال • وكان مثيرو القلاقل Agitators مستعدين أن يثيروا كل شيء مهما قلة أهميته ، من شأنه أن يخدم غرضهم » •

Haldane, Op. cit, p. 26.

(٢)

Ibid, p. 26.

(٣)

هي تشجيع هجرة الهنود^(١) الى هذه البلاد. وقالت اللجنة حول هذه الناحية :
« وفي بلد كالعراق وافر الغنى بالامكانات الزراعية والبتروول وغيره من
المصادر سيلوح حتما ، رغم توفر كل النوايا الطيبة ، خطر الاستثمار
والسيطرة الاحتكارية من قبل الدولة المنتدبة عن طريق فرض سيادة
المصالح البريطانية وخاصة عن طريق هجرة هندية واسعة النطاق . فهذا
الخطر وبخاصة خطر الهجرة الهندية ، حتى ولو اقتصرت الهجرة على
المسلمين الهنود . فهم يتخوفون من التمازج بشعب آخر من عرق متباين
كلية وعادات مختلفة كلية باعتباره يهدد حضارتهم العربية »^(٢) .

(٢) أرسل العراقيون في سورية ، بعض الشبان العراقيين الى أوربا بوسائل
شتى وبوظائف ظاهرية متنوعة ، كالاتشارك بالسباق الدولي العام مثلا ،
وزودوهم بالتعليمات والوسائل المقتضية لنجاح القضية العراقية والافهام
الرأي العام الاوربي حقيقة قضية العراق . وقد توفق هؤلاء بنشر مقالات
ضافية عن القضية العراقية في بعض الصحف الاوربية كجريدة (لاوماتيه)
الافرنسية وغيرها من الجرائد . وقد بذل مركز جمعية العهد العراقي في
الشام جهودا أسفرت عن جعل جريدة « لازي آراب » التي كانت تصدر
اذ ذاك في باريس كناطقة بلسان العاملين للقضية العربية عامة وللقضيتين
السورية والعراقية خاصة . وقد أفادت هذه الجريدة فائدة تذكر في افهام
الرأي العام الاوربي حقائق كثيرة عن قضية العراق . (٣) أصدرت جمعية
عهد العراقي جريدة (انعقاب) في دمشق وجعلتها لسان حالها . وكانت
أعدادها ترسل الى العراق فتوزع على الشعب بواسطة شعبات الجمعية

(١) يقول العمري على الص ٥٠ من الجزء الثالث من كتابه الموسوم
ب « مقدرات ٠٠٠ » ان حريدة التايمز اللندنية اقترحت تهجير ثلاثة ملايين
هندي الى العراق .

(٢) انطونيوس ، جورج ، المصدر السابق ، ص ٦٢١ .

وفروعها • وكان لهذه الجريدة تأثير مهم في بث الدعوة الوطنية بين أهل المدن والعشائر بالرغم من أن سلطات الاحتلال منعت دخولها للعراق^(١) • وكان لفرع جمعية العهد في الموصل أثر كبير في تنفيذ برامج مركز الجمعية في الشام ونشر وسائل دعاوتها في العراق • وقد زود الفرع في الموصل مركز العهد في الشام بمضابط احتجاجية وتوكيلية • كما زودت أربعين شخصا من أهل الموصل بمضابط توكيلية عامة لمطالبة السلطة البريطانية بمطالب شبيهة بتلك التي طلبها مندوبو الشعب في بغداد^(٢) •

وكانت النجف من المراكز المهمة لبث الدعوة والتحرير ضد الادارة البريطانية في العراق • وقد كان النجفيون على صلة وثيقة لا بمعظم أنحاء العراق حسب ، بل في العالم الخارجي أيضا • وكتب حاكم النجف السياسي في سنة ١٩١٨ يقول : « وبالرغم من انعزال النجفيين فانهم يستلمون ويوزعون جميع أخبار العالم التي يسمعونها من سيل الزائرين المتدفقين على بلدهم المقدس ولذا يستطيعون أن يتمتعوا بتأثير ضار يتعدى حدود بلدتهم وحتى حدود العراق نفسها »^(٣) • ويقول الاستاذ جعفر الخليلي^(٤) : اشتهرت النجف في وجود عدد من المجالس^(٥) (الدواوين)

(١) العمري ، ن ٠ م ، ج ٣ ، ص ٥٠ - ٥٣ •

(٢) العمري ، ن ٠ م ، ج ٣ ، ص ٤٦ - ٤٩ •

Reports, I, p. 67.

(٣)

(٤) « كيف عرفت الشيخ عبدالكريم الجزائري » (الايام) العدد ،

١٠٠ ، السنة الاولى ، ١١ ربيع الاول ، ١٣٨٢ - ٢ آب ، ١٩٦٢ •

(٥) يقول فراتي ، على الص ٢٠ من كتابه « على هامش الثورة العراقية الكبرى » المطبوع ببغداد سنة ١٩٥٢ : ان ندوات للحركة الوطنية قد تألفت في النجف ، منها ندوة الشسيخ [جواد] الجواهري والشيخ [عبدالكريم] الجزائري ، وندوة آل شبيب (الشيخين محمد رضا وباقر الشبيبيان) وآل كمال الدين [محمد سعيد ومحمد علي] • ومن هذه الندوات ندوة آل الصافي ومن مشاهيرهم حينذاك السيد محمد رضا والسيد أحمد الصافي النجفي الشاعر الشهير • ويرى فراتي ان في تلك الندوات =

التي كانت واسطة لنشر الاخبار السياسية وغير السياسية ذات العلاقة بالعالم الداخلي والخارجي البعيد والقريب . وكان المنبع الذي تستمد منه المجالس الاخبار الخارجية يومذاك (حوالى ١٩١٨-١٩٢٠) هو بعض الصحف التي تصل الى النجف من حواضر الشرق الاوسط . أما المنبع الاخر الذي تستقي منه هذه المجالس أخبارها وترسل عن طريقه ما يدور فيها من مباحثات عن الامور السياسية وغيرها ، فهم (الجنازون)^(١) . وهناك عامل آخر ذو شأن في اتصال النجف بالعالم الخارجي وهو كثرة من يخرج من رجال الدين والمشايخ ومن يرد اليها منهم وكثرة الزوار الذين يؤمّون النجف من مختلف الاطراف وخاصة في اوقات معينة من السنة مثل اليوم العاشر من المحرم حين يجتمع الآلاف من الشيعة في كربلاء ثم يقصدون النجف ، وزيارة العشرين من صفر حين يجتمع في كربلاء والنجف قرابة الربع مليون من الزائرين لان معظم المدن العراقية ، بما فيها بغداد اعتادت أن ترسل وفودا كبيرة العدد لحضور هذه المناسبة ، وزيارة النوروز أي الانقلاب الربيعي ، الذي يصادف بداية السنة الايرانية ، وغير ذلك من المناسبات . وكانت كثرة المشايخ الذين يخرجون

= جرت مشاورات ومباحثات أسفرت عن العمل لحصر الزعامة الروحية في الامام محمد تقي الشيرازي واستقدامه من سامراء الى كربلاء دون النجف اذ كان في النجف من يزاحمه وهو المجتهد السيد كاظم اليزدي غير المؤيد للثورة . كما أسفرت هذه المباحثات عن تقوية الصلة بين النجف وبين مراكز الحركة الوطنية الاخرى ببغداد وغيرها من أنحاء العراق .

(١) الجنازون هم حملة الجنائز الذين يأتون بالجنائز من مختلف الاصقاع وبغاية ما يستطيعون من السرعة خشية تفسخ الجثث ليدفنوها في النجف . وكان هؤلاء ينقلون ما يعرفون من اخبار اصقاعهم ومواطنهم الى مضيفهم ومعارفهم وينقلها هؤلاء الى المجالس التي أشرنا اليها سابقا فيطلع عليها رواد المجالس وتشيع في البلد . وينقلون بدورهم ما يسمعونه في النجف أو في غيرها من المناطق التي يمرون بها الى اصقاعهم .

من النجف وكثرة الجنازات التي تردها ، موضع تفكك الشاعر المعروف السيد أحمد الصافي النجفي حين يقول عن بلدته النجف :

فصادرات بلدتي مشايخ وواردات بلدتي جناز

وكان هؤلاء المشايخ ، الذين يؤلفون صادرات النجف الرئيسة في نظر الشاعر الصافي ، من أنشط ، وربما كانوا أكثر تأثير ، من جميع العناصر العاملة ضد البريطانيين في تلك الفترة . ونستطيع أن نقدر الدور الذي لعبه هؤلاء المشايخ حينذاك اذ علمنا أن زمام أغلبية الجمهور العراقي كان بيد هؤلاء وانهم هم الذين سيروا سياسة العراق بالدرجة الاولى في تلك الفترة من تاريخ البلاد .

ويظهر أن السلطات البريطانية ومن والاها من العراقيين غير عالمين تماما بما كان لهؤلاء المشايخ من تأثير في الجمهور . فيروي الجنرال هالدين أن وكيل الحاكم السياسي في ٣ حزيران ١٩٢٠ كتب له يقول : « انه من المحتمل أن تحدث اضطرابات خطيرة في البلاد خلال الشهرين القادمين ، وان المناطق التي يخشى قيام الخطر فيها هي الناصرية والنجف وربما كانت الديوانية أيضا » . ويقول الجنرال أن وكيل الحاكم الملكي العام زار الحلة بعد هذا التاريخ فأخبره الحكام السياسيون والشيوخ هناك ان المنطقة التي يخشى منها الخطر ، كما يعتقدون ، هي بغداد ولذا طلبوا منه أن يلقي القبض على مشيري الفتن فيها . وقد أعطوا الحاكم تأكيدات مفادها انهم يضمنون له هدوء منطقة الفرات الاسفل ، وان سكان تلك المنطقة لن يتأثروا بدعاوة الملايئة Mullahs أي المشايخ ، الذين يعملون هناك لتحريض القبائل على القيام بالثورة^(١) . وقد أثبتت الحوادث التالية

Op. cit, p. 36.

(١)

ان المشايخ^(١) ، خلافا لما تنبأ الحكام السياسيون وبعض الشيوخ في الحلة ، استطاعوا أن ينجحوا في مساعهم ويسهموا في اشعال نيران الثورة بعد ثلاثة أسابيع من ذلك التاريخ أي في ٣٠ حزيران وفي المنطقة نفسها التي ضمن هدوءها حكام الانكليز ومؤيدوهم في الحلة وهي منطقة الفرات الاوسط . ويحدثنا الشيخ علي الشرقي عن عامل آخر من عوامل اثاره التدمير وبث الدعاوة ضد السلطات البريطانية في النجف ومنها الى بقية الجهات المتصلة بها والتي كانت تحت تأثيرها خاصة المناطق القبلية على ضفاف الفرات الاسفل والاطوسط والرافد وغيرها ، فيقول : « وقد عاد المائتان^(٢) نجفي المبعدون الى بلاد الهند وهم مشاعل للنضهة والقصاص فكان هذا وكان منشور الهدنة وكان النزاع من النظام العسكري الى الملكي ، وقد اختلفت حالة الفراتيين في الدور العسكري الانكليزي والدور الملكي الذي أحسوا فيه بثقل الوطئة ، فجأ النزاع من هذا الى ذاك ثقيلًا جد الثقل وكانت السياسية المالية فيه ثقيلة والجباية مجحفة ... »^(٣) .

ب - مقاومة مشاريع الانكليز التي كان هدفها تثبيت سلطتهم في العراق : كان من بين المشاريع التي أرادت السلطات البريطانية في العراق اشغال العراقيين فيها عن المطالبة بالاستقلال ، بيان الجنرال مارشال المؤرخ

(١) تقول المس بيل على الص ٢٩٣ من الجزء الثاني من رسائلها "Letters of Bell" : « ان المشكلة عندنا هي كيف نستطيع أن نتفاهم مع الشيعة ، واني لا أقصد سكان الريف حيث ان صلتنا بهم جيدة ، بل أقصد سكان العتبات المقدسة المتدينين وخاصة زعماء الدين ، أي المجتهدين الذين يبدهم الحل والعقد ... وبالرغم من ان لنا مع القليل منهم علاقات طيبة ، فان أغليبيتهم تعادينا عداً شديداً » .

(٢) كان عدد المبعدين في حركة النجف سنة ١٩١٨ مائة على بعض الروايات ومنها رواية المس بيل في كتابها « فصول من تاريخ العراق » ، ص ٥٢ .

(٣) « النوادي العراقية » « النهضة العراقية » العدد (٢٢) السنة الاولى ، ٣٠ ايلول ، ١٩٢٧ - ٣ ربيع الثاني ١٣٤٦ .

في ٢ تشرين الثاني ١٩١٨ الذي عدّه عربونا على حسن نوايا حكومته ،
بينما وصفه أحد^(١) الكتاب العراقيين بأنه سخيّف لانه يرى في تسريح
أسرى الحرب والسماح بنقل الجناز نوعاً من الحكم الذاتي .

ومن مشاريعهم تأسيس المجالس البلدية . وبالرغم من أن رؤساءها
ونواب رؤسائها وسكرتيريهما من البريطانيين ، يقول فلبّي ان ولسن كتب
الى حكومته يقول : « ان الشعب العراقي غير قادر على حكم نفسه وانه
يقترح أن يبادر الى تدريبه في اصول الحكم عن طريق التشكيلات
البلدية »^(٢) . ويعدّ الحسني تأسيس المجالس البلدية هذه في العراق خلال
كانون الثاني ١٩١٩ اسطورة الحكم الوطني^(٣) . وكان مشروع الاستفتاء
في عام ١٩١٨ من بين المشاريع التي أرادت السلطات البريطانية اشغال
العراقيين فيها عن المطالبة بالاستقلال . وكان نصيب هذه المشاريع
الفشل^(٤) ، في الغالب ، وذلك لان الجهات الواعية في العراق أظهرت عدم
جدية البريطانيين في تقديمها وفي العمل على تنفيذها . وبينت هذه الجهات
المجمهورة ان هذه المشاريع على هامش القضية العراقية الكبرى ، وهي
الحصول على استقلال البلاد ، وليست من صميمها في شيء . وقد سبق ان
ذكرنا تفصيلات عن جهود المستغلين في الحركة الوطنية في احباط هذه
المشاريع وخاصة الاستفتاء بالطرق السلمية التي كانت متوفرة لديهم
حينذاك .

ج - المظاهرات والاحتجاجات ومضابط التوكيل : لقد اتخذ المغنيون
بالحركة الوطنية في العراق خلال هذه الفترة من القيام بالمظاهرات ومن

- (١) الحسني ، الثورة ، ص ٢٢ .
- (٢) أيام فلبّي في العراق ، ص ١٨ .
- (٣) الحسني ، الثورة ، ص ٢٣ .
- (٤) العمري ، مقدرات ، ج ٣ ، ص ٤٩ .

ارسال مضابط التوكيل لحكومتى الشرفاء في سورية والحجاز وسائل
لمقاومة السلطة البريطانية في داخل العراق وخارجه . فيقول الشيخ علي
الشرقي ان السلطة البريطانية في العراق كانت تغالط الشعب فتمنيه بتشكيل
مجالس بلدية ولكن هذه التدابير فشلت « فقامت مدن العراق بالمظاهرات
والاحتجاجات فتملكت كربلاء وتموجت بغداد وصرخت النجف وتحمس
الفرات فانفلتت الثورة وكانت نارا وسلاحا » (١) . وكانت مضبطة توكيل
الموصل من مضابط التوكيل التي أرسلت من العراقيين الى الحكومة
الشريفية في سورية بغية تمثيل العراق في المؤتمرات الدولية وخاصة
مؤتمر الصلح بباريس . وقد كتب معتمد فرع جمعية العهد بالموصل الى
مركز الجمعية بالشام بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٩ يقول : « أرسلنا
التفويض الذي طلبتموه كما تجدونه مربوطا بهذا الكتاب . . . » (٢) .

وكانت المضابط التوكيلية التي أرسلها الشيخ محمد رضا الشيبسي في
أواخر حزيران ١٩١٩ من العراق الى الشريف حسين في الحجاز أكثر
المضابط التي نضمت في هذا الخصوص أهمية لكثرة الموقعين عليها
ولاهميتهم الدينية والسياسية . وعندما يتحدث أمين سعيد عن هذه المضابط
يقول ان الفرانين وضعوا « ثلاث مضابط يطلبون فيها ملكا للعراق من أبناء
الحسين ، وحمل هذه المضابط الى مكة الشيخ محمد رضا الشيبسي وسلمها
للحسين . . . » (٣) . وفي صدد أهمية الموقعين على هذه المضابط يقول
العمرى ان المضابط التي حملها الشيخ محمد رضا الشيبسي للحجاز كان

(١) « النوادي العراقية » « النهضة العراقية » السنة الاولى ،
العدد ، ٢٣ ، ٣٠ ايلول ١٩٢٧ - ٣ ربيع الثاني ، ١٩٤٦ .

(٢) مؤرخ ، « صفحات مطوية من تاريخ الحركة الوطنية »
« صدق الاحرار » السنة الخامسة ، العدد ، ٢٠٤ ، ١٩ رجب ، ١٣٧٢ هـ -
٣ نيسان ، ١٩٥٣ .

(٣) الثورة العربية الكبرى ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

موقعا « عليها من قبل أعيان وعلماء وسادات الجعفرية وكلها تنطق بالاحتجاج على أعمال السلطة المحتلة ... »^(١) . وقد أورد الحسيني نص احدى هذه المضابط كما أشار الى الصعوبات التي جابهت الشيخ الشيبسي في طريقه ومحاولة سلطة الاحتلال للقبض عليه في البصرة^(٢) .

دور بغداد في الحركة الوطنية السلمية :

كانت بغداد ، بما فيها منطقة الكاظمية^(٣) الواقعة على بعد (٨) أميال منها ، تكون أعظم المركز المدنية في العراق حينذاك . وكانت نسبة المثقفين في هذه المدينة كبيرة بالقياس الى المدن العراقية الاخرى ، لذا كان المشتغلون منهم بالسياسة أكثر من غيرهم في مدن العراق الاخرى ، وذلك قيسل قيام الثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ . وقد كثر عدد المشتغلين بالسياسة من العراقيين في مراكز الحركة الوطنية الرئيسة في البلاد بعد اعلان الهدنة وتقرير الانتداب البريطاني في العراق . ولكن نصيب بغداد من هؤلاء كان أكثر من غيرها من مدن العراق .

وقد نتج عن اعلان الهدنة ان رجع الكثيرون من المنفيين لاسباب سياسية الى أوطانهم ، كما ان الموظفين السابقين في الادارة والجيش التركي ، وأكثرية هؤلاء من بغداد ، عادوا الى بلدتهم بعد أن أصبحوا عاطلين عن العمل . فانضم بعضهم لقافلة السياسة رغبة في الحصول على عمل ، وانضم آخرون لها بدافع وطنية ، كما اندفع الآخرون لمقاومة

(١) مقدرات ، ج ٣ ، ص ٦٠ - ٦١ .

(٢) الثورة ، ص ٨٤ - ٨٥ .

(٣) تقول المس بيل على الص ٣٩٣ من الجزء الثاني من رسائلها ، في معرض كلامها عن مجتهدى الشيعة : « ويعيش بعض هؤلاء في الكاظمين [الكاظمية] ، المدينة المقدسة الواقعة على (٨) أميال من بغداد ، وهي مدينة متعصبة لفكرة الجامعة الاسلامية Pan-Islamic ، وفي الوقت نفسه كانت تكره البريطانيين ، كرها شديدا Anti-British ... » .

البريطانيين بدافع الاخلاص للعهد العثماني المندر لا سيما ان الرابطة
الاسلامية ، رغم ان الاتراك لم يكونوا جادين في الدعاوة لها ، كانت قوية
في نفوسهم •

أما تأثير تقرير الانتداب على العراق في زيادة عدد المشتغلين في
السياسة من العراقيين ، فهو ان الكثيرين كانوا يأملون خلال أيام الحرب
ان الحلفاء سيرون بعودهم وانهم سيقومون دولة عراقية تحقق آمالهم
الوطنية من جهة ، ويسر لهم الاشتراك بادارتها فرصا للعمل من جهة
أخرى • وبعد أن تقرر الانتداب ، ذهب الامل في انشاء دولة عراقية
مستقلة أدرج الرياح ، لا سيما وان السلطات البريطانية في العراق ، وعلى
رأسها وكيل الحاكم السياسي العام ولسن ، فسرت الانتداب تفسيراً خاطئاً
وجعلته قريبا من الاستعمار غير المباشر • وعندما تتحدث المس بيل عن
الحركة الوطنية ببغداد ، قيل نشوب الثورة في • ٣ حزيران تقول :
« لكن مركز الدعاوة قد انتقل قبل هذا من سورية والفرات الى بغداد •
حيث أن العنصر الناقم الذي يتألف من موظفي العهد التركي البائد قد
ازداد عدده خلال الثمانية عشر شهرا التي مرت على بداية عهد الهدنة •
وكان بينهم موظفون كانوا قد أسهموا في أعمال الجيش العربي وشهدوا
مجرى الحوادث في سورية • وسواء كانوا ميالين للاتراك أو للعرب فانهم
كانوا ضد السيطرة الاجنبية ••• حيث انهم كانوا يصرخون عند المناقشة
بأن تأسيس الدولة السورية كان سببه نجاح الثورة العربية وان الحصول
على اشيء نفسه في العراق ، لا يمكن أن يتم الا بالتجاء الى السلاح
أيضا » (١) • وكان تأسيس المدارس الاهلية (٢) كمدرسة التفيض ، واتخاذها

(١) فصول ، ص ١٤٥ •

(٢) كان ببغداد في هذا العهد مدرستان أهليتان هما المدرسة
الجعفرية والمدرسة الاهلية التي سميت التفيض فيما بعد • وقد أقيمت في
هاتين المدرستين عدة حفلات ثقافية في الظاهر ولكنها سياسية بالدرجة =

مركزاً للحركة الوطنية ، من بين الوسائل السلمية التي اتبعت في بغداد لمقاومة سلطات الاحتلال البريطانية في العراق . وقد سبق ان أشرنا الى الدور الذي لعبته هذه المدرسة في الحركة الوطنية فلا ضرورة للتكرار . ويعد تأسيس الاحزاب السياسية السرية ، كحزب حرس الاستقلال وغيره ، من وسائل العمل السياسي الرئيسة التي اتخذها البغداديون وغيرهم من العراقيين لمناهضة السلطات البريطانية في العراق .

ومن الجدير بالذكر انه رغم ما كسبته الحركة الوطنية في العراق من تقدم خلال فترة الحرب وما تلاها ، خاصة بعد أن أظهرت بريطانية نياتها حول بقائها في هذه البلاد ، فإن المشتغلين بالسياسة من المثقفين ببغداد وغيرها من مراكز الحركة الوطنية في العراق ، رأوا أن الوسائل الاعتيادية للعمل السياسي ، كالانخراط في الاحزاب وغيرها ، لا تنزل غير كافية لايصال أهدافهم الى الجمهور ، وبالتالي فإن وسائل الدعوة للحركة الوطنية رغم ما أحرزته من تقدم واضح في بعض الاوساط الشعبية ، غير كافية بكسب تأييد الجمهور لهذه الحركة . وفي ضوء ما تقدم رأى العاملون في الحركة الوطنية أن يوثقوا صلتهم برجال الدين أكثر فأكثر فيستفيدوا من تأثيرهم في نفوس الجمهور . وليس غريباً بعد هذا أن نرى الحاج محمد جعفر أبو التمن ، الزعيم الوطني المعروف ، يقول ، في الاجتماع^(١) الذي

= الاولى . وكان الدكتور محمد مهدي البصير من أدباء العصر الذين أسهموا في الحركة الوطنية . وقد القى قصائد عديدة في المناسبات التي أقيمت في المدرسة الجعفرية . والمدرسة الجعفرية ، رغم أهميتها ، لم تبلغ الاهمية التي بلغتها مدرسة التفيض في هذا المضمار . وكان الاستاذ علي البازركان من بين الذين عملوا على فتح مدرسة التفيض والعناية بها . وكانت بعض اجتماعات حزب الحرس ، برئاسة السيد محمد الصدر ، تعقد في مدرسة التفيض .

(١) حضر هذا الاجتماع كل من السيد محمد الصدر ، ويوسف أفندي السويدي ، وجلال بابان ، وفؤاد أفندي الدفترى ، وعبدالوهاب =

عقد بدار حمدي باشا آل بابان في الثالث من شهر شعبان ، ١٣٣٨ هـ ،
والذي حضره موفدو^(١) النجف السيد هادي زوين والحاج محسن
شلاش ، ردا على ما بسطه السيد هادي حول استعداد النجف وقبائل
افرات للثورة ، : « ان قادة الرأي العام في بغداد مستعدون للعمل بنسبة
استعداد العلماء الاعلام ورؤساء القبائل الكرام له . . . »^(٢) . كما ليس
غريبا أن نرى قادة الحركة الوطنية ببغداد يلجأون لتنظيم اقامة حفلات
« الموايد النبوية » ليجعلوا هذه المناسبات وسائل لتحريض الجمهور على
مقاومة السلطات البريطانية في العراق .

وفي معرض كلامها عن الحركة الوطنية ببغداد ، تقول المس بيل :
« ولأجل تقريب دعوة المطالبة بالاستقلال التام الناجز الى افهام الرأي العام
الجاهل ، وجد من الضروري الاتجاه الى التعصب الديني . وقد وضحت
للمواطنين ، خلال مدة من الزمن ، الحاجة الى تكوين جبهة متحدة من
الطائفتين الاسلاميتين لتغلب المساعي بصورة موقته على التعصب الشديد
الذي يفرق بين الطائفتين السنية والشيعية ، ووقعت أول أعراض هذا
التقارب في صيف ١٩١٩ عندما حضر السنة اجتماعين دينيين عقدا لتأبين

أفندي النائب ، والشيخ سعيد النقشبندي ، والسيد محمد مصطفى
الخليل ، ومحمد جعفر أبو التمن ، ورفعت أفندي الجادرجي وغيرهم من
أعضاء جمعية « الحرس » وبعض منتسبي رجال جمعية « العهد » .

(١) يقول الحسني ، على الص ٥٥ - ٥٦ من كتابه الموسوم بـ
« الثورة العراقية » كان الشيخ محمد باقر الشيبلي ، العضو البارز في
جمعية حرس الاستقلال ، وهمزة الوصل بين مقر الجمعية في بغداد وفروعها
في الفرات الاوسط ، كما كان السيد هادي آل زوين همزة الوصل بين
العلماء الاعلام في كربلاء والنجف والزعماء في أبي صخير والشامية ، وبين
الوطنيين في بغداد .

(٢) الحسني ، الثورة ، ص ٥٦ .

المجتهد السيد محمد كاظم اليزدي^(١) . لكن الاهمية السياسية لهذا التقارب لم تظهر بصورة جلية الا في شهر رمضان الذي بدأ في ١٩ مايس ١٩٢٠ . حيث أخذت حفلات « المولد » التي تقام احتفاء بولادة النبي [ص] تقام في الجوامع السنية والشيعية بالتناوب ، وأخذ أبناء الطائفة يحضرونها بدعوة من المكلفين بالاشراف على هذه الجوامع أو من رؤساء « المحلات » التي تقع فيها . وكانت في بعض الاحيان تعقب قراءة المولد ، التي هي من المراسيم السنية البحتة ، قراءة « التعزية » وهي من المراسيم الشيعية التي تقرأ في تأبين الحسين [ع] وتقديس استشهاده . لكن الطابع البارز على هذه الحفلات الدينية كان في جميع الاوقات القاء الخطب السياسية وانشاد الشعر الوطني متلوا بالمراسيم الدينية المعتادة وقد حدث في احدي حفلات المولد أن ألقى موظف^(٢) شاب من موظفي دائرة الاوقاف خطابا حماسيا اعتبرته السلطات خطرا على الامن العام . فكان توقيفه سببا في عقد اجتماع كانت الغاية منه اجراء الترتيبات اللازمة لاطلاق سراحه عنوة . وتبين المس بيل أن الحكومة أرسلت سيارتين مصفحة لتفريق المتظاهرين

(١) يقول الحسنی ، على الص ٥٤ من كتابه الموسوم بـ « الثورة العراقية » ان الشيعة أكبروا وفاة اليزدي ، ورأى السنون أن يشاطروا اخوانهم في مصابهم ، فأقاموا للفقيه العظيم الحفلات التأبينية الكبرى ، فكانت هذه الوفاة سببا مباشرا لتقارب المسلمين في العراق ، وعاملا كبيرا من عوامل استحكام الصلات الحسنة بينهم ، وقد استغل المفكرون السياسيون هذه القوة وراحوا يدعمونها ويستعينون بها في القضايا الوطنية الكبرى .

(٢) كان اسم هذا الشاب عيسى عبدالقادر ولم يلق خطابا ، بل قصيدة مطلعها :

بني النهريين نسل الطيبينا أفيقوا واسمعوا حقا يقينا
والقى السيد عيسى هذه القصيدة في ٦ رمضان ، ١٣٣٨ هـ ، بجامع الحيدر خانة ، ولم تكن هذه القصيدة من الشعر الممتاز ، ولكن تأثيرها كان كبيرا .

فقتل رجل أعمى^(١) سقط عرضاً فدهس • وتستمس المس بيل بروايتها فتقول : « كان قادة الحركة ومنظمو حفلات المولد رجال تخلف منزلتهم الاجتماعية وقابليتهم وكان أكفأهم وأكثرهم قدرة رجلاً شيعيان هما السيد محمد الصدر ••• وجعفر أبو التمن ••• كما كان أبرز السنة في هذا الشأن يوسف أفندي السويدي والشيخ أحمد الداود وعلي أفندي البازركان »^(٢) •

ويظهر ان حفلات المولد والمظاهرات التي صحبتها كانت ذات تأثير كبير في نفوس الجمهور • فيقول العمري : « كانت المظاهرات السلمية والاحتفالات التي تعقد في الجوامع ••• تسردا علينا يدل على قرب انفجار بركان الثورة في العراق ••• »^(٣) •

وكتب المس بيل في ١٤ حزيران ١٩٢٠ تقول : لقد مر علينا اسبوع مليء بالحوادث ، ازدادت فيه دعاوة الوطنيين ، وكانوا يقيمون اجتماعات مستمرة في المساجد وقد ارتفعت درجة الشعور الوطني الى أعلى من الدرجة ١١٣ • وكان المتطرفون يدعون الى الاستقلال ولا يريدون الانتداب • وقد سيطر الوطنيون على الفوغاء Mob بدعوتهم الى وحدة المسلمين وحقوق الجنس العربي • وقد أنشأوا حالة ملؤها الخوف • ولو أن شخصاً قام بحركة تهيج بسيطة في السوق لاغلق الناس حوانيتهم • والواقع ان الناس في الاسبوعين الفائتين لم يزاولوا أعمالهم »^(٤) •

وقد حاولت الحكومة دون جدوى أن تحول دون اقامة هذه

(١) المعروف ان هذا الرجل كان أخرساً واسمه محمد أو عبد الكريم بن رشيد هجم على سيارة الحكومة المصفحة فدهسته وقد أكبر الناس تضحيته وخرجت جموع كبيرة لتشيع جنازته •

(٢) بيل ، المس ، فصول ، ص ١٤٧ •

(٣) مقدرات ، ج ٣ ، ص ٣٣٥ •

The Letters, II, P. 397.

(٤)

الحفلات • ومن الوسائل التي اتخذتها هي دعوة عدد كبير من الشبان الى حفلات تقيمها المس بيل في بيتها لتصرفهم عن الاشتراك في هذه المناسبات الوطنية^(١) • كما أن الحكومة كانت ترسل السيارات المصفحة لتجوب الشوارع لتفريق المتظاهرين^(٢) •

ويظهر أن مظاهرات شبيهة بالتي جرت في بغداد حصلت بكر بلاء ، لاسيما ان الامام محمد تقي الشيرازي أصدر منشورا يدعو الناس فيه الى التظاهر • فخرجت في كربلاء مظاهرة سلمية صاحبة فاهتمت الحكومة بالامر ونفت قادة الحركة الى هنجام • وقد تأثرت النجف وجميع القرى الاوسط بمنشور الامام الشيرازي فعقدت عدة اجتماعات اشتركت بها وفود رؤساء القبائل في الشامية تمخضت عن تفويض الذوات الاتية أسماؤهم لمفاوضة الحكومة باسم الشامية والنجف : الشيخ جواد الجواهري ، الشيخ عبد الرضا الشيخ مهدي ، الحاج عبدالمحسن شلاش ، السيد علون الياسري ، السيد نور السيد عزيز • ودون هذا الوفد مطالبي في كتاب قدمه بواسطة حاكم النجف والشامية الى نائب الحاكم الملكي العام ببغداد • وظل هذا الوفد مثابرا على عمله • وكان آخر ما فعله ارساله الى السلطات البريطانية ببغداد انذارا بالثورة ما لم تسرع هي بمنح العراقيين حقوقهم المقدسة^(٣) • وقامت الموصل بمظاهرات صاحبة فأسمعت الحكومة صوتها الداعي للحرية^(٤) • وتلخص مطالب وفد الموصل التي قدمت للسلطات المسؤلة بما يأتي : أولا - انشاء المجلس التأسيسي ليقوم بمهمة تشكيل الحكومة العراقية • ثانيا - اطلاق الحرية للمطبوعات • ثالثا - رفع الحواجز الموضوعة في طريق المراسلات داخلا وخارجا •

(١) علي ، عباس ، زعيم الثورة العراقية ، ص ٥٤ •

(٢) بيل ، المس ، فصول ، ص ١٤٧ •

(٣) البصير ، ن م ، ج ١ ، ص ١٥٧ •

(٤) البصير ، ج ١ ، ص ١٥٨ •

وقد كثر عدد المظاهرات فتجاوز الخمسين مظاهرة • وقد استاءت السلطات البريطانية من هذه المظاهرات فأذاعت المنشور التالي المؤرخ في ١٣ آب ١٩٢٠ : اعتاد بعض المفسدين^(١) ••• أن يعقدوا المواليد في ليالي الجمعة ظاهرا لمقاصد دينية ولكن في الحقيقة لتهييج أفكار الناس ضد الحكومة ••• فلهذا وجب علينا أن نعلن ان انعقاد المواليد ممنوع وان انعقاد الاجتماعات لمقاصد سياسية تعرض القائمين بها لاشد العقاب •••

التوقيع

ساندرز أمير لواء القائد المنوط به الدفاع عن بغداد^(٢)

ويقول ولسن ، في تعليق له على هذه الاحتفالات ، : « لقد كان من رأي حاكم بغداد ورئيس الشرطة أن تتخذ اجراءات شديدة تجاه القائمين بهذه المواليد ولكنني كنت معارضا لهما ، ولكن ظهر لي فيما بعد انني غير مصيب ، وانني أسأت تقدير أهمية الوطنيين وشدة تأثير دعاوتهم ، كما اني لم أعرف تأثير العلماء على الجمهور في الفرات الاوسط ، وانني أشعر الان اننا على وشك خلق حكومة وطنية »^(٣) .

المفاوضة بين مندوبي بغداد ونائب الحاكم الملكي العام :

لقد أقر المتظاهرون في « جامع الحيدرخانة » انتخاب خمسة عشر مندوبا لمفاوضة نائب الحاكم الملكي العام حول مستقبل البلاد^(٤) • وكان

(١) ان ما قلناه سابقا عن منظمي حفلات المولد النبوي الشريف واشتراك الآلاف من الجمهور فيها يبين ان لهجة مصدر البيان تنقصها سلامة الذوق •

(٢) البصير ، ج ١ ، ص ١٥٩ •

(٣) Wilson, Op. cit, II, P. 254.

(٤) أورد الحسين ، على الص ٥٨ من كتابه الموسوم بـ « الثورة العراقية » أسماء المندوبين وهم : ١ - فؤاد الدفتري ٢ - محمد جعفر أبو التمن ٣ - الشيخ أحمد الظاهر ٤ - الشيخ أحمد الداود ٥ - السيد =

السبب المباشر لعقد اجتماع « جامع الجيدرخانة » هو نشر قرارات سان ريمو في العراق . وكان من بين هذه القرارات قرار يقضي بسلخ العراق من تركية ومنحه الاستقلال تحت وصاية البريطانيين . وقدم مندوبو بغداد والكاظمية عريضة لنائب الحاكم الملكي العام في ٩ رمضان ، ١٣٣٨ هـ ، الموافق ٢٨ ميس ١٩٢٠ . وكانت الحكومة قد ارتأت أن تدعو واحدا وعشرين شخصا « من المشهورين بموالاته السلطة »^(١) . وقد اجتمع مندوبو الشعب وأصدقاء الحكومة بنائب الحاكم العام فخطب فيهم خطبة^(٢) ملخصها : (١) أشار الى التصريح الفرنسي - الانكليزي الصادر في الثامن من تشرين الثاني ١٩١٨ والى المادة الثانية والعشرين من عهد عصبة الامم . تناولت نظام الانتداب . (٢) قال : « أصرح لكم أن حكومة جلالة الملك ترغب في تأسيس حكومة^(٣) وطنية في العراق » . ثم أشار الى الاسباب التي أدت الى تأخير انشاء هذه الدولة . وكان من بين هذه الاسباب الصعوبات الخارجية الناشئة من اضطراب الحالة في ايران وتركية وسورية .

= أبو القاسم الكاشاني ٦ - علي البازركان ٧ - السيد عبدالكريم الحيدري ٨ - الحاج ياسين الخضيري ٩ - عبدالرحمن الحيدري ١٠ - رفعت الجادرجي ١١ - الشيخ سعيد النقشبندي ١٢ - عبدالوهاب النائب ١٣ - محمد مصطفى الخليل ١٤ - السيد محمد الصدر ١٥ - يوسف السويدي .

(١) الحسنی ، الثورة ، ص ٥٩ .

(٢) نشر النص الكامل لخطاب ولسن في العدد (٣) من جريدة «العراق» البغدادية المؤرخ في ١٥ رمضان ، ١٣٣٨ هـ - ٣ حزيران ١٩٢٠ .

(٣) وردت كلمة « حكومة » في النص ولا نعلم هل أن الحاكم يقصد منها دولة وحينئذ تكون السيادة للعراقيين فيها أم أن النص يطابق مقصوده وحينئذ تكون المؤسسة المنوى تأسيسها مجرد أداة تنفيذية وتحفظ بريطانية بالسيادة . ومثل هذا النظام موجود حينذاك إذ أن حكومة الهند كانت قائمة ولكن السيادة على الهند كانت بيد بريطانية .

(٣) أشار الى استعمال الشدة ضد الذين يستعملون العنف فقال : « لئن أتردد في الاستعانة بالسلطة العسكرية لاستخدام القوة الكافية لاستتباب النظام في البلاد » . (٤) أشار الى الغاية من هذا الاجتماع فقال : « ان ما تنويه هو تشكيل مجلس للامة يرأسه رئيس عربي يتولى الرئاسة الى أن يرفع دستور العراق الاساسى الى المجلس التشريعي المنوى أيضا تشكيله . . . » . وفي نهاية الخطاب طلب من الحاضرين أن يبدوا مطالبهم . فقام السيد محمد الصدر وقال : « ان الحركة في البلاد هي حركة سلمية لا يقصد منها اثاره القلاقل . وجل مطالبنا هو تأليف حكومة وطنية تؤلف على حسب تصريحات الحلفاء وفي مقدمتهم بريطانيا وفرنسة في تصريحيهما الذي اذاعته في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ وعملا بقرارات سان ريمو . . . » . وقال أيضا : « ان ما قلته وافق عليه الاعضاء وهو مكتوب » . فقام يوسف السويدي وسلم الحاكم نص القرار^(١) للحاكم .

وجرت مفاوضات ومباحثات طويلة بين الطرفين كان المعبر عن الوفد فيها يوسف السويدي . وقد ألح السويدي على نائب الحاكم الملكي العام بوجود تأسيس حكومة عراقية في الحال عملا بقرارات مؤتمر «سان ريمو» . فرد عليه نائب الحاكم ولسن بقوله : « ان القرار الذي تصدق في مؤتمر « سان ريمو » قضى باستقلال سورية والعراق بوصاية فرنسة على سورية ووصاية بريطانيا على العراق . . . » . ثم قال نائب الحاكم : « انه لا يمكن البت في هذه المسألة والمباشرة فيها ، بل انه سيرفع هذه المطالب الى الحكومة البريطانية . . . على ان الحكومة البريطانية نفسها ليست مطلقة الارادة ،

(١) أورد الحسني ، على الص ٦٤ من كتابه الموسوم بـ « الثورة » نص القرار المذكور . وأهم ما جاء به المطالبة بتأليف مؤتمر يمثل الامة العراقية ليعين مصيرها فيقرر شكل ادارتها في الداخل ، ونوع علاقتها في الخارج .

بل انها مقيدة بقرارات عصبة الامم » (١) .

وقد انحى الناس باللائمة على السويدي اذ انه بهذا التصريح كان قد اعترف بشرعية اتفاقية « سان ريمو » التي شجبها العرب لانها لا تحقق أهدافهم الوطنية . كما احتج الصدر على صاحب « جريدة العراق » (٢) لانه أثبت في خطابه الاشارة الى مؤتمر « سان ريمو » مع انه لم يذكر هذه الكلمة في الخطاب .

ويستطيع الباحث أن يستتبع من خطاب نائب الحاكم الملكي العام ومن سير المفاوضات التي حصلت بين مندوبي بغداد والسلطات البريطانية في العراق ان وجهات النظر متباعدة بين الفريقين . فالحكومة تعمل على استحصال اعتراف العراقيين بالانتداب مستفيدة من القرارات الدولية التي اتخذت بشأن العراق وخاصة المادة الثانية والعشرين من ميثاق عصبة الامم ومقررات « سان ريمو » وكلاهما يؤيد فرض الانتداب على العراق . بينما أظهرت الجهات العاملة في حقل الحركة الوطنية من العراقيين ، ومنها ممثلو بغداد ، في المفاوضات سالفه الذكر وغيرها ، انها لا تقر الانتداب ، وانها تطالب بانشاء دولة عراقية ذات سيادة في الحال . ويظهر ان اشارة بعض المندوبين الى قرارات مؤتمر سان ريمو ، ان صحت هذه الاشارة ، ناتجة عن قلة المامهم بما تعني هذه القرارات ، والدليل على ذلك انهم استندوا ، في معرض مطالبتهم بتأسيس دولة عراقية ذات سيادة ، على قرارات مؤتمر سان ريمو وعلى التصريح الفرنسي الانكليزي المشترك مع ان منطوق احدهما يختلف عن الاخر ، وان التصريح يخدم قضيتهم ، بينما مقررات سان ريمو تنص بصراحة على فرض الانتداب على العراق .

(١) « العراق » السنة الاولى ، العدد (٣) ٣ حزيران ، ١٩٢٠ -

١٥ رمضان ، ١٣٣٨ هـ .

(٢) العدد ، ٤ ، ٤ حزيران ، ١٩٢٠ .

يضاف الى ذلك ان حسن النية ، كما يظهر ، لم يكن متوفرا لدى الفريقين المتفاوضين اذ كان كلاهما يحاول أن يدحض حجج خصمه باللجوء للمنطق والتلاعب بالالفاظ . وعلى هذا يمكن أن توصف مفاوضة المندوبين البغداديين مع السلطات البريطانية بأنها شبيهة بالمناظرة التي يعقدها الفرقاء لا ليتوصلوا الى حل ينال موافقة الطرفين ، بل ليكسبوا الجولة ويدحروا خصمهم بدلا من أن يتفقوا معه حول القضية موضوع المناقشة .

وبعد ان أخفقت مفاوضات البغداديين مع السلطات البريطانية ، كما أخفقت الوسائل السلمية الأخرى التي لجأ اليها العاملون في الحركة الوطنية في المناطق الأخرى من العراق ، أصبح مفهوما للحكومة وللعراقيين معا أن الوسائل السلمية لا تحل المشكلة . وظهر للفريق العراقي خاصة أن قضيته لا تحلها الا الثورة المسلحة وهكذا كان فاعلنت الثورة في الثلاثين من حزيران ١٩٢٠ ، كما سنرى في الفصول القادمة .

الفصل الرابع أسباب الثورة ومقدماتها

تبعث في الفصول السابقة سير الحركة التحررية في العراق وأشرت الى المراحل التي مرت بها ، سواء كان ذلك في فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى أو في أثنائها . وبعد ان أسفرت التسويات السياسية بعد الحرب عن فرض الانتداب على العراق ، كان ذلك مخيبا لآمال القائمين في الحركة الوطنية من العراقيين من جهة ، وبرهانا على حنث الحلفاء ، بما فيهم بريطانية ، بعهودهم من جهة أخرى . وكان لانهاء الحرب ، وتوضيح موقف بريطانية حول آمال العراقيين بالاستقلال ، وقيام الحركات التحررية في الشرق الادني والهند ، تأثير مهم في تخفيز القائمين في الحركة الوطنية العراقية على الاستمرار في تهيئة الوسائل وبذل الجهود الرامية لنجاح القضية العراقية ، لا سيما وان الحركة الوطنية في السنتين التين تلتا عقد الهدنة ، كسبت تأييد جماعات كبيرة من الجمهور . وكان تأييد جماعات كبيرة من سكان المدن للاحزاب والهيئات العاملة في الحقل الوطني ، وانضمام عدد من رؤساء القبائل لهذه الاحزاب ، وتشجيع أكثرية رجال الدين للحركة الوطنية واسهامهم فيها ، يقوم دليلا على انتشار وقوة الحركة الوطنية في هذا الدور من تاريخ العراق . وبعد ان اخفقت الوسائل السلمية والاتفاضات المحلية ، كما أسلفنا ، رأى العاملون في حقل الحركة الوطنية ، أنه لا مناص من استعمال القوة كمحاولة أخيرة لحمل البريطانيين على تغيير موقفهم تجاه آمال أهل العراق في الحصول على الاستقلال . ويمكن أن نجمل أسباب الثورة بما يأتي :

أ - الاسباب الخارجية وهي :

أولاً - اصرار بريطانيا على حكم العراق حكماً مباشراً أو عن طريق الانتداب : اتضح من أقوال المسؤولين البريطانيين ان بريطانيا لا تنوي التخلي عن حكم العراق مباشرة أو فرض الانتداب عليه على الأقل ، فقال الكولونيل ولسن ، قبيل قيام الثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ : « لقد زرت البصرة فأظهر لي جماعة^(١) من البصريين عدم تأييدهم للحركة الوطنية ببغداد . ثم زرت الحلة وكربلاء بعد ذلك فرأيت الهدوء مخيماً فيهما ، كما اتصل بعلمي أن المجتهدين حاولوا مقاومة الانتداب البريطاني على العراق ، ولكن حظ جهودهم من النجاح كان قليلاً^(٢) . وفي اليوم الذي أطلقت فيه أول شرارة لاعلان الثورة ، أي في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ ، نشرت السلطات البريطانية ببغداد الخبر التالي : « وصل دائرة الحاكم الملكي مضبوطان موقعتان من (٥٠) زعيماً من ممثلي ناحيتي الديوانية والعمك وعشائرها تؤيدان المضابط التي عرضت السنة الماضية وتعربان عن قبول الحكومة البريطانية وصية على العراق وتشيران الى عدم اشتراك الموقعين عليها في الآراء التي عسى أن يكون قد أبداها غيرهم وهي مبينة لآرائهم^(٢) . ولا نعلق على أهمية وجود مضابط كهذه خاصة ، وصحة معلومات الحكومة عن الحالة في الديوانية عامة ، بأكثر من أن نقول ان معظم مناطق الديوانية بتاريخ نشر الخبر سالف الذكر ، كانت مشتبكة مع قوات الحكومة بحرب

(١) تقول المس بيل على الص ١٥٣ من كتابها الموسوم بـ « فصول من تاريخ العراق » ان السيد طالب النقيب منذ عودته لبلاده من الهند « لم يفوت فرصة يثبت فيها اقتناعه بأن مصلحة العراق متوقفة على قبول الانتداب البريطاني » .

(٢)

(٣) « العراق » السنة الاولى ، العدد ٢٥ ، ٣٠ حزيران ، ١٩٢٠ -
١٣ شوال ١٣٣٨ هـ .

فعليه • وأن موقعوها ، ان صح وجودهم ، لا يمثلون الاتجاه العسكاري في منطقتهم • وعندما انتقدت سياسة الحكومة البريطانية في العراق في تشرين الثاني ١٩١٩ من قبل الصحافة والمعارضة بمجلس العموم البريطاني ، على أساس انها تكون عبثاً ثقيلًا على موارد بريطانيا المالية^(١) وقواتها العسكرية ، وطالب المعارضون بالانسحاب من العراق ، رد رئيس الوزراء ، المستر لويد جورج "Lloyd George" ، على المعارضة بقوله : « ان ولايسة الموصل العراقية غنية بالنفط ، وحالما تنسحب بريطانيا من العراق تحصل محلها دولة أخرى »^(٢) . وفي الثالث والعشرين من حزيران ١٩٢٠ تقدم المستر اشكويث باقتراح يرمي الى الانسحاب من العراق وقال : « اذا نظرنا الى احوال البلاد وما نحن عليه من الضيق المالي ، حكمنا دون تردد اننا ساعون في تكليف أنفسنا فوق طاقتها ، اذا أخذنا على عهدتنا صرف ٣٠ أو ٤٠ مليون ليرة على قطر ليس فيه من السكان سوى مليوني نسمة » وفرد عليه المستر لويد جورج بقوله : « أمن المعقول اننا بعد كل هذه الجهود التي قمنا بها نغادر العراق تاركين كل شيء خوفًا وسأمًا من اقل حملها ؟ » وقد أجابت اكثرية المجلس رئيس الوزراء بالنفي وقالوا : « كلا كلا »^(٣) .

ومن هذا يظهر أن السياسة البريطانية في العراق كانت تستهدف النقاء في هذه البلاد وان ثورة العشرين كانت من العوامل الرئيسة في تغير هذه

(١) كانت نفقات الاحتلال البريطانية في العراق في سنة ١٩١٩

تساوي (٣٦) مليون باون .

(٢) House of Commons Debates, 5th Series, 127 (1920), (٢)

662, 663, Cited by Robert E. Debrodt, "The British Attempt at Colonial Rule in Iraq, 1918—21" Typed Copy, May 19, 1959, p. 3.

(٣) العراق ، السنة الاولى ، العدد ٦٢ ، ١٢ آب ، ١٩٢٠ - ٢٧

ذي القعدة ، ١٣٣٨ هـ .

السياسة أو اكسابها مرونة أكثر من ذي قبل على الأقل .
ويبدو أن المس بيل كانت أكثر تفهما من نائب الحاكم الملكي العام ،
ولسن ، لقوة الشعور الوطني في العراق . وبالرغم من انها تنبأت بحدوث
ثورة في العراق ، اذا لم تغير بريطانية سياستها في العراق ، لم يأخذ المسؤولون
البريطانيون برأيها . فكتبت في الثاني عشر من كانون الثاني سنة ١٩٢٠
تقول : « أتتهل الى الله أن يهدي قادة الرأي في وطننا ويجعلهم يفهمون
ان الافضل أن نعرف بطموح العراقيين السياسي منذ البداية وألا نحاول
أن نضغط على السكان . ومن يعلمنا بأننا قد نفقد سيطرتنا على العراق خلال
سنة واحدة أو أقل . وذلك لان عوامل الاضطراب من الشمال والشرق
آخذة مجراها وربما يكون لهذه العوامل تأثيرها في أهل العراق . ليتني
أتمتع بتأثير أكثر مما أتمتع به الان حتى أقتع الاخرين بوجهة نظري . وقد
كتبت حول هذا الموضوع الى أدون "Edwin" هذا الاسبوع ، وسأكتب
الى السير هرتزل "A. Hirtzel" » (١) .

ثانيا - تأثير الثورة العربية في سورية والحجاز : أعلن الشريف
حسين ثورته على الترك في التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤ هـ الموافق للعاشر
من حزيران سنة ١٩١٦ بعد مفاوضات طويلة جرت بينه وبين السلطات
البريطانية في مصر (٢) . وكان لثورة الحسين صداها في العراق ، بالرغم
من ان السلطات البريطانية في الهند قد عمدت « الى اخفاء أو تصغير أخبار
نجاح ثورة الحسين في العراق . وكان هدفها من ذلك اخماد روح
الاستقلال بين السكان العرب المحليين » (٣) .

The Letters of G. Bell, Vol II, p. 388. (١)

(٢) أورد جورج أنطونيبوس على الصفحات ٢٥١-٢٧٥ من كتابه
الموسوم بـ « يقظة العرب » المطبوع ببيروت ١٩٦٢ تفصيلات وافية عن
المفاوضات التي درت بين الشريف حسين والسير مكماهون .

Lawrence, T. E, Seven Pillars of Wisdom, N.Y, (٣)

1938, p. 60.

ويظهر ان الكثيرين من المشتغلين بالحركة الوطنية في العراق كانوا يعدون شرفاء مكة أبطالا قوميين يصلحون لقيادة البلاد العربية نحو الاستقلال . وقد وصلت ثقة معظم العراقيين ، خاصة في بغداد والفرات الاوسط ، بهؤلاء الشرفاء درجة أصبح معها ترشيح أحد أبناء الشريف حسين لعرش العراق مقبولا . ومن الادلة على ذلك : أولا - أن شيوخ القبائل في منطقة الشامية كانوا عند نشوب الحرب العالمية الاولى « على اتصال مع الشريف حسين بغية الحصول على مملكة عربية مستقلة »^(١) . ثانيا - عندما أجري الاستفتاء في العراق سنة ١٩١٨ ، عقد اجتماع كبير في بغداد لهذا الغرض وقع فيه « المسلمون المجتمعون على عريضة يفضلون فيها تأسيس دولة عربية يرأسها ملك مسلم يجب أن يكون من أنجال الشريف »^(٢) . ثالثا - وبعد أن نودي بملوكية « الامير عبدالله في دمشق في اليوم التاسع من مارت سنة ١٩٢٠ طلب الى شيوخ جميع القبائل الفراتية أن يوقعوا على وثيقة يطلبون فيها منه أن يتوجه لتسلم زمام مملكته ، والمعتقد ان عريضة بهذا المعنى بعثت اليه من الشامية »^(٣) . يضاف الى ذلك ان انخراط عدد من الضباط العراقيين الهاريين من الجيش العثماني أو من الذين وقعوا أسرى بيد الانكليز ، في ثورة الحسين ، كون منهم حلقة اتصال بين العاملين في ثورة الحسين وبين بعض المعنيين في الحركة الوطنية بالعراق .

ثالثا - تأثير الثورة المصرية سنة ١٩١٩ : قامت هذه الثورة نتيجة لاستمرار الاحتلال البريطاني لمصر ، ولفرض الحماية عليها ، ولاشغال البريطانيين مناصب ادارية كبيرة في البلاد . ويظهر ان التذمر من السياسة

Reports, I, p. 66—7.

(١)

(٢) بيل ، المس ، فصول ، ص ١٢٤ .

(٣) ن ٠ م ، ص ١٥٦ .

البريطانية لم يكن مقتصرًا على معظم سكان المدن المصرية ، بل امتد إلى الفلاحين الذين تضرروا كثيرا بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى نتيجة لتسليحهم واستخدام حيواناتهم بأعمال أملت لها ضرورات الحركات العسكرية الانكليزية . وكان تدمير المصريين من الادارة البريطانية في تلك الفترة حقيقيا وشاملا لجماعات كبيرة من المصريين^(١) . وما لبث هذا التدمير أن تحول الى ثورة . وقد أظهر المصريون في ثورتهم هذه ، رغبة أكيدة في الحصول على الاستقلال . ويقول بارلو انه لم يكن باستطاعة أي زعيم ، بما في ذلك سعد زغلول نفسه ، أن يتساهل في هذا المطلب الشعبي لان تساهله قد يؤدي الى فقدان زعامته^(٢) . ويقول العمري ان للثورة المصرية أنرا كبيرا في تشجيع العراقيين على الثورة ضد البريطانيين ، وان اطلاع العراقيين على انتصارات المصريين ، على البريطانيين ، قوى عزائمهم فأخذوا يستخفون بالانكليز وبمقدرتهم الحربية ، واتعشت الروح الوطنية اتعاشا هائلا (٣) .

رابعا - تأثير قيام الحكومة الفيصلية في سورية : تأسست الادارة الفيصلية في سورية قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى بعد اندحار الاتراك أمام جيوش الحلفاء . وقد أسهم جماعة من العراقيين في ادارة حكومة فيصل هذه ، كما بينا في فصل سابق . ويظهر ان العراقيين الموظفين في حكومة سورية استفادوا من مراكزهم المهمة في تلك الحكومة فأخذوا يعملون على ادارة الحركات الوطنية الرامية لانقاذ أجزاء من وطنهم من أيدي السلطات البريطانية التي كانت تسيطر على العراق حينذاك . وقد

Barlow. E, The Egyptian Crisis 1918—1922 (١)

Typed Copy, p. 3.

Ibid, p. 5. (٢)

(٣) مقدرات ، ج ٣ ، ص ٩٩ .

نجحت مساعي رمضان السلاش ، التي نالت تأييد ومعونة جمعية العهد العراقية في سورية ، في انقاذ دير الزور من الاحتلال البريطاني . يضاف الى ذلك ان جمعية العهد في الشام كانت على صلة ببعض العاملين في الحركة الوطنية بالعراق خاصة في الموصل وبغداد ، ومع هذا فان دورها ، كما بينا في فصل سابق ، كان قليل الاهمية . ويظهر ان دور الحكومة الفيصلية في سورية وتأثيرها بحركة العراق الوطنية كان مبالغاً فيه . فعندما يتكلم العمري عن أثر الحكومة الفيصلية في حركة العراق الوطنية يقول ان كثيرا من أهل العراق اعتقدوا « بأن الدولة العربية المؤسسة في سورية على أثر مبادئ ولسن الشهيرة ، قد أصبحت قوية^(١) يستند رجالها الى أحزاب سياسية وطنية ، وان هؤلاء ، وفي مقدمتهم سمو الامير فيصل ، قد عزموا على تحرير العراق من الاستعباد البريطاني »^(٢) . ولو بحثنا عن المساعدات الفعلية التي قدمتها سورية للعراق ، أثناء كفاحه مع الانكليز ، لوجدناها ضئيلة ، ان لم تكن معدومة . وقد بينا في فصل سابق انه لم تصل مساعدات مالية^(٣) من سورية للعراق ذات أهمية ومع هذا فقد أشار الشيخ فريوق

(١) يقول أمين سعيد على الص ٢٨٢ من الجزء الاول من كتابه الموسوم بـ « الثورة العربية الكبرى » : « ان الجيش الفيصلي كان ضعيفا . وكان يوسف العظمة يخفي الامر عن الملك فيصل ولكن ياسين الهاشمي أباح بكل شيء . فقال يوسف : لقد كشفنا ياسين وانتهى كل شيء ولم يعد بإمكاننا أن نعمل شيئا » .

(٢) مقدرات ، ج ١ ، ص ٩٨ .

(٣) يقول علي البازركان ، على الص ١٦٠ من كتابه الموسوم بـ « الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية » : « ان الثورة بدأت وانتهت ولم تصل الى القائمين فيها أية مساعدة مالية أو عسكرية » . بل بالعكس ان أحد القائمين بالحركة في دير الزور ، وهو علي جودت الايوبي ، أرسل رسالة يطلب فيها من الثوار عشرة آلاف ليرة لينفق منها على نقل أتباعه ليشتركوا بالثورة ضد الانكليز فرفض طلبه .

الفرعون الى أن الملك فيصل قد أرسل ستة وعشرين ألف ليرة ذهبية مع شخص لم يذكر اسمه وطلب منه أن يسلمها أما الى الشيخ محمد تقي اشيرازي أو الى عبدالواحد الحاج سكر أو الى السيد علوان الياسري ، ولكن الشخص الموما اليه لم يوصل المبلغ الى أي واحد من هؤلاء^(١) .

ومما يجدر ذكره هو أن الحسيني^(٢) استجوب جماعة من السياسيين ورجال الدين الذين اشتركوا بالثورة والزعماء وغيرهم عن مواضيع عديدة ومن بينها المساعدات السورية للعراق . وقد وجه لهم الاسئلة التالية : (١) ما العوامل التي أدت في نظركم الى اعلان الثورة العراقية الكبرى في عام ١٩٢٠ ؟ (٢) هل تلقى الثوار مساعدات عسكرية أو مالية من بغداد أو من خارج العراق ؟ (٣) هل استفاد العراق من ثورته ؟ . ولا يهمنا هنا أن نبحث في الاجوبة التي وردت عن السؤالين الاول والثالث ، بل ما يهمنا الإشارة اليه هو موضوع المساعدات المالية والعسكرية التي وردت من خارج العراق للثوار وخاصة سورية . وقد أجاب فخامة ناجي شوكت بالنفي . كما أجاب فخامة ناجي السويدي ان مبالغ مهمة لم ترد ، سوى اربعمائة جنيه أرسلت في سنة ١٩١٩ لبعض الجمعيات السياسية العراقية . ومع هذا فلا نعلق أهمية تاريخية على جواب فخامتي السويدي^(٣) وشوكت ،

(١) الحقائق الناصعة ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .

(٢) الثورة ، ص ٢٠١-٢٢١ .

(٣) أخبرني من أثق بروايته ان صاحباً الفخامة ناجي السويدي وتوفيق السويدي لم يكونا مؤيدين لابيها يوسف السويدي في اشتغاله بالحركة الوطنية في العراق سنة ١٩٢٠ . وقد حررا رسالة بهذا الخصوص وطلبنا من ناقل الرواية الذي كان معهما بدمشق أن يوصلها لابيها . وأباحا له فتح الرسالة ان خشي الخطر على أن يبلغ مضمونها شفها لابيها . وعندما فتحها وجد ان الولدين يحذران أبيهما مقبلة عمله في الحركة الوطنية ضد الانكليز وان عمله في هذا الحقل يهدد مصالحهما الخاصة .

لان أحدهما ، وهو ناجي شوكت ، كانت صلته بالثوار قليلة أو معدومة تقريبا ، قبل الثورة وفي خلالها ، لذا تعد معلوماته غير مباشرة . أما فخامة ناجي السويدي فان المس بيل^(١) تهم أباه ، يوسف السويدي خاصة ، والشيخ سعيد النقشبندي ، بتسلم مبالغ كبيرة من المال لانفاقها على الثورة لذلك نأخذ روايته بنوع من الحذر . وبالرغم من كل ذلك فأنسي لا أميل الى اتهام يوسف السويدي بتبديد الاموال التي استلمها بطرق غير مشروعة ، لانه كان من العاملين في الحركة الوطنية ، وربما يكون قد صرف هذه الاموال بطرق مشروعة ، ومع هذا كان عليه أن يقدم بها مستندات الى الهيئة الادارية لحزب الحرس الذي هو عضو فيه . أما جواب معالي جلال بابان الذي كان من المشتغلين بالقضايا العامة حينذاك فكان : « لم يحصل العراقيون في ثورتهم هذه أي شيء من خارج العراق سواء كانت هذه الذخائر الحربية أو الاسلحة أو النقود ... » .

وقال العلامة الشيخ عبدالكريم الجزائري ، الذي كان من أكثر رجال الثورة اطلاعا على خبايا الامور ، : « لم تأت أية مساعدة من الخارج لا مال ولا عتاد ... » .

أما جواب الشيخ محمد جواد الجواهري ، وهو من المشتغلين بالقضايا العامة حينذاك ، فكان : « اني من المباشرين والمطلعين الى ساعة القاء القبض علي ، فما رأيت وما سمعت ، ان الثوار استعانوا برجال بغداد أو غير بغداد ، لا بامدادات حربية ولا بأموال نقدية » .

وعندما وجهت الاسئلة سالفة الذكر للعلامة السيد هبة الدين الحسيني أجاب عليها بقوله : « أما من خارج العراق فلم يرد أي شيء قط لساعدة الثائرين ، لا أسلحة ولا ذخائر ولا أموال » . أما جواب الحاج

(١) فصول ، ص ١٣٤ .

عبدالمحسن شلاش ، وهو من المشتغلين بالشؤون العامة حينذاك فكان :
« لم أر ، ولم أسمع ، بوصول مدد أو مال أو غيره الى الفرات التائر لا من
داخل العراق ولا من خارجه » . أما الزعيم المشهور الحاج عبدالواحد
الحاج سكر ، فقل جوابا على الاسئلة سالفة الذكر : « فاني أطمئنك ، وتأكد
من قولي ، بأنه لم يردنا أي شيء من المساعدات المالية أو المعنوية (١) لا من
العراق ولا من خارجه » . أما جواب السيد علوان الياسري (٢) ، وهو
الزعيم الفعلي للشورة المسلحة ، فهو : « أما الامدادات التي تطرقتم اليها ،
فلم يصل منها شيء لا من بغداد ولا من خارج العراق » .

خامسا - تأثير الحركة الكمالية في تركيا : كان للاتراك ، بحكم
الجماعة الاسلامية ، وصلاتهم القديمة في العراق ، وبحكم العامل الجغرافي
أيضا ، نفوذ معنوي كبير في الاقسام الشمالية من العراق ، خاصة في المنطقة
الكرديّة من العراق وفي الموصل . وقد دأب الاتراك منذ اعلان الهدنة على
تأييد الحركات الرامية لاضعاف النفوذ البريطاني في العراق . وتقول المس
بيل إن الدعاية التركية في منطقة البارزانيين والزياريين كانت تدار بحذق

(١) ان في كلام الشيخ عبدالواحد مبالغة لا تخفى على القارئ .

(٢) جاء على الص ١١٠ من الجزء الاول من مجموعة تقارير الحكام
السياسيين في العراق سنة ١٩١٨ المرموز لها بـ "Reports"
« ان السيد علوان السيد عباس كان ممثل الشامية في مجلس الولاية
العثماني . وهو رجل ماهر وذو نفوذ واسع . ويمكن أن يكون أكثر الناس
نفوذا في منطقة الشامية . وله تأثير على السيد نور [السيد عزيز الياسري]
ويجب ألا نثق به وان نراقب فعالياته » . أما عن الشيخ عبدالواحد فيقول
« كاتب التقرير على الصفحة وفي الجزء نفسه : « كان رجلا ثريا من زعماء
آل فتله ، وهو رجل قدير وذو نظرة بعيدة تفوق نظرة الناس الاعتياديين .
ومن الصعب على المرء أن يحلل أخلاقه . وهو بكل تأكيد أقوى رجال آل
فتله ، وقد يكون أقوى رجل في منطقة المشخاب بعد السيد علوان
الياسري » .

(١) ...

امن وان اعلى يد حاكم سابق يدعى جيدر بك . وموقفاً شاعت الاخبار في
تأوائل الشتاء على وصول انور باشا الى وان مع عتد يقالف من الاتراك
والروس الهاربين ، وعن ترأسله مع تيتو آغا في اورامار الواقعة في شمال
العمادية . وبلغ البزوارعي والمسيحيين الاخرين ١٠٠٠ وقد توسط الترك لمصنوا
التواع بين فارقل آغا الزيباوي وشيخ لحمد البازازاني . مؤكناً الوكيلاء
الاتراك « مشغلين في الوقت نفسه في بث المبادئ التي كان الاغبيوات
يعيرونها آذانا صاغية لانها تقدم لهم مشروعاً يؤدي الى سيطرة اسلامية بعيدة
غير فعالة ، يطمح تحتها الاغوات هم اصحاب السلطة الحقيقية ، لكن
الفلاحين والعشائريين الذين سيخبرون على الخضوع التام لرؤسائهم لا يمدون
ترنهم ينظرون الى الامر على الضوء نفسه » (١) .

ويذكر الاستاذ علي البارزكان ان ضابطاً من الجيش الفصلي في
سورية راجعوا والتي ديار بكر فجهزهم بالأسلحة والعتاد على ان يهاجموا
الانكليز (٢) .

وقد سبق ان اشرنا في الفصل السابق الى الرسالة التي أرسلها فرع
جمعية العهد بالموصل الى مركز الجمعية في الشام والتي أظهر فيها معتمد
الفرع بان الموصل ترى في مصطفى كمال أتاتورك منقذاً للعراق من
الانكليز .

ومع هذا يظهر ان دعاوة الاتراك ومعوتهم كانت مقتصرة على الاقتسام
الشمالية من العراق . وقد ساهمت هذه الجهات في الحركات السابقة
لقيام ثورة العشرين التي قررت مصير العراق ، ولكن دورها في تلك الثورة
كان ضئيلاً أو معدوماً . يضاف الى ذلك ان الاتراك كانوا يساعدون

(١) فصول ، ص ١١٦ .

(٢) الوقائع الحقيقية ، ص ١٨٥ .

العراقيين لا رغبة في معوتهم على نيل الاستقلال ، بل ليعود العراق ، أو ولاية الموصل على الأقل ، تحت حكمهم كما أثبتت ذلك الحوادث اللاحقة ، وخاصة مطالبتهم بولاية الموصل التي عدوها أراضي تركية واعتصبها منهم الانكليز دون مسوغ . وبالرغم من كل ذلك فان التأثير المعنوي لنجاح الحركة الكمالية في تركية كان كبيرا لا في العبراق حسب ، بل في الشرق كله .

ب - الاسباب الداخلية للثورة :

أولا - سوء تصرف الادارة المحلية : حكمت بريطانيا العراق بين سنة (١٩١٨-١٩٢٠) حكما مباشرا . وكانت السلطة البريطانية في العراق موزعة بين وزير الخارجية ووزير الشؤون الهندية في الحكومة البريطانية . وقد أناطت حكومة الهند الى ضابط من ضباطها وظيفة الحاكم الملكي العام "Civil Comissioner" وجعلته مسؤولا عن الادارة المدنية ، ولكنها جعلته خاضعا لسلطة القائد العام للقوات المسلحة . ويختار الحاكم الملكي العام بدوره الموظفين الإداريين وهم مسؤولون أمامه . وقد قسم العراق الى مناطق ادارية ، كما أسلفنا ، يحكمها الموظفون الإداريون تحت اسم حكام سياسيين يعاونهم في كل منطقة ادارية عدد من معاونين حسب الحاجة وأهمية المنطقة . وكان معظم هؤلاء الحكام السياسيين من ضباط الجيش الذين لم يألفوا الادارة المدنية التي تختلف أساليب الحكم فيها عن الأساليب العسكرية .

وعندما يتكلم الشيخ علي الشرقي عن الادارة البريطانية في تلك الفترة يقول : « وكان التغيير من الحكم العسكري الى الملكي قد تم بسرعة وعلى يد ضباط عسكريين ذوي شراسة ولوثة انتقلوا من الخنادق الى الكراسي الادارية فساروا في الناس سيرة خشنه وساقوهم سوقا عنيفا وصبوا

التكاليف الثقيلة دفعة واحدة ... فكانت الترتيبات الادارية كأوامر عسكرية جبرية لا تقبل التحويل والتبديل فجفل الجمهور العراقي واستقبلته الاحزاب المعارضة فنفخت فيه روح الثورة «^(١) . أما العمري فيقول : « وكان الناس يستأون جدا من النظامات الشديدة التي طبقها الحكام السياسيون من دون أن يفكروا في ان أهل العراق غير الهنود . ومن ذلك ... جلد البعض من أرباب المصالح ... لعدم قيامهم وأدائهم التحية للحاكم أثناء مروره »^(٢) . ويظهر ان النظرة التي تصف بالغلظة وسوء الفهم لاخلاق الشعب العراقي لم تقتصر على بعض صفار الموظفين البريطانيين في العراق ، بل تعدتها الى أكبر شخص مسؤول عن البلاد حينذاك وهو الجنرال هالدين الذي كتب يقول : « لقد فات البعض من الحكام السياسيين أن يفهموا بأن رجال القبائل كانوا على مستوى لا يشبهه الا ما كان موجودا عند سكة الحدود الشمالية الغربية من الهند وان حالتهم العقلية لا تبعد كثيرا عن عقلية المتوحشين »^(٣) . يضاف الى ذلك ان سلطات الاحتلال البريطاني في العراق فضلت احتياجات الجيش على سواها مما أدى الى اصدار عدد كبير من البيانات والاعلانات والاورام المعقدة هيمنت على العلاقات بين الجيش والاهلين ، فكانت شديدة الوطأة صعبة التنفيذ بحيث انتقدها العسكريون فضلا عن السياسيين ، فالسخرة وجمع الطعام ، واشغال العقارات ببدلات ضئيلة واستخدام وسائل النقل ، وتقييد التجول والاسفار ، وعدم السماح بنقل الجنائز الى العتبات المقدسة كل هذه كانت حالات لم يألفها الناس . وقد أوردت تفصيلات عن بعض هذه القضايا في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

(١) « التوادي العراقية » النهضة العراقية ، السنة الاولى ، العدد

(٢٥) ٥ تشرين الاول ١٩٢٧ - ٨ ربيع الثاني ١٣٤٦ هـ .

(٢) مقدرات ، ج ٣ ، ص ٦ .

Haldane, Op. cit, p. 29.

(٣)

وقد لجأت السلطة المحتلة أحيانا الى الاستفادة من الأساليب التركية وذلك بانارة الخلاف بين رؤساء القبائل لاسباب ادارية غالبا . عندما غضبت على الشيخ سالم الخيون استبدلته بالشيخ مجيد الخيون ونفت الشيخ الاول للمهند^(١) . ولم يقتصر ضرر هذه السياسة على خلق المشاحنات بين أفراد القبيلة الواحدة ، بل أدى الى انتشار الشقاق والنفاق بين رؤساء القبائل الامر الذي أدى الى خلق نوع من السخط والتذمر^(٢) . ويوضح تقرير رسمي سياسة السلطات المحتلة تجاه الرؤساء المؤيدين فجاء فيه : « لم يرضنا سلوك انشيخ عبدالعباس وقبيلته هي القبيلة الوحيدة التي لم تعاقب عند قيام الاضطرابات في العام الماضي ومن الممكن أن نعاقبه الان ولكن خدماته للحكومة في الرميثة لن تسي . يضاف الى ذلك ان قبيلته هي القبيلة الوحيدة المناوئة لقبيلة بني ححيم ان طريقة التفرقة التي نسير عليها تعني القضاء على نظام القبيلة ، وهذه الوسيلة هي الوحيدة التي تساعدنا على السيطرة في الوقت الحاضر »^(٣) . وكانت قبيلة بني ححيم سالفة الذكر في الرميثة من أكثر القبائل مناوئة للانكليز وقد قامت بقسط وافر من النزاع العسكري المسلح عند قيام الثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ .

ثانيا - تأييد القبائل للثورة : تتكون الغالبية العظمى من سكان العراق ابان الاحتلال البريطاني للعراق من القبائل^(٤) . وقد بينت في الفصل

(١) Arab Bureau, The Muntafik Confederacy, p. 5.

(٢) العمري ، مقدرات ، ج ٣ ، ص ٣٠٧ .

(٣) Political Officer's Reports, August, 1912, p. 25.

(٤) لا تزال القبائل تؤلف الغالبية العظمى من سكان العراق ويؤلفون في الوقت الحاضر حوالي ٧٨٪ من السكان ، ٧٠٪ منهم متوطنون يزرعون الارض و ٨٪ بدو رحل وقد أخذ عددهم بالتناقص لكثرة الهجرة من الريف للمدن .

الاول كيف ان الضرورات السياسية والاجتماعية في العهد العثماني أمثلت على السكان ، بما في ذلك بعض سكان المدن ، ان ينتموا الى قبيلة من القبائل لكي يحافظوا على ارواحهم وأموالهم . وتخضع كل قبيلة الى رئيس تحكمه في شؤونها وقت السلم وتسير تحت قيادته وقت الحرب . وقد يكون للقبيلة أو الاتحاد القبلي رئيس عام يسمى شيخ المشايخ أو شيخ العموم . وكانت معظم القبائل في العهد العثماني تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي مكنها من ادارة شؤونها حسب العرف والتقاليد القبلية . فهي والحالة هذه لا تخضع الا نادرا لقوانين الحكومة وقلما تدفع الضرائب المفروضة بصورة كاملة لها . كما تتعاضد في كثير من الاحيان عن دفع ايجار الارض للمالك خاصة اذا كان ضعيفا أو من سكان المدن . ومن الجدير بالذكر ان ضرورات الدفاع عن النفس وطبيعة النظام القبلي وضعف الحكومة العثمانية جعلت هذه القبائل تهتم بتسليح أفرادها .

وكانت حروب القبائل فيما بينها وحروبها مع الحكومة تقوم بمثابة تدريب عملي على أساليب القتال . وعندما احتل الانكليز العراق لم يستطيعوا تجريد القبائل من السلاح بالرغم من الجهود التي بذلوها في هذا الشأن . كما انهم لم يقضوا على نظام المشيخة ، بل ركزوه على أسس أقوى من ذي قبل . ويقول الجنرال هالدين بهذا الصدد : « لا أستطيع أن أقول ان خطتنا الرامية الى تقوية سلطة الشيخ ناجحة أم لا ، ولا شك ان اختيار الشيخ يتطلب عناية فائقة ، وبعض هؤلاء يميلون الى تقديم مصالحهم الشخصية على حساب مصالح أتباعهم ، وعندما تحصل الاضطرابات يصبغ عليهم أن يسيطروا على هؤلاء الاتباع . وليس عجيبا أن نرى الشيوخ الكبار في العراق لن يترفخوا عن سلب المبالغ التي تدفع لهم ليوزعوها على الافراد مقابل قيامهم بالاشغال العامة . وهذه الحالة التي وصفناها جعلت هؤلاء الافراد حائقين على الوضع الامر الذي جعلهم

يؤيدون الاضطرابات التي حصلت في سنة ١٩٢٠» (١) •

أما الحسيني فيعلل تنبه القبائل وتأييدهم للثورة بقوله : « لقد بعثت الحرب وسوء الادارة وعنف الموظفين البريطانيين ، في رجال القبائل روح التكتل وتناسي الضغائن والعصيات القبلية ... » (٢) •

ويلوح لي ان العامل الديني هو الاول في اثارة اقبائل ضد الانكليز وقد ظهر أثر هذا العامل واضحا في الشعر الشعبي الذي كان يترنم به أفراد القبائل أثناء القتال مع الانكليز • فقال أحدهم يعاتب الشيخ خيون العبيد رئيس العبودة في قضاء الشطرة لتقاعسه عن قتال الانكليز ، بالرغم من ان الواجب الديني ، وهو الجهاد ، يفرض قتالهم عليه :

يا خيون شنهو المانعك لليوم
تدله (٣) فرض مثل الصلاة والصوم
أظن ابليس غشك بالطمع وانوم
سوجنة عاد اسكن بيها (٤)
ظل خيون جاعد (٥) شنهو المعطله
يكنز للدنيا اودينه (٦) امبطله
أغصور ايريد فضه يو ذهب حطله
ايكنزه وبه ايجونه

Op. cit, p. 31.

- (١) (٢) الثورة العراقية ، ص ٧٩ •
(٣) تعلم انه ، أي الجهاد ضد الانكليز ، فرض كالصوم والصلاة •
(٤) لقد روى لي هذا الشعر السيد خلف السيد غانم من أهالي الرفاعي •
(٥) أي متقاعس أو قاعد عن الجهاد •
(٦) أي أنه منشغل بالدنيا وتارك لدينه لانه لم يقم بالجهاد المفروض •

وقال أحدهم يخاطب الذوات الواردة أسماؤهم في الشعر الشعبي
التالي :

گالولي ثلاثة صايرين ايهود^(١)

ابن ازويد مع منشد وابن شدود

گلت ما ظنتي ايكفرون^(٢) بيت الجود

يالشايل باصه ابزند ايده

وعندما هجم الشيخ شعلان أبو الجون رئيس الطوالم على القوات
الانكليزية في الرميثة قالت احدى النسوة « هوسة » أي انشودة التحريض
على الحرب رغبة في تحريض قومها على قتال الانكليز :

حل فرض الخامس^(٣) گوموله

وسنبحث عن أثر فتوى العلماء بالجهاد في القبائل وغيرهم من
العراقيين فيما بعد .

وقد ظهرت بوادر روح وطنية تضيق عنها روح القبيلة الضيقة ،
فذكر الشعراء « العراق » و « الوطن » في شعرهم الشعبي كما ذكروا فكرة
التعصب « للعروبة » في شعرهم هذا ووصفوا الخائنين بانهم يشبهون أبا
رغال الذي خان بلاده فدل الاحباش على مكة ورجم الناس قبره كما هو
معروف . وسنورد نماذج من شعرهم الشعبي تؤيد ذلك :

وعندما حصلت مراسلة بين عزاره المعجون والحاج عجه الدلي ،
وكلاهما من رؤساء عشائر بني احجيم والبو جياش في الرميثة ، حول

(١) ان تقاعس هؤلاء الثلاثة عن الجهاد جعلهم يحكم اليهود .

(٢) ان هؤلاء في نظر الشاعر كفره لانهم تقاعسوا عن الجهاد .
وهؤلاء الثلاثة هم من زعماء العشائر في الناصرية ، وكان أحدهم وهو الشيخ

منشد الحبيب من أعضاء البرلمان العراقي في العهد الملكي المباد .

(٣) أي الجهاد .

الثورة على الإنكليز فأرسل الحاج عجه رسالة الى عزاره قال فيها : رابع

هذا العلم هذا عالحرب منشور
اودمنه اعلى الملاگه ابكل مسيه ايفور^(١) هذا زير يلسه فملا روعا الى
دوك^(١) اسرع يطارش گل^(٢) لابن امذكول شسته ومه شروفا زوا
يتلگه السوجر^(٣) وحنه^(٤) اويايه^(٥) فملا روعا الى
وعندما وصلت الرسالة الى عزاره اجابت عليها امراءهم من اتباعه

شعرا فقالت :
عدو جهك بعجه العلم خله ايرفي
او على روس الشامه^(٦) ابها لوطن يشرف
عزازه ايگول حاضر والصبح يحشيف
الخوش ازلام اتين ييه

وفي مرة صمدت قبائل ال ازيرج والغزي لقوة انكليزية فادمنه الى
السماء من البصرة فتمكنت من منعها من وصول السماء وارجعتها
لنضارية فقال الشاعر الشعبي بهذه المناسبة :
لناله^(٧) المصنم سبع ما ينرد
ويريد اعراك^(٨) ياخذ بارد امبرد

-
- (١) هيا اسرع ايها الرسول .
 - (٢) قل له
 - (٣) الجنيد .
 - (٤) نحن
 - (٥) يستعمل المهوسون هذه الهوسة على طريقة رد الصدر على العجز ، فتكون « وحنه اويايه » نتلگه السوجر لها فيستقيم حينئذ وزنها .
(كما أخبرني الاستاذ ابراهيم وفي « وهو من المطلعين على الشعر الشعبي) .
 - (٦) المشهورون في الحروب « او رة الشامه » فملا روعا الى
 - (٧) يعتقد الإنكليز انهم كالا سود في القوة ولا يمكن التغلب عليهم .
 - (٨) العراق . أي يعتقدون انهم يستولون على العراق بسهولة .

اطبغوا بالناصرية كاطع (١) او منشد (٢)
كسروه المغتر باطوابه (٣)

وعندما اشتبك الحاج صلال الفاضل ، من رؤساء عشيرة الاكرع في لواء الديوانية مع القوات البريطانية هناك ، تغلب عليها وطاردها الى منطقة تقرب من الصويرة في لواء الكوت حيث يسكن الشيخ عمران الزنبور رئيس بني عجيل من قبيلة زبيد . وكان عمران هذا مخلصا للعدو فأوى جماعة من قوادهم في حصن له أي (جلعه أو قلعة أو طنبيه) كما يطلق على الحصن في تلك المناطق . وقد تمكن الشيخ صلال من مهاجمة القلعة واحراقها . فقال أحد أفراد قوات الشيخ صلال :

هظيمه اعالعرب يالعرب ما تشال
مثل عمران يجني اعالعروبة افعال
احيا اسم البواهل بالحرب صلال
احرگها (٤) النجان ايضم بيها

وكانت عشيرة البدير برئاسة الشيخ شعلان الشهد تساعد الانكليز فهجاهم شاعر شعبي ، من قبيلة مجاورة ساكنة في عفك حيث يسكن البدير أيضا ، بقوله :

ليش ابن العرب تفرع اويا العدوان
آل ابدير من دور النبي غبران

- (١) كاطع البطي شيخ الزيرج أو آل ازيرج .
(٢) ورد اسمه سابقا مقرونا بجماعة تقاعسوا عن حرب الانكليز ويظهر أن الرجل لم يثبت على اتجاه واحد .
(٣) مدافعه .
(٤) يقصد أن صلال الفاضل أحرق قلعة عمران التي كان يختبأ بها الانكليز .

ايخدم جفرز^(١) الخاين للعرب شعلان
مثل برغال^(٢) مكة اعالوطن صغبان^(٣)
خل جلبه^(٤) ويب^(٥) اتلك^(٦) شيبه

وقد أيدت رواية المس بيل ما جاء عن الشيخ صغبان في هذه القصيدة الشعبية حين تقول : ان شيوخ عفك وآل بدير « وقفوا بجانب معاون الحاكم السياسي الى حين انسحاب القوات البريطانية من الديوانية حتى ان أبرز شيوخ آل بدير [صغبان أبو جاسم] رافق الرتل الانكليزي الى الحلة ... »^(٧) .

ولم يكن الشيخ صغبان أبو جاسم الوحيد الذي عاون الانكليز ، بل كان شيوخ ابو سلطان المعروفين بأولاد جريان في الحلة من مؤيديهم . وقد ورد ذكرهم في الشعر الشعبي حين يقول الشاعر الشعبي :
يا طارشني تسري امن الودان^(٨)
اولجل الركض تركبلك احصان
لسعدون^(٩) روح اولعد شعلان

-
- (١) أحد رجال الانكليز .
 - (٢) أبو رغال الذي دل الاحباش على طريق مكة .
 - (٣) يسميه جعفر خياط مترجم كتاب « فصول من تاريخ العراق الحديث » للمس بيل على الص ١٦١ ، الشيخ صغبان « أبو جاسم » .
 - (٤) كلبه .
 - (٥) يقصد المستر Webb موظف بريطاني في الديوانية .
 - (٦) تلحس الكلبة شيب الشيخ لانها افته لكثرة تردده على بيت صاحبها .
 - (٧) فصول ، ص ١٦١ .
 - (٨) أي عند آذان الفجر .

(٩) الشيخ سعدون الرسن رئيس عشيرة الكرع في عفك الذي كان من أشد المناوئين للانكليز . ويقول الحسني على الص ١٤٩ من كتابه =

اومظهر^(١) اتكله وگلله الشمران^(٢)

اوللموح^(٣) راعي الشرف والشان

اوبالك تمر باولاد جريان^(٤)

بس رد لسلمان^(٥) ابن عبطان

اولجبورها العدهم العنوان

ها لا تروح العرب جريان

= الموسوم ب « الثورة العراقية » ان حاكم الديوانية الماجور ديلي Daly أرسل على الشيخ سعدون ووضع أمامه قطعتين من الورق ، احدهما سوداء والثانية بيضاء ، وقال له : ان سلوكك مع الحكومة يشبه كثيرا هذه الورقة ، وأشار الى القطعة السوداء ، في حين أن سياسة الحكومة معك تشبه هذه القطعة من الورق ، وأشار الى البيضاء . فأجابه الشيخ سعدون « ليس هذا لباسنا ، يا حضرة الحاكم » فقال له ديلي : بلى انك تسعى لتقع في الحفرة التي يحفرها لانفسهم بعض الرؤساء ، وأنا أريد أن أريك شيئا من بطش السلطة البريطانية . فخشي الشيخ سعدون من بطشه فصانعه وقال ما معناه لو كنا نريد أن نجرب بطش السلطة فينا لما هدمنا الـ (٣٥٠) قلعة من قلاعنا في أطراف الدغارة ، ولما سلمنا الحكومة زهاء (٣٠٠٠٠) بندقية ، ولما أعطينا الاموال الاميرية عن طيبة خاطر . وقد رأى الحاكم أن يؤجل اعتقاله لاسباب سياسية . وما كاد الشيخ سعدون يفلت من الفخ الذي نصبه له الانكليز ، حتى ذهب لتحريض الشيوخ الاخرين على الثورة فما كان من الحكومة الا أن هاجمته وأحرقت بيته ونهبت اثنائه وأخذت مخشلات زوجاته . وقد قدر ثمنها للحسني بمبلغ (٥٠٠٠) آلاف ليرة .

(١) أسماء شيوخ من الديوانية .

(٢) يقصد صلال الموح الذي اشتهر بقتال الانكليز .

(٣) يقصد الشيخ نايف وعداي واخوتهما الذين عرفوا بتأييد

الانكليز . ويسكنون في لواء الحلة .

(٤) من رؤساء الخزاعل في لواء الديوانية .

العوجة^(١) اهتزت عنها

ومن القبائل التي اشتهرت لا بتأييدها للانكليز حسب ، بل كانت تقاتل الثائرين ضدهم ، هي قبيلة عنزة ورئيسها فهد بن هذال . وتروي المس بيل أن قبيلة عنزة الموالية للانكليز هجمت على الحاج عطية أبو گلل قرب السماوة فاضطر لتسليم نفسه للسلطات البريطانية قبل نهاية نيسان سنة ١٩١٨^(٢) . وكانت قبيلة ابو عيسى برئاسة الشيخ علي الحسين الكريم من أكثر القبائل تأييدا للانكليز في منطقة سامراء . وقد أهدت السلطات البريطانية للشيخ علي هذا ساعة ذهبية في ٢٩ كانون الاول سنة ١٩١٨ ، تقديرا لخدماته^(٣) . أما تأييد قبائل الدليم للحكومة الانكليزية فانه مشهور . وتقول المس بيل بعد مقتل لچمن « لكن عشائر الدليم برئاسة الشيخ علي السليمان وعنزة برئاسة فهد بك وابنه محروث ، الذي تمكن الكولونيل لچمن بواسطتهم من السيطرة على منطقة الفرات من الفلوجة الى عانة ، ظلوا موالين للحكومة ... »^(٤) .

ولم يظهر أفراد العشائر تحسبهم لاهداف الثورة بشعرهم الشعبي ، الذي أعده أحسن معبر عن شعورهم الحقيقي حسب ، بل ظهر هذا الشعور في المضابط التي نظمها رؤساؤهم كوسيلة لاطهار اسهامهم في الحركة الوطنية ، وفي المؤتمرات التي عقدوها للغرض نفسه سواء كان ذلك قبل الثورة أو في أثناء الدور العسكري منها . وسنورد نماذج من المضابط والمؤتمرات التي اقتصرت على العشائر دون غيرهم . ومن هذه المضابط والمؤتمرات : أ - العريضة التي وقعها رؤساء الشامية ودعوا بها

(١) منطقة في الديوانية .

(٢) فصول ، ص ٥١ .

(٣) Reports, I, p. 4.

(٤) فصول ، ص ١٦٥ .

الأمير عبدالله بن الشريف حسين أن يقدم للعراق لتسلم زمام مملكته وذلك بعد أن بايعه المؤتمر العراقي المنعقد بالشام في التاسع من آذار سنة ١٩٢٠ بعرض العراق^(١) . ب - الاجتماع الذي عقده الرؤساء التالية أسماؤهم في العشرين من شوال ١٣٣٨ الموافق الى السابع من تموز ١٩٢٠ في دار الحاج مرزوك العواد رئيس عشيرة العوابد : السيد علوان الياسري ، وسلمان العبطان ، وعبدالواحد الحاج سكر ، ومحمد العبطان والسيد نور السيد عزيز ، والسيد محسن أبو طبيخ ، وعبادي الحسين وشقيقه عبدالسادة ، ومهدي آل عسل ، وعبد آل صفوك ، وعلوان الحاج سعدون ، وهنين الحنون ، ومجبل الفرعون . وحضر المؤتمر عن الحكومة الكابتن مان "Mann" حاكم الشامية . وقدم له المجتمعون الشروط التالية مقابل محافظتهم على النظام : ١ - أن يمنح العراق استقلالاً تاماً . ٢ ، ٣ ، ٤ شروط تفصيلية^(٢) .

ج - مؤتمر المصيفي في لواء الناصرية المعقود في منتصف ذي الحجة ١٣٣٨ . وعقده الثوار بعد أن احتلوا قلعة سكر ومن شروط هذا الميثاق : ١ - المطالبة باستقلال العراق ، استقلالاً تاماً ناجزاً ، وانتخاب الأمير عبدالله ملكاً عليه . ٢ ، ٤ ، ٥ ، - شروط تفصيلية . ٣ - اتباع ما يأمر به العلماء المجتهدون . ومن أهم الموقعين عليه : موحان الخيرالله ، محمد الحاج شلال ، السيد دخيل^(٣) السيد فياض ، السيد عبدالمهدي ، ابراهيم اليوسف ، خيون العبيد ، صگبان العلي ، سلمان الشريف ، مزعل الحميدة وغيرهم^(٤) .

ويستطيع الباحث أن يستنتج مما سبق أن نوعاً من الاحساس بقضية

-
- (١) بيل ، المس ، فصول ، ص ١٥٦ .
 - (٢) الحسنی ، الثورة ، ص ١٠٩ .
 - (٣) المرحوم الوالد .
 - (٤) الحسنی ، ن . م ، ص ١٧٠ (هـ) .

العراق العامة ، ذلك الاحساس الذي تعدى حدود الاهتمام بمشكلات القبيلة ومنازعاتها المحلية الى الاهتمام بمصلحة الوطن عامة ، أخذ خلال فترة ثورة العشرين يجد طريقه الى نفوس الكثيرين من أفراد القبائل ، وخاصة طبقة الزعماء منهم . وقد أحس المسؤولون الانكليز بهذا الوعي الوطني وشهدوا آثاره الفعلية ، فالجنرال هالدين يقول : « شهدت أشهر صيف سنة ١٩٢٠ نوعاً من اليقظة في الشعور الوطني الذي كان راقداً ، فيما سبق ، في نفوس أبناء القبائل العراقية . وقد وجدت الدعاوة الدينية ودعاوة شرفاء مكة آذاناً صاغية من تلك القبائل ، فأسفرت جهود الدعاة عن قيام عدد ضخم من الثوار المسلحين ضد قواتنا »^(١) .

وهناك نقطة أثارها الشيخ فريق الفرعون^(٢) ، مفادها أن الثورة قامت على أكتاف أبناء العشائر ، وهذه فكرة ينقصها التدقيق العلمي إذ أن الثورة ظاهرة اجتماعية معقدة تمتد جذورها الى ما وراء صيف سنة ١٩٢٠ ، وان أدواراً تمهيدية سبقت الثورة المسلحة التي قامت في ذلك الصيف ، فحركة الوعي الفكري التي بذرت بذورها في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى ، وتأسيس الجمعيات والاحزاب قبل الحرب المذكورة وبعدها ، والوسائل السلمية التي استعملها المعنيون بالحركة الوطنية ، والحركات العسكرية التي قامت ضد الانكليز في الشمال ، وحركة النجف لسنة ١٩١٨ ، كلها عوامل ممهدة لثورة سنة ١٩٢٠ . ولم يسهم أفراد القبائل في هذا الدور اسهاماً فعالة لتخلفهم الثقافي وضعف الوعي السياسي بينهم بالقياس لابناء المدن وهما أمران لا بد منهما للعمل الحزبي . وبالرغم من كل ذلك فإن أفراداً قلائل من الزعماء البارزين كالسيد علوان الياصري والحاج عبدالواحد الحاج سكر والسيد غاطع العوادي ومبدر الفرعون ورمضان الشلاش

Op. cit, p. 28.

(١)

(٢) الحقائق الناصعة ، ج ١ ، ص ٢٢ - ٢٣ .

وغيرهم كانوا وثيقي الصلة بالمنظمات السياسية في النجف وبغداد والموصل وغيرهن من مراكز الحركة الوطنية . ولعل ما أورده فراتي يؤيد هذا الرأي ، حين يقول : « ان الثورة العراقية أعظم وأنبئ من أن تكون حركة قبلية ... » وانها ليست مبتسرة فالثورة العراقية عناصر تاريخية وقومية ووطنية ، فلم تدبر بليل ولم تفاجئ العالم على حين غرة وانها لم تخنق في مهدها ، كما يشير الى ذلك فريق المزهري ، بل تلتها نتائج خطيرة وأعقبها حوادث كبرى خرجت عن نطاقها الضيق الى مؤتمرات دولية ... لم تحتضنها مدينة واحدة من المدن العراقية ولا قبيلة واحدة في أريافه ، بل أسهمت فيها سائر مدن العراق وأريافه كل حسب امكانياتها وظروفها ... » (١) .

ثالثا - تأثير الجمعيات والاحزاب السرية: لم تسمح السلطات الانكليزية في العراق بقيام أحزاب سياسية علنية في البلاد ، لذلك لجأ المعينون في الحركة الوطنية الى تأسيس جمعيات وأحزاب سرية ، أهمها فروع حزب العهد العراقي في بغداد والموصل ، وحزب حرس الاستقلال . وكان الحزب الاخير في الفترة التي سبقت الدور المسلح للثورة ، من أنشط الاحزاب وأكثرها فعالية ، نظرا لما ضم من شخصيات ذات الشأن ، ونظرا لمثابرة مؤيديه على العمل السياسي . وتظهر أهمية هذا الحزب في انه استطاع أن يضم اليه كثيرا من أعضاء الجمعيات الاخرى كجمعية الشبيبة ببغداد وأعضاء من فرع حزب العهد في المدينة نفسها . يضاف الى ذلك ان لحزب الحرس صلات في المناطق العراقية الاخرى خاصة النجف وكربلاء اللتين كانتا من أهم ، ان لم يكونا أهم مراكز الحركة الوطنية في العراق نظرا لوجود علماء الدين ذوي النفوذ الاكبر في نفوس الجمهور في تلك الفترة فيهما من جهة ، ولانهما كانا ملتقى للعاملين في الحركة الوطنية ،

(١) فراتي ، على هامش الثورة العراقية الكبرى ، ص ١٥-١٦ .

خاصة في المواسم الدينية التي يجتمع فيها مئات الالوف من الناس لاداء زيارة المراقد الشيعية المقدسة . وقد سبق ان فصلنا دور الجمعيات والاحزاب اسياسية في الحركة الوطنية في الفصل الثالث من هذا الكتاب فلا ضرورة للتكرار .

رابعا - العامل الوطني : لقد حصل تقدم واضح في حركة الوعي الوطني في العراق خلال الفترة الواقعة بين نهاية الحرب العالمية الاولى وقيام ثورة سنة ١٩٢٠ . ويظهر تقدم الوعي الوطني فيما أُلّف من أحزاب وجمعيات سياسية . كما يظهر هذا الوعي فيما قدمه الوطنيون من احتجاجات لمسلطات البريطانية ومضابط توكيلية للشريف حسين وأبنائه ليقوموا بالدفاع عن قضية العراق بالمؤتمرات الدولية . وبالرغم من كل ذلك لم يبلغ العاملون بالحركة الوطنية قوة تمكنهم من تولي قيادة الثورة . ومرد ذلك الى أن الجمهور لم يبلغ درجة من الوعي السياسي يستطيع معها تفهم المرامي العميقة للحركة الوطنية وهي الحصول على استقلال العراق . وكان من نتيجة ذلك أن لجأ المثقفون للاستعانة برجال الدين لكسب تأييد الجمهور للحركة الوطنية . يضاف الى ذلك ان الكثيرين من العاملين في الحقل السياسي حينذاك لم يفهموا القواعد الخلقية الصارمة والالتزامات الادبية التي يعتمد عليها نجاح العمل السياسي المنظم ، فبددوا كثيرا من جهودهم في المنازعات الشخصية . ومن أشهر أمثلة ذلك المنازعات الشخصية التي حصلت بين أعضاء فرع جمعية العهد ببغداد فشلت أعمال هذا الفرع تقريبا في الحقل السياسي خلال الفترة التي سبقت قيام الثورة . وقد بلغت هذه المنازعات درجة من الخطورة أصبح معها تدخل مركز الحزب في الشام ضروريا . فأوفد المركز وفدا لهذا الغرض برئاسة جميل المدفعي الى بغداد . وبالرغم من الجهود التي بذلها هذا الوفد لم يقضى على الفوضى التي كانت تسيطر على أعمال فرع الجمعية ببغداد فعادت المنازعات

من جديد بعد عودة الوفد الى الشام^(١) .

ويستطيع الباحث أن يستنتج مما سبق ان العامل الوطني في ثورة سنة ١٩٢٠ لم يكن من الخطورة بمكان ، وانه كان ثانويا بالقياس الى العامل الديني الذي سنبحثه بعد قليل .

خامسا - كثرة الضرائب وثقلها : لقد عنت الادارة البريطانية في العراق خلال الاحتلال بفرض ضرائب ثقيلة على السكان والتدقيق جمعها . وقد كتب حاكم الديوانية في سنة ١٩١٨ لدائرة الحاكم الملكي ببغداد يقول : « يجب أن نقرر هنا بأن جزءا كبيرا من وقت الحاكم السياسي يخصص للقضايا المالية أو القضايا التي ترتبط بها بصورة غير مباشرة »^(٢) . ويقول ديبروه "Debrodt" ان «المانجستر كارديان» هاجمت الادارة البريطانية في العراق في سنة ١٩٢٠ لانها لم تحقق آمال العرب في الحرية والاستقلال حسب ، لانها رفعت ضرائبهم الى ثلاثة أضعاف عما كانت عليه قبل الاحتلال البريطاني^(٣) . وعندما يقارن حاكم سامراء بين حصيلته ضريبة الارض في سامراء في سنة ١٩١٧-١٩١٨ وبينها في ١٩١٨-١٩١٩ يقول انها رفعت من (٢٩٧٤٥) روبية في سنة ١٩١٨ الى (١٦٥٤٤٩) روبية في السنة التي تليها^(٤) . وكانت حصيلته ضريبة أشجار النخيل في سنة ١٩١٨ بمنطقة الشامية (٩٥٠٠٠) روبية ، ولكن حاكم الشامية يقول : « انا نأمل أن تكون حصيلته ضريبة النخيل في السنة القادمة بعد ان ننظم تعداد النخيل ونرفع الضريبة على النخلة الواحدة الى (٨) آتات

(١) البازركان ، علي ، ن.م ، ص ١٨١ .

Reports, I, p. 201.

(٢)

Guardian (Manchester), July 24, 1920, p. 8. Cited (٣)

by Robert E. Debrodt, "The British Attempt at Colonial Rul in Iraq, 1918 — 21. Typed copy, p. 5.

Reports, I, p. 45.

(٤)

[كانت ٥٥٠ أنات ونصف في ١٩١٨] مائتين وخمسين ألف روبية ،^(١) •
وان حصيللة ضريبة الدفنية ، التي تؤخذ على كل متوفى تجاوز عمره الثلاث
سنوات وجلب للدفن في مقبرة وادي السلام في النجف أو في حضرة الامام
علي (ع) ، كانت (٤٨٠٠٠٠) روبية في سنة ١٩١٨ بينما يأمل الحاكـم
السياسي أن تكون حصيلتها في العام القادم (١٢٢٠٠٠٠٠) روبية^(٢) • وان
الادارة البريطانية في النجف شعرت في تحسن بجمع الضرائب بمنطقتها
فكان ما جمعته من الضرائب في الربع الاول من سنة ١٩١٨ يزيد على مثله
في السنة الماضية بمدينة النجف ويزيد على ثلاثة أمثاله في مدينة الكوفة^(٣) •

ولم يتضايق العراقيون من ثقل الضرائب حسب ، بل ان تطبيق
بعض القوانين الانكليزية في تقديرها وجبايتها كان من عوامل التذمر أيضا
لا سيما ان الناس لم يألفوا التدقيق في قضايا الضرائب في العهد العثماني •
وكتب حاكم الحلة الى دائرة الحاكم الملكي العام ببغداد يقول : « ان أهم
معضلة تجابه الحكام السياسيين هي جمع أكبر كمية ممكنة من الشعير
والقمح لسد حاجات الجيش من اناس اعتادوا الا يدفعوا أو يدفعوا كميات
ضئيلة الى الحكومة السابقة »^(٤) • وكانت الضرائب في العهد العثماني على
الارض الزراعية في منطقة الشامية مثلا تدفع عينا من المحصول غالبا ولكن
السلطات الانكليزية عملت على استبدالها بالنقد • وكتب حاكم الشامية في
سنة ١٩١٨ يقول : « لقد دفعت ضريبة المحصول الشتوي بدقة في نهاية
شهر آب ، وان حصيلتها كانت (٤١٨) طنا من الحنطة و (٢٩٧٥) طنا
من الشعير • ولو لم يحصل فيضان أغرق المزارع لازدادت ضريبة المحصول

Ibid, p. 74. (١)

Ibid, p. 76. (٢)

Ibid, p. 89. (٣)

Reports, I, p. 121. (٤)

الشتوي (٥٠٠) طن أخرى • ونأمل أن تكون حصة الحكومة (٤٠٠٠) طن في السنة القادمة على أن نأخذها نقدا لا عينا» (١) •

وكانت الضرائب في ولاية الموصل في العهد العثماني تجبى بطرق عديدة أهمها طريقة الالتزام حيث تجبى حصة الحكومة بالمزاد الذي يقطع على أعلى المزايدين • وكان كبار الملاكين بصورة عامة يشترون من المزاد حصص قراهم بأسعار تساعدهم على ربح لا يستهان به • وتقول المس بيل: « وكانت الاساليب التي يجب أن نطبقها نحن موضع بحث وتأمل عميقين • فقد كان المقصود في بادئ الامر أن يجري التخمين بالنظر ثم تجبى الضرائب مباشرة » (٢) •

ويقول ديبروه : « ان المشتغلين بالحركة الوطنية كانوا يعارضون الحكم البريطاني لا لانه لم يكن عربيا ولا اسلاميا حسب ، بل لان الادارة البريطانية كانت صارمة وممغنة في التدقيق خاصة في جمع الضرائب » (٣) •

[سادسا - العامل الديني^{لثورة}: يعد العامل الديني أهم العوامل وأبعدها أثرا في تحريض العراقيين على الثورة ضد سلطات الاحتلال البريطاني في سنة ١٩٢٠ • وقد قام المجتهدون من علماء الشيعة الامامية الساكنون في العتبات المقدسة في العراق بدور فعال في حث المسلمين العراقيين على قتال الانكليز اذا امتنعوا عن التسليم بحقوق العراقيين المشروعة بالاستقلال • وكان هؤلاء العلماء يتمتعون بنفوذ كبير على الشيعة في جميع أنحاء العالم الاسلامي • ويعتقد الشيعة ان علماءهم نواب أمتهم فلا يخالفون لهم أمرا ولا فتوى ولا حكما من الاحكام الشرعية • « وللمجتهد صلاحية اصدار الفتاوى ، سواء كان ذلك من أجل الدعوة الى الجهاد أو التجويز للمريض

Ibid, p. 74.

(١)

(٢) فصول ، ص ٨١ •

Op. cit, p. 9.

(٣)

باستعمال الكحول بمقام الدواء اذا لم يكن هناك دواء شاف آخر . كما انه يستطيع ، وقد صنع ذلك بالفعل ، ان يجبر الحكومة الايرانية الشيعية على الغاء القوانين وابطالها «^(١) . وقد اختلفت اجتهادات العلماء في كيفية كفاح الغزاة ، فكان بعضهم يرى المسألة في حالة الضعف ، وحينئذ تكون مهمة العلماء منحصرة في القيام بالوظائف الدينية . وكان المجتهد السيد محمد كاظم اليزدي من أنصار هذه المدرسة ، لذا كان موقفه فاترا من الحركة الوطنية التي كانت تستهدف مقاومة النفوذ البريطاني في العراق خلال السنوات التي سبقت ثورة العشرين . وكان موقفا السيد اليزدي وعبء الرحمن النقيب المؤيدان للانكليز من الامور التي فتت في عضد العاملين في الحقل الوطني ، بالرغم من أن النقيب لا يتمتع بنفوذ ديني مهم في أوساط الجماهير العراقية . وتقول المس بيل ، بهذا الصدد : « ان الذين أشرركوا منا في الدراما سوف لا ينسون العضد والمؤازرة اللذين قدمهما لنا كل من النقيب والسيد محمد كاظم اليزدي »^(٢) .

وكان الامام محمد تقي الشيرازي على رأس المدرسة الثانية التي ترى وجوب محاربة الانكليز ، لذا أخذ نفوذه ينمو شيئا فشيئا حتى تمت له الزعامة المطلقة بعد وفاة اليزدي في ٣٠ نيسان ١٩١٩^(٣) . ويقول البصير ان الامام الشيرازي رضي « أن يشد أزر الحركة القومية^(٤) ليتقوى بها مركز الاسلام وعلى هذا أمكن أن تجتمع الايدي العاملة فتقوم بعمل سياسي مشترك »^(٥) . وفي محادثة بين علي البازركان والسيد محمد علي

(١) بيل ، المس ، فصول ، ص ٢٧ .

(٢) ن ٠ م ، ص ١٧٥ .

(٣) الحسنی ، الثورة ، ص ٥٤ .

(٤) لا يخلو كلام الدكتور البصير من خلط بين القومية والاسلام ، رغم وجود تعارض بينهما أحيانا .

(٥) ن ٠ م ، ج ١ ص ٥٣ .

بحر العلوم قال الاخير : « ان المرزا الشيرازي له مكانة كبيرة وربما تودع اليه زعامة الثورة الروحية في الفرات وهو ذو جرأة وحزم واقدام لا تصده عن قصده اذا ندفع أية قوة ... » (١) . ويظهر ان الامام الشيرازي كان يعتقد ان مساندة الحركة الوطنية أمر يمليه عليه الواجب الديني ، وان نجاح هذه الحركة يعني زوال حكم غير اسلامي واحلال حكم اسلامي محله . وعندما طلب جماعة من العاملين في حقل الحركة الوطنية من آية الله الشيرازي أن يكتب كتابا للعراقيين كافة يطلب منهم القيام بالمظاهرات تأييدا للعاملين بالحركة الوطنية ببغداد كتب في ١٠ رمضان ١٣٣٨ هـ كتابا جاء فيه : « الى اخواني العراقيين ... أما بعد فان اخوانكم في بغداد والكاظمية قد اتفقوا فيما بينهم على الاجتماع والقيام بمظاهرات سلمية ... طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق ان شاء الله بحكومة اسلامية ... » (٢) . وقد استعمل الامام الشيرازي نفوذه الديني للتوفيق بين طائفتي السنة والشيعة من المسلمين فنجحت جهوده نجاحا ظاهرا وتضافر جهود منتسبي الطائفتين للعمل من أجل مصلحة الوطن (٣) . ولم ينسى أن يوصي بغير المسلمين فقال برسالته سالفه الذكر : « وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التي في بلادكم في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم ولا تتالوا أحدا منهم بسوء أبدا ... » .

وبعد أن فشلت الوسائل السلمية في اقناع السلطات البريطانية بتغيير موقفها تجاه مطالب العراقيين المشروعة ، استفتى جماعة من الزعماء والرؤساء الامام الشيرازي في جواز القيام بالثورة ضد السلطات البريطانية فكتب في الجواب العبارة الآتية : « مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالباتهم رعاية السلم والامن ويجوز لهم التوسل

(١) الوقائع الحقيقية ، ص ٧٨ .

(٢) البازركان ، علي ، ن م ، ص ١١١ .

(٣) البصير ، ن م ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

بالقوة الدفاعية اذا امتنع الانكليز عن قبول مطالبهم » •

وكان لهذه الفتوى الخطيرة وقع عظيم في نفوس العراقيين ووجدوا أنفسهم في قيد وثيق تجاه الحكم الشرعي^(١) •

ومن رجال الدين الذين تولوا زعامة الثورة بعد وفاة الشيرازي في الثالث من شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٨هـ الموافق للثالث عشر من آب سنة ١٩٢٠ ، شيخ الشريعة الاصفهاني وقد خطب خطبة طويلة بعد اسناد الزعامة الدينية اليه حث فيها الناس على مواصلة الجهاد • وكانت الثورة حينذاك قد بلغت مرحلة شملت جميع منطقة الفرات الاوسط ، وامتدت جنوبا حتى الناصرية وشمالا حتى المحمودية ، ثم قامت ادارات موقته في أهم المدن التي احتلها الثوار^(٢) • وقد رأت الحكومة أن تفتح مفاوضات مع الثوار فوجهت الى شيخ الشريعة كتابا سنورد تفصيلات عنه وعن النتائج التي آلت اليها المفاوضات فيما بعد •

وكان الشيخ مهدي الخالصي من المجتهدين الذين آزروا الثورة وعملوا على نجاحها • وكان الخالصي الساعد الاقوى والمفوض المعتمد لآية الله الشيرازي الذي كان يتكل عليه ويستشيريه في القضايا الدينية والسياسية^(٣) • وكان السيد أبو القاسم الكاشاني ، الزعيم الايراني المعروف ، من بين رجال الدين الذين أسهموا بالثورة « ولما سبت الثورة في الفرات لحق [الكاشاني] بكر بلاء فكان من مستشاري الامام الشيرازي ، ولا بد من الاعتراف بسهره الشديد على الامن وراحة الاهلين

(١) محبوبية ، جعفر ، ماضي النجف وحاضرها ، ج ١ ، ص ٢٦٣ •

(٢) الحسيني ، الثورة ، ص ١١٥ •

(٣) هيئة مدرسة الخالصي ، زعيم الاسلام الخالد المجتهد الاكبر

الامام الخالصي ، بغداد ، ١٩٥٠ ، ص ٢١-٢٢ •

بكر بلاء « (١) » .

وكان العلامة الشيخ عبدالكريم الجزائري « من الاقطاب الذين دارت عليهم رحى الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ، وكان عضدا اعتضد به الثوار كما كان عوناً لكبار العلماء الذين صدرت عنهم الاحكام المعروفة في وجوب الدفاع عن حوزة البلاد وكرامتها وتحقيق حريتها وسيادتها وحقوقها المشروعة » (٢) .

وفي معرض كلامه عن تأثير رجال الدين في الجمهور يقول ولسن : « لقد لزم السيد كاظم اليزدي ، كبير المجتهدين ، الصمت ، ولكن المجتهدين الذين هم دونه منزلة قد اتفقوا مع قادة الحركة الوطنية فأثروا في الجماهير مستعملين حججا دينية وجنسية . وتمكنوا بهذه الوسائل أن يخفوا معالم الاحتلال الانكليزي العسكري للبلاد . وكانت الحجج التي استعملت ضدنا متشابهة على الاغلب ، مادة واسلوبا ، مع تلك التي استعملت لغرض انقاذ الاراضي المقدسة من الصليبيين في القرن الحادي عشر . وقد امتنع الناس عن القيام بمراسيم الدفن الاسلامية لاولئك الذين بقوا مخلصين لنا ، وقد اضطروا في بعض الحالات للعودة الى خيام آبائهم ، وقد عملوا بشراسة في حالة أخرى وضرب أطفالهم في الشوارع » (٣) .

ويعد ولسن « عداء المجتهدين ، الذين قاوموا كل الحكومات من

(١) البصير ، ج ١ ، ص ٥٠-٥١ .

(٢) الشيببي ، الشيخ محمد رضا ، « فقيدنا الكبير » الايام ، السنة الاولى ، العدد ، ١٢٤ ، ١٠ ربيع الثاني ، ١٣٨٢ - ١٠ ايلول ، ١٩٦٢ .

Op. cit, I, p. 297 — 8.

(٣)

عد الخلفاء الراشدين^(١) من أسباب الثورة الرئيسة^(٢) .

مقدمات الثورة المسلحة :

سبق أن بحثنا في أسباب الثورة ورأينا ان أهمها العامل الديني أولا ،
وتأييد القبائل ثانيا . وقد عمل القائمون بالحركة الوطنية في الفترة التي
سبقت قيام الثورة المسلحة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ على تهيئة الظروف التي
تساعدهم على المقاومة المسلحة . ومن أهم الوسائل التي لجأوا اليها تقوية
الصلة برجال الدين ليم عن طريقهم الاتصال بالجمهور العراقي لكسب
تأييده للحركة الوطنية . ومن العوامل التي ساعدت الوطنيين على ذلك
الاتصال ، انتقال الامام الشيرازي من سامراء الى كربلاء التي كانت وسطا
بين النجف وبغداد ، وهما رأس الحركة الوطنية المفكر في ذلك الحين .
يضاف الى ذلك ان أكثر المناسبات الدينية التي يجتمع بها مئات الألوف من
الناس كانت تعقد في كربلاء وحيشند يسهل على قادة الحركة الاتصال
بأكبر عدد ممكن من أفراد الجمهور ، لا سيما أفراد القبائل الذين يكونون
الغالبية العظمى من الزائرين .

وقد لعب المرزا محمد رضا ، نجل الامام الشيرازي ، دورا رئيسا في
العمل للحركة الوطنية ، وفي توثيق الصلة بين أبيه الامام الشيرازي وبين
قادة الحركة من السياسيين . وتقول المس بيل ان المرزا محمد رضا كان
« سياسيا فعالا لا يستقر على حال ومعارضاً للاتفاقية الايرانية البريطانية
معارضة مرة ، وعلى هذا فقد كرس جهوده ومساعيه لمناوئة الحكومة
البريطانية في العراق . وكذلك كان يقبض المال من الاتراك . ومع انه
لم يكن يعترف به كعالم ، فانه كان يتمتع بالاحترام الذي كانت تعامل به

(١) لا نرى ضرورة للتعليق على صحة هذا الرأي من الناحية
التاريخية اذ من المعلوم ان أتباع المجتهدين وهم الشيعة ، لا يعترفون الا
بامامة أئمتهم ويرفضون ما عداهم ، سواء كانوا من الخلفاء الراشدين أو
من غيرهم . (٢) الحسيني ، الثورة ، ص ٢٢٠ .

أسرة المجتهد الأكبر ، كما ان تأثيره على أبيه جعله مرجعا أعلى للرأي»^(١) .
وفي عام ١٩٥٤ زرت طهران وقابلت المرزا محمد رضا في داره وسألته عن
امور كثيرة تخص دوره في الثورة ومنها قضية المال الذي قبضه من
الأتراك ، كما جاء في رواية المس بيل ، فنفى الشيخ هذه التهمة . ويلوح
لي ان الشيخ محمد رضا كان صادقا فيما يقول لان الأتراك في سنة ١٩٢٠
كانوا منهمكين في مشكلاتهم الخاصة ولم يكونوا بوضع يساعدون غيرهم
بالمال للثورة على الإنكليز ، لا سيما في منطقة مثل مدينة كربلاء ، حيث
لا يتمتع الأتراك بنفوذ معنوي ذي قيمة . يضاف الى ذلك ان مؤتمر
« سان ريمو » كان قد قرر ، قبيل قيام الثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ ،
انسلاخ العراق من الامبراطورية العثمانية وفرض الانتداب البريطاني عليه
ولذا لم يعد للأتراك أمل بالعودة الى هذه البلاد حتى ينفقوا أموالهم في
تمويل الثوار . ثم ان الامام الشيرازي ، والد المرزا محمد رضا ، كان قد
رفض بضعة آلاف من الروبيات الهندية أرسلها له نائب الحاكم الملكي العام
بواسطة النواب محمد حسين خان بتاريخ ٩-٨-١٩١٩^(٢) .

وقد أمعت السلطات الإنكليزية في الفترة التي سبقت الثورة بالتنكيل
بالوطنيين فنفت عددا كبيرا منهم الى خارج العراق . ومن هؤلاء المنفيين
اثنا عشر شخصية من المشتغلين بالحركة الوطنية بكربلاء وكان من بينهم
المرزا محمد رضا الشيرازي ، نجل الامام الشيرازي . كما نفي عدد من
الوطنيين في الحلة وغيرها من المناطق^(٣) . وقد أرسلت للحكومة احتجاجات
من الرؤساء والعلماء أظهر فيها المحتجون سخطهم على اجراءاتها التعسفية
ولكنها لم تقلع عن رأيها . وقد ظهر اصرار الحكومة في اجتماع عقده
الماجور نوربري حاكم الشامية والنجف ودعا اليه جماعة من العلماء . وكان

(١) فصول ، ص ١٥٦ .

(٢) الحسنی ، الثورة ، ص ٨١ - ٨٣ .

(٣) الحسنی ، ن ٥٠ ، ص ٩٦ - ٩٧ .

ذلك على أثر ابعاد فريق من أحرار العراق الى بعض جزر الخليج العربي وذلك قبيل اعلان الثورة بأيام ومنهم المرزا محمد رضا ، نجل الامام الشيرازي سالف الذكر . وقال الحاكم في هذا الاجتماع : « طلبت الاجتماع بكم راجيا أن تهونوا على حضرة الشيخ الشيرازي مصيبته بنفي ولده » . فرد عليه الشيخ عبدالكريم الجزائري قائلا : « أي ولد تعني من أولاد اشيوخ ، فأحرار العراق المنفيون وغيرهم كلهم أولاده ، واعلم ان منزلة اشيوخ ومكاته لم ترتفع الى هذه الدرجة الا انه كان ينظر الى العراقيين جميعا بهذه النظرة الابوية »^(١) .

ويظهر ان التذمر بلغ درجة أصبح معها النزاع المسلح وشيك الوقوع . وقد حصل ان اجتمع عدد كبير من الزائرين بكر بلاء في الخامس عشر من شعبان سنة ١٣٣٨ هـ . وكان من بين هؤلاء الزائرين عدد من الزعماء والمشتغلين بالحركة الوطنية حضروا لبحث حالة البلاد العامة للامام الشيرازي والمداولة في التدابير التي يجب اتخاذها لمعالجة الوضع . وقد عقد اجتماع لهذا الغرض في دار الامام الشيرازي وبرئاسته في ١٥ شعبان ١٣٣٨ هـ . وكان من بين الحاضرين الشيخ عبدالكريم الجزائري ومحمد جعفر أبو التمن والسيد نور السيد عزيز والسيد علوان الياسري والسيد هادي زوين ، والشيخ شعلان أبو الجون ، والشيخ غيث الحرجان والشيخ عبدالواحد الحاج سكر ، والشيخ شعلان الجبر . وبعد أن أدلى محمد جعفر أبو التمن بايضاحات عن الحركة الوطنية ببغداد ، تكلم عدد من الحاضرين فتعرضوا الى موضوع الثورة . فقال الامام الشيرازي : « ان الحمل لثقل ، وأخشى أن لا تكون للعشائر قابلية المحاربة مع الجيوش المحتلة » . فأجاب زعماء العشائر ان فيهم الكفاية التامة لهذا

(١) الشيبيني ، الشيخ محمد رضا ، « فقيدنا الكبير » الايام ، السنة الاولى ، العدد ، ١٢٤ ، ١٠ ربيع الثاني ، ١٣٨٢ - ١٠ ايلول ، ١٩٦٢ .

العمل الخطير • وقد أثار الامام ضرورة حفظ الامن الذي عده أهم من الثورة ، بل أوجب منها • فطمنه الحاضرون وأظهروا استعدادهم لحفظ الامن • وبعد أن ظهر له تصميمهم على الثورة قال : « اذا كانت هذه نواياكم ، وهذه تعهداتكم ، فإله في عونكم » •

وفي الليلة التالية ، اي في السادس عشر من شعبان ، اجتمع الزعماء سالمي الذكر في حضرة الحسين (ع) فعاهدوا الله ورسوله على انهم لا يدخرون وسعا في تحقيق آمال البلاد الوطنية ، وقرروا الشروع بالثورة في مواضع مختلفة ويوم واحد ليشغلوا قوات العدو في ميادين مختلفة • وكلفوا الشيخين شعلان أبو العجّون وغيث الحرجان أن يستعدا للقاء في السماوة وان يحرضا بقية الرؤساء على الانضمام للثورة^(١) •

وكان استحصال الفتاوى والرسائل من العلماء ، من الوسائل التي اتبعها المشتغلون بالحركة الوطنية لكسب تأييد الجمهور • ويقول الشيخ رضا الشيبسي ان الطبقة الواعية من طلبة العلم ومن شباب النجف كانوا « يهجمون على بيوت القادة لتوقيع بعض الرسائل أو لاصدار بعض البيانات أو لتحرير بعض المذكرات أو لرسم الخطط ، وطالما فاجأنا أولئك القادة في الظهيرة أو في أوان القيلولة فلا يردون لنا طلبا... »^(٢) • وفي مرة أوفد المشتغلون بالحركة الوطنية ببغداد محمد جعفر أبو التمن الى كربلاء لاطلاع الامام الشيرازي على سير الحركة الوطنية ببغداد ، وبعد ان اطلع الامام الشيرازي على ما كان يجري ببغداد رأي بتاريخ ١٠ رمضان ١٣٣٨ هـ أن يصدر كتابا يحرض فيه العراقيين كافة على القيام بالمظاهرات ومطالبة السلطة بالتسليم بحقوق العراقيين المشروعة في الاستقلال • وعند وصول

(١) الحسيني ، الثورة ، ص ٨٩ - ٩٠ •

(٢) « فقيدنا الكبير » الايام ، العدد ، ١٢٤ ، السنة الاولى ، ١٠

ربيع الثاني ، ١٣٨٢ - ١٠ ايلول ، ١٩٦٢ •

الكتاب لبغداد طبعت منه آلاف النسخ ووزع في أنحاء العراق كافة هذا فضلا عن توزيعه ببغداد^(١) .

وقد ازداد توتر الحالة في النجف والمناطق المجاورة على أثر اجتماع الخامس عشر من شعبان الذي وردت الاشارة اليه سابقا ، « فاعتصم قادة الحركة الفرصة وطبعوا المنشور بالدعوة الى القيام بالثورة ووزعت في أنحاء الفرات »^(٢) . وفي النجف كانت « تحاط الاعلام العربية ومنها تنشر في أنحاء الفرات وبها كانت تطبع المنشورات اليومية الحاوية لاجبار المناطق والمقالات الشديدة المهجة والنصائح القيمة وكان يتولى اصداؤها الشيخ محمد باقر الشيبسي »^(٣) . وكانت اقامة حفلات المولد النبوي والمآتم الحسينية من الوسائل الفعالة التي أثرت في الجمهور . ومن أشهر خطباء المآتم والمولد السيد صالح الحلبي . وتقول المس بيل ان المحاولة التي قصد منها تحريك « بعقوبة بنفس الاساليب التي اتبعت في بغداد قضي عليها في مهدها بتوقيف السيد صالح الحلبي الذي كان قد أرسل الى بعقوبة لاقامة حفلات المولد »^(٤) . ومن خطباء الثورة المشهورين الشيخ محمد علي الجسمان والشيخ محسن أبو الحب والشيخ باقر الحلبي^(٥) . ولعل الشيخ محمد مهدي البصير أشهر هؤلاء الخطباء جميعا اذ انه فضلا عن كونه من خطباء المآتم الحسينية البارعين ، كان من ساسة ذلك العصر الشطين وله قصائد كثيرة في تحريض العراقيين على الثورة ضد الانكليز ، منها قصيدته التي ألقاها في جامع الاحمدية يوم ١٤ رمضان سنة ١٣٣٨ هـ :

(١) البازركان ، علي ، ن م ، ص ١١١ .

(٢) محبوبة ، ماضي النجف ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .

(٣) محبوبة ، ن م ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .

(٤) فصول ، ص ١٥٧ .

(٥) الحسنی ، الثورة ، ص ٨٨ .

ان ضاق يا وطني علي فضاكا
الك قد خلقت ومنك فيك فنسبتي
فلتسع بي للإمام خطاكا
تقضي علي بأنسي أرهاكا
وكذلك قصيدته التي مطلعها :

أعاد لنا السيف مجد العرب ففاضت دمشق وعزت حلب^(١)

وبعد أن أتينا على ذكر أسباب قيام الحركة الوطنية في العراق ،
والاساليب التي اتبعها الوطنيون لكسب الجمهور العراقي الى جانب الحركة ،
نورد رأي المس بيل في هذه الحركة أو بالأحرى تفسيرها لها . تقول المس
بيل : « كان هدف الحركة تأسيس دولة اسلامية ، الا ان هذا الهدف ،
نضلا عن الشعور الوطني الذي انتشر في العالم بعد الحرب والذي لا يمكن
التقليل من شأنه ، كان يعني مختلف المعاني بالنسبة لمختلف طبقات السكان .
فانه كان بنظر المجتهدين الشيعة تأسيس دولة دينية تدير بموجب الشرع
الشيعي ، ولذا لم يترددوا في اعلان الجهاد من أجله . كما كان بنظر
السنة والمفكرين الاحرار في بغداد دولة عربية مستقلة برئاسة الامير
عبدالله . أما بالنسبة للقبائل ، فان الهدف كان يعني عدم وجود حكومة
بالمرة وهناك أدلة تثبت بأنه كانت هناك جمعية متأمرة ، أسسها
البولشفيك بالتعاون مع الوطنيين الاتراك ، كانت منذ مدة طويلة على اتصال
بالجمعيات العربية السياسية المتطرفة لغرض استغلال الرابطة الدينية
المشتركة بين الاتراك والعرب واحراج وضع البريطانيين في الشرق
الاوسط »^(٢) . وتذكر بيل ، على سبيل التخصيص ، اسم المرزا محمد
رضا ، نجل الامام الشيرازي ، كأحد المشتغلين للبلاشفة فتقول : ان المرزا
محمد [رضا] ورد اسمه المذكور في برقية صدرت من البولشفيك في رشت

(١) البازركان ، علي ، ص ٩٧ .

(٢) فصول ، ص ١٥٥ .

The goal of
the mujtahids
دولة الامم

بانه « يشتغل للدعوة البلشفية في كربلاء » (١) •

أما الجنرال هالدين فيقول عن تأثير البلاشفة في الحركة الوطنية في سنة ١٩٢٠ : « ويستحيل على المرء أن يقدر مدى تأثير البلاشفة على مبعوثي الفرس الذين كانوا يؤمنون كربلاء والنجف والكاظمية لاداء فريضة الزيارة ، ولكن احتلال البلاشفة لمدينة انزلي "Enzeli" قبيل الانتفاضة في العراق أثر في انجاح دسائسهم ضدنا » (٢) •

وهناك قضيتان وردتا في آراء المسؤولين الانكليز سالفة الذكر ، تجدر مناقشتها وهما : أولا - رأي المس بيل القائل بأن مجتهدي الشيعة نظروا للحركة الوطنية على انها تعني تأسيس دولة دينية تسير بموجب الشرع الشيعي ، وان هؤلاء المجتهدين أعلنوا الجهاد لتحقيق هذا الغرض • ثانيا - قضية تأثير البلاشفة في الحركة الوطنية • أما فيما يخص النقطة الاولى فأقول : أولا - ان مجتهدي الشيعة لم يعلنوا الجهاد لغرض تأسيس دولة تسير بموجب الشرع الشيعي ، وانما أعلنوه لدفع امارة غير المسلمين وهم الانكليز عن بلاد اسلامية وهي العراق • وهذا الموقف الذي اتخذه المجتهدون يحتمه الدين الاسلامي لا العقيدة المذهبية ، لان دفع غير المسلم عن الثغور الاسلامية واجب اسلامي مقدس يستوي فيه الشيعة والسنة على السواء • والدليل على ذلك ان مجتهدي الشيعة أفتوا بالجهاد لدفع غير المسلم عن أرض المسلمين في ظل دولة سنية وهي الدولة العثمانية وذلك في بداية الحرب العالمية الاولى • وقد أوردت تفصيلات عن ذلك في فصل سابق من هذا الكتاب • ثانيا - ان مجتهدي الشيعة كانوا في طليعة المنادين بتأثير أمير مسلم مهما كان مذهبه وقد أيدوا ترشيح الامير عبدالله للملوكية العراق • وقد ظهر هذا الترشيح في المضابط التي أرسلت للشريف حسين وللأمر عبدالله بعد أن نودي به ملكا على العراق في المؤتمر العراقي فسي

Op. cit, p. 27.

(١) ن . م ، ص ١٥٨ • (٢)

only for
that purpose

الشام وذلك في ٨ آذار ١٩٢٠ • ثالثا - ان فتوى الامام الشيرازي التي صدرت على أثر اجراء الاستفتاء في العراق سنة ١٩١٨ كانت تنص على ان « ليس لاحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين » • ولم نمر على اية فتوى أو رأي شخص ذي أهمية من الشيعة يخصص أو يشير الى ضرورة تأمير رجل شيعي على الدولة العراقية المنتظرة •

أما تأثير البلاشفة في الحركة الوطنية واتصال المرزا محمد رضا بهم ، فهو أمر يكتنفه الغموض ، فضلا عن ضعف سنده التاريخي • لقد وردت اشارات عامة عن اهتمام الدولة السوفيتية بشؤون الشرق الاوسط بما فيه العراق قبيل قيام الثورة • وفي مرة جرت محادثات بين أحد موظفي وزارة الخارجية البريطانية ووزير خارجية السوفيت حينذاك « چيچرين » ظهر للجانب البريطاني منها أن الروس يعملون على ابرام « اتفاقات خفية لتكوين اتحاد عظيم يضم اليه ثوار الاناضول والايرائين والمسلمين القاطنين بين بحر الخزر وبحيرة آرال والتركمان ، وبعبارة أشمل جميع أقوام آسية للحركة ضد أوروبا عموما وضد الانكليز خصوصا • ولم يكتف چيچرين بهذا القدر ، بل نشر دعوته في الصين واليابان وأوفد الوفود الى مصر وممالك أفريقية الشمالية يدعوها الى عين الغاية » (١) •

ووردت اشارة الى وجود دعاوة للبلاشفة في سورية في ذلك العهد فنشرت جريدة « الاستقلال » عن جريدة « رعد » السورية « ان الافكار البلشفية أخذت تتوسع في سورية وان الرسائل التي كتبها لينين وتروتسكي التي تبين اعترافهما باستقلال البلاد العربية قد انتشرت في جميع أنحاء سورية » (٢) • ويقبس الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم جريدة « الازفتا »

(١) العراق ، العدد (١٠٨) ٧ تشرين الاول ، ١٩٢٠ •

(٢) الاستقلال ، العدد ، ٣ ، ١٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٠ •

التي كتب محررها يقول : « اتنا لا نستطيع أن نتخذ موقف الحياد تجاه الحركات الوطنية التي انضوى تحت لوائها مئات الملايين من الشرق لان معنى ذلك انحياز السوفيت الى معسكر الاستعمار الغربي وتمكين الدول الغربية ولا سيما انكلترا ... » (١) .

ان النصوص سالفة الذكر تشير الى الاتجاه العام في روسية وهو تشجيع الحركات المناوئة للاستعمار الغربي وخاصة البريطاني ومع هذا فقد وجد بينها من يشير الى وجود دعاوة سوفيتية في سورية ومن المحتمل انها تسربت للعراق ، ولكن المصادر الانكليزية سالفة الذكر تشير الى أن التأثير حصل عن طريق ايران لا عن طريق سورية .

وقد وردت اشارة محدودة لنوع من النشاط البلشفي اكتشف في خانقين من لواء ديالى في سنة ١٩٢١ أي بعد انتهاء الثورة بسنة . وجاء في تقرير رسمي ان آثارا لدعاوة البلاشفة وجدت في خانقين لفترة ما . وقد ظهرت اضطرابات ضئيلة في خانقين في مايس وحزيران قام بها جماعة من أهل المدن واثان من الشيوخ أحدهما شخص اسمه محمود بك الديلو . ولم تستمر هذه الحركة طويلا كما انها لم تكن قوية » (٢) . وبالرغم من ان خانقين من أفضية لواء ديالى الذي أسهم أهله في ثورة العشرين ولكننا لا نستطيع الجزم فيما اذا كانت الحركة التي أشار اليها التقرير كانت موجودة في سنة العشرين وهل تأثر الثوار بها ؟ ومع هذا فان المصادر الانكليزية وخاصة كتابات المس بيل تؤكد على وجود اتصال للبلاشفة مع قادة الحركة بكر بلاء وأهمهم المرزا محمد رضا نجل الامام الشيرازي .

ويظهر لي ان اتصال البلاشفة بالشيخ محمد رضا خاصة و بتأييد

(١) على طريق الهند ، بغداد ، ١٩٣٥ ، ص ٢٨٦ - ٢٨٩ .
(٢) Political Officer's Reports, 1921, p. 2.

الحركة الوطنية في العراق عامة أمر مشكوك فيه للأسباب التالية :

أولاً - ان تعميم المصادر الانكليزية وغموضها تجعل الباحث يميل الى عدم الاهتمام بما روته عن هذا الموضوع . فلمس بيل مثلاً تشير الى وجود جمعية سرية تعمل للبلاشفة ولكنها لا تعطينا اسم هذه الجمعية ومكان نشاطها بالضبط كما لا تشير الى المتتمين اليها وكل ما في الامر انها تهتم الشيخ محمد رضا بالعمل للبلاشفة . ثم ان لونكريك وهالدين كانا أكثر غموضاً ، اذ لم يزيدا على احتمال تعاون بين العرب والاتراك والبلاشفة ضد الاحتلال البريطاني للعراق .

ثانياً - ان جريدة الثورة وهي جريدة الفرات النجفية أظهرت شكها في نوايا البلاشفة فعندما تكتب عنهم تقول : « لا تزال تخامرنا الشبه والشكوك في حقيقة أمر البولشفيك وفي مبلغ اخلاص نياتهم وذلك قبل الاطلاع على مقاصدهم الحقيقية ، والوقوف على المظهر الذي سيظهرون به في ايران ، ومن جملة ما يحملنا على الشك فيهم استبدادهم الظاهر وعدم سماحهم لكل من حكومات اذربيجان وأرمينية بالتمثيل » (١) .

ثالثاً - ان الاستجواب الذي أجراه الحسيني عن المساعدات التي وردت للشوار من الخارج بما في ذلك الروس ، أثبت ان الثوار لم ينالوا مساعدة من الخارج من اية جهة كانت .

رابعاً - لقد استفسرت من جماعة من المعاصرين ومنهم الاستاذ أحمد حامد الصراف الذي كان بكر بلاء حين قيام الثورة عن وجود أثر للبلاشفة وعن اتصال المرزا محمد رضا بنجل الامام الشيرازي بهم فنفوا ذلك نفيًا تاماً .

خامساً - لقد زرت المرزا محمد رضا بطهران سنة ١٩٥٤ ووجهت له عدة أسئلة وكان أحدها يتصل بصلته مع الشيوعيين فأجاب على هذه الاسئلة

(١) العدد (٢) ٢٨ ذي القعدة ، ١٣٣٨ هـ .

واليك جوابه : قال المرزا محمد رضا : (١) لم أتصل بالشيوعيين مطلقا ولم أعرف شيئا عن البرقية التي أشارت اليها المس بيل . وأؤكد لك ان كلام المس بيل مقفل محقق . (٢) لم أسمع ان أحدا من الشرطة أو غيرهم ممن تعاون مع الانكليز ولم يسمح العلماء في الصلاة عليه ، كما يدعي ولسن ، ولكن التعامل مع الانكليز ومعاونتهم عده العلماء أمرا محرما . (٣) ان السبب الذي من أجله قبض علينا هو صدور الفتوى من المرحوم والسدي بوجود قتال الانكليز . وبعد صدور الفتوى انكمش الناس الذين سبق لهم ان أظهروا تأييدهم للانكليز . (٤) كتب المرحوم والسدي الى أهالي بغداد كتابا يدعوهم فيه للقيام بالمظاهرات والمطالبة بحقوقهم بصورة سلمية . (٥) عندما صدر أمر القاء القبض علي كان عدد من الرؤساء في بيتنا وحرصوني على عدم اجابة طلب الحكومة ولكنني ذهبت خوفا من أن يقول الانكليز اننا اناس لا نهدف المطالبة بحقوق العراق واننا تنوي النهب والسلب من حركتنا . ولما علم الشيوخ بنهابي مع مأموري الحكومة ، لاني ذهبت خلصة من باب غير البواب الذي يفضي الى مجلس والسدي حيث يجتمع الناس ، جاؤا خلفي لدائرة الحكومة ولاموني على الذهاب معهم وقد بعثوني الى هنجام وكانوا ينوون ارسالي الى الهند ، ولكن توسط الشاه أحمد جعلهم يسمحون لي بالذهاب الى ايران . (٦) لم تحدث حوادث سلب أو نهب ، كما ادعى الانكليز ، أثناء هياج الناس للمطالبة بحقوقهم . (٧) ان الانكليز تأثروا من دعوة والسدي الى قيام المآتم الحسينية في رمضان وكانت هذه المآتم عامة وحتى شيوخ العشائر اشتركوا بها .

وبعد ان فندنا فكرة وجود الاتصال المباشر بين الثورة العراقية وثورة الشيوعيين العالمية نقرر ان للشيوعية ، كحركة عالمية ، تأثيرا غير مباشر . ويظهر ان الطبقة المثقفة من الثوار كانت على علم بمرامي الشيوعية وأهدافها ولذا لم يشبهوا ثورتهم بثورة الشيوعيين . وقد كتبت جريدة « الفرات »

النجفية وهي لسان الثوار الرسمي تقول : « ويختلف تأثير الثورة باختلاف مقاصد الثوار فقد تكون لقلب نظام خاص وابداله بآخر كتورة الامم على حكوماتها وقد تكون لتغيير نظام العالم كله كالثورة البلشفية التي اصبح تأثيرها عاما هاج الشعوب لطلب حريتها وتبديل نظام الكون ... ان الثورة العراقية تشبه أختها الايرلندية والمصرية من كل الوجوه فقد فجر بركانها الضغظ وأضرم نارها الاستبداد ووسعها القضاء على الحرية والتجاوز على الحقوق ... » (١) . ومن هذا يظهر أن الثوار يدركون ان الثورة الشيوعية هيجت الشعوب للمطالبة بحريتها ولكنهم لا يشبهون ثورتهم بها ويشبهونها بثورات قومية أخرى كتورة المصريين والاييرلنديين . ونشرت الجريدة نفسها خبرا عن الحالة في ايران جاء فيه : « استاء الشعب الايراني من الاتفاقية المشهورة [الاتفاق الانكليزي الايراني المعقود في آب ١٩١٩] بين الحكومتين الايرانية والانكليزية ، وتهدد هاتين الحكومتين بالثورة الداخلية فاتتهز البولشفيك هذه الفرصة وأخرجوا جيوشا كبيرة في أنزلي واحتلوها ... وقد تقهقرت القوة الانكليزية المرابطة في شمال ايران أمامهم بدون محاربة ، فعلى هذا أصبح القطر العراقي مهددا بغزوات البولشفيك من شرقه وشماله ، أما القوات الانكليزية الموجودة في العراق فانها ستسحب أمام تقدم البولشفيك وترك جبل البلاد على غاربها فيلزمنا الان لتقرير خطتنا النهائية وتأمين مستقبلنا تجاه هذا الموقف الحرج وذلك أما بان نحارب البولشفيك مع الانكليز ، بعد أخذ الضمانات الكافية من هؤلاء للاستقلال ، أو بان نحارب الانكليز مع البولشفيك ... » (٢) . ويظهر من هذا النص انه لا توجد صلات سابقة للثوار مع البلاشفة وانهم يعدون أنفسهم طرفا مستقلا كان مستعدا للتعاون مع اية جهة تقتضيها مصالحه الخاصة .

(١) العدد (٢) ٢٨ ذي القعدة ، ١٣٣٨ هـ .

(٢) العدد (٣) ٥ ذي الحجة ، ١٣٣٨ هـ .

الفصل الخامس

ميادين القتال

قد يكون من الضروري ، قبل التحدث عن ميادين القتال ، ان أشير الى ما يأتي : أولا - ان الجانب العراقي المقاتل لا يتكون من جيش نظامي ، لذا لا توجد لديه سجلات تبين عدد المقاتلين وعدد من اشترك منهم في المعارك الهامة ، كما لا توجد احصاءات عن الاسلحة والعتاد المتوفر لدى القوات العراقية . وفي ضوء ما سبق لا يمكن أن نأخذ الارقام التي قدمها الثوار أحيانا عن خسائرهم أو خسائر العدو على انها تمثل الحقيقة ، بل يجب أخذها بنوع من الحذر . وبالرغم من أن الثوار أحيانا يصدرن بلاغات مطبوعة عن العمليات العسكرية المهمة ، ولكن هذه البلاغات ، هي الاخرى ، بعيدة عن التدقيق في بعض الاحيان ، لانها لا تصدر عن جهة نظامية مسؤولة ، بل تصدرها جماعة من العاملين في الحقل الوطني فسي التجف الاشرف . وكان هؤلاء ، وعلى رأسهم الشيخ محمد باقر الشيبسي^(١) رغم بعدهم عن ميادين القتال الفعلية ، يعتمدون على الرواية الشفهية التي يتسرب الشك اليها أحيانا . وسنورد نماذج من هذه البلاغات في حينها . ويظهر أن معظم من كتبوا عن الثورة ، أمثال الحسيني والبصير وغيرهما ، اعتمدوا ، في الاحصاءات التي أوردوها عن العمليات العسكرية ، على المصادر الانكليزية في الغالب الاعم . وشذ عن ذلك الشيخ فريق الفرعون فاعتمد كثيرا على المصادر العراقية فيما قدمه من معلومات عن العمليات العسكرية . وبالرغم من أن الشيخ فريق كان بوضع يمكنه من الاتصال بالثوار ، وان قبيلته اسهمت اسهاما فعلا بالعمليات العسكرية للثورة ، فان

(١) سعيد ، أمين ، ن . م ، ج ٢ ، ص ٧٢ .

كثيرا من معلوماته بعيد عن التدقيق ،لذا يصعب الركون اليها في كثير من الاحيان .

ثانيا - ان عدد القوات الانكليزية العاملة في العراق عند نشوب الثورة كان ٧٢٠٠٠ بريطاني و ٥٣٠٠٠٠ هندي ، والى جانب هؤلاء كان في العراق ما يقارب هذا العدد من التابعين الهنود^(١) . وكان لدى هذه القوات خمس بطاريات من السيارات المسلحة ، واحدة منها مرابطة في ايران . ويشكو الجنرال هالدين من أن السيارات التي بغداد ابان الثورة كانت من الطراز الثقيل ويصعب استعمالها بسبب رداءة الطرق . يضاف الى ذلك ان الخبرة علمت العراقيين بأن ثقب اطار عجلة السيارة يؤدي الى تعطيلها عن العمل ، لذا كانوا يصوبون رصاص بنادقهم الى هذه البقعة وحيثئذ تصبغ السيارة وركابها تحت رحمتهم^(٢) . وأما القوة الجوية البريطانية فقد كان منها في العراق ، عند بدء الثورة سربان : السرب السادس والسرب الثلاثون ، ولم يكن في بغداد من هذين السربين سوي ثلاث قطع ، وفي ذلك الحين انفصل ثلاثة أرباع السرب الثلاثين الى ايران . وكان البريطانيون يعتمدون على خطين رئيسيين من المواصلات توصلهما بالبحر عن طريق البصرة . أحدهما سكة الحديد الرئيسية وفروعها الممتدة من البصرة الى بغداد ومنها الى سامراء شمالا . أما الثاني فهو طريق دجلة النهري . وقد اعتمد الانكليز أثناء الثورة على هذا الطريق كثيرا لان معظم قبائل دجلة التي يمر هذا الخط من أراضيها كانت غير مشتركة اشتراكا ذا قيمة في الثورة . وكان بالامكان نقل وتسليم أكثر من ألف طن يوميا من البضائع في الكوت بواسطة طريق دجلة المائي^(٣) . وكان السبب الرئيسي لاعتماد الانكليز على المواصلات المائية هو أن سكة الحديد التي توصل ببغداد

Haldane, Op. cit, p. 64 — 5.

(١)

Ibid, p. 69.

(٢)

Ibid, p. 67.

(٣)

بالبصرة ، كانت تمر بمنطقة الفرات الاوسط وهي أهم المناطق الثائرة وأكثرها خطرا ، لذا كانت هذه السكة عرضة لهجمات الثوار وتخريبهم .
 وقد بلغ طول سكك الحديد في العراق قبيل قيام الثورة (١٨٦٧) ميلا ولكن قسما منها تعطل عن العمل أثناء الثورة ، وبعضها كان العمل فيه محفوظا بالمخاطر ما عدا مسافة (١٠٠) ميل تقريبا تقع بين الكوت وبغداد . وهذا الخط هو الوحيد الذي لم ينقطع طيلة مدة الثورة . ومن الجدير بالذكر ان الثوار تمكنوا من الاستيلاء على (٣٢٤) ميلا من مجموع السكك الحديد العاملة بالعراق . وبعد أن أخذ الوضع العسكري يتطور لمصلحة البريطانيين في بداية تشرين الاول استردوا قسما من سكك الحديد ولم يبق بيد الثوار الا (١٨٤) ميلا^(١) .

ويظهر أن الثوار كانوا يدركون ما لسكك الحديد من قيمة في مجهود الانكليز العسكري ، لذا صرفوا جهودا كبيرة في تعطيلها . وقد كتب لي احد الثوار في الرميثة جوابا على رسالة وجهتها اليه يقول^(٢) :
 « ان الشيخ شعلان ، رئيس قبائل الطوالم في الرميثة ، عندما بدأ بالثورة جمع عشيرته وقال لهم هل انكم تقبلون خدمة العدو الكافر الذي يبغيض العرب والاسلام ؟ فقالوا الله أكبر أبدا لا نرض . فقال الشيخ شعلان اذا استعدادوا لما اطلبه منكم . وعندما أصبح الصباح جاؤا اليه وقالوا اطلب منا ما تريد ، فقال الشيخ اني مستعد لشراء كل خشبة من سكة القطار بقيمة ليرة ذهبية . فهضت عشيرة الطوالم رجالا ونساء الى السكة الحديد فقلعوها من السماوة حتى الرميثة فحملوا بعض الاخشاب ولاين^(٣)

Ibid, p. 303 — 4.

(١)

(٢) أثبت جزء من الرسالة هنا بعد صلاح بعض أغلاطها النحوية

(٣)

والاملائية .

(٣) لاين هي Line الانكليزية .

Copyright © 1988 by the American Psychological Association

[القضبان الحديد] السكة وجاؤا بها الى المضيف • وعندما جاء القطار من البصرة وفيه القوة العظيمة والعمال مع القوة فأخذوا يصلحون السكة والقطار يسير رويدا رويدا حتى وصل (أبو الواوية)^(١) • فرأت القوة المعادية امرأة من عشيرة ابو حسين من الطوالم فقالت يا عمامي • قالوا نعم • فهوست هوسة عربية : حل فرض الخامس^(٢) گوموله • فنهضوا على القوة المعادية وأبادوها حتى النهاية •••••

ومن المؤلف ان كاتب الرسالة لم يعطنا تاريخ وقوع هذه الحادثة حتى نستطيع مقارنة ذلك مع المصادر الانكليزية ، ومع ذلك فالذي يهمني من ذكرها هنا هو اهتمام الثوار بتخريب مواصلات الانكليز وخاصة سكة الحديد •

وجاء في بلاغ أصدره الثوار بتاريخ ٢ ذي الحجة سنة ١٣٣٨ هـ ، وكان مركز اصداره النجف ، ما يأتي : « هجم الناهضون بقيادة الشيخ فيصل آل مغير « قائد الجزيرة » على المحمودية ودام القتال من بدء الليل الى الصباح ، وكانت خسائر العدو عظيمة وشوهد في خطوط الاعداء الامامية أكثر من عشرين قتيل وجريح • وهجموا أيضا على السكة الحديد ليلة الاربعاء وكانت قوة العدو مشغولة باصلاح الخط بين «الحصوة والمحمودية» فألجأتها نيران العرب الى الهرب وتركت عددا من القتلى والجرحى لم تستطع نقلهم •

وسارت قوة عربية مؤلفة من الفرسان الى الفلوجة فصادفت في طريقها قطارا للعدو وقد تمكنت من تخريب مسافة بعيدة من السكة الحديد فقطعت بذلك خط رجعة القطار فنزلت قوة انكليزية لاصلاح الخط فقاتلها العرب

(١) أبو الواوية - محطة من محطات القطار في الوقت الحاضر تقع قرب الرميثة •

(٢) تشير الى الجهاد المقدس •

مرارا • واشترك في كل هذه الحوادث فرسان الجنابيين بقيادة خضير
الحاج عاصي وقطعت أسلاك البرق ووكل تخريب خط الفلوجة للشيخ
ذرب شيخ الحدادة •

عاد العدو يوم الخميس الى اصلاح الخط المخروب فقابلته قوات
العرب وفتكت به ولم يتمكن من اصلاح الخط ولم يزل كلما أراد التقدم
شبرا ليتأخر ميلا •

هذا ما جاء في البلاغ الصادر عن الثوار وسنشير الى التخريبات التي
أحدثوها في سكك الحديد في حينها •

ثالثا - ان أي تقدير للقوات الوطنية التي اشتركت في قتال الانكليز
أثناء ثورة العشرين يعتبر من قبيل التخمين ، لان نفوس العراق لم تحصى
يومئذ احصاء دقيقا • وقد أظهرت الاحصاءات التي أجرتها سلطات الاحتلال
في أوائل سنة الثورة ، ١٩٢٠ ، ان نفوس العراق كانت (٢٨٤٩٢٨٢) نسمة •
ومن المعلوم ان الالوية العراقية التي اشتركت^(١) في الثورة كانت
كربلاء والحلة والديوانية^(٢) • وان الوية المنتفق^(٣) وديالى وبعض أجزاء
لواء بغداد والدليم^(٤) أسهمت اسهاما محدودا • ويقول الشاعر الشعبي
الشيخ علي البازي بصدد من أسهم بالثورة من العرافين :

(١) كان عدد نفوس لواء الديوانية ، والحلة ، والشامية يبلغ في
سنة ١٩٢٠ ٢٠٤٩٥٠٠ ، ١٧٣ ، ١٩٠ على التناظر • ويقدر
هالدين على الص ٣٢٨ من كتابه السابق عدد الثوار الذين اشتركوا بثورة
العشرين ب (١٣١٠٢٠) رجلا لديهم (١٦٦٣٠) بندقية حديثة
و (٤٣١٧٥) بندقية قديمة ولكنها صالحة للاستعمال •

(٢) الحسيني ، الثورة ، ص ١٢٥ •

(٣) يسمى لواء الناصرية في الوقت الحاضر •

(٤) يسمى لواء الرمادي حاليا •

لا تظن يعراگي اعراگك نهض عشر منه اوبگت جرثومة مرض
غير هالصفوۃ العليها الله افترض طاعته واتمثلت ما راده^(١)

أما الضباط العراقيون الذين ساعدوا بعض القبائل في تنظيم شؤون القتال في بعض الميادين والجهات ، وساعدوهم على استعمال الرشاشات والمدفع الذي دمروا به الباخرة « فاير فلاي » في شط الكوفة فهم ، على رواية الحسيني :

- ١ - اسماعيل حقي الاغا ٢ - شاکر الملا حمادي ٣ - الحاج شاکر القره غولي ٤ - الحاج محمود رامز ٥ - حسين علوان ٦ - محمود سامي ٧ - سعيد حقي ٨ - فؤاد المدفعي ٩ - الحاج طالب ١٠ - ابراهيم مهدي ١١ - سامي النقشلي ١٢ - داود الميكانيكي *

ويروي علي البازركان ان رسالة وردت في ٢٠ آب ١٩٢٠ بصحبة الضابط سلمان الجنابي من علي جودت الايوبي الذي كان حينذاك مرابطا في دير الزور يطلب فيها ارسال عشرة آلاف ليرة ليأتي لمساعدة الثوار بجند المزددين بالرشاشات والمدافع والعتاد . فسلمت الرسالة للمجتهد شيخ الشريعة ، فشاور جماعة من الزعماء بالامر « فاجمع الحاضرون على استحالة جمع المبلغ المذكور ، ثم انهم اُردفوا وقالوا : اذا كان مرسل هذا الكتاب على جانب من الوطنية فانه سيأتي مع جنوده للاشتراك في ثورتنا من غير أن نرسل له نقودا ، نحن أجوج ما نكون اليها ... ولكنه اذا جاء مع قوته تكفل اعاشتهم فقط ... » وقد أخبر البازركان الضابط الجنابي بما دار في مجلس شيخ الشريعة وأفهمه ان مصاريف الثورة كبيرة وجمّة وان أكثر المخلصين من رؤسائها قد رهنوا وباعوا أراضيهم في سبيل

(١) الخاقاني ، علي (الناشر) فنون الادب الشعبي ، بغداد ،

الحصول على المال لضمان استمرار الثورة^(١) .

ويظهر ان قائد القوات المزعومة ، علي جودت ، غير جاد في رسالته لانه ، على فرض حصول هذا المبلغ الجسيم وارساله اليه ، كيف يستطيع ارسال قواته لمنطقة الثورة في الفرات مع مدافعها ورشاشاتها ، كما يقول برسالته ، مع ان القوات الانكليزية مهيمنة على جميع المناطق التي تقع بينه وبين الثوار ؟ يضاف الى ذلك أن قبيلة عنزة بقيادة فهد بن هذال كانت تسيطر على الجزيرة وتحميها لمصلحة الانكليز ، فكيف تستطيع قوات الايوبي اختراق هذه المنطقة ؟ ثم كيف تستطيع أن تفلت من الطائرات الانكليزية وهي تسير في منطقة مكشوفة على ساحل الفرات ، وقبيلة الدليم هي الاخرى كانت موالية للانكليز ، فكيف يتجنب قائد هذه القوات الاصطدام بها وهي تسكن على ضفة الفرات من عانة تقريبا الى الفلوجة قرب بغداد ؟

وقد أجريت مقابلات شخصية مع عبدالرحمن خضر^(٢) وسامي النقشلي^(٣) حول دور الضباط الذين اشتركوا بالثورة . فقال لي

(١) الوقائع الحقيقية ، ص ١٦١ .

(٢) كان الاستاذ عبدالرحمن خضر المحامي من المشتغلين بالشؤون العامة أيام الاحتلال البريطاني للعراق . وعند اعلان الثورة التحق بالثوار في منطقة النجف والشامية . وكان متصلا بزعماء الثورة . وقد حضر أحد مؤتمرات الثورة الذي عقد في مضيف عبدالكاظم الحاج سكر في ٢٩ حزيران ١٩٢٠ .

(٣) كان السيد سامي النقشلي ضابط رشاش في جنقلعة بتركية، واشترك بحرب الانكليز هناك وعاد الى بغداد بعد الهدنة فانتسب الى جمعية العهد . وكانت هذه الجمعية سرية ولم يسمح لكل عضو أن يطلع على أسماء جميع الاعضاء . وبعد ان اعلنت الثورة في ٣٠ حزيران التحق بها مع آخرين من أعضاء الجمعية . وكانت الجمعية تمدهم بمصاريف السفر . وقد التحق سامي النقشلي بمنطقة السماوة . وانتحل لنفسه اسم « محمود التركي » وعرف بهذا الاسم هناك خوفا من أن تنتقم الحكومة الانكليزية من أهله ببغداد .

عبدالرحمن خضر : « ان الضباط الذين اشتركوا في الثورة كانوا في أربع مناطق : الاولى منطقة دير الزور ، وكانوا تحت اشراف الحكومة الفيصلية ، وجمعية العهد وخاصة عضوها جعفر العسكري . ثانيا - الضباط الذين عملوا في منطقة تلعفر . ثالثا - الضباط الذين عملوا بالكوفة . رابعا - الضباط الذين اشتركوا مع الثوار في منطقة السماوة . وكان هؤلاء الضباط من العراقيين الذين سرحوا من الجيش العثماني ، واشتركوا متطوعين بلا أجر ، ما عدا ما زودتهم به جمعية الحرس الوطني ببغداد من مصاريف نقل . كما ان جمعية العهد أرسلت واحدا على نفقتها » . وعدد المرحوم عبدالرحمن أسماء الضباط ، كما أوردتها فيما سبق ، ولكنه أثنى بصورة خاصة على خدمات سامي النقشلي في السماوة . وقد أخبرني سامي النقشلي انه كان ملتحقا بمنطقة السماوة ويعمل مع جموع السيد هادي مكوطر . وقد ذكر لي أسماء الضباط الذين اشتركوا بالثورة . وقد أضاف الى قائمة الحسيني ، اسمي زكي الكردي وطالب الجدة (ولعله الحاج طالب) الذي ورد اسمه بقائمة الحسيني . ومن هذا يظهر ان عدد الضباط كان يتراوح بين (١٣-١٤) ضابطا . وهذا العدد لا يمكن أن يشرف على العمليات العسكرية للعراقيين فيجعلها تسيير حسب الاصول العلمية المطبقة في الحروب . وبالرغم من ذلك كان هالدين يعتقد ان ضباطا نظاميين كانوا يقودون القوات العراقية التي وقفت ضد الانكليز في ثورة العشرين . وسنشير الى الوقائع التي أثار فيها هالدين هذه النقطة في حينها .

ويقدر الجنرال هالدين البنادق التي استعملتها القبائل الثائرة بـ (٥٩٨٠٥) بندقية^(١) . ويورد هالدين في الملحق التاسع من كتابه سالف الذكر ملاحظات عن أساليب الحرب الحديثة عند الثوار . وقد بنى الجنرال ملاحظاته هذه على خبرته عن الحرب التي وقعت حول الرميثة

Op. cit, p. 298.

(١)

والديوانية خلال شهري تموز وآب من سنة ١٩٢٠ • ويقول الجنرال هالدين : « ان العربي رجل غدار • وباستطاعته أن يتغلب على فصيل صغير Detachment عن طريق الغدر • ويتظاهر العربي عادة برغبته في السلم ويرفع الاعلام البيض وينهمك في أعماله المعتادة في الحقل ، اذا مرت به قوة كثيرة العدد • وبالرغم من تظاهره بالسلم ، يخبىء بندقية في مكان سهل عليه تناولها منه عند الضرورة • • • • »

وقد قدرت قوات العرب الثائرين في هذه المنطقة بما يقارب العشرة آلاف ، ولكن الحد الاعلى للثوار الذين اشتركوا في النزال الذي حصل حديثا بين الحلة والرمية لا يزيد على خمسة آلاف شخص • وبلغ عدد الفرسان ربع هذا العدد ، بينما لا يتجاوز عدد المسلحين منهم ببنادق حديثة الثلث • ويقوم ما بقي من هذا العدد بما تقوم به الوحدات الصحية ، ووحدات التموين في الجيش النظامي • اذ يقوم هؤلاء بجلب المعدات والماء والطعام ، كما ينقلون الموتى والجرحى ، ويقوم بعضهم مقام المدد حينما يستعملون بندقيات الموتى والجرحى •

ويتجمع العرب حالما يرفع علم شيخهم ، كما يجمعهم أزيز الرصاص • وتم حركتهم وتجمعهم بصورة مذهشة • ويتكون منهم حينئذ تحشد كبير يرتفع من بين ثنياه عدد من الاعلام ينضوي تحت كل واحد منها عدد من المقاتلين • وعندما يريدون الهجوم يبلغ الهياج منهم مبلغا يقرب الى الجنون ، فيعلو حينئذ صراخهم ويكثرون من تحريك أعلامهم • وتقودهم في حركتهم الحاضرة أدمغة مدربة ماهرة تعرف جيدا قيمة البندقية الحديثة التي يحملها أتباعهم ، كما يعرفون نقاط الضعف فسي الجيش الحديث ويعلمون حدود امكانياته • وتدل تنظيمات العرب الدفاعية على مقدرتهم الفائقة • ولهم حذق كبير في اختيار الزمان والمكان الذي فيه يعترضون تجهيزاتنا من المياه ، أو يعرفون سير قطرنا أو خط سيرنا •

ومن الملاحظ ان قلة تنظيمهم وعدم ارتباطهم بالنظام تحدد قدرتهم على تعديل الخطط التي وضعوها ليحلوا محلها خططا جديدة اقتضتها ظروف جديدة ، اللهم الا اذا كانت هذه الظروف ظاهرة للجميع ، كانسحاب قواتنا مثلا ، وحينئذ يتبع القوات المنسحبة كل شخص على انفراد .

كانت معداتهم الحربية محدودة ، حيث كانت الطلقة الواحدة تكلفهم ثماني آتات . ولهذا كانوا كثيري العناية في استعمال طلقاتهم ، ولا يطلقون الطلقة ما لم يحتملوا احتمالا أكيدا انها ستصيب الهدف ، وانهم سيربحون شيئا من وراء اطلاقهم للنار . ومن المؤسف اننا لم نقم بتحضير مشروع قابل للتطبيق نلزم جنودنا بموجبه ان يدفعوا ثمن المعدات التي يستعملونها ، أو يدفعوا جزء من ثمنها على الأقل ، وسيؤدي ذلك حتما الى تحسن نظام الاطلاق عند بعض وحداتنا . ويظهر العرب شجاعة فائقة ويخاطرون بحياتهم ليهاجموا على موتانا ليجردوهم من السلاح أو العتاد في وقت لايزال فيه القتال مستمرا »^(١) . وسنوافيك بوصف مختصر لاهم العمليات العسكرية التي دارت في ميادين القتال الرئيسة للثورة . أما التفصيلات فتجدها في مظاهرها^(٢) . أما أهم جبهات القتال فهي : ١ - جبهة الرميثة : لقد أطلقت أول رصاصة للثورة في الرميثة^(٣) في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ على

Op. cit, p. 332 — 3.

(١)

(٢) البصير ، مهدي ، القضية العراقية ، ج ١ و ج ٢ ، بغداد ، ١٩٢٤ ؛ الحسنی ، الثورة العراقية الكبرى ، صيدا ، ١٩٥٣ ؛ الفرعون ، فريق المزهر ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، بغداد ، ١٩٥٢ .

(٣) الرميثة ناحية تابعة للواء الديوانية وتقع على فرع الحلة من نهر الفرات على بعد ٢٨ ميلا شمالي السماوة . ويقول هالدين على الص ٧٣ من كتابه السابق ان نفوسها تقدر ب ٢٥٠٠ نسمة . وتسمى أحيانا الابيض (بالتصغير وتشديد الياء) كما يسميها البعض « العوجه » .

أثر القاء الحكومة القبض على شيخ الطوائم الشيخ شعلان أبو الجون^(١) واطلاقه عنوة على يد جماعة من عشيرته • ويقول الشاعر الشعبي الشيخ علي البازي بهذه المناسبة :

أصد السجن (الرميثة) واستعد لخذ الاخبار او عليه زيد النشد
اتعرف ما گام اسم وتشيد مجد اله من ذاك السجن مصعاده^(٢)

وكانت الجماعة التي تولت اطلاق الشيخ شعلان من السجن مكونة من سبعة أشخاص هجمت عند الفجر على سراي الحكومة وقتلت الحراس وأطلقت الشيخ المذكور • ويقول الشاعر الشعبي بهذه المناسبة :

الدوله اتعرف عدهم خوش^(٣) رسميات
ما يدري العراگ اشيه زلم آفات
من راحن فجر یمشن سبع تفگات
فكوه^(٤) وتمدد ناطوره^(٥)

وتقول المس بيل ، في معرض كلامها عن بداية الثورة بالرميثة :
« كان السبب المباشر للثورة هناك ، شيئاً طفيفاً • حيث ان معاون الحاكم السياسي [هيات نامه ١٠١٠١٠١٠] في الرميثة استدعى ••• شيخ الطوائم الذي تأخر عن دفع دين زراعي للحكومة ••• فأبدى كثيرا من الشراسة

(١) كان الشيخ شعلان أبو الجون ، فضلا عن كونه شجاعا ، يعد من شعراء الحرب الشعبيين • فقال مخاطبا الانكليز :

بيه خير اويچتر عسکر اوريلات
اسواريه وبياده اوفوگک طيارات
بعزم الله اوعزم حيدر أبو الحملات
يتوزع واطروح انشيله

(٢) الخاقاني ، علي (الناشر) ، ن م ، ص ٩

(٣) كلمة فارسية معناها « جيد •• حسن »

(٤) أطلقوه من السجن •

(٥) الحارس •

بحيث اضطر معاون الحاكم السياسي الى حجزه وتوقيفه^(١) . وقد أجرى الدكتور البصير مقابلة شخصية مع الشيخ شعلان ، وسأله عن قضية الدين الذي بذمته للحكومة ، فأكد الشيخ له كل التأكيد بأنه لم يكن آتئذ مدينا للحكومة بأي شيء . ويضيف البصير الى ما سبق قوله بأن سبب القبض على الشيخ المذكور كان سياسيا ، وان الميجر دالي Daly الحاكم السياسي المديونية أمر بالقاء القبض على الشيخ عندما ظهر له ان عشيرته (الطوالم) كانت قد أعلنت الحرب على الحكومة قبيل بدء الثورة ، أي في ٢٥ حزيران سنة ١٩٢٠ ، وان الحكومة رأت بالقاء القبض على الشيخ شعلان زعيم الطوالم قضاء على الحركة^(٢) . يضاف الى ذلك ان اهتمام الشيخ شعلان بالسياسة ، وحضوره المؤتمر المنعقد في كربلاء برئاسة الامام الشيرازي في ١٥ شعبان ١٣٣٨ هـ ، يقوم دليلا على ان حركته غير طارئة ، وان الحكومة بالقاء القبض عليه عجلت بقيام الثورة ، ولهذا يكون من المستبعد ان نعد الدين المزعوم سببا في مقاومته للحكومة . فضلا عن ذلك فان بوادر الثورة قد ظهرت قبل قيام الشيخ شعلان بوجه الحكومة وان الامام الشيرازي قد بعث رسولا^(٣) خاصا من رجال الدين لمنطقة الرميثة لتحريض الناس

(١) المصدر السابق ، ص ١٦١ .

(٢) البصير ، ن م ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

(٣) كان رسول الشيرازي هو الشيخ رحمة او رحوم الظالمي . وكان الشيخ رحوم من اقارب البطل الشيخ شعلان أبو الجون ، وسبق له أن تتلمذ على يد جماعة من العلماء في النجف وأصبح في عداد رجال الدين المشهورين . ويقول الحسن علي الص ١٠٧ من كتابه الموسم ب « الثورة » ان الشيخ رحمة كان من بين أعضاء مؤتمر الثورة المنعقد في التاسع والعشرين من حزيران ١٩٢٠ في مضيف عبدالكاظم الحاج سكر . وعند سفره للرميثة زوده الامام الشيرازي برسالة جاء فيها : « شيخ رحوم ينوب عني فاعملوا بما يأمركم به » .

على الجهاد^(١) . ولعل فيما أورده الجنرال هالدين عن بداية الحركات في الرميثة تدحظ رواية المس بيل التي تجعل سبب القاء القبض على الشيخ شعلان هو تراكم دين للحكومة بدمته . يقول هالدين : « لقد سمع الميجر دالي في الخامس والعشرين من شهر حزيران بأن قبيلة الظوالم قد تظاهرت بالحرب ضد الحكومة ، فرأى أن خير وسيلة هي أن يقبض على الشيخ الجباني . ويظهر ان الاضطراب لم يكن محليا حيث ان القطار قد قطع في أماكن عديدة جنوب الرميثة وان أحد الجسور قد خرب . وان قطار الاستطلاع الذي توجه من السماوة في التاريخ نفسه . . . اضطر الى الانسحاب بعد قتال عنيف مع الثوار ، ولم ينبج من الاسر الا بصعوبة .

أما في شمال الرميثة فقد تعرضت سكة الحديد للقطع في أماكن عديدة ، ولكن الثورة لا تزال ذات صبغة موضعية «^(٢) . وفي الوقت الذي كان القتال فيه مستمرا في الرميثة وغيرها من المناطق ، رأى جماعة من المعينين بالحركة الوطنية أن يعملوا على توحيد الجهود ، وتوسيع الحركة الثورية ضد قوات الاحتلال التي أصبح الثوار وجها لوجه معها بعد أن شبت نيران الثورة في منطقة الرميثة . وكانت تسوية النزاعات المحلية من الوسائل التي تذرعوها بها لتحقيق هذا الغرض . ومن الامثلة على ذلك ان السيد هادي مكوطر توجه في بداية الثورة الى الخضر فوجد الشيخ معجون الحمادي ، أحد رؤساء بني حجاج ، متريثا في القيام بوجه السلطات المحتلة بالرغم من أن العشائر المجاورة ، كما أسلفنا ، قد اشتبكت معها بقتال فعلي . و كان سبب تريثه أن فخذنا من عشيرته سبق أن قتلوا أبه ، ولذا كان العداة مستفحلا بين الفريقين . فتوجه السيد هادي الى دار الشيخ معجون وأقنعه بأن العمل على مقاومة المحتلين الذين تنكروا لآمال العراقيين

(١) فرعون ، فريق ، ج ٢ ، ص ٤٥٠-٤٥١ .

Op. cit, p. 74.

(٢)

بالاستقلال أكثر أهمية من مقتل ابنه ، وان فتوى الامام الشيرازي تلزمه بقتال العدو العام قبل كل شيء . فما كان من معجون الا أن اقتنع بكلام الوسيط وذهب الجميع للمقتلة ، واصططح الطرفان واستعدا لمهاجمة مركز الخضر^(١) . ونشرت جريدة « الفرات » النجفية في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٣٨ هـ الخبر التالي عن « مؤتمر الشامية » : « عقد العشائر مؤتمرهم وكان مؤتمرا سيارا تألف من أبطال النهضة وهم السيد نور والسيد علوان اليسريان ، والسيد محسن أبو طيخ وعبدالواحد الحاج سكر والسيد هادي زوين ، وأخذوا على عهدتهم اصلاح جيرانهم من قبائل « بني حسن » والخزاعل « خزاعة » فقضوا نحو اسبوع في عمل الاصلاح لاستمالة رؤساء خزاعة « الشامية » وبني حسن « الكوفة » . فحضر رؤساء هاتين القبيلتين في « ندوة عبدالواحد »^(٢) واتحدت كلمتهم ومن عرف أحوال القبائل يعرف أن مؤتمر الشامية أظهر من ضروب السياسة ما ندر أن يكون له مثل في تاريخ الفرات ، وان التاريخ سيحفظ له هذا الجهاد السياسي الذي عرفه مساعي الانكليز ، وقضى بالفشل على سياستهم في العراق فلم تجدهم حيلهم ودسائسهم ولم تنفعهم دراهمهم . ومن حسن الحظ أن القبائل التي أغراها الانكليز بملايين « الرويات » أصبحت في طليعة الثائرين^(٣) .

هذا ما كان من أمر الثوار ، أما الحكومة فانها أخذت ترسل المدد الى المناطق الثائرة بناء على معلومات تلقتها من المقتننت هيات ، توقع فيها حصول ثورة عامة في منطقة الرميثة والمناطق المجاورة لها . وكانت النجيدات التي ترسلها الحكومة تلاقي صعوبات جمة لان الثوار أخذوا يخربون

(١) فرعون ، ن ٣٠ ، ج ١ ، ص ١٨٥-١٨٧ .

(٢) عبدالواحد الحاج سكر .

(٣) العدد (٢) السنة الاولى .

سكة الحديد ، ويصلون الجند نارا حامية من القرى المجاورة • يضاف الى ذلك أن تموين جيوش الانكليز التي تجمعت في الرميثة أصبح من الامور الشاقة •

وفي اليوم الرابع من تموز ظهرت علامات استتيج منها قائد حامية الرميثة أن الثوار شرعوا في عمل خندق شمال غرب المدينة ، وان النجيدات كانت تصلهم باستمرار • وقد حمل ما أظهره الثوار من بوادر الحرب المنظمة ، الجنرال هالدين على الاعتقاد بأن ضباطا من ضباط الجيش التركي السابق كانوا يقودون حركاتهم^(١) • ورأت القوات الانكليزية أن تقوم بحملة تاديبية على قرية البوحسن فتصدى الثوار للسريتين اللتين تكونت منهما الحملة ، وكلفوهما (٤٣) مفقودا ، يعتقد أنهم قتلوا ، وجرح ضابط بريطاني وآخر هندي وأربعة عشر شخصا من ذوي المراتب المختلفة • ويقدر هالدين قوات الثوار بين ١٥٠٠ - ٢٠٠٠ مقاتل •

وفي اليوم السابع بدأت القوات الانكليزية تتجه نحو الرميثة ، ولكن قوة من الثوار تقدر بين ٣٠٠٠ - ٥٠٠٠ مقاتل وقفت في طريقها وأصلتها نارا حامية من داخل قناة جافة كان الثوار قد تحصنوا فيها • وبالرغم مما بذلته القوات الانكليزية من جهود بغية مواصلة السير الى الرميثة فانها فشلت ، لان التفوق العددي للثوار حال دون ذلك • وكانت خسائر الانكليز ، على رواية هالدين ، تقدر بضابط بريطاني واحد و (٤٧) هنديا من مختلف المراتب ، كما جرح ضابط بريطاني و (١٦٦) شخصا من مختلف المراتب^(٢) • أما خسائر الثوار فكانت طفيفة^(٤) •

Haldane, p. 75.

(١)

Ibid, p. 76.

(٢)

Ibid, p. 77.

(٣)

(٤) الحسيني ، الثورة ، ص ١٣١ •

وكانت الحامية المحاصرة في الرميثة تهجم على السكان المدنيين في السوق بين آونة وأخرى لتجمع ما تحتاجه من مواد غذائية ، واستطاع المهاجمون أن يقتلوا عشرين شخصا من السكان دون أن يصابوا بخسائر^(١) . ويظهر أن الاهلين لم يقاوموا القوات المهاجمة ، بدليل انها لم تصب بأذى ، لذا فان قتلها للسكان المدنيين المسلمين كان دون مبرر .

وقد قلق الجنرال هالدين لبقاء حامية الرميثة محاصرة ، وكان يقول : « لقد أدركت ان أية خيبة أو فشل يبدو منا تستغله القبائل وتبالغ فيه ، فأبرقت الى وزارة الحربية ، كما سبق أن أبرقت الى قيادة الجيش في الهند طالبا ارسال المدد . وكان الجواب مخيبا للامال لانهم أبلغوني بأن القوات التي طلبتها لا تسافر قبل نهاية تموز »^(٢) . وأعد الجنرال هالدين في الوقت نفسه ، حملة جديدة لانتقاذ حامية الرميثة أوكل قيادتها للبريغادير جنرال كوننكهام F. E. Coningham . وكان هالدين يشعر بأن خط مواصلاته محفوف بالمخاطر ، وان الحملة التي أعدها لانتقاذ حامية الرميثة غير مؤكدة النجاح . وفي السادس عشر من تموز وصلت القوات الانكليزية الى المكان الذي فشلت في اجتيازه الحملة الاولى . وكان الثوار متحصنين في قنوت جافة يوازي بعضها البعض ، ويعتقد هالدين ان لهذا الموقع قيمة عسكرية كبرى ، وان الثوار قد وفقوا لاختفاء تحصيناتهم تماما ، الامر الذي يحمل على الاعتقاد بأنهم كانوا يعملون تحت قيادة ضباط من ضباط الجيش التركي السابق^(٣) . ومن الجدير بالذكر ان الجنرال هالدين أثار قضية قيادة ضباط نظاميين لقوات الثوار للمرة الثانية ، وقد سبق أن بينا خطأ هذا الاعتقاد مؤكداً أن الثوار كانوا يعملون تحت قيادة رؤساء العشائر .

Ibid, p. 77.

(١)

Ibid, p. 80.

(٢)

Ibid, p. 85.

(٣)

وبالرغم من محاولات الجيش البريطاني الرامية للتقدم فان الثوار رابطوا بأمكنتهم ولم يغادروها وقد قلق القائد الانكليزي بسبب الوضع العسكري لقواته • ويقول الجنرال هالدين : « ولماذا لا يقلق قائد قواتنا وهو منقطع عن الماء وأمامه قوات صمدت في مواقعها ، رغم نيران المدافع ، ورغم الهجمات المتكررة ؟ يضاف الى ذلك ان معداته كانت لا تكفي ليوم آخر ، أما الجرحى في جيشه فلا يعرف عددهم ... » (١) • وبعد فترة وصلت امدادات جديدة للجيش البريطاني فاحتلوا الموقع الذي فشلوا في احتلاله في اليوم الماضي لان الثوار تركوه في الليل •

وفي الايام التالية تقدم الجيش البريطاني فوصل الرميثة بعد أن خسر (٣٥) قتيلًا و (١٥٧) جريحًا على رواية الجنرال هالدين (٢) • أما الدكتور البصير فيبالغ في عدد القتلى فيجعله (٣٢٦) قتيلًا (٣) • أما خسارة القوات الانكليزية في الرميثة فقد بلغت (١٤٨) شخصًا بين قتيل وجريح •

وكان لنجاح الانكليز في الوصول الى الرميثة أثر حسن في نفس الجنرال هالدين الذي قال : « لقد سررت بنجاحنا في الوصول الى الرميثة ، لان الاوضاع كانت تهدد بالخطر في أماكن أخرى ، وان ما يقارب (٣٥) ألف رجل من القبائل كانوا يحملون السلاح ضد قواتنا ولعل هزيمة الثوار في الرميثة ستساعدنا على تنفس الصعداء ... » (٤) •

ويظهر أن تفاؤل الجنرال هالدين لم يكن في محله ، اذ أن الثوار في الرميثة لم ينهزموا واضطروه على سحب قواته من الرميثة في الحادي والعشرين من تموز • وقد كابدت القوات البريطانية مشقات كبيرة خلال انسحابها • فهاجمت جماعة من الثوار مؤخرة الجيش تحت ستار زوبعة

Ibid, p. 86. (١)

Op. cit, p. 88 — 8. (٢)

المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٩ • (٣)

Op. cit, p. 88. (٤)

رملية فأحدثت فيها اضطرابا شديدا لفترة ، ولكن الموقف ما لبث أن تحسن ولم تتعرض القوات البريطانية لاختار مهمة بعد ذلك حتى وصلت الديوانية في (٢٥) تموز ١٩٢٠ •

وقد أصدر الثوار بلاغا حربيا عن حرب الرميثة (الابيض) رأينا أن نذكره هنا لاهمية هذه الجبهة أولا ، واختلاف الرواة عن المعارك التي دارت فيها ثانيا •

القتال في الابيض (الرميثة)

ان أول عمل حربي قامت به عشائر السماوة والايض قطع مواصلات الانكليز البرقية وقلع السكة الحديد • فقد نسفت ثلاثة جسور كانت ضرورية لمروور القطار وردمت جملة قناطر ، وقد قضى الانكليز في بناء جسر واحد من تلك الجسور وهو المعروف « بجسر العمية » ثلاثة شهور كاملة فانقطع سفر القطر بين البصرة وبغداد وقاتل الناهضون الجند الذي كان يحرس السكة الحديد في عدة مواطن على طرفي الخط واستولوا على مواقعهم فطلب حاكم الابيض نجدة من الديوانية فأنجد • ولما وصلت أحرقت أحياء الغزاة من (الظوالم والبو حسان) وكانت خالية الا من النساء والاطفال فهجم الناهضون على جند النجدة واستمر القتال ثلاث ساعات خسر الانكليز فيها خمسين جنديا وغنم الثوار خمسين بندقية و(٥) رشاشات وانسحبوا [الانكليز] الى بلدة الابيض وتحصنوا في الدور وجعلوا يقتلون الارباء الذين لا علاقة لهم بالحرب فقتلوا سبعين بريثا بين نساء وأطفال « • • • » •

ثم يشير البلاغ الى محاولات اجريت لعقد الهدنة ويقول ان العرب تمسكوا بشروطها ولكن الانكليز لم يتمسكوا بها • « وخرقها [الهدنة] الانكليز على عاداتهم في كل العهود فجهزوا حملة كبيرة الى الابيض فلاقتها جموع العرب

وكبدها خسائر عظيمة فقتلوا ثلاثمائة جندي وأصابوا غنائم كثيرة منها
• ١٠٠ بندقية و ٧ رشاشات •

المعركة الفاصلة وفوز العرب

« لما وصلت فلول الجيش المنكسر الى الديوانية جهز قائد الحركات
العسكرية « فلكنهايم » [كوننغهام] جيشا مؤلفا من ستة آلاف
جندي فرسانا ومشاة مجهزة ببطارية و ٩ طائرات وعسكر في « الحمزة » •
ثم يشير البيان الى مفاوضات بين الزعماء والقائد الذي طالبهم بالطاعة فأجابوه
بأن لا طاعة دون الحصول على استقلال العراق •

ثم يستطرد البيان « فلم يترث « فلكنهايم » عن اجراء الحركات
العسكرية فزحف بجنده الى الابيض وأحرق منازل بعض العرب وديار
السادات الطالقانية واحياء بني عارض • فاستعرت نار الحرب بين الناهضين
وبين جنود أمير اللواء « فلكنهايم » ودامت مستمرة يومين وقد انتهت بفوز
العرب وانكسار أعدائهم انكسارا فاحشا فولوا مسافة (٥) ساعات فارين
على أعقابهم وأحاط المجاهدون بهم وحصروهم في [مدين] وقطعوا خط
رجعتهم وتؤكد الاخبار بأن عرب الابيض استولت عليهم ولم يفلت
منهم (١) أحد •

أما الغنائم فقد كانت (٣٠) رشاشا وألفي بندقية عدا الخيل والبغال
والذخيرة التي لم يتمكن الغزاة من نقلها الى الان • أما شهداؤنا فلم يتجاوز
عددهم ١٠٠ شهيد • وكان البلاغ سالف الذكر مؤرخا في الحادي عشر
من ذي القعدة سنة ١٣٣٨ هـ •

(١) يظهر ان هناك مبالغة وقلة تدقيق في البلاغ اذ ان المصادر
الانكليزية والعربية التي أشرنا اليها سابقا لا تؤيد هذه النقطة •

ثانيا - جبهة أبو صخير والشامية والكفل (١) :

- كان رؤساء القبائل في الشامية والمناطق المجاورة من أكثر رؤساء القبائل العراقية اهتماما بالامور السياسية ، وذلك لقربهم من النجف التي كانت حينذاك من أشهر مراكز الحركة الوطنية من جهة ، ولصلة بعضهم ببغداد وانخراطهم في الجمعيات السياسية من جهة أخرى . ويقول الشيخ رضا الشيبسي : « كان قادة الرأي في النجف وسقي الفرات القريبة منها لا يعرفون معنى للراحة في مقاومة الاحتلال وسياسة المحتلين ... » (٢) .

(١) كانت هذه المنطقة قبيل قيام الثورة من أغنى مناطق العراق . وقد جاء على الص ٦٣ من الجزء الاول من مجموعة التقارير الرسمية لسنة ١٩١٨ Reports ان المناطق الفراتية الواقعة بين الكوفة وقرية الطرمة على فرع المشخاب ، وبين قرية أبو شورة والحزم على فرع غماس تعد حديقة العراق . يضاف الى ذلك أن المنطقة الفراتية الواقعة جنوب الحميدية وأبو صخير تعد أفضل منطقة لزراع الرز في العراق . وكانت منطقة الشامية هذه متكاثفة السكان ويعود ذلك ، فضلا عن خصبها ، الى أن جفاف فرع الحلة في بداية هذا القرن جعل السكان يهاجرون من أعالي فرعي الفرات المعروفين بفرعي الحلة والهندية الى منطقة الشامية . ويقول التقرير سالف الذكر : « ان ثراء الشامية السريع ، وبعدها عن بغداد ، وقربها من النجف حيث تحاك المؤامرات ساعدوا على وجود شعور بالاستقلال والثقة بالنفس لدى شيوخ القبائل في الشامية ، أولئك الشيوخ الذين كانوا مبعث خوف وقنوط للحكومة العثمانية » .

وفي (١٥) نيسان أجبر النجفيون الاتراك على اخلاء النجف وتلتهم قبائل الشامية . ومنذ هذا التاريخ حتى بداية سنة ١٩١٨ ، وهي الفترة التي أعقبت زوال الاتراك و قدوم الانكليز ، استطاع شيوخ القبائل في الشامية أن يوسعوا سلطتهم الى درجة كبيرة . وقد تذوقوا خلال هذه الفترة طعم الاستقلال التام والحرية الكاملة ، كما امتنعوا عن دفع الضرائب . ان الحالة التي وصفناها جعلت منطقة الشامية من أكثر مناطق العراق تدمرا من الحكم البريطاني ، ومن أسرع القبائل تلبية لنداء الوطن عندما شبت نار الثورة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ .

(٢) الايام ، العدد ، ١٢٤ ، ١٠ ربيع الثاني ١٣٨٢ .

وقد عقد رؤساء الشامية في ٢٩ حزيران ١٩٢٠ مؤتمرا في مضيف
عبدالكاظم الحاج سكر حضره، فضلا عن كبار الرؤساء، جماعة من المشتغلين
في السياسة • وكان خطيب المؤتمر السيد محمد باقر الحلبي الذي قدم
لخطابه بأبيات من الشعر :

بني يعرب لا تأمنوا للعدي مكرًا
خذوا حذرکم منهم فقد أخذوا الحذرا
يريدون فيكم بالوعود مكيده
ويبغون ان حانت بكم فرصة غدرا
فلا يخدعنكم لئهم وتذكروا
أضاليلهم في الهند والكذب في مصرًا

ثم قال يامعشر خزاعة ان لمحمد عليكم دنيا حين قال ، حينما ضرب
أحلاف قريش أحد الخزاعين : « لا نصرني ربي ان لم أصر خزاعة »
ومحمد اليوم في حاجة الى نصرتكم فهل تفون اليوم دينه • فقام سلمان
العبطان ، رئيس الخزاعل ، وجرّد سيفه ، وهزه في وجه الخطيب ، وقام
الجميع فهوسوا « بس لا يتعلّك بامريكه » فكانت صرخة هاج لها
الحاضرون^(١) • وكان من نتائج انعقاد هذا المؤتمر أن نشب القتال بين
انقوات الانكليزية والثوار في هذه المنطقة ، خاصة بعد أن فشلت محاولة
لصلح قام بها حاكم المنطقة الميجر نور بري P. F. Norbury • وقد سبق
أن أشرنا الى المطالب التي تقدم بها الثوار لنوربري ومنها طلب الاستقلال
التام للعراق •

وقد رفعت راية الثورة في هذه المنطقة في ١١ تموز سنة ١٩٢٠ فخرج
السيد علوان الياصري بجموعه وانضم اليه الشيخ عبدالواحد الحاج سكر
فضربوا نطاق الحصار على حامية أبي صخير ، وقد أرسلت الحكومة باخرة

(١) الحسنی ، الثورة ، ص ١٠٧ •

لانقاذ الحامية التي حاصرت بدار الحكومة ولكن الثوار اضطروها على الهرب • ثم أبقى الثوار جماعة من قواتهم حول أبي صخير وتقدموا نحو الكوفة ورابطوا حولها • وكان حاكم الحميدية الكاتبن مان Mann يسعى لتثبيت قبائل منطقته بتوزيع الوعود والمال فسافر الحاج عبدالواحد والسيد علوان لتلك المنطقة ووفقا لحمل قبائل الحميدية على نصح الحاكم المذكور بالانسحاب وقد انسحب فعلا فوصل الكوفة بحراسة بعض زعماء القبائل^(١) •

هدنة الكوفة :

لقد عرض الميجر نور بري على الرؤساء أن يدخلوا معه في مفاوضات حول فك الحصار عن حامية أبي صخير فقبلوا هذا العرض ، شريطة أن يشترك وفد النجف والشامية في المفاوضات • فقبل نور بري وأحضر الشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ محمد جواد الجواهري من النجف لهذا الغرض •

ويحدثنا الشيخ رضا الشيبسي عن هذا الاجتماع فيقول : انه حصل « بعد اندلاع الثورة في الرميثة وأبي صخير والشامية والكوفة ... وكان غرض الانكليز منه المداولة مع قادة الرأي العام في النجف وزعماء الثورة في الافراج عن حامية أبي صخير الكبيرة التي تعد أكثر من ثلثمائة جندي وضابط المحصورة هناك ، ثم ايقاف رحي الحرب الى فترة موقته ، استهل الماجور نوربري هذا المؤتمر بكلمة جاء فيها : (منذ مدة وأنا أود الاجتماع بكم حيث ان حكومتي لا ترغب في سحق الحريات ، وانها عازمة على اعطاء العراق حقه دون حاجة الى اراقة الدماء ، والان أرجوكم أن تعلموني بما تريدون) • فقال الشيخ عبدالكريم الجزائري مخاطبا الحاكم : « وأما قولك ان حكومتك لا ترغب في سحق الحريات فهذا قد يكون صحيحا ولكن في غير هذه البلاد ، وأما في بلادنا فاننا نراها قد تحاملت على الامة

(١) البصير ، ج ١ ، ص ٢١٦-٢١٧ •

وخنت حرياتهما في أقوالها وأعمالها ، وحسبك دليلاً على ذلك ما فعلته بأحرار الديوانية والحلة وكربلاء وبغداد وبعقوبة من قتل الأبرياء وشنقهم لمجرد مطالبتهم بحقوقهم أو نفيهم الى خارج العراق ، فما هو معنى سحق الحريات وامتهان الكرامات أكثر من هذا « ؟! » . ويستمر الشيبسي بحديثه فيقول : يظهر « ان الشيخ [الجزائري] ... كان يقصد شنق من شنق من أحرار بغداد ومقتل من قتل وجرح من جرح في مظاهرات بغداد ... ونفي أحرار البلاد الى جزيرة هنجام » . وقد أسفر اجتماع الكوفة عن تحرير اتفاقية وقع عليها الطرفان « وقد نصت بعض موادها على الإفراج عن أحرار العراق المنفيين والمعتقلين ، وإيقاف رحي القتال في الرميثة ، وإجلاء الحكام السياسيين من البريطانيين عن مناطق الفرات وغيرها ليتسنى إجراء الاستفتاء والمفاوضات مع السلطات البريطانية على أساس منح البلاد حريتها واستقلالها ... » وتعهد رؤساء القبائل في فك الحصار عن حامية أبي صخير . « ويلاحظ أن الجانب العراقي كان وفياً بعهوده فأخرجوا الحامية فكوا الحصار عنها حتى اشتركت في مقاتلة الثوار بعد ذلك ، أما الإنكليز فإنهم نكثوا بعهودهم ولم يفوا بمواثيقهم التي وقعوا عليها في هذه الاتفاقية التي جرى التوقيع عليها في يوم ٢٩ شوال سنة ١٣٣٨ هـ ، وأواخر حزيران (١) سنة ١٩٢٠ » (٢) .

أما رواية هالدين عن هدنة الكوفة فتقول : « شعر الحاكم السياسي [نوربري] بأن عملية الانسحاب من أبي صخير محفوفة بالمخاطر ، لذا اتفق مع القبائل على أن تسحب الحامية دون أن يمسوها بأذى ، وبعد

(١) لا يطابق التاريخ الميلادي التاريخ الهجري ، كما ورد في رواية الشيبسي ويظهر ان التاريخ الميلادي قد ورد خطأ لان الثورة بدأت في منطقة أبي صخير في ١١ تموز ، وجرت المفاوضات بعد قيامها وحينئذ تكون قد جرت حوالي منتصف تموز ، ويطابق هذا التاريخ التاريخ الهجري .

(٢) الايام ، العدد ، ١٢٤ ، ١٠ ايلول ١٩٦٢ .

مرور يومين على تاريخ الاسحاب ، هاجم الثوار عدة زوارق كانت تحمل المعدات الى حامية الكوفة^(١) . ومن هذا يظهر ان الجنرال هالدين لا يعد الترتيبات التي تم الاتفاق عليها بين الثوار ونوربري اتفاقا ملزما ، مع أن المصادر العربية تكاد تجمع على وجود اتفاق نقضه الانكليز بعد أن سبق لهم أن وافقوا عليه^(٢) . ويظهر ان الثوار بحثوا امورا سياسية مع جهة غير مختصة . أما فيما يتعلق بالثوار بعد نقض الاتفاقية ، فانهم شددوا الحصار على حامية الكوفة وتوجه قسم منهم لمهاجمة الكفل . وقد سبق للحكومة ان انسحبت من النجف في اليوم الثامن من تموز سنة ١٩٢٠^(٣) .

وبعد أن تحررت النجف تأسست فيها ادارة مدينة . فعين السيد نور الياسري قائممقاما للنجف تعاونه في ادارة المدينة أربعة مجالس :
 (١) المجلس البلدي^(٤) (٢) مجلس الادارة^(٥) (٣) مجلس التنفيذ^(٦)
 (٤) المجلس العلمي . وكان أعضاؤه : الشيخ جواد الجواهري ، والشيخ

Op. cit, p. 178.

(١)

(٢) الحسنی ، الثورة ، ص ١١٠-١١١ ؛ البصير ن. م ، ج ١ ، ص ٢١٧ ؛ فرعون ، ن. م ، ج ١ ، ص ٢١٦ ؛ سعيد ، أمين ، ن. م ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

Haldane, Op. cit, p. 178.

(٣)

(٤) كان أعضاء المجلس البلدي : الحاج عبدالرزاق شمسه ، والحاج عباس شمسه ، والسيد سعيد كمال الدين ، وحسين الظاهر ، وكردي أبو كلل .

(٥) أما أعضاء مجلس الادارة فهم : السيد مهدي السيد سلمان ، والشيخ جواد صاحب الجواهر ، والحاج محسن شلاش .

(٦) وكان أعضاء المجلس التنفيذي : السيد علي جريو ، والسيد مهدي السيد سلمان ، وغيدان عدوه ، والحاج حسون شربه ، والحاج عبدالله الحاج خمادي ، وكردي أبو كلل ، وحسين الظاهر ، والحاج محمد الشرباوي .

علي مانع ، والشيخ عبدالكريم الجزائري ، والسيد محمد علي بحر العلوم ، والشيخ اسحق الشيخ حبيب الله ، والشيخ موسى تقي زابير ادهام ، والسيد محمد رضا الصافي ، والشيخ علي الحلبي ، والشيخ عبدالرضا الشيخ راضي ، والسيد علي السيد حسين ، والشيخ مشكور الحولوي ، والشيخ أحمد الملا كاظم الاخوند . وكان رئيس المجلس العلمي المجتهد شيخ الشريعة الاصفهاني .

وكانت وظائف المجلس الاول تتعلق بشؤون بلدية النجف بما فيها جمع الرسوم والضرائب وتنظيم شؤون الصحة . أما اختصاصات مجلس الادارة فكانت تتعلق بانتقاء الموظفين والشرطة والنظر في الدعاوى ومراقبة حسابات المجلس البلدي . كما يقوم بتموين الثوار عند الطلب . وكانت اختصاصات مجلس التنفيذ حفظ الامن ، وتجهيز المتطوعين وتسفيرهم لساحات القتال .

أما المجلس العلمي فلم تكن اختصاصاته محلية ، بل كان بمثابة مجلس استشاري تنفيذي أعلى للثورة ، وعليه تعرض أهم لقضايا التي تتعلق بسياسة الثورة العامة سواء في النجف أو في خارجها^(١) . وبالإضافة الى ذلك كان للثورة جماعة ارشاد ودعاوة تشرف على اصدر المناشير والبلاغات الحربية كما تشرف على صحافة الثورة . ومن أشهر أعضاء هذه الجماعة الشيخ باقر الشيبلي^(٢) المشرف على جريدة « الفرات » . ومن العاملين بها السيد محمد عبدالحسين المحامي صاحب جريدة « الاستقلال »

(١) فرعون ، فريق ، ن ٠ م ، ج ١ ، ص ٢٠٩-٢١٠ .

(٢) محبوبة ، جعفر ، ن ٠ م ، ج ١ ، ص ٢٦٧ . لقد وردت في كتاب

محبوبة سالف الذكر معلومات عن حكومة النجف المحلية ، وعن أسماء بعض المشتغلين بها لم ترد في بعض المصادر التي استقيمت معلوماتي منها . كما انه أشار الى وجود هيئة خاصة بشؤون أسرى الانكليز الذين بلغ عددهم (١٦٠) أسيرا .

والسيد محمد علي كمال الدين وآخرون •

معركة الرستمية (١) :

سبق أن أشرنا الى أن قسما من الثوار تركوا الحامية الانكليزية محاصرة في الكوفة وتوجهوا نحو الكفل فاحتلوه في يوم ٢٢ تموز ١٩٢٠ • وأصبح الكفل من مراكز الثورة المهمة • وكان السيد علوان الياسري والحاج عبدالواحد الحاج سكر أبرز قادة الثوار في هذه المنطقة • وقد وردت عليهما أخبار تفيد بأن قوة انكليزية صغيرة قدمت للاستطلاع الى جهات الكفل ، ولم تشر الاخبار الى وجود قوة كبيرة كانت تزحف نحو الكفل (٢) • ووصف لنا هالدين كيفية ارسال هذه القوات وبين الغاية التي أرسلت من أجلها فيقول : « كان قطار الكفل عرضة لهجمات الثوار بصورة مستمرة • وفي اليوم الـ ٢٣ من تموز هاجم الثوار محطة الكفل وقبضوا على موظفيها الامر الذي حملنا على اعادة القطار المتوجه نحو الكفل الى مقره في الحلة ، ولكن الثوار ما لبثوا أن خربوا الخط • أما الكوفة فكانت مطوقة لثلاثة أيام خلت • وفي ضوء هذه الاحوال طلبت من قائد الفرقة السابعة عشر أن يعزز قواته ويزحف نحو الكفل » (٣) • وكان الميجر بولي Pulley حاكم الحلة السياسي يلح على القوة الانكليزية بسرعة التقدم لئلا يحتل الثوار سدة الهندية فيكون أمر الفرات ، وانقاص المياه فيه ، وتعطيل الحركات النهرية ، يدهم فيصعب على القوات الانكليزية الاستفادة من هذا

(١) الرستمية اسم مقاطعة زراعية واسعة تقع بين الحلة و «الكفل» فتبعد عن الاولى ١٨ كيلومترا وعن الثانية ١٢ كيلومترا • تبلغ مساحتها زهاء (٤٠٠٠) دونم وتخترقها جداول كثيرة ، تنتشعب من نهر « الشاه » الخارج من عمود الفرات - فرع الحلة •

(٢) البصير ، ج ١ ، ص ٢١٨ •

Op. cit, p. 92.

(٣)

الخط الحيوي^(١) •

تحركت القوة الانكليزية التي عرفت بفرقة منجستر نحو الكفل بقيادة هارد كسل R. N. Hard Castle • وقد زود بأوامر حددت المكان الذي سيقف به عند الميتم وحذر من الاسراع نحو الكفل رغبة في تعزيزه بنجذات قادمة من الديوانية • ومع هذا فقد جدد الحاكم السياسي في الحلة ضغطه على القائد ، وطلب منه أن يسرع بالتقدم نحو الكفل للاسباب التي بينها سابقا ، فنجح مسعا في هذه المرة فصدرت الاوامر الى القائد بالتقدم •

وقد طلبت السلطات البريطانية في الحلة من الشيخ ابراهيم السماوي رئيس خفاجة ان يصحب الجيش الزاحف نحو الكفل • وعندما عسكر الجيش قرب الرستمية ، أذن قائده للشيخ ابراهيم أن يمضي ليلته في بيته الذي أصبح على مقربة من معسكر الجيش • وقد عاد الشيخ في اليوم التالي الى المعسكر ولكنه تركه قبيل هجوم الثوار عليه • وبعد نهاية الثورة حكم على الشيخ السماوي بالاعدام بتهمة اشتراكه مع الثوار بالهجوم على القوات الانكليزية^(٢) • وقد بحث الجنرال هالدين^(٣) قصة السماوي وأشار الى حكمه بالاعدام ، ولكنه يعتقد ان الدليل ضده ناقص •

وأفادت خيالة الاستكشاف بأن الثوار يزحفون من ناحية الكفل في الساعة الخامسة والربع بعد الظهر ، وكان عددهم لا يزيد على الثلاثة آلاف ، رغم ان بعض التقديرات توصل هذا العدد الى العشرة آلاف مقاتل • وحالما اقترب الثوار أطلقت عليهم مدفعية الجيش نيرانها ، ولكنهم واصلوا تقدمهم ورابطوا على بعد (١٥٠) ياردة من المعسكر^(٤) • وقد شرع

(١) الحسنی ، الثورة ، ص ١٣٩ •

(٢) الحسنی ، الثورة ، ص ١٤٠ •

Op. cit, p. 96 — 7. (٣)

Ibid, p. 100. (٤)

تبادل إطلاق النار بين الفريقين حوالى الساعة (٧) و (٥٠) دقيقة بعد الظهر . واقترح معاونوا الحاكم السياسى اللذين كانا يصحبان الجيش على القائد أن ينسحب الى الحلة ، لان القوة ان أمضت ليلتها في معسكرها يكون من المحتمل أن ينضم العرب بين منطقة الرستمية والحلة الى الثوار وربما هاجموا الحلة واحتلوها . وقد عقد قائد قوة منجستر مجلسا للحرب لمناقشة الوضع فأسفر اجتماعهم عن ضرورة الانسحاب . وأورد الجنرال هالدين تفاصيل عن خطة الانسحاب وحراسة المواصلات^(١) . وبعد مدة من الشروع بالانسحاب بدأت طلائع الهزيمة تظهر على القوات المنسحبة . وأخذت عجلات العربات ترتطم بالجنود الذين انقسموا الى جماعات صغيرة ، بينما أخذ الثوار يثرون الذعر في حيوانات النقل ويهجمون على سائقها بالخناجر . وقد أثر الظلام ، وسوء التنظيم في فرقة منجستر ، فجعلها تظل الطريق ولم تهتد له الا بعد طلوع الشمس . ووقع الذين ظلوا الطريق بيد الثوار فقتلوا بعضهم وأسروا الاخرين . يضاف الى ذلك ان نيران الثوار قد أدت الى خسائر جسيمة في الخيول الامر الذي أعاق سير الفرسان .

ويقول الجنرال هالدين : « ان خسائرنا قد بلغت عشرين قتيلًا وستين جريحا وثلثمائة وثمانية عشر مفقودا ، وكثيرا من الحيوانات والعجلات . وتبين أن من بين المفقودين (٧٩) جنديا وضابطا انكليزيا و (٨١) هنديا وقعوا أسرى بيد العرب . ويظهر من هذا أن عدد القتلى في الرابع والعشرين من تموز ينقص قليلا عن الـ ٢٠٠ قتيل . وفضلا عن ذلك فقد خسرتنا مدفعا من عيار (١٨) عقدة »^(٢) .

Op. cit, p. 101.

(١)

Ibid, p. 102.

(٢)

هذا ملخص ما أورده هالدين عن موقعة الرستمية التي أُطلق عليها
فاجعة قوة منجستر •

ويظهر ان هذه المعركة كانت ذات أهمية بالغة في نفوس السلطات
البريطانية ، فكتبت المس بيل في ٢ آب ١٩٢٠ ، أي بعد وقوع معركة
الرستمية تقول : « لا أستطيع التكهن الان عما سيحدث في المستقبل
القريب ، اذ أن حادثة كحادثة أبناء منجستر The Manchester ستجلب
فوراً قبائل دجلة الى حدود بغداد • ان الوضع خطر ، ويمكن أن يصبح
أكثر خطورة اذا ما حدث أي تمرجح في الميزان »^(١) •

هذا أهم ما ورد عن معركة الرستمية في المصادر الانكليزية • أما
المصادر العربية فقد أوردت تفصيلات وافية عنها • فيقول الحسني : « ان
الحاج مرزوك العواد رئيس العوابد ، ما كاد يسمع أزيز الرصاص
يشنف الاسماع ، ويرى الجيش مشتبكا مع الثوار ، حتى قام بحركة
الانكسار فجد خطيرة • فأصبح « الرتل » بين نارين حامين ، وقد أظهر
في حركة الانكسار هذه ، وفي الفنون الحربية ، والتفنن في القتال ما حير
عقول الانكليز وقادتهم ، وجعلهم يعتقدون ان الثوار يدارون من قبل
ضباط أتراك وهو اعتقاد باطل فندناه في موضع آخر ••• وقد بالغ الثوار
في تقدير خسارة الانكليز في هذه الموقعة حتى زعموا انها تجاوزت الـ
(٨٠٠) بين قتيل وجريح وأسير »^(٢) • أما البصير فيقول على لسان الثوار
عن هذه المعركة : « ان الفئة التي قدرت لها السلامة من تلك القوة كانت
قليلة جدا ، كما انهم يقولون ان خسارتهم لم تتجاوز العشرين
رجلا ••• »^(٣) • وقد أورد الشيخ فريق الفرعون تفصيلات وافية عن

The Letters, II, p. 401.

(١)

(٢) الثورة ، ص ١٤٠ •

(٣) القضية العراقية ، ج ١ ، ص ٢٢٢ •

هذه المعركة ورسم خريطة لساحة المعركة ، ثم قال ان الثوار التحموا « من الجهات الثلاث مع الجيش حتى سكتت المدافع والرشاشات والبنادق ، وحل محلها السلاح الابيض والمقمع « المگوار » و « الفالسة » في قلب الجيش فكانت ملحمة سجلها التاريخ بالفخر الشديد للشجاعة التي أبدأها الثوار ، أسفرت عن هزيمة الباقي على قيد الحياة من أفراد الجيش بعد أن تركوا خلفهم ما يزيد على الالف قتيل معظمهم من الانكليز ، وغنموا اثنين وسبعين رشاشا ٠٠٠ ان الثوار غنموا كل ما كان بعمية الجيش حتى الخيام لان الذين بقوا على قيد الحياة هربوا للنجاة بأنفسهم ، وأهم ما حصل عليه الثوار مدفع من عيار (١٨) بوند « (١) » .

هذا ما أورده الذين كتبوا عن الثورة . ولكنني بالاضافة الى ذلك عثرت على البلاغ الحربي الذي أصدره الثوار عن هذه المعركة واليك هذا البلاغ :

من معسكر الجيش العربي في الكفل ٨ ذي القعدة ١٣٣٨ هـ . الظفر في الكفل . (١٦٠٠) قتيل وأسير . اغتنام ٢٦ رشاشا (٢) ومدفع صحري . زحف الناهضون من الكوفة والشامية بعد تطويق الكوفة الى اسقاط الحلة ، فوصلت طلائع الجيش العربي الباسل الى الكفل ٠٠٠ فجرد الانكليز حملة مؤلفة من ألف وستمائة جندي مشاة وفرسانا لمواقعة الجيش الناهض واذ قاربت الحملة « الرارنجية » [الرسمية] نزلت فحفرت خنادقها ٠٠٠ فاشتبك القتال ٠٠٠ وقد انتهت الحرب بظفر العرب ولم ينجو من الحملة الانكليزية أحد فوقعت بين القتل والاسر ٠٠٠ ومن الغنائم ٢٦ رشاشا ٠٠٠ ومدفع كبير ٠٠٠

التجف ٩ ذي القعدة ١٣٣٨ هـ

(١) حقائق ، ج ١ ، ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٢) يقصد مدافع رشاشة .

ومن الملاحظ ان المبالغة ظاهرة في هذا البلاغ •
وقد ورد ذكر معركة الرستمية (الارنجية) في الشعر الشعبي فقال
الشيخ علي البازي :

او على الزارنجيه انشد من تمر
بيها من راوه العده اتجوم الظهر
منها غطها^(١) اويه العشه او قبل الفجر
گضت والجيش اوسرو قواده
اوفاتح^(٢) النهريين منهو اليسره
ويوم يوم الكوفه كسر منوره
خل يجبي الكوفه يشوفه المادره
او يعرف اشصار وسده اعلى اجناده^(٣)

وقال أحد أبطال الرارنجية ، الحاج مرزوك العواد هوسه ، يخاطب
بها الجيش البريطاني :

ودّوه^(٤) يبلعنا اوغص يننا

وخاطب أحدهم الحاج عبدالواحد بهوسه مشيرا الى المدفع الذي
أسره الثوار فقال :

جنالك مدفع يا هيهه^(٥)

ويظهر من كل ما تقدم عن معركة الرستمية ان المصادر العربية

(١) هجم عليها •

(٢) يريد به المدفع الذي مهد لجيوش الاحتلال فتح بلاد ما بين

النهرين •

(٣) الخاقاني ، الناشر ، ن٠م ، ص ١٢ •

(٤) أي ارسل الانكليز الجيش ليقضي علينا ولكنه فشل •

(٥) فريق ، ن٠م ، ج ١ ، ص ٢٣٤ •

والانكليزية كانت تختلف اختلافا كبيرا في تقدير الخسائر التي تكبدها الجيش البريطاني . فالكتاب الانكليزي الذين كتبوا عن الثورة حاولوا تقليل الخسائر ، كما بالغ الكتاب العرب في تقدير هذه الخسائر ولهذا أصبح من الصعب على الباحث أن يعطي رأيا قاطعا في قضية كهذه . ومع هذا فإني الحظ المبالغة بين سطور البلاغ العسكري الذي أصدره الثوار ، إذ انه يشير الى ان عدد الجيش الانكليزي كان «١٦٠٠» جندي وضابط ، ثم يقول ان جميع أفراد الجيش كانوا بين أسير وقتيل . أما الرواية الانكليزية ففيها نظر أيضا ، إذ ان الجنرال هالدين يقول ان الجيش قد ظل الطريق ولم يهتد له الا بعد طلوع الشمس ، وكان الثوار محيطين به ويتعقبونه ، فمن المحتمل انهم أوقعوا به خسائر أكثر بكثير مما دوتته المصادر الانكليزية .

حركات الثوار في الحلة :

تقع الحلة على بعد ١٠٤ كيلومترات جنوب بغداد ، وتصلها بها سكة الحديد الممتدة بينها وبين البصرة . وتبلغ نفوس الحلة حوالي ٣٥٠٠٠٠ نسمة . ومن أهم العشائر المحيطة بها قبائل الجبور ، والبو سلطان ، وخفاجة ، وطفيل ، وآل يسار ، وبعض أفخاذ قبيلة آل فلة . وبعد أن ربح الثوار معركة الرستمية (الرانجية) توجهوا نحو الحلة ، ولما أقرّبوا منها أخذت الحكومة تدابير احتياطية^(١) صارمة ، قيدت بموجبها حركات السكان ، ومنعت التجوال بعد المساء . ولم يبدأ الثوار هجومهم على الحلة ، رغبة في اكمال استعداداتهم من جهة ، واحتلال المناطق المجاورة من جهة أخرى . وفي ٢٧ تموز ، ١١ ذي القعدة عبرت جماعة من الثوار نهر الفرات بعد ان احتلت قصبه طويريج . كما هاجمت جماعة منهم في ليلة ٢٧ و ٢٨ تموز مدينة الحلة ولكن لقوات الانكليزية صدت هجماتهم .

Haldane, Op. cit, p. 125.

(١)

وقد اتجهت جماعة أخرى منهم فاحتلت سدة الهندية دون مقاومة .

وفي اليوم الاول من آب تمكن الثوار ، حوالى الساعة الرابعة صباحاً ، من دخول القسم الجنوبي من مدينة الحلة ، وأخذ اطلاق النار يتبعث من جوانب المدينة ، خاصة بعد ان انسحبت القوات الانكليزية التي كانت عرضة للمهجوم . وبعد فترة وصلت نجدة للمنطقة التي دخل فيها الثوار فتمكنت من صد المهاجمين . ويظهر أن سكان المدينة كانوا متواطئين مع الثوار^(١) . ويقدر هالدين خسارة الثوار بمائة وخمسين قتيلاً . ويقول الدكتور البصير ان عددا من الثوار دخلوا مدينة الحلة فصاروا بحيث لا يمكنهم الخروج من البلدة فأواهم السكان في منازلهم ، واستخدموا الحيل في اخراجهم فكتب السلامة لهم ولم يفقد منهم رجل واحد^(٢) .

ويورد الحسني وفرعون تفصيلات عن استعداد الثوار للمهجوم على الحلة ، وكيف انهم عقدوا اتفاقاً فيما بينهم على أن يهجموا عليها من ثلاث جهات وفق خطة معينة ، ولكن هذه الخطة لم تنفذ ، اذ هجمت جماعة من الثوار وتأخر الآخرون . وكان الاخلال بالاتفاق من قبل بعض الثوار سبباً في فشل الهجوم على الحلة^(٣) .

ويظهر أن فشل الاتفاق لم يكن السبب الوحيد في فشل الهجوم على الحلة ، بل ان استعداد القوات الانكليزية للدفاع عن الحلة رغبة منها في ازالة أثر نكبة موقعة الرارنجية ، ووصول مدد لها من وراء البحار ، وعدم اخلاص بعض القبائل المجاورة للحلة كقبيلة ابو سلطان ، كانت كلها عوامل أثرت في فشل الثوار في احتلال الحلة . ويقول هالدين :

Ibid, p. 127.

(١)

(٢) القضية العراقية ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

(٣) الحسني ، الثورة ، ص ١٤٢ ؛ وفرعون ، ن ٥٠ ، ج ١ ،

ص ٢٦٩ - ٢٧٣ .

« لقد زال قلقي حول الحلة عندما علمت ان حاميتها قوية • ورغبة مني في تقوية معنوية الجند التي تسرب لها بعض الوهن بعد ما حصل في اليوم الرابع والعشرين من تموز [يقصد معركة الرستمية] أمرت بتقوية وسائل الدفاع فيها • ومن حسن الحظ ان قطارا يحمل المؤن قد وصل قبل ان يقوم الثوار بهجومهم »^(١) • يضاف الى ذلك ان هالدين يحدثنا عن قوة قدرها حوالى (١٧٦٦١٧) بين جندي وضابط ، كانت قد وصلت اليه من ما وراء البحار قبل نهاية تموز^(٢) ، أي قبل الهجوم على الحلة •

أما موقف ابو سلطان وتأثيره في فشل الهجوم على الحلة فيظهر من رسالة أرسلها السيد علوان الياصري للامام الشيرازي الذي آله تقهقر الثوار في الحلة فأرسل السيد هبة الدين الحسيني للوقوف على جلية الامر • يقول السيد علوان : « أما حالتنا الحاضرة فكما يحب الله وتحبون ، وان مصادمة الجيش العربي مع القوة المعادية في الحلة ليست أخبارها كما بلغتكم ••• وهالك حقيقتها : مولاي - وردتنا مكاتيب من ابو سلطان تريد الهجوم على الحلة ••• وطبق خطتهم أن يكون هجومهم مما يليهم ويكون هجومنا مما يلينا حتى يكون الهجوم عموميا والظفر من الله ، وبعد هذا الترتيب نحشد جيوشنا للهجوم ، ولكن ويا للأسف ، ان الوضعية من ابو سلطان تغيرت من دون اشعارنا ••• »^(٣) •

الحالة العسكرية في منطقة سدة الهندية :

توجهت جموع الثوار نحو سدة الهندية برئاسة السيد علوان الياصري والحاج عبدالواحد والحاج مرزوك العواد والحاج رايح العطية

Op. cit, p. 127.

(١)

Ibid, p. 107.

(٢)

(٣) الفرعون ، فريق ، ج ١ ، ص ٢٧٠ •

وعلوان الحاج سعدون نحو سدة الهندية ، ذات المركز العسكري المهم ، فأحتلتها ، وأوكلت أمر المحافظة على السدة وتوزيع المياه فيها الى القبائل المجاورة . ولكن الجيوش الانكليزية هجمت على المسيب واحتلته بعد معارك دامية ، وتقدمت نحو سدة الهندية وأعدت احتلالها . وكان لتقاعس القبائل المجاورة في المحافظة على سدة الهندية من الاغلاط العسكرية المهمة . وبعد أن احتل الانكليز السدة أخذوا يهاجمون كربلاء ، ولكن جموع الثوار تصدت لهم بقيادة عبدالكاظم الحاج سكر فردتهم على أعقابهم بعد أن خسروا (١٢٠) قتيلا وكبدوا الثوار (٨٢) قتيلا^(١) . وبقيت الحرب سجالا بين الفريقين حول منطقة السدة طوال مدة الثورة . واتخذ الثوار من الوند مرزبا رئيسا لحرركاتهم .

الوضع العسكري في الكوفة :

سبق أن أشرنا الى اخلال الجهات البريطانية بهندسة الكوفة التي عقدوها مع الثوار بتاريخ ٢٩ شوال سنة ١٣٣٨ هـ ، وبعد ذلك تحصنت الحامية الانكليزية بمدينة الكوفة وبنيت لها استحكامات قوية لتقيها هجمات الثوار . أما الثوار فقد عهدوا الى قبيلة بني حسن حصار هذه الحامية ومنع الطعام عنها حتى تدعن للاستسلام . وقد علق كلا الطرفين المتحاربين أهمية كبيرة على مصير هذه الحامية . وعمدت السلطات الانكليزية الى مختلف الوسائل ل فك الحصار عن حامية الكوفة ولكنها فشلت . كما عمل الثوار كل ما بوسعهم لاجبار الحامية على التسليم ولكنهم فشلوا . وذلك لان السلطات البريطانية كانت تمونها من الجو برمي أكياس الدقيق والادوية عليها . وكان الثوار قد غنموا مدفعا من الانكليز في معركة الرسمية من عيار (١٨) عقدة . وقد نقل المدفع مع قذائفه الى منطقة الكوفة وسلم الى الحاج علوان الحاج سعدون ، قائد الثوار في تلك الجبهة .

(١) الفرعون ، فريق ، ن.م ، ج١ ، ص ٢٧٤-٢٧٧ .

وكان هذا المدفع غير صالح للاستعمال ، اذ ينقصه المغلاق (الابرة) حيث انتزعها البريطانيون قبل أن يتركوا المدفع في الميدان . وقد استطاع الثوار أن يحصلوا على ابرة عن طريق أحد الجنود الهنود من المعسكرات الانكليزية . ويروي علي البازركان تفصيلات عن كيفية حصول الثوار على الابرة وعن استعانتهم بالحدادين المحليين لتثبيتها^(١) . وقد تمكنوا بواسطته من اغراق الباخرة فاير فلاي في ١٧ آب ١٩٢٠ فاستراح الثوار من شرورها لانها كانت مجهزة بمدفعين واثني عشر رشاشا^(٢) . وكان الشاعر الشعبي الشيخ علي البازي^(٣) بهذه المناسبة :

وفاتح النهرين^(٤) منهو اليسره

او يوم يوم الكوفه كسر منوره^(٥)

وبعد ان حطمت الباخرة فاير فلاي لجأت السلطات البريطانية الى سلاحها الجوي لحماية قواتها المحاصرة في الكوفة . وكان تأثير الطائرات بليغا لان الثوار لا يملكون اسلحة لمقاومتها . وكانت هذه الطائرات تصب حممها على الجموع ، غير مبالية بما يكون تحتها من مساجد او معابد ، او نساك ، او زهاد ، او اطفال ، او اراامل ، ولعل افجع ما قامت به ، القاؤها القنابل على النساك والمتعبدين في مسجد الكوفة في يوم ٨ ذي القعدة سنة ١٣٣٨ ،^(٦)

وقد اشارت بلاغات الثوار العسكرية الى قضية اغراق الثوار للباخرة

(١) الوقائع الحقيقية ، ص ١٥٢-١٥٣ .

(٢) الحسيني ، الثورة ، ص ١٥٥-١٥٦ .

(٣) الخاقاني (الناشر) ، ن . م ، ص ١٢ .

(٤) يربد المدفع الذي مهد لجيوش الاحتلال فتح بلاد ما بين

النهرين :

(٥) المنور : الباخرة العسكرية .

(٦) الحسيني ، الثورة ، ص ١٥٦ .

فاير فلای بما یأتی : قال البلاغ الصادر فی النجف بتاريخ ۲ ذی الحجة ۱۳۳۸ تحت عنوان « بشارة » : « صیحة هذا الیوم اطلق مدفعا الضخم نیرانه علی حصون العدو فی الكوفة فتعطل القروازور [الباخرة] الراسی امام دار الحاکم المحصور واغرق . . . » • وقال بلاغهم تحت عنوان « جنایات الطیارات » : « ظهر لنا من جملة حوادث ان الانكلیز اعداء الابریاء والضعفاء فكم ازعجوههم وافلقوهم وكم فكوا بهم وارقوا دماءهم ظلما وعدوانا فما انتهت فاجعة مسجد الكوفة حتی تجددت اخرى لا یقل تأثیرها عن الاولى فحلقت للعدو فی (۲۱) ذی القعدة طیارتان علی بلدة (طویریج) فرمنا علیها ۱۴ قنبلة (من القنابل المتوسطة) فاصابت ۴ منها عشرين عاجزا وبریثا ، نساء واطفالا ۸ جرحی و ۱۲ قتیلا ، اما الست الباقیة فقد سقط اثنان منها نحو الجسر ولم تصبه ، والاربع الاخری حول بیوت الشیخ عمران وکاتبه فالی من نرفع هذه الاعمال المخالفة للقوانین الدولیة •

ثالثا - جهة الدغارة والدیوانیة :

كان معظم رؤساء عشائر عفاك والدغارة ، وعلی رأسهم الحاج مخیف ، علی صلة وثیقة بالعاملین فی الحقل السیاسی بكر بلاء والنجف • وقد وصلت اخبار فتوى الامام الشیرازی لهذه المنطقه • وحدث ان وقعت احدى رسائل الشیخ الشیرازی بید الحكومة فی الدیوانیة ، كما وصل الی علم الحاکم ان العشائر یقیمون المظاهرات الوطنیة ، فرأى الحاکم ان یحث مؤیدی سياسة الحكومة علی توقيع مضبطة یؤیدون فیها استمرار الحكم البریطانی • وسبق ان ناقشت قضیة هذه المضبطة فی مكان اخر من هذا الکتاب • ویرى البصیر ان هدف الحكومة من نشرها تخفیف حدة الوطنین فی بغداد ولكن عمل الحكومة لم یثمر لان الوطنین كانوا علی علم من امر المضبطة • وكان سجن الشیخ سعدون الرسن من بین التدابیر التي لجأت

اليها السلطات البريطانية في الديوانية ، ولكنها عادت فاطلقت لان بقيت الرؤساء امتنعوا عن مراجعة الحكومة . وصادف اطلاق الشيخ سعدون^(١) التسروع في الثورة في الرميثة ، فذهب للوقوف على الحالة هناك . اما الحكومة فقبضت في غيابه على الحاج مخيف وابعده للبصرة ، ثم اخذت بنصح صديقها الشيخ علوان الجحالي الذي تعهد بمعاوتها ، واحرقت بيت سعدون الرسن ونهبت اثاثه ، فما كان من افراد قبيلته الا ان هجموا على الرئيس الخائن فقتلوه ، ثم هاجموا قوات الحكومة وتمكنوا من احتلال مخفر الدغارة بعد ان هرب الحاكم منه^(٢) . وقد ركز الثوار اهتمامهم في قطع مواصلات الانكليز ، ففي ٢٧ تموز اخرجوا قطارا من الخط في محطة قوجان ولم يستطع الانكليز اتقاذه . ويعترف هالدين بأن الثوار سبق لهم ان اخرجوا ستة قطارات عن الخط حاولت ان تقطع المسافة بين الحلة والديوانية^(٣) .

وقد سأت الحالة ليس في الديوانية فقط ، بل في كل مكان خاصة بعد موقعة الرسمية ، ويقول الجنرال هالدين : ان اخبار هذه الحادثة وصلت بغداد بصورة مكبرة ، وان الاخبار التي وصلته تبين ان جميع القبائل حول الحلة امتشقت الحسام ، وان قبائل اخرى كانت على وشك الثورة حالما تقطع مواصلات الانكليز مع الديوانية ، وان شيوخ الديوانية اخذوا ينظمون الى قبائل الشامية التي اعلنت عصيانها في الرابع عشر من تموز . وينتهي الجنرال

(١) كان الشيخ سعدون الرسن من الشجعان المشهورين وممن يجيدون نظم الهوسات فقال مرة في احدى المعارك : سجيل امطر جيت اعليها [عليها] . وقال أيضا مخاطبا الانكليز : چم قيصر گبله اموشمينه ، أي كم ناجزنا من الطغاة قبل الانكليز وأثخنهم بالجراح .

(٢) القضية العراقية ، ج ١ ، ص ٢٢٤-٢٢٦ .

Haldane, Op. cit, p. 129.

(٣)

هالدين كلامه بقوله انه اصبح مقتنعا بضرورة الانسحاب من الديوانية وتركيز القوات في الحلة (١) .

الانسحاب من الديوانية :

ان تردى الاوضاع العامة بالنسبة لسلطات الاحتلال ، كما بينا فيما سبق ، جعل الجنرال هالدين يقرر الانسحاب من الديوانية الى الحلة . ولتركه يتحدث عن الانسحاب من الديوانية وعن المصاعب التي لاقاها جيش الاحتلال اثناء هذه الفترة . يقول الجنرال في صدد الاحتياطات العسكرية التي سبقت الانسحاب من الديوانية : « اصدرت اوامري ، كأجراء احتياطي ، الى الجيوش المرابطة في مناطق الفرات الاعلى لتجتمع في الفلوجة وعندئذ تصبح عند متناول يدي عند الحاجة ومن الجدير بالذكر ان الوضع انما قد تطور بشكل اصبح معه لزاما علينا اما تقرر الانسحاب الاجباري الى بغداد ، واما ان نعرض قواتنا الى التطويق من قبل الثوار . ومن حسن الحظ ان الشيخ علي السليمان رئيس الدليم قد تعهد لنا بحماية هيت حتى نصبح قادرين على اعادة احتلالها . وقد كان الشيخ علي وفهد بك بن هذال وابنه محروث من المخلصين للحكومة طيلة ايام الثورة . وكانوا يستلمون منا مبالغ من المال تجاه هذه الخدمة ، كما كافئناهم اخيرا على حسن خدماتهم للحكومة . وقد مكنتنا مساعدة هؤلاء الشيوخ على تركيز جيوشنا في الرمادي والفلوجة . يضاف الى ذلك ان المعلومات التي وصلتني حديثا افادت بأن مجموعة المنتفك كانت ترقب الحالة في اندليم باهتمام ، فلو ان قبائل الدليم تذبذبت في ولائها لما تأخرت قبائل المنتفك ، التي كانت بمثابة سيف ديمو ، كليس وصلت على رؤسنا لعدة اسابيع ، عن الثورة . ولو فرضنا ان قبائل المنتفك اشتركت بالثورة لاصبحت بغداد محاصرة بسهولة . وفضلا

عن ذلك فإن ثورة المنتفك قد تجر وراءها ثورة قبائل بني لام وربيعه • ومن
المعلوم ان هاتين القبيلتين الاخيرتين تسكنان على ضفاف دجلة ، وان اشتراكهما
بالثورة ينجم عنه انقطاع خط مواصلاتنا الوحيد الذي لم يعسرقل سيره
الثوار • « (١)

وفي ٣٠ تموز ١٩٢٠ قرر الجنرال هالدين سحب قواته من الديوانية
وكانت الطائرات تحمي الجيش المنسحب • وقد مر اليوم الاول من عملية
الانسحاب دون ان تتعرض فيه اقوة المنسحبة الى الخطر • وما كادت القوة
تصل الى محل يعرف بـ « ابن علي » حتى علمت ان سكة الحديد قد خربت
على مسافة (٣٥٠) ياردة ، وان الثوار قد خربوا جسرا من الجسور التي يمر
عليها القطار • وقد لاقت القوة الانكليزية صعوبات كثيرة • وكلما تقدمت
الى الشمال ازدادت هذه الصعوبات الى حد ان القطار لم يستطع ان يقطع
اكثر من خمسة اميال في اليوم الواحد • وقد عمدت القوة المنسحبة الى
احراق القرى المجاورة وعدتها مسؤولة عن تخريب سكة القطار ، كما انها
قذفت القرى البعيدة بالقنابل • واستطاع قسم من القوات الانكليزية ان
يتقدم ، ولكن تجمع الثوار جعله يتراجع الى « قوجان » • وفي اليوم
الرابع استأنف الجيش حركته للامام وكان طول القطارين اللذين يقلانه
حوالى الميلىن • وقد ظهر له ان الخط الذي تم اصلاحه في اليوم السابق قد
خربه الثوار فكان ذلك سببا لخروج الناقلات الثقيلة وعربات النقل عن
الخط • ومن الجدير بالذكر ان الحرارة الشديدة وسرعة اصلاح الخطوط
سببا اعوجاج الخط ثم خروج ماكنة القطار عنه وسقوطها • وكان لسقوط

(١) يقول آيرلند على الص ٢١٠ من كتابه الموسوم بـ « العراق »
« عندما ضغطت الحكومة على امير ربيعة بدفع ما كان مستحقا عليه من
الضرائب في سنة ١٩٢٢ ، افاد بأنه قد وعد من قبل البريطانيين في سنة
١٩٢٠ بان يعفى من الضرائب لقاء مساعدتهم في ايقاف انتشار الثورة في
وادي دجلة ، وهو وحده الذي حال دون نشوبها هناك » •

المالكة آثار بالغة الضرر ، لان الثوار اغتتموا فرصة اشغال القوات الانكليزية باصلاح الخط ، فخرّبوا جزء جديدا لم يسبق لهم ان خربوه ، الامر الذي ادى الى تأخير سير القوة ليومين . وقد اغتتمت القوات الانكليزية فرصة التأخير فهاجمت القرى المجاورة ، ولم تحدث لجيشهم اصابات في هذا اليوم لاول مرة . وكان السير بطيئا في اليوم الخامس ، نظرا لكثرة الاضرار التي احدثها الثوار في سكة الحديد . وكان قواد الجيش يتوقعون ان يكف الثوار عن هجومهم بعد ان وصلت القوات الانكليزية الى الجربوعية ، ولكن الثوار استمروا في هجومهم .

وحاول الثوار في الرابع والعشرين من تموز ان يحرقوا جسر الجربوعية ولكن محاولتهم هذه كان نصيبها الفشل . وفي صباح هذا اليوم اشتبك الثوار مع القوات الانكليزية وكبدوها (٧٠) قتيلا بينما كانت خسائر الثوار حوالى (٥٠) قتيلا . والتحم الثوار مع الجيش الانكليزي في الحمزة فقتلوا (١٤) جنديا وجرحوا آخرين . وفي الوقت الذي كانت فيه عمليات اصلاح سكة الحديد قائمة على قدم وساق كانت القوات الانكليزية منهكمة في احراق جميع القرى الواقعة في جوار الجربوعية . واستطاعت القوات الانكليزية اخيرا ان تصل الى الحلة^(١) .

وقبل ان اختتم البحث عن جبهة الديوانية اورد ما قاله الجنرال هالدين في هذا الصدد . يقول الجنرال هالدين : « في الوقت الذي كان فيه تجمع جيوشنا في الحلة يسير بنجاح ، تلك العملية التي يتوقف على نجاحها بقاؤنا في العراق وفي الشمال الغربي من ايران ، صممت على ان اضحي بكل شيء في الديوانية سوى التجهيزات اللازمة لقواتنا اثناء تراجعها ... ومن الطبيعي ان يكون تأخر الجيش اثناء الانسحاب من الديوانية مدعاة لاثارة القلق في نفسي ، لانني كنت ارغب ان تجتمع جيوشنا في الحلة باسرع وقت

Haldane, Op. cit, p. 131 — 38.

(١)

ممكن • يضاف الى ذلك كنت اخشى ان يتعرض جيشنا الى الخطر بسبب تأخر عملية الانسحاب من الديوانية الى الحلة ، لان الثوار اخذوا يتلفون سكة الحديد في كل مكان • وكان من المحتمل ان العرب ينجحون في اتلاف سكة الحديد الامر الذي يؤدي الى انعزال قوات كونتكهام بين الحلة والديوانية • «^(١) ويقول الجنرال هالدين عن عملية الانسحاب هذه في مكان آخر : « لم تمر بي فترة مزعجة خلال حياتي العسكرية شبيهة بفترة الاثني عشر يوم التي مرت بين كارثة قوة منجستر ووصول قوة كونتكهام الى الحلة ••• لقد باشرت الحرب منذ ١٩١٤ حتى انعقاد الهدنة في الجبهة الغربية ، ولم اترك الجبهة الا لفترات قصيرة • وكانت جيوشنا في اغلب الاوقات تعمل في ظروف خطيرة • ورغم كل ذلك ، فإن الايام الاثنا عشر من سنة ١٩٢٠ في بغداد ، والتي هي بمثابة الاثني عشر سنة ، تفوق كل ما حل بي من مضايقات سابقة ••• وكان الوضع حرجا ليس لهذه الفترة حسب بل لمدة طويلة • وكانت مناظر حصار الخرطوم وسقوطها ماثلة امامي في كل حين »^(٢) .

الحكومة تفاوض الثوار :

سبق ان اشرنا الى انتقال الزعامة الدينية الى شيخ الشريعة بعد وفاة الامام الشيرازي في الثالث من ذي الحجة ١٣٣٨ هـ - ١٣ آب ١٩٢٠ م ، فرأت الحكومة ان تبدأ بفتح باب المفاوضات مع الزعيم الديني الجديد • ويقول البصير بصدد المفاوضات : « بينما كانت الثورة بالغة اشدها ••• اذ بالحاكم الملكي العام يرسل الى شيخ الشريعة الاصهباني بمناسبة تقلده الزعامة المذهبية الكبرى للامامية على اثر وفاة الشيرازي ، كتابا يطلب فيه

Op. cit, p. 128 — 9.

(١)

Ibid, p. 139.

(٢)

الدخول في مفاوضات تمهيدية لحل المشكلة ...» (١) . اما الحسنسي فيعمل
رغبة الحكومة بالمفاوضة بأنها ناتجة عما كان يتوقعه الحاكم « من امتداد
الثورة الى مناطق جديدة ، او الى احتمال اشتراك عناصر اخرى من رجال
اقبال (٢) فيها ، الامر الذي يجعل اخمادها امرا صعبا ... بالنظر الى ما
اظهره الثوار من الشجاعة ... لا سيما وقد اعلنت بريطانيا رأيتها في
مستقبل العراق ، وطريقة الحكم فيه بعد اندلاع لهيب الثورة ...» (٣)

واليك فقرات من كتاب نائب الحاكم الملكي العام المؤرخ في ١٣ ذي
الحجة ١٣٣٨ الموافق ٢٠ آب ١٩٢٠ .

١ - « ان المقام الرفيع يستوجب التعزية والتسليسة ، لا التبريك
والتهنئة ، في هذه الايام ، نظرا الى المصائب التي انتابت العراق وسائر
الممالك ، وكان هذا من آراء سلفكم المرحوم العلامة المبرور المرزا محمد تقي
الشيرازي ... الذي عبر في احدي مفاوضاته الاخيرة انه يريد الصلح
بين الحكومة والملة ... » ٢ - اشار الى ان الحكومة الانكليزية اعتمدت
« دائما على الارقان الثلاثة وهي : الرحمة ، والعدل ، والتسامح الديني ... »
٣ - يقول ان اهل « العراق قبلوا الدولة الانكليزية وكانوا مسرورين من
ابقاء جيوشها في هذه البلاد ... ولكن لما رأى بعض المفسدين (كذا)
والمعرضين ذلك التقيص في جيشها ، قاموا يشوشون الازهان ... »
٤ - اشار الى قوى الفريقين المتحاربين « وما هي الحالة الان ؟ هي ان

(١) البصير ، القضية ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .

(٢) يقول هالدين على الص ١٢٤ من كتابه سالف الذكر : ان عدد
الثوار قبل نهاية تموز قد ارتفع حتى بلغ (٨٥) ألف مقاتل ، وكان أقل
من نصف هؤلاء مسلحين ببنادق صالحة للاستعمال ، ولكن عدد الاسلحة
الحديثة لم يتجاوز عشر هذا العدد ، ولم يقف عدد الثوار عند هذا الحد ،
بل ازداد حتى قدر في ٣٠ آب ب (١٣١٠٢٠) مقاتلا .

(٣) الثورة ، ص ١١٥ .

العشائر العراقية في حالة الحرب ، وقوية ، ولكن عددها قليل ، وليس لها من الدراهم الا القليل ، ولا توجد وسائل لاختراع الآلات الحربية •• ولا يمكنها ان تحصل على المعونة من الخارج ، واذا لم ترجع الى زراعتها ، فانها ستلتف وتموت جوعا ••• بعكس الحكومة ، فان قوتها كانت في مبدء الامر قليلة ••• ولكن الان ترد المراكب للبصرة في كل يوم ، حاملة العساكر ، والمدافع ••• وسائر ما يلزم للاعمال العسكرية ••• » •

٥ - لقد عين ممثل الحكومة في المفاوضات ، كما طلب من الشيخ الاصفهاني ان يسمى المندوب او المندوبين الذين سينوبون عن الثوار • ٦ - اشار الكتاب الى ان الحكومة « ستجازي بعض المشايخ وغيرهم الذين ظللوا بالناس ••• » •

التوقيع

اللفتنت كولوئيل السر آرنولد ولنسن

الحاكم الملكي العام في العراق

وقد طبعت الحكومة المحتلة آلاف النسخ من هذا الكتاب ، ووزعته بواسطة الطائرات على جموع المحاربين في سائر جبهات القتال ، كما نشر في الجرائد العراقية^(١) •

ويقول الحسني ان كتاب الحاكم الملكي العام احدث « ضجة عنيفة في مناطق الثورة وخلق آراء متضاربة لم يكن بالامكان التأليف بينها ، كما لم يكن بإمكان شيخ الشريعة ان ينفرد بالامر ، كأن يجيب طلب الحاكم العام ، او يرد عليه بأي شكل من الاشكال ، ما لم يكن هذا الجواب مستندا الى رأي سديد يؤيده الزعماء ، ويرض به قادة الثورة على السواء • » وقد انقسم الناس الى شطرين : الاول ، وكان يرى ضرورة المفاوضات ، اما الثاني فكان يصر على الاستمرار بالحرب • وقد ايد الفريق الثاني معظم زعماء الثورة الذين اشتبكوا مع الجيوش المحتلة ، يدفعهم في ذلك الخوف

(١) الحسني ، الثورة ، ص ١١٨ •

من عقاب الحكومة التي لمحت حول فرض عقوبات على هؤلاء من جهة ،
واملهم بالنصر من جهة اخرى ، لا سيما ان الكثير منهم يجهل قوة بريطانية
واصرارها على البقاء في هذه البلاد بشكل سافر او بصورة غير مباشرة ، كما
حصل ذلك بعد التسوية التي تمت بعد اخماد الثورة . ويظهر ان هذا
الفريق قد لجأ الى اثارة العواطف فأتهم الجماعة التي تؤيد المفاوضة بالمروق ،
كما صدر بياناً اكد فيه ان « لا مفاوضة قبل الجلاء » . وقد رجحت كفة
هذه الجماعة بعد ان قرر الزعماء الذين يتألف منهم « المجلس الحربي
الاعلى » رفض الدخول في المفاوضات . وما كاد رأي القائلين بمواصلتة
الحرب يتغلب حتى اجاب شيخ الشريعة الحاكم الملكي العام بجواب ذي
لهجة شديدة لا يتناسب وامكانيات الثوار قال فيه : (١) ان مطالبة العراقيين
بالاستقلال معروفة لديكم ولا يمكن تدارك الامر الا « باعطاء العراقيين
حقوقهم ، التي طالبوكم بها مطالبة سلمية ، فايتم الا اغتصابها . . . » .
(٢) عاتب الحاكم عتاباً مرا حول تعريض الحكومة بسلفه الامام الشيرازي
وحول اعتقادها بأن المصائب التي حلت بالعراقيين كانت نتيجة لآرائه .
(٣) فند ادعاء الحكومة البريطانية فيما يتعلق باعتمادها على الاركان الثلاثة :
« وهي الرحمة ، والعدل ، والتسامح الديني » وقال : « فاما الرحمة فهي
مقابلتكم الامة العراقية ، عند مطالبتها باستقلالها ، بسوق الجيوش الجرارة
عليها ، وقتل الرؤساء ، ونفي العلماء . . . ورمي النساء والاطفال بأنواع
النيران ، وحرق بيوت ، واموال ، ومزارع جميع من امتنع عن الاقرار
بوصاية الانكليز ، وطالبكم بتأسيس الحكومة العراقية ، وهتك الاعراض ،
ومصادرة الاموال . . . خلافا للقوانين الموضوعة . . . واما العدل فالقتل
والاعدام لغير جرم ، وبدون محاكمة . . . واما التسامح الديني فهو
رمي الطائرات ، والسيارات المدرعة ، والمساجد ، وقتل المتعبدين ، والنساء
والاطفال ، وتشكيل الادارة العرفية لمعاينة من يتصدى الى عقد مجلس

لقراءة منقبة النبي (ص) في المساجد ، او ماتم عزاء الامام الحسين عليه السلام « (١) » .

التوقيع

شيخ الشريعة الاصفهاني

٢ محرم ، ١٣٣٩ هـ

ويستطيع الباحث ان يستنتج من مناقشة محتويات رسالة الحاكم وجواب شيخ الشريعة لها ان اللهجة السلمية الهادئة لم يستعملها المرسل ولا المجيب . ويقول البصير في صدد رسالة الحاكم : « ان ولسن عاد الى طريقته التي تعود الجري عليها وهي الشدة فشنع ذلك الطلب بالوعيد والتهديد » . « (٢) » اما الحسنسي فيقول ان لهجة ولسن كانت بعيدة عن القصد السياسي الذي كان يهدف اليه « فلم يكن من الحكمة ان ينعت الثوار بالمفسدين ، ولا الزعماء بالمشوشين ، وان التهديد والوعيد ، الذي تضمنه لبعض الزعماء كان سببا مباشرا لاجباط مشروع المفاوضة » .

اما جواب شيخ الشريعة فهو كما يقول الحسنسي : « خطيئة كذلك ، اذ كان عليه ان يغتم الفرص ويعتبر الكتاب طلبا صريحا لمفاوضة الصلح ، وينقذ النورة من هزيمة كانت مؤكدة » (٣) .

ويقوم جواب شيخ الشريعة السلبي على طلب الحكومة بالمفاوضة كدليل على قلة الخبرة السياسية لدى قيادة الثورة التي انيطت بالدرجة الاولى بالروحانيين رغم قلة خبرتهم بأمور السياسة ومراميتها البعيدة . يضاف الى ذلك ان صيغة جواب الثوار تدل على عدم تقديرهم لقوة عدوهم وغزارة موارده بالقياس الى مواردهم المحدودة .

(١) الثورة ، ص ١٢١ .

(٢) البصير ، ن ٠ م ، ج ١ ، ص ٢٥٤-٢٥٥ .

(٣) الحسنسي ، ن ٠ م ، ص ١٢١ .

رابعاً - جبهة الرمادي (الدليم) :

لم تقم في هذه المنطقة حركات عسكرية مهمة ، ومرد ذلك الى ان كثيرا من سكانها من البدو الرحل الذين كان تقديهم بالواجب الوطني والديني ضعيفا . وكان معظم شيوخ العشائر في هذه المنطقة مخلصين للحكومة . ومن اشهر هؤلاء الشيخ علي السليمان رئيس الدليم والشيخ فهد بن هذال رئيس عنزة . وقد سبق ان اشرنا الى بعض خدماتهما للحكومة . ولم يقف الشيخ علي وصحبه موقف الحياد حسب بل ساعدوا الحكومة^(١) . وقد شكر الجنرال هالدين جهود هؤلاء الشيوخ ومدح خدمتهم للحكومة^(٢) . ويعزو الحسني قلة مساهمة هذه المنطقة في الثورة الى عاملين : احدهما موقف الشيوخ المناوئ وثانيهما ، انشغال الراويين والعانيين بمنازعاتهم الداخلية . وقد استغلوا انشغال الحكومة بمكافحة الثورة فأخذوا يشنون الغارات على بعضهم البعض .

وبالرغم من كل ما سبق ذكره من عوامل الانتكاس ، فإن بعض اجزاء لواء الرمادي اسهمت في الثورة اسهاما مهما . وكان الشيخ ضاري^(٣) المحمود رئيس عشيرة زوبع على رأس الثائرين في هذه المنطقة . وفي مرة دعاه الكولونيل لچمن Leachman حاكم لواء الرمادي (الدليم)

(١) أورد الشيخ فريق الفرعون على الص ٣١٦ من الجزء الاول من كتابه الموسوم بـ « الحقائق ٠٠٠ » تفصيلات عن موقف الشيخين علي السليمان وفهد بن هذال من الثورة .

Op. cit, p. 105 — 6.

(٢)

(٣) ذكر الحسني على الص ١٦٣-١٦٤ من كتابه الموسوم بـ « الثورة » ان الشيخ ضاري المحمود كان معروفا بمناوئته للانكليز . وعندما أصدر السير برسي كوكس العفو العام بعد الثورة ، استثنى الشيخ ضاري من ذلك العفو ، فبقي الشيخ ضاري طريدا . وفي ١٩٢٧ قبضت عليه الحكومة وحكم عليه بالاعدام ، ثم ابدلت الحكومة عقوبته الى السجن المؤبد . ولكنه لم يلبث طويلا في السجن حتى توفي فأكبر الناس وفاته .

لقابلته في « خان النقطة » فحضر الشيخ ومعه ولداه « خميس وسلمان » • وقد جرت في اثناء المقابلة مناقشات بين الحاكم والشيخ • وبينما كان الحاكم يتحدث بلغه ان عصابة مسلحة سلبت سيارة في الطريق فأوكل الحاكم تعقيب الجناة الى الشيخ ضاري • فخرج الشيخ ثم عاد هو وابناء عمه فاطلقوا النار على الحاكم وقتلوه^(١) •

وكان لمقتل لچمن اثر سيء في نفس الحكومة ببغداد^(٢) لانه كان مطلعاً على احوال البلاد اطلاعا واسعا • وعلى اثر حادثة مقتل لچمن انقطعت المواصلات بين الفلوجة وبغداد وصار موقف القوات الانكليزية المرابطة بافلوجة والرمادي حرجا للغاية • ورأت الحكومة ان ترسل ثلاث بواخر لحماية الفلوجة • وكانت واحدة منها حربية تصحبها باخرة للحماية واخرى صحية •

وقد هاجم الثوار في ١٥ آب هذه البواخر على مسافة خمسة اميال من الرمادي ولكن رصاصهم لم يؤثر فيها • ثم هوجمت مرة اخرى قرب الفلوجة فاندفعت واحدة منها نحو الجزيرة واستقرت على رمالها المتراكمة • اما الباخرة الدفاعية فانها واصلت اطلاق النار الى ان قل عتادها عند الظهر ، وعندئذ هاجمها حوالي (٥٠٠) من الثوار واضرموا النار فيها • وبعد هذه الحادثة باتت بغداد مهددة بخطر الحصار ، لان الثورة شملت معظم انحاء لواء ديالى وخيم جماعات من الثوار في الفرات الاوسط على مقربة من المسيب وشرعوا بمهاجمة المحمودية^(٣) • وتحت ظروف كهذه ، اصدر الجنرال هالدين اوامره باتشاء الحصون حول بغداد^(٤) • وقد غالت الحكومة في

(١) الحسيني ، الثورة ، ص ١٦١ •

(٢) وهوس أحد الثوار بهذه المناسبة : هز لندن ضاري وبجائها

[أبكها] •

(٣) الفرعون ، فريق ، ن ٣٠ ، ج ١ ، ص ٣٠٧ •

(٤) البصير ، ن ٣٠ ، ج ١ ، ص ٢٥٣ •

عقاب الشيخ ضاري وعشيرته فهي بعد ان انتصرت عليه احرقت مزارعه ونهبت بيوته وقتلت النساء والاطفال ، ثم سدت المياه عن مزارع الشيخ ضاري وعشيرته^(١) .

خامسا - جبهة لواء ديالى :

لقد كان لتدابير حاكم ديالى السياسي اثر في التعجيل بالثورة في تلك المنطقة . وقد رأى هذا الحاكم ان يجمع رؤساء العشائر في حاضرة اللواء بحجة البحث في قضية سلب بسيطة . وبعد ان حضروا امرهم الا يتركوا البلدة الا بأذن منه ، ثم ما لبث ان اذن لهم ولكنه استثنى الشيخ حبيب الخيزران شيخ قبيلة العزة . وبعد فترة استأذن الشيخ المذكور الحاكم بالذهاب الى بغداد فأذن له ، وهناك اتصل الشيخ حبيب ببعض العاملين في الحقل الوطني فاتفقوا معه على ضرورة القيام بالثورة في ديالى ، وحيث ان يصعب على الحكومة نقل الجيوش من بلاد ايران لمنطقة الفرات الاوسط . فما كاد الشيخ حبيب يفتتح بهذه الفكرة حتى سافر الى منطقته واتفق مع رؤساء العشائر المجاورين على مهاجمة بعقوبة . وقد نجم عن هجومهم هذا ، احتلال بعقوبة واخراج الحاكم منها . وكانت افكار الاهلين مهياة للثورة نتيجة للدعاوة التي تولى نشرها السيدان حبيب العيدروسي ومحمود الشولى والسيد صالح الحلبي الذي قبضت الحكومة عليه عندما كان يهيج الناس اثناء حفلات المولد النبوي كما اسلفنا سابقا .

اما حاكم دلتاوة فقبض عليه الشيخ حبيب الخيزران واسره . وقد اخبر الشيخ حبيب الدكتور البصير ان الحاكم المذكور قدم له (٤٠) الف ربية كرشوة ولكن الشيخ رفضها . ويظهر ان معاون الحاكم السياسي في شهر بان رفض التسليم ، فالتحم مع الثوار ولكنه غلب على امره بعد ثلاثة

(١) الفرعون ، ن٠م ، ج ١ ص ٣١٥ . و

Haldane, Op. cit, p. 174.

ايام وقتل مع عدد من اتباعه^(١) . وكان للسيد محمد الصدر جهود في تهيج اهالي ديالى على الثورة ، اذ « ان دلتاوة رضخت مدة لنفوذ السيد محمد الصدر الذي جعلها مقرا له بعد ان حاولت الحكومة القاء القبض عليه في بغداد في ١٢ آب ، ومنها اخذ يشجع الثوار وخصوصا في سامراء »^(٢) . وقد اورد عباس علي والشيخ فريق الفرعون تفصيلات وافية عن جهود الصدر في لواء ديالى ولكني لا اميل الى تأييد كل ما جاء في روايتهما^(٣) .

وكانت معسكرات الآثوريين الذين نزحوا من « اورمية » واقعة بالقرب من جسر ديالى . وقد استخدمهم الانكليز لمحاربة الثوار في هذه المنطقة ، فلبوا نداء الحكومة وسبوا مضايقات كثيرة للثوار . وفي مرة بعث لهم الحكومة قطارا يحمل العتاد والسلاح فنسفه الثوار ولكن الآثوريين حالوا بين الثوار وبين الغنيمة . وقد تكبد الآثوريون خلال هذه العملية (٤٥) قتيلًا ، وتقدر خسارة الثوار بمثل هذا العدد . وبعد فترة تمكنت الحكومة من اعادة احتلال بعقوبة ، ونكلت ببعض الثائرين . وعندما علم احد الضباط ان القاضي كان يحرض الناس على الثورة قصده الى منزله وقتله هناك^(٤) .

وتقول المس بيل احدثت الثورة « في ديالى انطباعا سيئا في نفوس وجهاء بغداد الذين يملك معظمهم مقاطعات زراعية واسعة على جداول ديالى . حيث ان القبائل لم تتردد في وضع يدها على مخازن حبوبهم وعلى حاصلات بساتينهم ، فأدى عملهم هذا الى انقلاب غريب في شعور اولئك

(١) البصير ، ن.م ، ج ١ ، ص ٢٣٥-٢٣٧ .

(٢) آيرلند ، العراق ، ص ٢٠٨ .

(٣) علي ، عباس ، زعيم الثورة العراقية ، بغداد ،

ص ٩٤-٩٣ ؛ الفرعون ، فريق ، ن.م ، ج ١ ، ص ٣٣٠ .

(٤) الحسنی ، الثورة ، ص ١٦٧ .

الذين اشتركوا في الحركة الوطنية في مراحلها الاولى . ولم يكن تقييد بغداد بعيدا عن الانصاح عن الرأي العام عندما قال : « لقد رأينا ما لم نره من قبل ، وقد تعلمنا من ذلك اشياء كثيرة . » (١) .

سادسا - جبهة الناصرية (المنتفك) :

كانت قبائل المنتفك كثيرة العدة والعدد (٢) . وكان الجنرال هالدين يخشى ان ثورتها قد تجر وراءها ثورة قبائل بني لام وربيعة وحينئذ يصبح الخط النهري بين بغداد والبصرة في خطر محقق (٣) . وبالرغم من اهمية هذه المجموعة من القبائل فانها لم تسهم اسهاما فعلا في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ . وتعود هذه الظاهرة لاسباب نجملها بما يأتي : اولا - ان بعض هذه القبائل قد انفقت كثيرا من طاقتها وامكانياتها خلال الحرب العالمية الاولى سواء باشتراكها في حركة الجهاد بالشعبية ، او في صدها الجيوش الانكليزية الزاحفة عن طريق الغراف بغية رفع الحصار عن الكوت . وقد نجحت قبيلة الزبيرج وغيرها من القبائل الساكنة بين الشطرة والناصرية في منع جيوش الاحتلال من التقدم من الناصرية الى الكوت . وقد سبق ان اشرنا الى ذلك في فصل سابق من هذا الكتاب . وقد قل شاعر آل اذيرج الشعبي يخاطب احد قواد الانكليز هاملتن

يهاملتن تسدب (٤) لا تزومش دوم
ذوله افروخ الازرك موش اهل ملموم (٥)
بسنگي معاك انريد نصفى اليوم
رد لا تدهده ابحلگ آفه

(١) فصول ، ص ١٦٥ .

Haldane, Op. cit, p. 215. (٢)

Ibid, P. Lob. (٣)

(٤) أي تأدب ولا تغتر .

(٥) أي انهم من قبيلة واحدة يشد بعضهم أزر بعض ولا يوجد

غريب بينهم .

وقد يكون السبب في موقف بعض العراقيين هذا خلال فترة الحرب الاولى هو ضعف التوجيه والقيادة عندهم . اذ نراهم يتأثرون بالعواطف الدينية ويبدلون جهودا ، كان الاولى ان يدخروها لوقت الحاجة ، في حركة الجهاد في الشعبية ، وفي معاونة الترك بحربهم مع الانكليز ، دون ان يتأكدوا من الفائدة التي تعود على قضيتهم من وراء ذلك .

ثانيا - لقد عملت الاموال الانكليزية عملها في نفوس بعض رؤساء القبائل فوقفوا من الثورة موقفا فاترا يشوبه التردد وعدم المبالاة .

ثالثا - لقد وقف الشيخ خيون العبيد^(١) رئيس قبيلة العبودة من الثورة موقف المتفرج . وكان لموقفه هذا اثر كبير في شل حركة الثورة في الغراف لاهمية قبيلته العسكرية من جهة ، ولاهية الموقع الجغرافي الذي تحتله من جهة اخرى . وكانت قبيلة الشيخ خيون تقطن في موقع يفصل بين عشائر الغراف وعشائر الناصرية لذا كان لاشتراكها بالثورة اثر معنوي وعسكري في توحيد بقية القبائل ضد القوات الانكليزية المحتلة .

وعندما سألت المرحوم الشيخ موحان الخير الله عن الاسباب التي حالت دون اسهام قبائل المنتفك اسهاما فعالا في الثورة قال ما معناه : ان الشيخ خيون العبيد^(٢) كان غير مؤيد لفكرة الثورة وعندما طلبنا منه ان يتحد معنا لمهاجمة

(١) يقول الجنرال هالدين على الص ٢٢٠ من كتابه سالف الذكر ان الشيخ خيون العبيد لم يصغ لنداء الجهاد الذي أعلنه العلماء ضدنا ، واحتفظ بولائه لنا حتى الاخير . ويرى الجنرال هالدين ، على الص ٢٩٠ ، ان جهود الشيخ المذكور كانت السبب الرئيسي في عدم توسع الثورة وشمولها لمنطقة شط الحي (الغراف) .

(٢) يقول الحسني ، على الص ١٧٠ من كتابه الموسوم بـ « الثورة ... » ان رسالة وردته من أحد الثقات في المنتفق جاء فيها : « فلما عادت السلطة البريطانية [يقصد بعد نهاية الثورة] كافات خيوناً بمائة ألف روبية فأبى قبولها فمئحته مقاطعة الصديفة الاميرية » . (٧)

قاعدة الانكليز في الناصرية اعتذر عن ذلك . ثم لما سأله عن السبب الذي دعاهم الى عدم تجاهل الشيخ خيون والهجوم على افراد . قال : انا تحركنا فعلا من الرفاعي الى الشرطة في طريقنا الى مهاجمة الانكليز في الناصرية ، ولكننا لم نستطع ان نتعدى الشرطة (مركز الشيخ خيون) ونهاجم الانكليز خوفا على مؤخرتنا من جهة ، ومن جهة اخرى فان مراكز تمونينا ستكون بعيدة ولا نعرف بالضبط موقف عشائر العبودة في حالة انكسارنا امام الانكليز . ولقد استفسرت من الشيخ ابراهيم اليوسف ، احد زعماء بني ركاب ، عن اسباب عدم اسهام عشائر المنتفك اسهاما تاما في قتال الانكليز فأيد رواية الشيخ موحان السابقة حول موقف الشيخ خيون من الثورة ولكنه لم يؤيد مخاوفه حول احتمال انقضاء عشائر الشيخ خيون على جموعه في حالة الانكسار . ويعلل الدكتور البصير تقاعس الشيخ خيون بانشغاله في قضية نزاع محلية نتجت عن قتل الشيخ عبدالله الياسين رئيس قبيلة مياح لاخته محسن^(١) . ويظهر ان تعلق الشيخ خيون بقضية مقتل الشيخ محسن مسألة فيها نظر اذ ان حادثة القتل سالفة الذكر حصلت ، كما اشار البلاغ الرسمي الصادر بتاريخ ٢٣ ايلول ١٩٢٠ ، بعد قيام الثورة باكثر من شهرين فلا يمكن ان تكون سببا في اشغال الشيخ خيون عن الاسهام في الثورة^(٢) . ويظهر ان سيادة الشيخ علي الشرقي ، الذي كان من مستشاري الشيخ خيون في ذلك العهد ، كان يشاطر الزعيم المذكور رأيه في عدم الثورة على الانكليز . وقد قال لي من اثق بروايته انه كان حاضرا في المجلس الذي دار فيه الحديث التالي بين الشيخ عبيد الخنفر ، احد رؤساء بني ركاب ، وسيادة الشيخ علي الشرقي في بيت الحاج خيون في الشرطة : قال الشيخ عبيد لسيادة الشرقي اني اتهمك في تعطيل حركة الجهاد ضد

(١) ن.م ، ج ١ ، ص ٢٧٠ .

(٢) جريدة « العراق » العدد (٩٧) ، ٢٣ ايلول ، ١٩٢٠ .

الانكليز واني سأشكوك ان شاء الله عند الامام الشيخ محمد تقي الشيرازي •
ومن غريب الصدف ان الشيخ عبيد الخنفر كان من اوائل القتلى بطائرات
الانكليز قرب الناصرية بعد ان سافر مع قبيلته لجهادهم بعد ايام من هذه
الحادثة •

وبالرغم من العراقيل التي وضعت في وجه الثورة ، اسهمت بعض
مناطق لواء الناصرية اسهاما غير منكور في قتال الانكليز اثناء ثورة العشرين •
وقد اشار الحسيني بصورة خاصة الى جهود ما اسماهم المبشرين الوطنيين
امثال الشيخ باقر الشيبسي والسيد عبدالمهدي المنتفكي والشيخ محمد حسن
حيدر وعبدالكريم السبتي وغيرهم^(١) • وقد اورد الشيخ فريق الفرعون
تفاصيل وافية عن جهود سيادة السيد عبدالمهدي المنتفكي في تحريض الناس
على الجهاد ضد السلطات المحتلة^(٢) •

حدثني الشيخ ابراهيم اليوسف ان ما يقارب (٣٠٠٠) مجاهد من بني
ركاب عسكروا حول الشطرة لمدة اسبوع بانتظار التحاق الشيخ خيون
وعشائره بحركة الجهاد • ولما ظهر انه لا ينوي السفر توجه المجاهدون
نحو الناصرية بينما رجعت عشائر الشيخ موحان الخير الله الى الرفاعي كما
اسلفنا • وقد واصل الثوار سيرهم حتى عسكروا بالمناطق المجاورة للناصرية •
وبالرغم من ان عشائر الزبيرج والحسينات لم تكن جادة في قتال الانكليز
فأنها لم تعرقل جهود الثوار • فأباحت لهم الاختباء بمزارعها وسمحت لهم
باطعام حيواناتهم من مزارع الذرة التي كانت على وشك النضج حينذاك •
ويستمر الشيخ ابراهيم بروايته فيقول ان الحاج مرزوك الرويح ومحمد
الصالح وعبيد الخنفر ، الذي كان نصيبه ونصيب زميله محمد الصالح القتل

(١) الثورة ، ص ١٧٠ •

(٢) ن ٣٤٠ ، ج ١ ، ص ٣٤٠ •

برصاص الانكليز ، كانوا اكثر زعماء قبيلة بني ركاب تحمسا للجهاد . ويقول اتنا بقينا هناك حوالي ستة اسابيع نهاجم القوات الانكليزية المعسكرة بجوار الناصرية في الليل غالبا اذ ان الطائرات كانت تشل حركتنا في النهار ولم نستطيع الدخول الى مدينة الناصرية لان الشيخ عجيل التويلي وجماعته من رؤساء الحسينات والزييرج حذرونا من ذلك بحجة الخوف على اضطراب الامن في البلد . وكانت جماعة كبيرة من قبيلة بني زيد برئاسة سليمان الشريف معسكرة بالقرب من بني ركاب ويقبول الحسيني ان جماعات من المسلحين من قبائل خفاجة والزييرج واهل الشطرة وبني سعيد مكتوا زهاء اربعة اشهر يهاجمون الناصرية بين الفينة والفينة دون نجاح . وكان يصحبهم الشيخ عبدالحسين مطر ذلك العالم الديني الذي ضرب مثلا في رباطة الجأش^(١) .

اما حركة الثوار في مدن الغراف نفسها فكانت مقتصرة على مقاطعة العشائر للحكومة مقاطعة تامة فلم يراجعوا دوائر الحكومة ولم ينفذوا لها امرا . ويظهر ان الحكام لما شعروا بتأزم الحالة في المنتفق هربوا من المدن خوفا على انفسهم . ويقول البلاغ الرسمي الصادر في ٢٨ تموز ١٩٢٠ ان الموقف اصلح قليلا في لواء الحلة « وقد ظهرت الاختلافات بين القبائل وبدأوا يدركون انهم آله صماء في يد الآخرين وقد غادر معاون حاكم كربلاء السياسي تلك المدينة والسكون سائد على دجلة وفي ولاية الموصل والحلة حرجة في لواء المنتفق »^(٢) . ويظهر ان الحالة ازدادت حرجة في هذه المنطقة فنصحت الحكومة حاكم قلعة سكر كرافورد Crawford ان يترك المدينة في منتصف ذي الحجة ١٣٣٨ هـ بعد ان فشل

(١) الثورة ، ص ١٧٠ (ز) .

(٢) العراق ، السنة الاولى ، العدد (٥٢) ٣١ تموز ، ١٩٢٠ -
١٥ ذي القعدة ، ١٣٣٨ هـ .

الثوار في اغتياله . وبعد ان ترك البلدة عمد الاهلون الى دار الحكومة واتهبوها ، كما جردوا الحرس المحلي « الشبانة » من السلاح . واجتمع ليف من الزعماء على اثر ذلك في موضع يسمى « المصيفي » ووقعوا ميثاقا سبقت الاشارة اليه (١) .

اما حاكم الشطرة فقد امنه الشيخ خيون على حياته وقال له : « صاحب ! كنا غالبا نتعارض في الرغبات ، ولكننا اصبحنا الان صديقين منذ الليلة فلا تخشى شيئا من الغراف » (٢) . وبعد ان ضغط الرؤساء الاخرون على الشيخ خيون بوجود مقاطعة الحكومة واحتلال القصة ، نصح الحاكم المذكور بالسفر فترك البلدة واتهب الاهلون سراي الحكومة وانزلوا العلم البريطاني .

وقد حصل في ١٤ محرم ١٣٣٩ ان خرج من الناصرية جيش انكليزي قوامه (١٥٠٠) جندي وما كاد يصل البطحة حتى احاط به الثوار وقطعوا خط رجعتهم . ثم التحموا معه بمعركة دامت (٢٤) ساعة . وكانت غنائم العرب فيها كثيرة والحصار لا يزال يشتد على العدو بتكاثر المجاهدين (٣) .

حركات الثوار في سوق الشيوخ : كانت قبائل بني خيكان القاطنة في منطقة سوق الشيوخ من اشد القبائل عدا للانكليز ، وقد عزت لهم السلطات الانكليزية جميع اعمال القرصنة . وكان افراد هذه القبيلة يشنون هجمات على السفن الانكليزية ، ويقطعون اسلاك التلغراف باستمرار (٤) . وعند نشوب الثورة اشتركت جماعات كبيرة من قبائل بني خيكان فيها ، كما

(١) الحسنی ، الثورة ، ص ١٧٠ هـ .

(٢) الحسنی ، ن م ، ص ١٧٠ (و) .

(٣) جريدة « الاستقلال » العدد (١) السنة الاولى ، ١٨ محرم ،

١ تشرين أول ، ١٩٢٠ .

(٤) The Muntafik Confederacy, Arab Bureau, Branch of Basrah, p. 9.

اشتركت فيها قبائل اخرى • وقالت جريدة " الاستقلال النجفية " : « قد انفتحت عشائر المجرة من حجام والعساجرة والمطيرات والحماحة والعليات وبعض بني خيگان وآل حسن ونهضت في (١٧) ذي الحجة فحاصرت سوق الشيوخ وسقط بأيديهم بعد مضي ثلاثة ايام • وقد سافر الحاكم على باخرة الى الناصرية • واستولى المجاهدون على محال الحكومة وهي بما فيها لا تزال تحت مراقبة حضرة الفاضل الشيخ محمد حسن حيدر يحتفظ بها لحين احتياج الامة • وقد انحدرت في (٢١) ذي الحجة باخرتان مدرعتان ذوات سلة نحو سوق الشيوخ فحاربهما الوطنيون ، وقتلوا قائدا برتبة ميجر واربعة جنود • وقد عارضت قبيلة العساجرة بقيادة الحاج اهليل الباخرة الحربية القادمة من البصرة قاصدة الناصرية فصبت عليها رصاص بنادقها حتى عطلتها ، وقتلت قائد الباخرة ونفرا واحدا » (١) •

ويقول الحسنى ان الثوار لما تسلموا ادارة القصبه رفعوا العلم العربي على المؤسسات الحكومية على نحو ما فعلوه في الشطرة وقلعة سكر • ثم جردوا قوة وطنية تمثل سوق الشيوخ والقبائل المحيطة بها ، برئاسة الشيخ قاصد رئيس حجام • وعسكرت هذه القوة في جبهة الناصرية الشرقية لتشديد الحصار على الحامية المتجمعة فيها من اطراف اللواء ، واستمرت في المناوشات معها طوال ايام الثورة على شدة القصف الجوي الذي كانت تعرض اليه (٢) •

سابعاً - جبهة السماوة - كانت السماوة من مدن العراق المهمة ، فيها من النفوس نحو ١٣٠٠٠٠ نسمة • وكانت السماوة من المراكز التجارية التي تمون سكان البادية التي يؤمنونها في مناسبات معينة من السنة • وعندما شبت نيران الثورة في الرميثة سارعت قبائل السماوة لمهاجمة

(١) العدد (٢) ٣ تشرين الاول ، ١٩٢٠ •

(٢) الثورة ، ص ١٧٠ (ز) •

قوات الاحتلال وتخريب سكة الحديد المارة من اراضيها • وكان السيد هادي المكوطر من اهم الشخصيات التي اسهمت اسهاما فعالا في مقاومة سلطات الاحتلال في السماوة • وقد عمل السيد هادي كل ما بوسعه لدعوة الناس الى الجهاد « من اجل هدف واحد وهو القضاء على الادارة الملكية في الفرات الاسفل »^(١) •

وكانت محطة الخضر من المواضع التي اهتم الثوار بالاستيلاء عليها • وقد حاصروها بعد ان خربوا سكة الحديد في مواضع مختلفة بالقرب منها ، ودام حصارهم لها مدة (١٥) ساعة^(٢) • وكانت الحكومة قد خصصت قطارين مدرعين لحماية سكة الحديد بين الناصرية والسماوة خشية ان يهاجمها الثوار او يقلعوا قضبانها • فتولى احدهما حراسة القسم الممتد بين الناصرية والخضر ، وتولى الثاني القسم الممتد من الخضر الى السماوة^(٣) • وفي (١٢) آب تمكن الثوار من ارغام القطار القادم الى الخضر من السماوة على العودة من حيث اتى ، وبذا تمكنوا من تخريب سكة الحديد • ورأت الحكومة تحت هذه الظروف ، ان تسحب من الخضر بعد ان منيت حاميتها بخسائر كثيرة • وعندما انسحبت حامية الخضر اصطحبت معها ثلاث قطر ، فضايق الثوار هذه القطر ونجحوا في اخراج بعض مركباتها من الخط • وهكذا فقد الانكليز محطة الخضر ، وتركوا مدفعين من مدافعهم فاستعملهما الثوار في محاربة القوات البريطانية المحصورة في محطة السماوة وجسر البربوتي^(٤) •

وقد اصدر الثوار بمناسبة احتلال الخضر بلاغا مؤرخا في ١٦ ذي

(١) آيرلند ، العراق ، ص ٢٠٨ •

(٢) البصير ، ج ١ ، ص ٢٦٣ •

(٣) الحسيني ، الثورة ، ص ١٤٤ •

(٤) البصير ، ج ١ ، ص ٢٦٤ •

القعدة ، ١٣٣٨ هـ جاء فيه : « وفي هذا اليوم احتل بلد الخضر شيخ عشيرة الجوابر محمد آل عقيرب واستولى على مراكز الحكومة ، وقتل من فيه من الانكليز ، وانتظر بفارغ الصبر نبأ الاستيلاء على الجند المحصور في الشاطيء واغتنام معسكره المملوء من السلاح والكراع وانواع الآلات والادوات » .

وحدثني الضابط سامي النقشلي الذي كان يعمل مع الثوار في منطقة السماوة عن الهجوم الذي شنه احد قطارات قوات الاحتلال على الثوار هناك . فقال ان القطار المذكور كان قادما من الخضر الى السماوة ، وعندما اقترب من المنطقة التي تجمع فيها عدد من الثوار ، رأى ربانه ان قضبان الحديد قد قلعت على مسافة (٤٠٠) متر تقريبا . ولكن ذلك لم يحل دون استمرار القوات التي يقلها القطار باطلاق النار على جموع الثوار . وكانت الطائرات التي تحرس القطار تعاونه في عملية اطلاق النار . وقد هجم الثوار على القطار رغم شدة النيران التي تخرج منه . وساعدهم تحصنهم بالحفر الموازية للمسكة على تجنب كثير من الاضرار ، التي كان بإمكان راكبو القطار ان يحدثوها لولا وجود هذه الحفر . وتمكن الثوار من الاقتراب من القطار واحداث اصابات عديدة بالجند الذي يقلهم . ولما استحال على القطار المضي في طريقه اضطر على الرجوع الى الخضر ، وحينئذ تمكن عدد من الثوار ان يركبوا فيه . ودخل القطار في عودته الى ساحة مسيجة قرب المحطة حيث يوجد عدد كبير من قوات العدو التي وجه عليها الثوار نيرانهم . وكانت القوات المرابطة في الساحة لا تعلم بوجود الثوار في القطار لذا لم تكن مستعدة للمقائهم الامر الذي مكن الثوار من احداث اضرار كبيرة بهم ولم ينج منهم الا عدد من الجرحى . وقد نجم عن الارتباك الذي حصل في المحطة اصطدام القطار القادم بقطار آخر كان واقفا في المحطة مما سبب خروج اثنين من عرباته عن الخط . وبعد ذلك بقليل استسلمت محطة الخضر بكاملها . وعندما سلم القطار اخذ المدفعي

ابرة مدفعه وهرب نحو باخرة انكليزية كانت راسية على ضفة النهر ، ولكن الثوار وجهوا رصاصهم نحوه فقتلوه واسترجعوا الآلة منه وسلموها للضابط سامي النقشلي فوضعها في مكانها في المدفع وصوبه نحو الباخرتين الانكليزيتين . وبعد طلاقات قليلة هربت الباخرتان وابتعدتا عن الساحل ، ونظرا لقلّة مياه النهر جنحت احدهما في الجزيرة وهربت الثانية . اما الطائرات فأنها هي الاخرى قللت من هجماتها بعد ان وجه اليها المدفع (١) .

واخبرني السيد سامي النقشلي ان الثوار ما كادوا ينتهون من معركة الخضر حتى نقلوا المدفع الذي غنموه في معركة الخضر الى محل قريب من الجيش المحاصر في السماوة . وكانت القوات الموجودة في السماوة مرابطة في عدة مراكز : اهمها مركز محطة السماوة الذي كان من بين قواته قطار مسلح . اما المركز الثاني فكان واقعا على ساحل النهر على مقربة من محل يعرف بـ « البربوتي » . ويشارف القسم الاخير على مضخة الماء التي تمون القوات المحاصرة في المحطة بالماء . وتمكن الثوار من كسر انابيب الماء الخارجة من المضخة ، وبذا قطعوا الماء عن القوات المحاصرة في المحطة . وقد اضطرت القوات المرابطة في المحطة ، نظرا لشدة الحر وقلّة الماء ، ان تلتحق بالقوات الموجودة على الساحل . وبينما كانت القوة المذكورة تزحف نحو الساحل قابلها الثوار فحالوا دون مواصلتها للزحف . وقد وقعت

(١) مقابلة شخصية مع الضابط سامي النقشلي الذي أوردت شيئا من ترجمته سابقا . وذكر لي الاستاذ النقشلي انه بعد استيلاء الثوار على القطار المذكور توفرت لديهم القنابل اليدوية ، اذ كان في القطار عربة كاملة مملوءة بصناديق القنابل . وقد درب حوالي عشرين شخصا من الثوار على استعمال هذه القنابل . ونجحوا فعلا باستعمالها لاغراق باخرة كانت راسية في نهر الفرات ، كما استعملوها في أماكن أخرى . وكان اسم الباخرة التي أغرقها الثوار كرين فلاي Greenfly وقال الاستاذ سامي ان الثوار استفادوا من رشاشاتها ومدافعها الصغيرة والكبيرة وتجهيزاتها الحربية والطبية .

معركة بين الفريقين كانت نتيجتها ابادة القوات البريطانية الزاحفة من المحطة عدا اربعة اشخاص عادوا الى القطار المدرع واعتصموا به . وقال النقشلي انا طلبنا من الانكليز المتعصمين التسليم ولكنهم ابوا واستمروا على اطلاق النار . وبعد فترة سكنت نيرانهم فاستولى الثوار على القطار وفتحوا العربة فوجدوهم قد انتحروا . وقد انهى النقشلي مقابله لي بالثناء على ابرز قواد الثورة في منطقة السماوة وهو السيد هادي آل امكوطر ، مؤكدا الجهود التي بذلها لتوحيد كلمة الثوار وحثهم على مناجزة سلطات الاحتلال .

وقد وردت تفصيلات عن حركات الثوار في السماوة في كتابي الحسيني والبصير جديرة بالاطلاع عليها^(١) ومن الجدير بالذكر ان حادثة الاستيلاء على القطار المدرع من قبل الثوار قد ايدها البلاغ الرسمي الثاني : « اشتبكت الفصيحة التي في السماوة مرة اخرى مع العصاة في قتال شديد ، وقد ادى الى خسارة قطار مدرع . »^(٢) وقد اورد الجنرال هالدين تفصيلات وافية عن استسلام القطار المدرع^(٣) . يضاف الى ذلك ان استيلاء الثوار على المدفع والباخرة « كرين فلاي » تأيد برسالة بعثها زعيمان من زعماء الثوار بتاريخ ٢٠ محرم ١٣٣٩ هـ وهما الحاج جعفر رئيس الجوابر وعبد علي الشيخ حيدر الى شيخ الشريعة . وقد ورد نص الرسالة في جريدة الاستقلال النجفية^(٤) .

[وقد عثرت على رسالة موجهة من الامام شيخ الشريعة الاصفهاني الى السيد هادي آل امكوطر زعيم الثوار في السماوة . وتلقي هذه الرسالة ضوء

(١) الثورة ، ص ١٤٣-١٤٩ ، القضية العراقية ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

(٢) جريدة العراق ، العدد (٨٢) ، ايلول ، ١٩٢٠ .

(٣) Op. cit, pp. 208 — 213.

(٤) العدد (٥) ، ٨ تشرين الثاني ، ١٩٢٠ .

كتاب سيدنا محمد الصادق المنير الذي لا ينقطع نور انوارها

بعد سلام عظيم وعلى جميع الشايع المحزين للمجاهدين الذين صعدت وجنتهم وبركاته لا يخفك انه وروايتنا منكم
 كتاب بارها وبتشايخ آريا عهدهم بحفظه وفيه ذكر الصلوات الواقعة بينهم وبين عدو الاسلام والمسلمين شرق
 والسماء والبشارة بالاسرار توترة وانصار المسلمين عليه فسرنا والله ذلك وسئلنا لكم دوام النظر شرق
 والسماء وغربها وفي كل مكان توجهتم اليه نظر عزيزا والغيب العجيب انه ولي ذلك والقادر عليه هذا
 وان من اهلهم وصباياي لك اولاد ان تبدل غاية جهتك في تاليف المسلمين وجمع كلمتهم حتى تحصل المعاداة وطعنا
 وتحقق الحق وكيف لا يتساعدوا وهم في الحقيقة اعضاء جسم واحد واني لا ارضى الا ان يكونوا ائمة والحق
 اشدا على الكفار حماؤهم ونايما ان تحفظ بالآيات الحربية التي لا توجد عند الفساق وكذا دفع اللان وصحافتها
 والفتنة والكلاب والتمتع باليدوية والفلك ذواتها الماكنة والهربانية وما يتعلق بها ونحو ذلك من اسباب
 سرقة النقل وشدة التدمير فان ذلك النفع للمسلمين من كل عيبه لانه يجر غنائم كثيرة وتبهر فتوح كبريه
 وانتم بذلك اعرفتم ان هذه كتابه مستهفنا لئلا توهبها وتدفعها الا شايخ آل زياد واني آمل
 ان يكثر طائفة تقوم الدفاع الفعلي وتساعد بناديه لشدة النظر الباهر ان تعرفني هي نفسها عما قامت به من
 الاعمال المشكورة لتختص بساب الدعاء ومزيد العناية من رب السماء وبنزاد سروري ورواجع المسلمين فاهم
 يركلون على الدوام آياته الشفاء وكذا عشاء الدهل والفتنة التي يعلمكم في وقايح الايض وشكر الله
 اجمع وجزاهم على الاسلام واهلهم خير الجزاء وحيث علمتم انتم بموقفة اخوانكم المجاهدين لدينا فستعلمون انتم
 جميع المنوات المطوعة في افهامكم لتزيدكم سرورا وفرحا واقاموا في القديسة فترى انظروا من الذين اتوا الله واما
 اهل بيتهم هم بين واقف في خطه حرب وبين ترويح اللوق بالمخارين ولا يبقى على الظاهر غير الصلوات والفتن يصلح
 المسلمين هذا واني عازم ان ارسل لك العالدين العالمين السيد محمد الخليلي وشيخه ليزرا محمد رضا اليرولي ايضا
 على تسميم الذنوب وتبليغ النصح وهما من الصلوات والاضمار الثقات عندنا لمحمد بن لدينا وعلى كل حال يكون طريقتها عليك
 فان كنت فاستفها عندك بتفجع بها جهده الاسلام بالصلاة والسلمة
 والفنوي وان شئت وجهتها الا ابي مكان تريد وان تركت سبيلها واصلت
 لها الطريق الا ما يريدان وفي مقام اعيد لي لك والجميع المجاهد
 واسترحل شانه ان يترجم بعونه وتوفيقه آمين محمد والي الطاهرين



على اهمية حركات الثوار في السماوة كما تبين الاهمية التي كانت قيادة الثورة تعلقها على آلات القتال الحديثة التي يفتنمها الثوار من قوات السلطات المحتلة •

وجاء في الرسالة سالفة الذكر عدة وصايا موجهة من شيخ الشريعة الى السيد هادي اهمها :

« اولاً ان تبذل غاية جهدك في تأليف المسلمين وجمع كلمتهم حتى تحصل المعاونة والمعاوضة وتحقق القوة وكيف لا يتساعدوا وهم في الحقيقة اعضاء جسم واحد واني لا ارض الا ان يكونوا كما قال الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم • وثانياً - ان تحتفظ بآلات الحرب التي لا توجد عند العشائر كمدافع الدان [مدافع القذائف] وجبختاناتها [عتادها] والقذائف والمكايين والقنابل اليدوية • والفلك ذوات الماكينة والعرباين وما يتعلق بها ونحو ذلك من اسباب سرعة النقل وشدة التدمير فان ذلك انفع للمسلمين من كل غنيمة لانه يجز غنائم كثيرة وتتبعه فتوح كبيرة ••• نم ان هذه مكاتب ستة تصلك لفا [طياً] توصلها وتدفعها الى مشائخ آل زياد واني آمل ان كل طائفة تقوم بالدفاع الفعلي وتأييد بمثل ذلك النصر الباهر ان تعرفني هي بنفسها عما قامت به من الاعمال المشكورة لتختص منا بالدعاء ومزيد العناية من رب السماء وليزداد سروري وسرور جميع المسلمين فانهم يرتلون على الدوام آيات التناء والدعاء لمشائخ الدهلة والعشائر المشايعة لهم في وقايح الابيض فشكر الله سعي الجميع وجزاهم عن الاسلام واهله خير الجزاء ••• واما الارض المقدسة فقربياً تطهر من الارجاس ان شاء الله • واما اهل النجف فهم بين واقف في خطط الحرب وبين متهيء للذوق بالحاربين ولا يبقي على الظاهر غير المعذورين والقائمين بمصالح المسلمين • هذا واني اعزم ان ارسل لك العالمين العاملين السيد محمد

الخلخالي والشيخ المرزا محمد رضا الايرواني لعينيك على تعميم الدعوة
وتبليغ النصح ...

شيخ الشريعة الاصبهاني

[التوقيع]

ويظهر ان خسائر القوات البريطانية في حادثة خسارة القطار المدرع
كانت كبيرة . فيقول الحسني : « ان القطار المذكور جاء لسحب الحاميات
الاربع المذكورة اعلاه ، ولاخلاء السماوة من كل قوة انكليزية ، فكم يجب
ان يكون عدد القتلى في هذه الواقعة ؟ وما هي الذخائر التي يجب ان يكون
الثوار قد غنموها فيها ؟ اني اترك ذلك الى نظر القارئ الكريم ولا سيما
رجال الجيش المحترمين » (١) . ثم ان خسائر الثوار في هذه المعركة كانت
كبيرة اذ استشهد منهم ما يقارب الاربعمائة شهيد ، ومع هذا كانت غنائمهم
كثيرة جدا (٢) .

وقد حصلت معارك اخرى في هذه الساحة ذات اهمية بالغة ، منها
معركة « الدورة » التي دامت ثماني واربعين ساعة وقتل فيها من الطرفين
عدد كبير . وقد استخدم العدو الطائرات فضلا عن البواخر النهرية . وبعد
هذه المعارك دخلت قوات الاحتلال السماوة ، فامضت فيها يومين هجمت
بعدها على مراكز الثوار فالتحموا معها بمعركة دامت عشر ساعات في مكان
يسمى « الزريجية » ولكنها ما لبثت ان انسحبت الى السماوة فتعقبها الثوار .
وكانت معركة « السوير » الاولى وغيرها من المعارك الرئيسية التي دارت
في هذه المنطقة . وسنشير اليها بعد قليل .

(١) الثورة ، ص ١٤٨ .

(٢) الفرعون ، فريق ، ن ٠ م ، ج ١ ، ص ٤٧٦ .

الهجوم البريطاني العام :

بينما فيما سبق ان القوات البريطانية عند نشوب الثورة لم تكن كثيرة العدد ، ولكن ما كادت الثورة تشمل مناطق اخرى غير الرميثة ، حيث نسبت لأول مرة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ ، حتى استنجد الجنرال هالدين بحكومته طالبا منها امداده بجيوش كافية تمكنه من القضاء على الثورة . وما كان من الحكومة البريطانية الا ان تمدده بكل ما يحتاج اليه حتى بلغ عدد الجيش البريطاني في العراق حوالي (٨٠) الفاً^(١) . يضاف الى ذلك ان الحكومة البريطانية ، رغم المعارضة القوية التي واجهتها في الصحافة والبرلمان ، قررت القضاء على الثورة مهما كلفها الامر . وفي ٢٦ آب ١٩٢٠ ابرق وزير الحرية المستر ونستون شرشل للجنرال هالدين قائلاً : « اغتتم الفرصة لاهنتك على نجاحك في العمل الشاق الذي عهد لك القيام به . واعلمك ان الوزارة قد قررت وجوب القضاء على الثورة وسأعمل جهدي في تلبية جميع طلباتك » . ثم اردف قائلاً ان الجيوش والطائرات التي طلبها هالدين هي في طريقها الى العراق ، وانه على استعداد ، بقدر الامكان ، ان يرسل ما يطلبه الجنرال هالدين من جيوش وطائرات غير التي ارسلت فعلاً^(٢) .

وفي نهاية شهر تموز انتقلت القيادة البريطانية من كرندي في ايران الى بغداد وبدا تعزز موقف الحكومة وكثر الاحتياطي لديها^(٣) .

اما الثوار فانهم قد صرفوا القسم الاعظم من نشاطهم وجهودهم ، فضلا عن عتادهم الحربي ، خلال شهري تموز وآب . ولما كان امد الثورة قد تجاوز الخمسة اشهر كان لزاما ، والحالة هذه ، ان تقل مواردهم المحدودة

Haldane, Op. cit, p. 66.

(١)

Ibid, p. 215.

(٢)

(٣) الحسنی ، الثورة ، ص ١٧١ .

لا سيما انهم لم يحصلوا على مساعدات لا من خارج العراق ولا من المناطق العراقية التي لم تشترك بالثورة . وقد بدأت الحكومة في اخماد حركات الشيخ ضاري المحمود جوار خان النقطة في لواء الدليم ، ثم قضت على الثورة في لواء ديالى . وبعد ان تم لها ذلك التفتت الى مناطق الثورة الرئيسة المنبثة في منطقة الفرات الاوسط . وكانت اول حملة ارسلت لذلك الغرض هي الحملة التي ارسلت لاحتلال طويريج (الهندية) بتاريخ ١٢ تشرين الاول سنة ١٩٢٠ . وقد وقعت البلدة المذكورة في قبضة القوات المهاجمة في ذلك اليوم نفسه بعد ان دار بينها وبين الثوار قتال عنيف كلفها خسارة تقدر بعشرين قتيلا . وقد حاول الثوار ان يحرقوا جسر البلدة ولكن القوات المهاجمة احبطت محاولتهم هذه^(١) .

وكان لاحتلال مدينة اطويريج اثر سيء على الحالة في كربلاء ، اذ يقول هالدين : « اتنا ابلغنا مجلس الاحدى عشر الذى يمثل اعضاؤه حكومة الثوار في كربلاء ان يعلنوا خضوعهم الاسمي وان يتوجه وفد منهم لمقابلة برسي كوكس المندوب السامي الذي حل محل ولسن ، وقد هددناهم بقطع الماء عن كربلاء ، ان لم يدعنا لطلبنا ، وقد اذعن في ١٦ تشرين الاول عشرة منهم فعلا ، وتلاههم في حركتهم هذه كثير من رؤساء القبائل فسلموا انفسهم »^(٢) . ويستمر الجنرال هالدين بروايته السالفة فيقول ان افراد القبائل اصبحوا اهدافا جيدة للجيش الانكليزية . وان القوات البريطانية المتقدمة من نهر الطهمازية غرب الحلة تمكنت من تدمير جميع القرى العائدة لقبيلة آل قلة^(٣) . وكانت القيادة البريطانية تنوي حينذاك رفع الحصار عن حامية الكوفة . وعندما تحركت في اليوم السادس عشر من

(١) البصير ، ن. م ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ .

Haldane, Op. cit, p. 185 — 6. (٢)

Ibid, p. 184. (٣)

تسرين الاول من الحلة نحو الكوفة لم تصادف مقاومة في اليوم الاول ،
ولكن الثوار تجمعوا في اليوم الثاني باعداد كبيرة ورابطوا في القنوات الجافة
على امل ان يمنعوا القوات الزاحفة من الوصول الى الكوفة . وبالرغم من
احتفاظ الثوار بمراكزهم لفترة ما لكنهم لم يصمدوا طويلاً^(١) . وقد اورد
البصير تفصيلات عن الحرب التي دارت بين الثوار والحكومة خلال سير
جيوشها نحو الكوفة . وقد وصلت جيوش الحكومة الكوفة في ٣ صفر
٣٣٩ هـ بالرغم من محاولات الثوار اليائسة لايقافها . وبعد ان باتت الكوفة
في قبضة الحكومة اضطرت النجف لاعلان تسليمها للحكومة دون قيد او
شرط . « ولما سلمت بلدة النجف تشتت شمل رجال الثورة وزعماء القبائل
اذ كانت مأوى الشاردين وملجأ الهارين من بغداد وغيرها من البلدان التي
احتلتها الجيوش البريطانية . دخل النجف الجيش البريطاني يوم الثلاثاء
٤ ربيع الاول سنة ٣٣٩ بعد ان اخمد نار الثورة في الشامية واستولى على
مراكز الثوار هناك وشتت شملهم . دخل النجف وحاصرها وكانت آتذ
مملوءة بالرجال والنساء الذين فروا من الجيش البريطاني الذي دمرهم
واحرق منازلهم بنيرانه المتفجرة من طائراته المحلقة فوق رؤوسهم وكثرة
النفوس في البلدة ومنع الحكومة من ادخال الاطعمة والاشربة اليها شحت
لوازم الاعاشة واضر بأهلها الجوع والعطش . . . » وقد فرضت الحكومة
على النجف غرامة^(٢) قدرها (٣٠٠٠) بندقية او بدلها (٨١٠٠٠) ليرة
ذهبية . وقد سمرت عددا من العلماء من بينهم الشيخ جواد الجواهري
والسيد عزيز الله الاسترابادي والشيخ حسن ابن الامام شيخ الشريعة
الاصفهاني والسيد محمد رضا آل السيد صافي^(٣) هذا ما جرى للجيش

Ibid, p. 182.

(١)

(٢) محبوبة ، جعفر ، ماضي النجف وحاضرها ، ج ١ ، ص

٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٣) ن ٠ م ، ج ٢ ، ص ٣١١ .

البريطاني في جبهة الكفل • اما في جبهة السماوة فإن قوات الحكومة تمكنت من احتلال بلدة السماوة بعد ان خسرت خمسين قتيلًا ، ولكن الثوار صمدوا امامها في جسر السوير واشتبكوا معها في معارك اورد البصير تفصيلات عنها^(١) .

ولترك الحركات العسكرية جانبا لنلقي نظرة عجيلى على التبدلات السياسية التي كان لها اثر كبير في تهدئة هذه الحركات • وكان تعيين كوكس ممثلا لبريطانيا في العراق بدلا من ولسن من دلائل هذا التبدل •
تعيين كوكس مندوبا ساميا في العراق :

بينما كانت الثورة تسير نحو نهايتها طرأ تحوير على السياسة الانكليزية نحو العراق فاكسبت نوعا من المرونة ، ورأت بريطانيا ان تحل القضية العراقية حلا سياسيا بعد ان ظهر لها تصميم العراقيين على رفض حكمها المباشر او غير المباشر اى عن طريق الانتداب • وكان لهذا التغيير اسباب متعددة سنوردها بعد قليل • واختارت الحكومة البريطانية السير برسي كوكس لخبرته الطويلة وحذقه السياسي ليقوم بتطبيق السياسة الجديدة في العراق • وقد كتبت جريدة الاستقلال النجفية في ١ تشرين اول سنة ١٩٢٠ عن تعيين كوكس وسياسة انكلترة في العراق ما يأتي : « وصل كوكس « لندن » والنزاع قائم بين حزبي اسكويث القائل بتخلية بغداد والانسحاب نحو البصرة ولويد جورج الذي يرى لزوم استعمال القوة لاقماد ثورة العراقيين الاستقلالية والاحتفاظ بالعراق ابديا على الرغم من جميع المعاهدات والتصريحات التي تقضي باستقلاله وتركه لابنائهم ، فجاء وصوله هناك بلية كبرى على لويد جورج وانصاره لما اذاعه من انباء العراق وحوادثه الجديدة وقوة الحركة الوطنية فيه مما عزز جانب اسكويث المعارض ••••• وها قد

(١) يقول هالدين ، على الص ٢٦٢ من كتابه سالف الذكر اننا

وضعنا غرامات ثقيلة من العتاد والسلاح على مدينتي النجف و كربلاء •

قفل كوكس راجعا من لندن وسيصل قريبا البصرة (وربما وصلها) فما عساه حاملا للعراقيين؟ وما هي البضاعة التي انتقاها لاهل العراق فأن كانت. مما يستطيع العراقيون ان يصنعوا منها ثوب الاستقلال ورداء الحرية فلا شك انه قد جاء بتجارة رابحة... وان كان قد اخطأ فجاء متخذا سياسة وخطة الاستعباد ليرغمهم على اكتساء ثوب الوصاية، ذلك الثوب المرقع الخلق الذي اعده لهم لويد جورج واهضاره فلا بأس فان الامة العراقية قد اعتمدت في نهضتها على نفسها بعد ان طلبت العون من الله ولا تقابله الا بما قابلت به سلفه ولسن... ومن ينعم النظر في التبديلات التي حصلت حديثا في الادارة الملكية في بغداد، كعزل ولسن [و] استلام كوكس ازمة الحكومة في البصرة، واستبدال الموظفين الانكليز الملكيين بموظفين عراقيين وجعل اللغة العربية لغة الحكومة الرسمية - يتوسم الخير في سياسة كوكس الجديدة ويرى من خلالها حسن العاقبة. على ان واجب الامة العراقية الناهضة لاخذ حقوقها المصوبة واسترجاع مجدها السالف ان تبدي نشاطها وتعمل بهمة للاستيلاء على المواقع المعتقل فيها الجند الاحتلالي...»^(١).

ويورد الحسنسي البيان الذي اصدرته الحكومة البريطانية من تعيين السير برسي كوكس وعن مهمته في العراق جاء فيه ان كوكس سيضطلع بمسؤولية «ادارة الحكومة الملكية في البلاد، الى ان يتمكن من تنفيذ سياسة حكومة جلالة الملك، لتأسيس حكومة عربية في العراق...»^(٢).

وعندما وصل كوكس الى بغداد في (١١) تشرين الاول ١٩٢٠ رحب به الشاعر المعروف جميل صدقي الزهاوي بقصيدة عنوانها «عد للعراق»

(١) العدد (١) ١٨ محرم، ٣٣٩ - ١ تشرين الاول، ١٩٢٠.

(٢) الثورة، ص ١٨٤-١٨٥.

نشرت في ديوانه متفرقة^(١) . اعرب فيها الشاعر عن تأييده لسياسة
الانكليز^(٢) وهجم على الثوار هجوما لا يليق بمكانته رحمه الله .

ومما قاله مخاطبا كوكس :

ان العراق لمسعود برؤيته اباله من بلاد العدل قد وردا
ارأف بشعب بغاة الشر قد قصدوا اثاره الشرف فيه وهو ما قصدا
ما انسى يوم بدت في القطر حادثه من الحوادث تنسي الوالد الولدا

وما كاد السير برسي كوكس يستقر ببغداد حتى اصدر بيانا بتاريخ
(٢٦) تشرين الاول ١٩٢٠ موجهها « الى جميع طوائف العراق وعشائرها »
قال فيه : « ان فخامة نائب الملك ، السر برسي كوكس يعلن لجميع افراد
العشائر وطوائف العراق ، بأن حكومة بريطانيا العظمى ، اتدبته ليعود الى
العراق ، لتنفيذ مقاصد الحكومة الثابتة ، بمساعدة رؤساء الامة ، ولتشكيل
حكومة وطنية في العراق ، بنظارة حكومة بريطانية ، ولقد يصعب جدا على
فخامته تنفيذ منويات الحكومة البريطانية ، ما دامت بعض اقسام العشائر ،
والطوائف في العراق تعادي الحكومة . . . ولا يعلم فخامته غرض العشائر
الذين يشغلون انفسهم بالحرب . فأذا كان هناك سوء مفهومية (كذا) يمكن
ازالتها . فيسر^(٣) فخامته ان يبلغ العشائر ذلك اليه بواسطة اقرب حاكم

(١) الديوان ، طبعة القاهرة ، ١٩٢٤ ، صص ، ١١٠ ، ١٤٥ ،

٣٢٠ .

(٢) قال الاستاذ علي البازركان ، على الص ٢٠٣ من كتابه الموسوم
بـ « الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية » : « ان ولاء واخلاص الشاعر
المذكور [الزهاوي] للانكليز غير خاف عن الجميع ، فقد كان أحد
الستة الاشخاص الذين استقالوا من عضوية المندوبين الخمس والعشرين
والذين رشحهم القاضي الحاج علي الآلوسي لاعطاء الجواب عن الاستئلة
الثلاثة التي طرحها الانكليز بتاريخ ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩١٩ ، وما
فعل ذلك الا ليفت في عضدنا . . . » .

(٣) الحسنی ، ص ١٨٤-١٨٥ .

سياسي اليهم • (١) وقد اراد كوكس ان يؤيد بيانه سالف الذكر بالفعل
 فشرع بالعمل على تأليف الوزارة النقيية • ويقول البصير ان اكثر زعماء
 العشائر « سلموا فعلا بعد صدور هذا المشور لا لانه كان عظيم الاثر على
 عقولهم وعواطفهم بل لانه لم يكن في طاقتهم ان يقفوا اياما طويلة اخرى
 في وجه القوات البريطانية التي كانت تتقاطر من الهند بعدها الكثير وعددها
 الرهيبة مع ما لحق ثورتهم من الانكسارات في المناطق المختلفة » (٢) •
 وكان تسليم الاكثريّة العظمى من الثوار دون قيد او شرط ما عدا
 من كانوا في منطقة الرميثة والسماوة فانهم صمدوا لقوات الحكومة واجبروها
 على الدخول معهم في مفاوضات اسفرت عن توقيع الاتفاق التالي في ٢٠
 تشرين الثاني ١٩٢٠ :

(١) ان تكون للعراق حكومة عربية مستقلة • (٢) ان لا تطالب قبائل
 بني حجاج بكل شيء خسرت الحكومة اثناء الثورة عدا ما تراه رجال
 الحكومة باقيا في ايديهم • (٣) ان لا تؤدي القبائل المذكورة شيئا من
 الضرائب الاميرية لسنة الثورة لعدم استطاعتهم على ادائها بسبب ما لحقهم
 من الضرر من جراء القيام بالثورة • (٤) ان يأخذوا على عهدتهم محافظة
 السكة الحديد التي هي بحدودهم • (٥) ان يتعهدوا بتوطيد الامن والسلام
 في جميع اراضيهم (٦) ان يسلموا الى الحكومة الفين واربعمئة بندقية •
 وهكذا طويت الصفحة العسكرية للثورة بعد ان كلفت البريطانيين
 (٢٢٦٩) اصابة (٣) وكلفت الثوار (٨٤٥٠) اصابة تقريبا على رواية هالدين •

(١) الحسنى ، ن.م.٠ ص ١٨٤ - ٥٥

(٢) القضية العراقية ، ج ٢ ، ص ٣١٣-٣١٤

(٣) يقول هالدين ، على الص ٣٣١ من كتابه سالف الذكر : ان عدد
 القتلى من الهنود والبريطانيين ٣١٢ وان الذين ماتوا متأثرين من جروحهم
 ١١٣ وان معظم المفقودين وعددهم ٤٥١ قتلوا ، وان عدد الجرحى ١٢٢٨ ،
 وان اسرى الحرب ١٦٤ وان واحدا من الاسرى توفي في الاسر وبذلك يصبح
 المجموع ٢٢٦٩ بين قتيل وجريح وأسير •

وكان جل هؤلاء القتلى والجرحى من نصيب الفرات الاوسط ، اذ يقدر عدد قتلى العراقيين وجرحاهم ، فيما عدا الفرات الاوسط والاعلى ، ب(٥٥٠) شخصا فقط . ويقدر انطونيوس مجموع خسائر الثورة في نهايتها نحو ١٠ر٠٠٠ اصابة . ويقول ان عدد العرب الذين قتلوا لا يعرف بالتأكيد « وربما قارب ٤٠٠٠ ٠٠٠ وكلفت الثورة الخزينة البريطانية اربعين مليونا من الجنيهات الاسترلينية ؛ وهو مبلغ يزيد على ثلاثة اضعاف المعونات التي دفعتها بريطانية - ذهابا واسلحة ومؤنا - لتموين الثورة العربية من بدايتها الى نهايتها ، وكانت الاضرار في الاملاك ومصادر الدخل في البلاد كبيرة فادحة . » (١) .

ويقدر كيرك خسائر بريطانية في الاموال ب (٢٠) مليون ليرة استرلينية ، وعدد القتلى من البريطانيين والهنود ب (٤٠٠) . ورواية كيرك بخصوص عدد القتلى لا يعتد بها تجاه رواية الجنرال هالدن لان الاخير هو الذي ادار الحركات العسكرية بالعراق خلال الثورة (٢) . ويظهر ان الخسائر المادية التي حلت بالعراق من جراء الثورة كانت اكثر بكثير مما قدر لان الجيش البريطاني بعد اندحار الثوار وفي خلال الثورة كان يحرق القرى التي يمر بها احيانا . وقد اشرنا الى ذلك في حينه . كما ان غرامات على شكل اسلحة ونقود فرضت على الثوار بعد فشل الثورة . وقد استلمت الحكومة من المنطقة السابعة عشرة فقط ٥٢٧٦٩ رندية في ٣١ كانون الثاني ١٩٢١ (٣) . واذا علمنا ان الحكومة قدرت البندقية بعشرين ليرة تركية والطلقة بليرة واحدة (٤) تقدر المبالغ التي تكبدها الاهلون لدفع هذه الغرامات .

(١) يقظة العرب ، ص ٤٣٠ .

Op.cit, p. 143. (٢)

Haldane, Op. cit, p. 271. (٣)

Iibd, p. 330. (٤)

ووضعت الحكومة غرامة على مدينة النجف قدرها ٣٠٠٠٠ بندقية او بدلها ٨١٠٠٠٠ ليرة ذهبية . وارتفع ثمن البنادق لكثرة الطلب عليها حتى بلغ ثمن اردادها ١٥ ليرة ذهبية^(١) .

ويظهر ان الحكومة كانت تستعمل القسوة في حالة عجز الثوار عن دفع الغرامات . ويقول هالدين : « ان تاريخ تسليم البنادق والعتاد يحدده قائد المنطقة . وتعد المنطقة دار حرب اذا مر التاريخ المضروب دون ان تسلم الغرامة ، وحينئذ يبدأ الجيش بحركاته العسكرية فيدك القرى الى الارض ، ويخلع الاجزاء الخشبية Woodwork من البيوت . ثم يمارس انواع الضغط على السكان ، فيقطع الماء ويخرب آلات رفعه الاعتيادية كما يمنع السكان من مزاوله اعمالهم الاعتيادية للزراعة . ثم يعمل الجيش على جمع المؤن من اي نوع كانت بصورة منتظمة ما عدا احتياجاته الآتية . ويمكن القول ان المنطقة بكاملها تجرد من ضروريات الحياة يضاف الى ذلك ان القوة الجوية الملكية تلقي قنابلها على المنطقة ليلا ونهارا . »^(٢)

اما مجموع الغرامات التي استلمتها الحكومة من الثوار فكان كما يلي : (١) استلمت الحكومة ٦٣٤٣٥ بندقية صالحة للاستعمال . وكان (٢١١٤٥) بندقية من بينها حديثة الصنع . (٢) استلمت الحكومة (٣١٨٥٠٠٠) طلقة . (٣) استلمت الحكومة (٨٦٧٠٦٥٠) ربيبة اي حوالي (٥٤١١٢) ليرة استرلينية^(٣) .

وإذا حولنا قيمة البنادق الى نقود حسب السعر السائد اي (١٠) ليرات للبندقية الواحدة وليرة مقابل الطلقة الواحدة فكون قيمة البنادق

(١) محبوبة ، ن. م ، ص ٢٧٣ .

Op. cit, p. 330. (٢)

Ibid, p. 298. (٣)

(٦٣٤ر٣٥٠) ليرة وقيمة الطلقات (٣ر١٨٥ر٠٠٠) ليرة • واذا اضفنا لهذا
المبلغ مقدار الغرامة التقديرية اي (٥٤ر١١٢) ليرة يكون المجموع الكلي
(٣ر٨٧٣ر٤٦٢) ليرة • واذا قسمنا هذا المبلغ على عدد الرجال الذين
اشتركوا بحرب الانكليز ، وقدرهم على رواية هالدين سالفه الذكر
(١٣١ر٠٢٠) رجلا ، يكون ما يصيب المحارب الواحد من الغرامة (٢٩ر٥)
ليرة ونصف تقريبا ويزيد هذا المبلغ كثيرا اذا اتخذنا الثمن الذي قدرته
الحكومة للبنديقية الواحدة اي عشرين ليرة مقياسا للتقدير • فتأمل ! •



الفصل السادس

نتائج الثورة العراقية سنة ١٩٢٠

صمد البريطانيون للثورة العراقية سنة ١٩٢٠ فأخمدوها بعد حرب شعواء دامت بينهم وبين الثوار مدة تربو على خمسة اشهر . وقدمني الفريقان المتحاربان من جراء هذه الحرب بخسائر كبيرة في الاموال والارواح . ويعزو كوتلوف فشل العراقيين في الوقوف الى النهاية بوجه القوات البريطانية في ثورة العشرين الى فقدان التكافؤ بين الفريقين المتحاربين في النواحي الفنية والاقتصادية^(١)

(١) كانت موارد الثوار الاقتصادية محدودة . وكان الثوار ينفقون على الثورة من اموالهم الخاصة غالبا . ويقول الجنرال هالدين ، على الص ١٢٤-١٢٥ من كتابه سالف الذكر : « ان الاثرياء من السادة [الاشخاص الذين ينتسبون الى النبي محمد (ص)] وشيوخ العشائر قدموا مبالغ نقدية وعينية لتموين « حرابي - مفردها حربية » او جيوش الثورة . واستخدمت المبالغ التي قدموها لشراء السلاح والعتاد . ومن الملاحظ ان كل المبالغ التي انفقتم على الثورة او جملها قدمها العراقيون أنفسهم . وقد لجأ الثوار الى مختلف الوسائل لتوفير المال اللازم لنفقات الثورة . وكانت الوسائل التالية من بين هذه الوسائل : أ - كان الثوار يجبون ضرائب الحكومة من المناطق التي اخلاها البريطانيون . فجبى الثوار من كربلاء مثلا (٧٠) ألف روبية او ما يعادل (٨٧٠٠) ليرة استرلينية . ب - استمر الثوار على جباية العشور Tolls المقررة بصورة منظمة . ج - فرضوا ضريبة ثقيلة على الحبوب التي ترد النجف من أجل الاستهلاك المحلي . وبلغت هذه الضريبة (٣٠) ألف ليرة . د - لقد فتح باب التبرع لهذا الغرض في المدن المختلفة وحث علماء كربلاء والنجف الناس على التبرع لهذا الغرض لاسباب دينية ووطنية . وعندما يعمل الثوار في منطقة بعيدة عن بيوتهم ، يعطى كل فرد منهم روبية واحدة لنفقاتهم اليومية . وكان دفع هذا المبلغ لمدة طويلة يثقل كاهل خزينة الثورة ، لذا كان سكان المنطقة التي تجرى =

والعسكرية^(١) . وبالرغم من فقدان التكافؤ بين الفريقين المتحاربين ، وبالرغم من ان النصر النهائي كان من نصيب البريطانيين فان الثوار الحقوا بقوات المستعمرين خسائر جسيمة بالارواح والاموال لا تتناسب وامكانياتهم المحدودة في السلاح والعتاد . كما لا تتناسب هذه الخسائر وقلة خبرة الجانب العراقي بالاصول العلمية للحروب النظامية . وقد يكون مرد نجاح العراقيين في الوقوف بوجه جيش اقوى دولة في العالم حينذاك لفترة تزيد على خمسة اشهر الى قوة ايمانهم بحقهم في الحياة الحرة اولا ، والى شدة تدميرهم من الضغط السياسي والاقتصادي^(٢) الذي فرضته سلطات الاحتلال على هذه البلاد ، خاصة في الفترة الواقعة بين عقد الهدنة في ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٨ بين بريطانية وتركية ونشوب الثورة في سنة ١٩٢٠ ثانيا . فضلا عن ذلك فان الدوافع الدينية لعبت دورا رئيسا في حث الثوار على مقاومة المحتلين . ويعد التغيير النسبي الذي طرأ على سياسة بريطانية تجاه العراق من اهم نتائج الثورة العراقية . فكانت السياسة البريطانية قبل نشوب الثورة تقوم على حكم هذه البلاد بصورة مباشرة او غير مباشرة ، اي عن طريق الانتداب ، دون الالتفات الى رأي المحكومين او مشاورتهم . وكانت سياسة نائب الحاكم الملكي العام تقوم دليلا على ذلك . وكان ولسن قد اقترح على حكومته قبيل نشوب

بها العمليات العسكرية يتبرعون باطعام الثوار الذين يعملون بمنطقتهم .
وقد أفتى العلماء بصرف الحقوق الشرعية من أجل الثورة . وكان السيد نور الياسرى من بين الذين انفقوا مبالغ كثيرة على تمويل الثوار . واخبرني سامي النقشلي ان السيد هادي مكوثر أنفق مبالغ كبيرة لتمويل الثورة في السماوة .

Op. cit, p. 186.

(١)

(٢) يقول جورج كيرك Kirk على الص ١٤٢ من كتابه سالف لذكر ، ان الضريبة التي جبتها السلطات البريطانية من العراقيين في سنة ١٩٢٠ تساوي ثلاثة أضعاف ونصف مقدار الضريبة التي جباها الترك من هذه البلاد سنة ١٩١١ .

الثورة تعيين مجلس دولة وهيئة تشريعية لادارة حكومة العراق . وبالرغم من ان انشاء هاتين الهيأتين كما اقترحهما ولسن ، لا يمكن ان يعد خطوة اساسية في سبيل استقلال البلاد^(١) ، فإن ولسن وصف مقترحاته هذه بانها ثورية ، وان وجهاء العراقيين عدوها سابقة لاوانها . وعندما قدمت هذه المقترحات الى اللورد كرزن علق عليها منتقدا بقوله : « ان الحكومة التي اقترحتها ولسن ليست حكومة عربية تعمل بمساعدة وارشاد بريطانية بل انها حكومة بريطانية طعمت بعناصر عربية . »^(٢) .

ولما ثار العراقيون سنة ١٩٢٠ ، معلنين سحقهم على الانتداب البريطاني في العراق ، غيرت بريطانيا سياستها في العراق وزودت مندوبها الجديد السير برسي كوكس بتعليمات من شأنها تحقيق بعض مطامح العراقيين السياسية . وعندما قدم كوكس للعراق اعلان الخطوط العامة للسياسة الجديدة ، وبين ان العلاقات بين بريطانيا والعراق ستنظم في المستقبل بموجب معاهدة جديدة لا بصك الانتداب القديم . وشفع كوكس اقواله بخطوة عملية حين عين اول وزارة عراقية برئاسة عبدالرحمن النقيب . ويقول جورج انطونينوس : « ان ثورة العراق حققت هدفها الكبير توا اذا اعتبرناها ثورة ضد املاءات الدول المتحالفة ، ومضت اثنتا عشرة سنة اخرى قبل ان يلغي الانتداب ويتم الاعتراف الرسمي في جنيف بأن البلاد اصبحت في منزلة دولة مستقلة ذات سيادة . غير ان البذرة غرست عام ١٩٢٠ عندما قررت الحكومة البريطانية ازاء الثمن المروع الذي كلفتها اياه الثورة ان

(١) خول المندوب السامي البريطاني حسب مسودة دستور ولسن حق اعفاء الهيئة التشريعية من العضوية ، كما خول المندوب حق رفض قرارات هذه الهيئة ، ولكن الدستور أعطى الهيئة حق توجيه الاسئلة للحكومة . أما مجلس الدولة فكان نصف أعضائه من البريطانيين والنصف الاخر من العراقيين .

Kirk, Op. cit, p. 142.

(٢)

تغير سياستها او ان تغير خططها العسكرية في اقل تقدير ... وكان التغيير اساسيا من الناحية العملية لانه احيا المبدأ المهمل - مبدأ « موافقة المحكومين » - ونص على ان موافقة العراق ستكون شرطا في اي تدبير ، وان بريطانية العظمى ستحاول - في المستقبل - ان تبلغ غاياتها بالمفاوضة بدلا من الاملاء - كما حدث في سان ريمو - «^(١) . ويظهر ان الثورة لم تحقق هدفها الكبير ، كما رسمه الثوار ، وان الثمرة التي نتجت عنها كانت مبسرة لان الحكومة التي تمخضت عنها الثورة كانت واجهة يكمن وراءها الانتداب البريطاني . وفضلا عن ذلك فإن بريطانية حققت بعقدها معاهدة تحالف مع العراق ، وتعاونها مع ملكه الجديد اغراضا عدة ، منها : احتفاظها بالوضع الخاص الذي منحه اياها نظام الانتداب ، واقتصادها في نفقات الاحتلال ، وحفاظها على مصالحها^(٢) . ويقول الشيخ محمد رضا الشيبسي عن الدولة الجديدة التي قامت في العراق بعد الثورة انها « مستقلة ذات سيادة في الظاهر ، ولكنها لم تكن كذلك في الواقع فالاستقلال كان استقلالاً ملوئاً او ناقصاً نقصاً فاضحاً ، بل كان الحكم ثنائياً بين الانكليز وبين فريق من صنایعهم واعوانهم في غالب الاحيان ، وكان الغنم للسلطة البريطانية ، وصنایعها والغرم على الشعب العراقي ، واتضح لهذا الشعب الكريم ان هناك خطة استعمارية مرسومة اعتبرت الثورة العراقية الكبرى بموجبه جريمة منكرة وحرمة مضادة لمظاهر التقدم والحضارة ، وصرح بذلك مع بالغ الاسف - اكثر من واحد من المحسوبين^(٣) على السياسة من ابناء العراق ،

(١) ن.م ، ص ٤٨١ .

Debrodt, Op. cit, p. 13.

(٢)

(٣) ذكر عبدالرزاق الحسيني ، على الص ٢١٩ من كتابه سالف الذكر ان فخامة مزاحم الباجهجي قال مخاطباً كوكس : « لا تعتبروا الثورة الحالية ، التي قامت بها بعض القبائل الرحالة ثورة وطنية في الواقع تسعى وراء الاستقلال ، فان هذه الحركة لا يمكن ان تعد ممثلة لشعور =

وهكذا عوقبت المنطقة الثائرة كلها بالحرمان . « (١)

ويقول كوتلوف : « ان الثورة الوطنية التحررية العراقية سنة ١٩٢٠ لم تحقق جميع الاهداف التي عمل العراقيون على تحقيقها . فمطالب العراقيين المتمثلة بانسحاب الجيوش الاجنبية ، والاستقلال التام ، وتصفيه الحكم البريطاني ما كانت مقبولة لدى الانكليز ففرضوا نظام الوصاية على البلاد . ولم تكتمف بريطانية بهذا بل انها ما كادت تقضى على الحركة المسلحة حتى اتخذت اجراءات عديدة من شأنها تقوية مركزها المترنح في العراق » (٢) . وكان ترشيح الامير فيصل بنجل الشريف حسين ملك الحجاز ملوكية العراق من اهم القرارات التي اتخذتها بريطانية لتثبيت نفوذها في العراق . ويظهر ان نوعا من التفاهم حصل بين الانكليز والامير فيصل قبل ترشيح الاخير لعرش العراق . ومن الادلة على ذلك أن المستر ونستون شرشل الذي كان وزير المستعمرات حينذاك قد اجري محادثات مع الامير فيصل ولورنس في اواخر ١٩٢٠ ، توصل الفريقان خلالها ، كما يظهر ، الى نوع من التفاهم حول القضايا التي تهم الطرفين وقد تمخضت هذه المحادثات عن الاتفاق على ترشيح الامير فيصل لعرش العراق على أن يتعهد الاخير بتوقيع معاهدة تحالف مع الحكومة البريطانية . وقد برت بريطانية بوعدا للامير فيصل فرشحته لعرش العراق في مؤتمر القاهرة المنعقد في ١٢ آذار ١٩٢١ وبعد انتهاء مؤتمر القاهرة عملت السلطات البريطانية في العراق ما بوسعها لخلق الجو الملائم في العراق لتحقيق نجاح الامير فيصل في الحصول على عرش المجتمع برمته ، فالعائلات المنفذة ببغداد ، لا تعطف على حركة دمرت بلادها .

(١) « فقيدنا الكبير » الايام ، العدد ١٢٤ ، ١٠ ربيع الثاني ،

١٣٨٢ - ١٠ ايلول ، ١٩٦٢ .

(٢) كوتلوف ، Op. cit, p. 188.

العراق^(١) . وكان ابعاد السيد طالب النقيب الذي كان يرى نفسه افضل مرشح للعرش العراقي عن العراق ، واخراج المستر سنت جسون فلبلي Philby مستشار وزارة الداخلية الذي كان يدعو للحكم الجمهوري في العراق ، من بين التدابير التي اتخذتها الحكومة البريطانية لازالة العراقيين من طريق مرشحها الامير فيصل .

ويقول كوتلوف ان ترشيح فيصل لعرش العراق كان اكثر قبولا لبريطانية من غيره لان فيصلا برهن منذ زمن طويل على انه زعيم تابع للجهات الاقطاعية الموالية للانكليز في الشرق العربي اولا . ولان فيصلا لن يستطيع هضم التعقيدات الكبرى داخل العراق اذ كان عليه أن يواجه معارضة قوية من جانب الجماعات الموالية للاقطاع وخاصة جماعات نقيب اشراف بغداد [عبدالرحمن النقيب] وطالب باشا . وكانت هذه المعارضة بمثابة ضمان يجعل فيصلا اكثر خضوعا للانكليز ثانيا . كما أن تصيب رجل من السنة على عرش العراق ، وهم اكثر من نصف عدد الشيعة ، يعطي الانكليز فرصة كبرى لاشعال الفتنة بين السنة والشيعة^(٢) .

ويقول محرر جريدة « المستقبل » ان منح الانكليز عرش العراق لفيصل كان لعبة استعمارية . وعرف جعفر ابو التمن هذه اللعبة الاستعمارية وعندما حاول فيصل ان يستميل اليه ابا التمن « طالبا منه ان يصحبه معه الى العراق ، مستعينا بذلك بالسمعة الحسنة التي يتمتع بها ابو التمن لدى ابناء الشعب العراقي ، ابي ابو التمن ورفض ذلك بجرأة قائلا له : « ارجو ان تعفيني من ان اكون من زفافة هذا العرس ، وفي قول ابي التمن هذا الف معنى ومغزى . »^(٣)

Debrot, Op. cit, p. 13.

(١)

Op. cit, p. 188.

(٢) — كوتلوف ،

(٣) العدد (٦٠٥) السنة الثالثة ، ٢٢ جمادي الاخر ، ١٣٨٢ -

٢١ تشرين الثاني ، ١٩٦٢ .

ويظهر ان جماعات كبيرة من العراقيين لم يرضوا عن التدابير التي حسبتها بريطانيا ومؤيدو سياستها من العراقيين مطمئنة لآمال العراقيين حول مستقبل العراق . وكانت جماعة توفيق الخالدي التي تؤيد فكرة الحكم الجمهوري في العراق من بين الجماعات التي استمرت في معارضتها للموضع الجديد . وبالرغم من ان مقاومة هذه الجماعة قد ضعفت بعد اندماج جماعة عبدالرحمن النقيب الذي كان يقول « افضل عودة الترك الف مرة على ان ارى الشريف او احد انجاله يحكمون هذه البلاد » في زمرة المؤيدين للسياسة الانكليزية ، وتنحية السيد طالب باشا ، فأنها لم تخمد الا بعد ان قتل توفيق الخالدي عام ١٩٢٤^(١) . واستمر افراد وجماعات على معارضتهم للموضع الجديد . وكان فهمي المدرس ، رغم قبوله مناصب خطيرة في الدولة الجديدة ، من بين المعارضين للموضع الجديد . وقد ظهرت معارضته فيما كتب من مقالات نشر بعضها في الجرائد والمجلات في حينها . وكان الشيخ عبدالكريم الجزائري « يمثل المثابرة والمحافظة على روح النورة ومبادئها ويهاجم عملاء الخيانة والفساد وسياسة العنف والاستبداد ويواجههم بأقصى اللوم والتوبيخ ، وكان فذا في المثابرة على ذلك ، حتى في المرحلة الاخيرة من شيخوخته المباركة . وقد عبر عن سخطه على النتائج المؤلمة التي اسفرت عنها سياسة الحكام في العراق بعد الثورة الكبرى بكلمات حسنة ، منها قوله في جواب من مسألة عن النتائج المترتبة على الثورة وانتقال الحكم الى ايدي ابناء البلاد : (ان الغاية التي قصدناها بنهضتنا ومجازفاتنا ما حصلت ، فالحالة الدينية والحالة الاجتماعية الى ضعف بل الى اضمحلال ، أسأله جل شأنه ان يغير حالنا الى احسن حال) » .

وبعد ان توج فيصل ملكا على العراق سنة ١٩٢١ انشأ جعفر ابو التمن مع عدد من صحبه حزب حرس الاستقلال السري . وتزعم جعفر هذا

(١) الحسنی ، الثورة ، ص ٢٣٩ .

الحزب وبدأ يجمع صفوف ابناء الشعب لمقارعة الانكليز وطردهم وتخليص الوطن من ارجاسهم^(١) .

ويقول الشيخ محمد رضا الشيبسي ان الاحرار المجاهدين ثابروا « على التنكر لتلك الخطة الاستعمارية المرسومة بعد الثورة وتعددت الانتفاضات والثورات طوال الحكم الاهلي وندد قادة الرأي باساليب الحكم والحكام ووقفوا منها موقف المعارض من الاول الى الاخير »^(٢) .

وبالرغم من كل سيئات الحكومة التي تكونت بعد ثورة سنة ١٩٢٠ فإن قيامها يعد نتيجة مهمة من نتائج الثورة وحدثا ذا اهمية في تاريخ العراق . فالبلاد التي خيم عليها الحكم التركي الفاسد طيلة اربعة قرون شعرت بأن جماعة من اهلها اخذوا يشتركون ولو بصورة نسبية بأدارة بلادهم . وشعر سكانها بأنهم نالوا شيئا من صفة المواطنة بعد ان كانوا رعايا . وكانت فكرة انشاء دستور للبلاد وسلطة تشريعية من بين الافكار التي تعد نورية بالنسبة لتاريخ هذه البلاد . يضاف الى ذلك ان وجود مجلس تأسيسي في البلاد اولا ومجلس امة ثانيا ، رغم تزيف الحكومة السابقة لانتخاباتهما في الغالب ، هيا لبعض افراد الطبقة الواعية فرصة للتدبير بسياسة الحكومة الخاطئة .

ولم تقتصر نتائج الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ على الامور التي لها علاقة بالعراق بل كان لها تأثير في الوضع العام في مناطق متعددة من الشرق الاوسط . فالاتفاق الانكليزي الايراني المعقود في آب ١٩١٩ الذي كان من بين اغراضه المحافظة على النفوذ البريطاني في العراق ، اصبح قليل الاهمية بعد التسوية التي تمت في العراق بعد قيام ثورة العشرين . وكان

(١) المستقبل البغدادية ، العدد (٦٠٥) السنة الثالثة ، ٢٢ جمادى
الآخر ، ١٣٨٢ - ٢١ تشرين الثاني ، ١٩٦٢ .

(٢) الشيبسي ، الشيخ محمد رضا ، الايام البغدادية ، العدد ،
١٢٤ ، ١٠ ربيع الثاني ، ١٣٨٢ - ١٠ ايلول ، ١٩٦٢ .

من نتيجة اضطراب الاوضاع السياسية في روسيا وتركيا ، فضلا عن الثورة في العراق ، ان تخلصت ايران من قيد من قيود الاستعمار الذي ارادت فرضه بريطانيا عليها .

اما تأثير الثورة العراقية في البلاد العربية المجاورة فلا يقل عن تأثيرها في الاوضاع العامة في ايران . ويقول انطونيوس « دلت الثورة على ان الوعي العربي القومي كان قوة يحسب حسابها - وان كانت على السطح علامات من التصدع والتعصب الحزبي - وان السياسة المؤسسة على القسر باهظة التكاليف وربما اثبتت انها معدومة الجدوى ، وان المصالح البريطانية قد تتعش على صعيد الاتفاق والرضى المتبادل ويكون ذلك اجدى عليها - وهو درس دلت الدلائل على ان فرنسة تعلمته في سورية وان على انجلترا ان تتعلمه في فلسطين . » (١)

وبعد فهذه الحركة التحررية في العراق ، قصصت عليك قصتها في بداية هذا القرن يوم كانت قليلة الانصار غامضة الاهداف . ورويت لك حوادثها يوم اشتد ساعدها وملت شعث انصارها في الفترة الكائنة بين نهاية الحرب العالمية الاولى وقيام الثورة . وشرحت لك اهدافها ومراميها البعيدة يوم اتت اكلها في ثورة العشرين الخالدة .

(١) المصدر السابق ، ص ٤٨١ .

الملاحق

1865

الملحق (أ)

نماذج من الشعر الذي قيل في الثورة باللغتين الفصحى والعامية

روى الشيخ جعفر محبوبه^(١) ان الاستاذ الكبير الشيخ محمد رضا الشيباني نظم قصيدة عنوانها « شكوى وعتاب » على اثر جلاء الاتراك من البلاد الفراتية ضمنها شكواه من هفواتهم وعابتهم فيها عتابا لاذعا نذكر منها الايات التالية :

لا الجبن ثار فاطغانا ولا البخل	لا الجبن ثار فاطغانا ولا البخل
لو كان ما بهم جينا لما اتقموا	لو كان ما بهم جينا لما اتقموا
السيف قرب منا كل قاصية	السيف قرب منا كل قاصية
ماذا نؤمل في ادراك غايتنا	ماذا نؤمل في ادراك غايتنا
يا من يعز علينا ان نؤنبهم	يا من يعز علينا ان نؤنبهم
تأبى الحوادث الا ان نملكهم	تأبى الحوادث الا ان نملكهم
كم تبذون لنا ذنبا فنعذرکم	كم تبذون لنا ذنبا فنعذرکم
اما صفحنا عن الماضي لاينکم	اما صفحنا عن الماضي لاينکم
اما استجشات كما شتم كتابنا	اما استجشات كما شتم كتابنا
قيضتم لحفاظ الملك طائفه	قيضتم لحفاظ الملك طائفه
قوم من العرب وخز النحل حظهم	قوم من العرب وخز النحل حظهم
لم يفعلوا ما اردتم من ثباتهم	لم يفعلوا ما اردتم من ثباتهم
خانوا ضمائرهم في بذل طاعتهم	خانوا ضمائرهم في بذل طاعتهم
عند المغانم تسونوا ويفدحنا	عند المغانم تسونوا ويفدحنا
اين الرهين بأموال لنا ذهبت	اين الرهين بأموال لنا ذهبت

(١) ماضى النجف وحاضرها ، ص ٢٤٨-٢٤٩ .

دون ملك العراق بين الطلول لابي عبدالله ابن البتول
قد اريقت دماء خير قتيل افعد الحسين سبط الرسول
نحن نرضى بالانجليز وصيا ؟

كم امام من آل طه تردى دون ملك العراق قد مات وجدا
وشهيدا قضي وما نال قصدا افعد الرضا وموسى المفدى
نحن نرضى بالانجليز وصيا ؟

قد ظلمنا العراق يا ساكنيه ان دمع النساء لا يجديه
حين نبكي السبطين او نبكيه افمن بعد المجتبي واخيه
نحن نرضى بالانجليز وصيا ؟

يا محبي آل النبي الكرام ايكون العراق ملك اللثام
وهو ميراث آل خير الانام افعد الائمة الاعلام
نحن نرضى بالانجليز وصيا ؟

مثل وادي السلام وادي العقيق كم لنا من عهد هناك وثيق
وعقوق الاوطان مثل العقوق افعد الصديق والفاروق
والذي صاهر النيا

نحن نرضى بالانجليز وصيا ؟

الصرخة الثانية

اشهدوا يا اهل الثرى والثريا

قد ابت شيعه الوصي وصيا

قد نكثنا عهد النبي لدينا واحتملنا اثما وعارا وشينا
ان قبلنا وصاية وغوينا افلا يسخط الوصي علينا

ان رضينا بالانجليز وصيا ؟

ما عسى ان تقول يوم الجزاء لنبي الهدى ابي الزهراء

والشهيد المظلوم في كربلاء وامام الهدى بسامراء
ان رضينا بالانجليز وصيا

نحن اهل العراق اسد العراق لا طيور تصاد في الاشراك
بعد تحريرنا من الاتراك قد رضينا بالكفر والاشراك
ان رضينا بالانجليز وصيا

انت اعمى يا غرب ام تعامى نحن لسنا اراملا ویتامی
لنعاني وصاية ونظاما لا فقهنا للكائنات نظاما
ان رضينا بالانجليز وصيا

نحن مثلكم يا رجال رجال لا نساء تضمهن حجال
بل كمة يوم الوغي ابطال يا بني العرب خابت الآمال
ان رضينا بالانجليز وصيا

بدماء الآباء والاجداد قد شرينا تراب هذي البلاد
نحن ادنى الاقوام شر العباد واعق الاولاد والاحفاد
وبار الجحيم اولى صليا
ان رضينا بالانجليز وصيا

الصرخة الثالثة

لست منا ولم تكن منك شيئا
فلماذا تكون فينا وصيا

لم تكن يا بن لندن علويا هاشميا ولم تكن قرشيا
لا ولا مسلما ولا عربيا من بني قوما ولا مشرقيا
فلماذا تكون فينا وصيا

ليس ما بيننا وبينك جامع وطن او قومية او (جامع)

فرقت بيننا جميع الجوامع حين شأن المتبوع التابع
فلماذا تكون فينا وصيا

في سبيل استقلالنا قد نكثنا عهد اخوان ديننا يوم ثرنا
كم دماء منا ومنهم سفكنا غير نجم استقلالنا ما رصدنا
فلماذا تكون فينا وصيا

ما تركنا اخواننا الاتراكا وخذ لنا همو وآزرناكا
شغفا يا بن لندن بهواكا بل لنيل استقلالنا بولاكا
فلماذا تكون فينا وصيا

لا تقل جعفرية حنيفة لا تقل شافعية زيدية
جمعتنا الشريعة الاحمدية وهي تأبى الوصاية الغريبة
فلماذا تكون فينا وصيا

قد سئنا سياسة التفريق واهتدينا الى سواء الطريق
يا عدوا لنا بثوب صديق انت بين الوصي والصديق
لست الا مزورا اجنيا
فلماذا تكون فينا وصيا

وروى السيد محمد علي كمال الدين ان المرحوم السيد سعد صالح
قال عندما فر الى بعض الاقطار العربية المجاورة عقيب الثورة العراقية سنة
١٩٢٠ بعد ان روعه واصحابه قصف المدفعية الثقيلة ومنظر مئات الالوف
من الثوار واللاجئين الى النجف بعيالاتهم واطفالهم ومواسيهم من قبائل
المسيب وكربلاء وطويريج والكفل :

سئمت العيش في وطن يضام يذل يضطهد
محته يد القضاء فراح لا روح ولا جسد
عفت تلك الربوع فلا قديمات ولا جدد

رياض صوحت ومها ذعرن ومجمع بدد
مرابع في الحمى لم يبد ق من آساده اسد
ربوع غير سرح الوحـ ش لا يأوي لها احد^(١)

نشرت جريدة « العراق »^(٢) البغدادية رباعيات للشيخ علي الشرقي
نقّس منها ما يتعلق برأيه في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ :

يا ثورة اعقبتهـا ندامة الثوار
كم في سراري عتب لو تسمعون سراري
هذا اختياري ولكن بالجبر اصل اختياري
تدارك الله شعبا يهـم بالانتحار

* * *

بالذي املى على الامة صك الانتداب
والذي عدل في بغداد مجرى الانتخاب
والذي ابقى له في سورنا سبعين باب
علمونا كيف نرجو عمراننا من خراب

* * *

ارى بناء ولكن مهددا بالطوارى
ارى وجوها ولكن مخطوفة باصفرار
ارى عيوننا ولكن تقادحت بشرار
فكم يدارى عراقي بغداده ويجاري

وقال الدكتور مصطفى جواد قصيدة يصف فيها جانبا من ثورة

(١) سعد صالح ، بغداد ، ١٩٤٩ ، ص ١٣٦ .

(٢) العدد ، ١٨٥٣ ، ٣ حزيران ، ١٩٢٦ - ٢٢ ذي القعدة ،

١٣٤٤ هـ .

الخالص في لواء ديالى يقول فيها :

ثبتنا في مواقف محرجات
وولاقينا مدافع وانفجارا
وذدنا عن حمى وطن مباح
ورمنا في معاركنا اتصارا

ويستمر بقصيدته فيقول :

شباب اعرسوا بالموت مردا
وكان رصاص قاتلهم نشارا
وتابعهم كهول القوم زفا
فوا حزنا لمن تركوا الديارا^(١)

نماذج من الادب الشعبي الذي قيل بالعامية

قال احدهم يهجو الميجر ديلى Daly^(٢) لما هرب من الديوانية
بعد ان احتلها الثوار :

شارد من اهل الفوس^(٣) مالك يديلى
جربت يوم الكون حيلك اوحيلى

وقال احد عشائر بني حچيم يخاطب (نايف العاجل) احد رؤساء
عشيرة بني حچيم :

حاربت الحكومة العودي اوجدي^(٤)
وخليت اللشاش امخالفه ابجدي^(٥)

- (١) عزالدين ، يوسف ، الشعر العراقي الحديث ، ١٩٦٠ ،
ص ١٦٠ - ١٦١ .
(٢) حاكم لواء الديوانية السياسى .
(٣) مفردها فأس الآلة المعروفة . ويشير الشاعر هنا الى أن الثوار
لا يملكون الاسلحة الحديثة .
(٤) يقول الشاعر حاربت بريطانيا من أجل تراث أبي وجدي .
(٥) ثم يقول انتصرت عليهم وتركت موتاهم مكسدين بعضهم فوق
بعض .

واويكم يناف جانه ايجدي (١)
هندو حطوله ابكشكوله

وعندما اسقط الثوار طائرة بريطانية قال احدهم بهذه المناسبة :
يلترعد بالجو هز غيري

ولما انهزم الجيش البريطاني في الرانجية قال احدهم مخاطبا الجيش
المنهزم :

رد مالك ملعب ويانه (٢)
وقال الحاج مرزوك العواد بطل الرانجية مخاطبا الجيش
البريطاني :

ودوه يبلعنا اوغص بينه (٣)
وعندما استقبل الشيخ شعلان ابو الجون وعشيرته الملك فيصل الاول
هوس العشائر رغم ممانعة الملك فيصل :

اهنا گصنا اخوة ذوله (٤)
اهنا علگنا الگنارة

وقالت امرأة من (بني عارض) الساكنين في الرميثة وقد اشترك في
النورة زوجها واولادها الثلاثة ، وحين قتل ولدها الاكبر القت بنفسها عليه
(١) ان ابن آوى الذي يسكن بأطرافكم قدم علينا يستجدي لحوم
الموتى فاطعمناه من لحوم الهنود القتلى .

(٢) أي ارجع أيها الجيش لانك لا تستطيع لقاءنا .

(٣) أرسلت الحكومة جيشها لتقضي علينا ولكنه فشل وانكسر .

(٤) يقول الشاعر المهوال أي المتمرس في اغنيات الحرب
« الهوسات » في هذا المكان قتلنا بني قوم هؤلاء الانكليز الذين يرافقونك
يا فيصل . وهنا علقنا آلة القصاب التي يعلق عليها ذبائحه .

وتخضبت بدمائه واخذت تحييه بقولها :

عفيه اولدي شيال راسي ردتك ترد ذوله الجواسي
وبموتك گويت باسي

وحين استشهد زوجها في معركة اخرى وقفت تحييه بقولها :

عمرک گضيته ابغز يمير^(١) اولوا واحد اليدناک يگدر
وبعزمتک اتعارج الصوجر ولموطنک معرض مگنطر
الفخر الک جاورت حيدر

وحين استشهد ولدها الثاني (جبر) في معركة العارضيات الثانية ،

حيته بأبيات رائعة منها :

شلتک ابطني تسعه اصحاح
يلين گومک گمر وضاح
ردتک لمثل اليوم سفاح
اتطارد (الصوجر) اهل الارماح
شيال راسي يوم الصياح

وعندما وقع احد الابطال شهيدا اقتحمت امه (انجيده) النيران

وحملت جثته عائدة بها الى جانب الثوار وهي تهوس :

« عربيد اسم امک يا هييه »

وقد جمع الاديب علي الخاقاني كثيرا من الشعر الشعبي الذي قيل

في الثورة ونشره في كتاب خاص اسماء « فنون الادب الشعبي » وهو جدير

بالاطلاع عليه لا سيما وانه تضمن روايع من القصائد الشعبية قيلت في الثورة

قالها شعراء شعبيون معروفون امثال الشيخ علي البازي وغيره .

(١) الميمر البطل . أي أنك قضيت حياتك الغالية بعز ولم يستطع

أحد أن يعتدي عليك وقد قابلت جنود بريطانية Soldiers وقتلت في

سبيل عز وطنك . وطوبى لك أيها الشهيد لانك ستجاور حيدر الكرار

علي بن أبي طالب (ع) في الجنة كشهيد .

الملحق (ب)

توصيات لجنة كنج - كراين الخاصة بالعراق

٢٨ آب ١٩١٩

بالنظر للمقرارات ، التي اصدرها مؤتمر الصلح في ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ - في عشية الهدنة - وكل من هذه الوثائق يصنف سورية والعراق في مقام واحد ليعالج امرهما بطريقة واحدة ، كما يقطع لكل منهما الوعود والتأكيدات ذاتها فان عضوي اللجنة يوصيان مؤتمر الصلح بان يتبع تجاه العراق سياسة توازي بشكل عام تلك التي اوصى باتباعها حيال سورية حتى لا يتحول التصريح الانكليزي - الفرنسي الى « قصاصة من الورق » .

١ - ووفقا لذلك فاننا نوصي ، انسجاما تاما مع التعليمات الصادرة لنا ، وباعتبار ان ذلك يتقدم على غيره في الاهمية ، بأن اية ادارة (حكومة) اجنبية تدخل الى العراق يجب ان تأتي العراق ليس كدولة مستعمرة بالمعنى القديم لهذه الكلمة ، بل كدولة منتدبة من عصبة الامم ، مشفوعة بادراكها الجلي بأن « رفاه الشعب وانماه » يؤلفان بالنسبة اليها امانة مقدسة . ومن اجل هذه الغاية يجب ان يكون للانتداب اجل محدود ، وان تقرر موعد انتهائه عصبة الامم ، في ضوء جميع الوقائع كما ترد من عام الى آخر ، سواء في التقارير السنوية للدولة المنتدبة المرفوعة الى العصبة او بطريق اخرى .

ان النص الكامل للتوصية الاولى بشأن سورية مشفوعا بالتوصيات الملحقة بها ، ينطبق نقطة نقطة على العراق بالصحة ذاتها التي ينطبق فيها على سورية .

(١) اخذ نص هذه الوثيقة عن كتاب جورج انطونيوس « يقظة العرب » ، ص ٦١٧ .

وإذا ما قام مؤتمر الصلح وعصبة الأمم والدولة الموكل إليها الانتداب بتنفيذ سياسة الانتدابات المتجسدة في ميثاق عصبة الأمم ، تنفيذاً مخلصاً ، فإن أهم مصالح العراق الأساسية تصان بذلك تماماً - ولا تصان بغير هذا .

٢ - ونوصي ، في المقام الثاني ، بأن تصان وحدة العراق ، وأن تخطط حدوده المضبوطة بواسطة لجنة تخطيط للحدود ، بعد تعيين الانتداب عليه . وعلى وجه الاحتمال يجب ان يشمل (العراق) على الأقل ، على ولايات البصرة وبغداد والموصل . كما يمكن الحاق المناطق الكردية والآشورية الجنوبية بالعراق . فالحكمة من ايجاد قطر موحد هي في حالة العراق في غنى عن النقاش .

٣ - ونوصي في المقام الثالث ، بأن يوضع العراق تحت اشراف دولة منتدبة واحدة ، باعتبار ذلك السبيل الطبيعي لتأمين وحدة حقيقية وفعالة كما ان مهمة انماء الشعب اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وتعليميا تستدعي مثل هذا الانتداب الموحد . وليس خليفاً بأن ينجم عن محاولة تقسيمه وتجزئته الى « مناطق نفوذ » من جانب عديد من الدول ، الا تعريض مصالح الشعب الى الهدر والاضطراب والاحتكاك والاذى . وهذا يتضمن انه ليس للدولة المنتدبة ان تكون دولة مستثمرة انما يجب ان تحافظ حقوق الشعب كاملة مقدسة .

٤ - لما كان من المرغوب فيه بوضوح ان يكون ثمة انسجام عام في المؤسسات السياسية والاقتصادية والتدابير المتعلقة بسورية والعراق ، ولما كان يجب ان يكون للشعب الكلمة الاولى في تقرير شكل الحكومة التي سيعيش في ظلها ، فاننا نوصي بأن تكون حكومة العراق ، انسجاماً مع الرغبات السافرة لشعبها ، ملكية دستورية ، كالحكم المقترح لسورية ، وبأن يعطى شعب العراق فرصة يعلن فيها ملكه المختار وان تراجع عصبة الأمم اختياره هذا وتثبته . ويمكن الافتراض بما يقارب الصواب ان ال ١٢٧٨

عريضة الواردة من سوريين بطلب الاستقلال للعراق وتعاذل ٦٨ بالمائة من مجموع العرائض الواردة تعكس الشعور في العراق بالذات ، كما ان الاتصالات التي استطعنا تأمين عقدها مع العراقيين تدعم هذا الافتراض وتجبر الى الاعتقاد بأن البرنامج الذي رفعه في حلب الممثلون العراقيون ، برئاسة جعفر باشا الحاكم العسكري لمنطقة حلب ، والذي يوازي عمليا البرنامج المرفوع في دمشق ، خليق بأن يؤيده الشعب العراقي بشكل عام . وسواء أكان يشمل تعيين ملك من ابناء ملك الحجاز ، فليس لدينا من المعلومات الكافية للفصل في الامر ، ولهذا اوصينا باجراء استفتاء على هذه النقطة . هذا على الرغم من وجود بينات بريطانية على ان العراقيين قد عبروا عن تحييدهم لواحد من ابناء عاهل الحجاز كأمر يولى عليهم .

٥ - يعلن البرنامج العراقي عن اختياره امريكة كدولة منتدبة من غير بديل ثان . ولا شك انه كان في العراق قسط كبير من الانفصال الساخط ضد بريطانية العظمى ، فالعرائض تتهم على وجه التعيين السلطات البريطانية في العراق بتدخل كبير في حرية الرأي والتعبير (الكلام) والانتقال - وقد يبرر الكثير منه في وقت الاحتلال العسكري ، ولكن المشاعر المهيجة بذلك القدر قد تنتج بالطبع عدم استعداد للتعبير عن الرغبة في اختيار بريطانية العظمى دولة منتدبة . ومن جهة اخرى فان مادة الكتيب المسمى : « نسخ وترجمات التصاريح وغيرها من الوثائق المتعلقة بتقرير المصير في العراق » قد استدعتها محاولة من جانب الحكومة البريطانية في العراق لتأمين آراء الزعماء المتقدمين في كل جماعة فيما يتعلق بتقرير المصير . اما هذه المادة ، نظرا لانها مرفوعة مباشرة الى المسؤولين البريطانيين ، فهي بلا ريب اميز لمصلحة البريطانيين مما لو كانت خلاف ذلك ، ولكنها تدلل بما لا يقبل الشك على ان قسما كبيرا من الرأي (العام) من شأنه ان يختار الانتداب البريطاني - وعلى كل حال فان مجال اختيار دولة منتدبة ذات قدرة وتجربة كافيتين

وتميزة بالعدالة الاساسية هو مجال محدود ولا بد . وانه ليس مما لا يقبل الاحتمال ، ان العراقيين اذا جبهوا برفض امريكا قبول الانتداب على العراق خليقون بأن يجعلوا بريطانيا موضع خيرا هم الثاني على الأقل ، كما فعلت الاغلبية السورية . وهناك شواهد اضافية كذلك على هذه النقطة .

ولما كان لا يبدو محتملا ان امريكا تستطيع ان ، او خليقة بأن تقبل انتدابا على العراق ، بالاضافة الى امكان قبول انتداب على سورية وآسية الصغرى ، فان عضوي اللجنة يوصيان بأن ينيط مؤتمر الصلح الانتداب على العراق ببريطانية العظمى للاسباب العامة الانف ذكرها في معرض التوصية يجعلها دولة منتدبة على سورية في حالة عدم قبول امريكا ذلك ، ذلك انها قد تكون انسب الدول للمهمة الخاصة المنطوية في ذلك ، ونظرا لعلاقتها العريقة مع العرب ، كعرفان لجميل تضحياتها التي بذلتها لانقاذ العراق من الاتراك ، هذا مع عدم الاقرار لها بحق الفتح ، كما تعبر بياناتها هي عن اسقاطها لادعائها بهذا الحق ، ونظرا للمصالح الخاصة التي لها ، طبيعا ، في العراق بسبب من قربه الى الهند وصلاته الوثقى مع شبه الجزيرة العربية ، وبسبب مما سبق ان قامت به من عمل في الاقليم (العراقي) .

وان تلك الاسباب لتجعل انتدابا بريطانيا احسن ما يكون ، على وجه الاحتمال ، لخدمة المصالح الكبرى للشعب العراقي ككل ، على الرغم من انه من الاحسن لبريطانية وللعالَم ، من وجهة نظر المصالح العالمية الكامنة في الحيلولة دون اثاره الغيرة والشكوك والمخاوف من سيطرة دولة مفردة ، الا يضاف اي اقليم جديد الى الامبراطورية البريطانية . وعلى كل حال فان انتدابا بريطانيا سيتمتع بميزة مقرررة هي النزوع الى دعم الوحدة الاقتصادية والتعليمية في كل من ارجاء سورية والعراق ، سواء اكانت سورية تحت انتداب بريطانيا او امريكا ، وهكذا فان (الانتداب) سيعكس بشكل اكثر مما سبق العلائق الوثقى في ميدان اللغة والعادات والتجارة بين هذين

الجزئين من الامبراطورية العثمانية السابقة •
 وفي بلد كالعراق وافر الغنى بالامكانيات الزراعية والبتروول وغيره من
 المصادر سيلوح حتميا ، رغم توفر النوايا الطيبة ، خطر الاستثمار والسيطرة
 الاحتكارية من قبل الدولة المنتدبة عن طريق فرض سيادة المصالح البريطانية
 وخاصة عن طريق هجرة هندية واسعة النطاق • فهذا الخطر يتطلب
 احترازا متزايدا ونزيبها • وان العراقيين يشعرون شعورا قويا بحددة هذا
 الخطر وبخاصة خطر الهجرة الهندية ، حتى ولو اقتصررت الهجرة على
 المسلمين الهنود • فهم يتخوفون من التمازج بشعب آخر من عرق متباين
 كلبية وعادات مختلفة كلية باعتباره يهدد حضارتهم العربية •
 مع الاحترام

هنري س • كنج
 تشارلس ر • كراين

قرار^(١) المؤتمر العراقي العام

المنعقد بدمشق في ٧ آذار سنة ١٩٢٠^(٢)

قرر المؤتمر العربي العراقي العام الذي يمثل الشعب العراقي تمثيلا
 قانونيا في جلسته المنعقدة في دمشق الشام بتاريخ ٨ آذار ١٩٢٠ و ١٨
 جمادي الاولى ١٣٣٨ هـ اعلان القرار الآتي :

(١) اخذ نص هذه الوثيقة عن كتاب محمد طاهر العمري « تاريخ
 مقدرات العراق السياسية » ، ج ٣ ، ص ٤٠٧ •

(٢) رسم المؤتمر العراقي في صدر هذا المنشور العلم العربي
 المربع الالوان ، ووضع في اللون الاحمر نجمتين بدلا من نجمة واحدة كما
 هي الحال في العلم السوري • وقد تقرر رسميا لدى المجلس التأسيسي
 العراقي المنعقد في صيف سنة ١٩٢٤ قبول ذلك العلم الذي قرره المؤتمر
 العراقي محافظة على قيمته التاريخية •

باسم الشعب العربي العراقي

خاضت الامة العربية غمار الحرب الماضية في جانب الحلفاء لرفع نير الاجانب عن عاتقها واسترجاع سالف مجدها واستئناف مهمتها الطبيعية في تمدين الشرق وتحقيق آمالها القومية بالوحدة والاستقلال التام اسوة بغيرها من الشعوب التي نالت استقلالها وهي دونها حضارة ورقيا . وكان الحلفاء الكرام قد قطعوا لها العهود على الاخذ بنصرتها في هذا السبيل واعلنوا بلسان رؤساء حكوماتهم ومجالس نوابهم ان لا غاية لهم من الحرب الا استقلال الشعوب وترك الخيار لها في بت مصيرها وتعيين شكل حكوماتها فبرمت بريطانيا العظمى مع جلالة الملك حسين تلك المعاهدة المعروفة التي اعترفت فيها باستقلال العرب من جبال طوروس وشمالي ولاية الموصل الى خليج فارس [العربي] والاقيانوس الهندي والبحر الاحمر ، وايد الرئيس ولسون ذلك بما اعلنه من المبادئ السامية التي وافق عليها الحلفاء قاطبة واتخذوها اساسا للمصلح الدائم كما جاء في بيان اللورد غراي وزير خارجية انكلترا امام لجنة الامور الخارجية في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٦ وتصريح المسيو بريبان رئيس وزارة فرنسا في ٣ تشرين الثاني ١٩١٥ وردود الحلفاء على مذكرة الدول الوسطى التي ارسلت على يد السفير الامريكى في باريس وجوابهم على مذكرة الرئيس ولسن في ٢٢ ايار ١٩١٧ ، وبيان مجلس النواب الفرنسي في ٥ حزيران ١٩١٧ وبيان مجلس الشيوخ في ٦ منه وتصريح المستر لويد جورج في غلاسكو في ٩ حزيران ١٩١٧ وما شاكل ذلك من البيانات القائلة بتحرير الشعوب الكبيرة والصغيرة واستقلالها وترك الخيار لها في بت مصيرها والغاء المعاهدات السرية المجحفة بحقوقها .

وقد كان [لبعض قادة العرب] الفضل الاكبر في تحرير الامة العربية وانقاذها من نير العبودية والذل واحراز النصر المشترك على الاعداء في الشرق

فابلوا في الحرب احسن بلاء وقادوا الامة من نصر الى نصر ثلاث سنوات متواصلة اراقوا فيها دماء زهرة ابناء العراق وسورية والحجاز وكانوا موضع اعجاب الحلفاء والاعداء على السواء ذلك فضلا عما تحملته الامة في الاقطار العربية المختلفة من المصائب والاهوال وما قامت به من جليل الاعمال تأييدا لقضيتها الحققة وانتصارا لجلالة الملك وحلفائه الكرام .

وقد اسفر هذا الجهد المشترك المتواصل عن اندحار الاعداء وجلائهم عن العراق ودخول الجيوش البريطانية اليه بصفة حلفاء ومحربين فاعلنوا حينئذ ان لا مطمع لهم في البلاد ولا غاية الا استقلال الامة وترك الخيار لها في البت بمصيرها وتعيين شكل حكومتها .

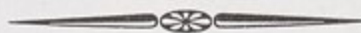
على ان الحرب العظمى قد وضعت اوزارها منذ نحو عام ونصف عام والبلاد لا تزال تئن تحت رزء الاحتلال الاجنبي الذي الحق بها اضرارا جسيمة مادية وادبية ووقف سير اعمالها ومصالحها الاقتصادية والادارية بشكل كاد يزلزل موقفها السياسي . فعيل صبر الشعب من هذه الحال وانقض في اماكن مختلفة على الحكم العسكري الاجنبي مطالبا باستقلاله التام .

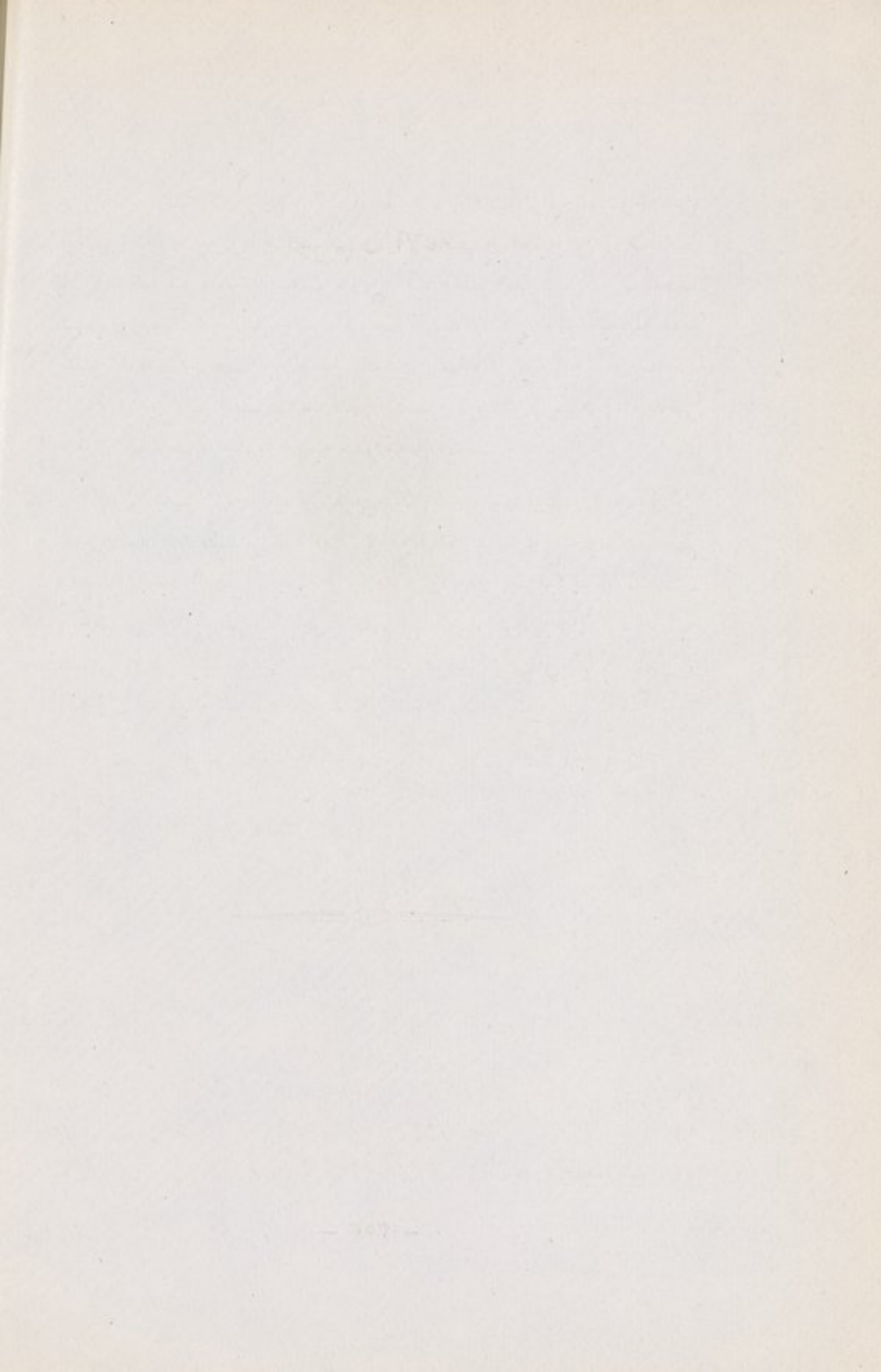
فنحن اعضاء هذا المؤتمر الذي يمثل الشعب العربي العراقي تمثيلا قانونيا صحيحا رأينا الآن ان نجهر بارادته ونخرج البلاد من هذا الموقف الحرج والحال المبهم المضطرب فاستنادا الى حق الامة الطبيعي بالحياة الحرة والاستقلال التام والى المبادئ السامية التي اعلنها الحلفاء العظام اكثر من سبعين مرة في خلال الحرب الماضية والى الرغائب التي اعربت عنها الامة العربية العراقية في ٦ ربيع الثاني ١٣٣٧ هـ بوثائق رسمية وقعها الامراء والرؤساء والزعماء والمفكرون وسائر طبقات الشعب والى ما شاهدناه ونشاهدته كل يوم من عزم العرب العراقيين على نيل استقلالهم التام والتوسل بكل الوسائل الممكنة التي تؤدي اليه ، وبصفتنا ممثلي الشعب المكلفين بالاعراب

عن ارادته اعلنا الان باجماع الراء استقلال البلاد العراقية المسلوخة عن تركيا بحدودها المعروفة من شمالي ولاية الموصل الى خليج فارس استقلالا تاما لا شائبة فيه وايدنا استقلال سورية التام واعلنا اتحاد العراق بها اتحادا سياسيا واقتصاديا وناديننا بحضرة صاحب السمو الملكي الامير عبدالله ملكا دستوريا بلقب صاحب الجلالة ملك العراق وعهدنا في نيابة الملك الى صاحب السمو الامير زيد المعظم واعلنا انتهاء الحكم الاحتلالي العسكري الحاضر على ان تقوم مقامه حكومة وطنية مسؤلة امام الشعب .

واننا باسم الامة العربية العراقية التي انابتنا عنها وعهدت الينا تقرير مصيرها نعلن محافظتنا على صداقة الحلفاء الكرام وعزمنا على احترام مصالحهم ومصالح جميع الدول الاجنبية في بلادنا راجين ان يعترفوا بهذا الاستقلال ويجلوا عن بلادنا العراقية ليحل محلهم فيها الجند الوطني والادارة الوطنية فتمكن دولتنا حينئذ من ان تكون عاملا من عوامل الرقي في العالم المتمدن .
هذا وان الحكومة العراقية التي تشكل عاجلا مكلفة بتنفيذ قرارنا هذا .

تحريرا في ٨ آذار ١٩٢٠ و ١٨ جمادي الاولى سنة ١٣٣٨ هـ .





فهرست الاعلام

		أ
٢١٠	ادون (المستر)	
٦٤	الأزري ، عبدالحسين	٤١
٣١٧	الاستربادي ، عزيز الله	٨٣
٦٦ ، ٥٧	اسحق ، روفائيل بابو	٨٣
٨٢	الاشتياني (مرزا حسين)	
	الاصفهاني (شيخ الشريعة)	٨٣ ، ١٤
٢٧٦ ، ١١١ ، ٩٥		٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ١٩٧
٢٩٦ ، ٢٩٥ ، ٢٩٣		١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢
٣١٣ ، ٣١٢ ، ٢٩٧		٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٣٣٠
٣١٤		٣٣١
٤٤ ، ٦ ، ٤٥	الافغاني ، جمال الدين	٢٦٦
٨٢		١٤ ، ٢٢٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣
٦٨	الآلوسی ، مصطفى	٣٤٤ ، ٢٦٣
٦٨	الآلوسی ، علي	
٣٤٥	انجيدۃ	٢٤٤
١٢٢	انور (باشا)	١٥٤
٣٠٨	اهليل (الحاج)	٢٦٥ ، ٢٢٩
١١٤	اوراق (احمد بك)	١٨٢ ، ١٨١
٩٧	الايراني ، اكبر شاه	٢٧٥
٣١٤	الايرواني ، المرزا محمد رضا	٢٧٦
		ابو جاسم (الشيخ صگبان)
		ابو الجون (الشيخ شعلان) : ١٤
		ابو الحب ، محسن
		ابو الحب ، محمد علي
		ابو طيخ ، محسن
		ابو كلل ، عطية
		ابو كلل ، كردي
		الآخوند ، احمد الملا كاظم

٨٦	البوشهري ، عبدالكريم	ب	
٢٣	البو نجيم (قبيلة)	٢١٥ ، ١٩٧	بابان ، جلال
	ت	٢١٧	البارزاني (الشيخ احمد)
	التفيض (مدرسة) : ١٦٦ ، ١٩٦ ، ١٩٧	٢٨٧ ، ٢٨٢ ، ٢٦٢	البازي ، علي
	تقي زاير ادهام (الشيخ موسى)	٣٤٥	
٣٠٦	التويلي ، عجيل	٨٧	بحر العلوم ، ضياء الدين
	ث	١٥٣	بحر العلوم ، محمد علي
		٢٢٦ ، ٢٣٧	
٦٤ ، ٦٣	ثيان ، عبداللطيف	٧٤	البدراوي ، نجم
	ج	٢٣	البرغش (قبيلة)
		٢٢٥	البطي ، كاطع
٢٠٣ ، ١٩٨	الجادر جي ، رفعت	٨٤	البغدادي ، السيد مهدي
٣٧	جاويد (باشا)	١٨٥	البقال ، نجم
٣٤٥	جبر	١٦١	بل (المستر)
٢٨٩	الجحالي ، علوان	١٨٢	بلفور (الكاتبين)
٢٤	الجحيش (قبيلة)	١٧٩	بن بطيخ ، فهد
٢٥٩	الجددة ، طالب	٢٠٠	بن رشيد ، محمد
٢٢٧	الجريان ، عداي	٢٨٢ ، ١٧٨	بن هذال (فهد بك) :
٢٢٧	الجريان ، نايف	٢٩٨ ، ٢٩٠	
١٤	الجزائري (الشيخ عبدالكريم)	٣٠٢ ، ٢٩١ ، ١٨	بني ربيعة (قبيلة) :
٢٣٨ ، ٢١٥ ، ١٧١		٦٦	بني ، فورلس بهنام
٢٧٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٣		٣٠٢ ، ٢٩١	بني لام (قبيلة)
١٥٣	الجزائري (الشيخ محمد جواد)	١١٤	بهجت (بك)
٣١٢	جعفر (الحاج)	١٥٠ ، ٢٤	البو سلطان (قبيلة)

٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٣٢ ،	الجعفرية (مدرسة) : ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥
٣٢٩	١٩٧ ، ١٩٦ ، ٨٧
٢٢٩ الحسين ، عبادي ٦٨	جلبي ، عبدالهادي
٢٢٩ الحسين ، عبدالسادة ٢٢٦	جفرز (المستر)
٢٧٦ حسين (السيد علي) ١٠٩	جمال (احمد باشا)
٣٠٠ الحلبي ، صالح ٢٥٧	العجائبي ، سلمان
٢٧٦ الحلبي (الشيخ علي) ٩٩	جواد (الشيخ)
٢٧٢ ، ٨٠ الحلبي ، محمد باقر ، ٧٤ ،	الجواهري (الشيخ جواد) :
٦٩ حماده ، خليل ، ٢١٥ ، ٢٠١ ، ١٧١	
٢٧٥ حمادي ، عبدالله ، ٣١٧ ، ٢٧٥	
٢٦٥ ، ٢٦٤ الحمادي (الشيخ معجون) ٣١٩ ، ٢٠٩	جورج ، لويد
٢٧٦ الحولاوي (الشيخ مشكور)	
٢٢٩ الحنون ، هنين ح	
١٥ حيدر (الشيخ اسد) ، ١١١ ، ٨٥ ،	الجبوبي (السيد سعيد)
٣٠٨ ، ٣٠٥ حيدر ، محمد حسن ، ١١٢	
٣١٢ حيدر ، عبد علي ٨٧	الجبوبي ، محمود
٢٠٣ الحيدري ، عبدالرحمن ٢٧٦	حبيب الله (الشيخ اسحق)
٢٠٣ الحيدري (السيد عبدالكريم) ٢٢٥ ، ٢٢٣	الحبيب (الشيخ منشد)
٨٤ الحيدري (السيد علي نقي) ١٤	الحرжан (الشيخ غيث)
١١١ الحيدري (مهدي) ١٦٦	حرس الاستقلال (جمعية)
خ ٨٧	حسام الدين ، علي
٣٤٥ الخاقاني ، علي ٣١٧	حسن ، (الشيخ)
٣٣١ الخالدي ، توفيق ، ١٥٤	الحسون ، طليفع
١٠٩ ، الخالصي (الشيخ مهدي) ، ١٥٢ ، ١١٨ ، ٧٩ ،	حسين (الشريف) :
٢٣٨ ، ١١٠ ، ١٩٤ ، ١٦٢ ، ١٥٦	

٢٠٢ ، ٢٠٠	الداود (الشيخ احمد)	٨٢ ،	الخراساني (الشيخ محمد كاظم)
٦٥ ، ٦٣	الدجيلي ، كاظم	٩٦ ، ٩٥ ، ٩١ ، ٨٨	
٦٥	الدخيل ، سليمان	٢٥ ، ١٨	الجزاعل (قبيلة)
٢٠٢ ، ١٩٧	الدفتري ، فؤاد	٧٧	خزعل (الشيخ)
١٠٥	دلامين (الجنرال)	٢٥٩ ، ٢٥٧	خضر ، عبدالرحمن
	الدلي ، عجه ،	٢٠٣	الخضيري ، ياسين ،
٣٤٣	ديلي (الميجر)	٣١٣	الخلخالي ، محمد
	ر	٦٩	الخطيب ، فؤاد
		١٧٩	الخليل ، جميل محمد
٢٨٣ ، ٢٨٢	الرارنجية (مركة)	٢٠٣ ، ١٩٨	الخليل ، محمد مصطفى
٨٧	راضي (الشيخ عبدالرزاق)	١٨٩ ، ٨٧ ، ٨٦	الخليلي ، جعفر
٢٧٦	راضي (الشيخ عبدالرضا)	٩٥	الخليلي (مرزا حسين)
	راضي ، كريم	١٥٣	الخليلي ، عباس
٢٥٧	رامز ، محمود	٣٠٥	الخنفر ، عبيد
٥٠	رشيد ، محمد	٨٣	الخياط ، مهدي
١١٤	الريمض ، بدر	٧٤	الخيرالله ، يوسف
١٣٤	روبرت ساندمان (السير)	٣٠٤ ، ٣٠٣	الخيرالله ، موحان
٣٠٥	الرويح ، مرزوغ	٣٠٥	
	ز	٣٠٠	الخيرزان ، حبيب
		٢٢٠	الخيون ، سالم
٤٦	زاهد ، عبدالحميد	٢٢٠	الخيون ، مجيد
٢٤	زبيد (قبيلة)		
٢١٢	زغلول ، سعد		د
٢٢٥	الزنبور (الشيخ عمران)	٦٧	دار السلام (مطبعة)
٢٦٥ ، ٢٤٢ ، ١٩٨	زوين ، هادي	١١١ ، ٩٥	الداماد (السيد علي)

٢٨٥ ، ٢٨٢	٣١٩	الزهاوي ، جميل صدقي
٢٧٢ ، ٢٦٣ ، ٢٥٨	٦٩	الزهاوي ، عبد الحميد
٢٨٦	٤٠ ، ١٥	زيادة ، نقولا
٢٧٥	٧٣	زينل ، بهجت
٩٧		س
السليمان (الشيخ علي) ، ٢٢٨ ، ٢٩٠ ،		
٢٩٨	٦٨	ساسون (افندي)
٢٧٥	٢٥٧	سامي ، محمود
١٧٩	٢٠٢	ساندرز (امير لواء)
٧٤	١٥٢	سايكس ، بيكو (اتفاقية)
٢١٥ ، ٢١٤	٣٠٥	السبتي ، عبدالكريم
١٥٧ ، ١٤	١٨٠	ستوارت (الكاتب)
٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٠ ، ١٩٧	٣٢ ، ٣٠	سركيس ، يعقوب
٢١٥ ، ٢١٤ ، ٢٠٥	١٨٢	سعد ، كريم
٢١٧	٢٨	السعدون (عائلة)
ش	١٧	السعدون (الشيخ ثامر)
٢٣١ ، ١٦٥	١٢٣ ، ١١٢	السعدون ، عجمي
الشيبي (جمعيه)	٢٨٦ ، ٢٢٩	سعدون ، علوان
الشيبي ، محمد رضا : ٧٣ ، ٨٠ ،	٢١	السعدون (الشيخ ناصر)
١٧١ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،		
٢٤٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ،	١٠٨ ، ١٠٤	السعود ، عبدالعزيز
٣٣٧ ، ٣٣٢ ، ٣٢٨	٧٠	السعيد ، نوري
الشيبي ، باقر ٧٣ ، ١٩٨ ، ٢٧٦ ،	٢١٤ ، ٩	سكر ، عبدالواحد
٣٠٥	٢٤٢ ، ٢٣٠ ، ٢١٦	
٢٧٥	٢٧٧ ، ٢٧٢ ، ٢٦٥	
الشرباوي ، محمد		

٢٧٥	شربه ، حسون	الشيرازي (الشيخ محمد تقي) : ١١ ،
٣٢٩ ، ٣١٥	شرشل ، ونستون	٩٥ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ،
٣٤٢ ، ١٩٢ ، ٥٥	الشرقي ، علي	١٩٠ ، ٢٠١ ، ٢١٤ ،
٣٠٦ ، ٢٢٩	الشريف ، سليمان	٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،
٦١	الشعراني	٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
١٣٤	شكاره ، ضياء	٢٦٣ ، ٢٨٨ ،
٨٤	شكاره ، كاظم	٢٩٣ ، ٢٩٤
٨٤ ، ٨٣	شكر (الشيخ)	ص
٦٤	شكر ، ابراهيم صالح	١٠٩
٢٣٠ ، ١٧٧	الشلاش ، رمضان	صائب (بك)
٢١٦ ، ٢٠١ ، ١٩٨	شلاش ، محسن	١٨٩ ، ١٩١
٢٧٥		الصادي ، محمد رضا
٢٢٩	الشلال ، محمد	٣١٧ ، ١٨٩
٩٥	شليله (الشيخ عبدالهادي)	٣٠٥
١١٨	شمبرلن (المستر)	الصالح ، محمد
٢٧٥	شمسه ، عباس	١٠٣ ، ٧٧
٦٨	شوكت (باشا)	الصبح (الشيخ مبارك)
٢١٥ ، ٢١٤ ، ١٥٧	شوكت ، ناجي	٧٧ ، ١٥٣ ، ١٨٥
٢٢٦ ، ٢٢٥	الشهد (الشيخ شعلان)	الصدر ، محمد
٨٤	الشهرنبلي ، حسين	١٦٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ،
	الشهرستاني ، هبة الدين الحسيني	٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ،
٢٨٥ ، ١٥٤ ، ٦٠		٣٠١
٨٢ ، ٨١	الشيرازي (المرزا حسن)	آل صفوگ ، عبد
		٢٢٩
		ض
		الضاري ، خميس
		٢٩٩
		الضاري ، سلمان
		٢٩٩
		ضياء (بك)
		١١٢
		ط
٢٥٧	طالب (الحاج)	

٣٠٥ ، ٣٠٣ ، ٢٢٢	العبيد ، خيون	٧١ ، ٥٦ ، ٥٥	طالب (السيد) :
١٥٣	عدوه ، عبدالرزاق	٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢	
٢٧٥	عدوه ، عيدان	١١٥ ، ٧٩ ، ٧٧ ، ٧٦	
١١٤	عزت (بك)	٣٣٠ ، ٢٠٨ ، ١٥٧	
٤٠	عزوري ، نجيب	٣٣١	
٢٢٩	آل غسل ، مهدي	١٢٢ ، ١٢ ، ١١٩	طاووزند (الجنرال)
٧٩	العسلي ، شكري	٥٧	الطناحي ، طاهر
٧٣	العسكري ، تحسين	ظ	
١٠٧	عسكري ، (سليمان بك)	٢٦٣	الظالمي ، رحوم
٢٨٥	العطية ، رايح	٢٠٢	الظاهر ، احمد
٢١٣	العظمه ، يوسف	٢٧٥	الظاهر ، حسين
٣١٠	آل عقيرب ، محمد		ع
١٥٨	العلم (جمعية)	٣٤٣	العاجل ، نايف
٢٥٧	علوان ، حسين	٣٥٢ ، ٢٢٩ ، ٨٠	عبدالله (الامير) :
١٥٤	علوان ، عمر	٢٧٦	عبدالحسين ، محمد
١٥٤	علوان ، عثمان	٢٦ ، ٢٥	عبدالحميد (السلطان)
٦٩	علي (عزيز المصري)	١٠٩ ، ٩٢ ، ٤٢ ، ٤١	
٢٢٩	العلي ، صكبان	٢٢٠	عبدالعباس (الشيخ)
١٥٤	العواد ، عبدالكريم	١٩٩	عبدالقادر ، عيسى
٢٨٠ ، ٢٢٩	العواد ، مرزوك	٣٠٥ ، ٢٢٩	عبدالمهدي (السيد)
٢٨٥ ، ٢٨٢		١٥٤	عبدالوهاب (السيد)
٢٣٠ ، ١٥	العوادي (السيد كاطع)	٤٥	عبده (الشيخ محمد)
١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥٤	العهد (جمعية) :	٢٧٢ ، ٢٢٧	العبطان ، سلمان
١٦٠ ، ١٥٨ ، ١٥٧		٣٣٨	العبيدي ، حبيب

	ق	١٦٥ ، ١٦٣ ، ١٦١	
٣٠٨	قاصد (الشيخ)	١٩٤ ، ١٨٨ ، ١٧٦	
٢٥٧	القره غولي ، شاکر	٢٣١ ، ٢١٣	
١٥٤	القزويني ، حسن	٣٠٠	عیدروسي ، حيب
١٦٩	القزويني ، محمد علي		غ
٨٣	القطان ، رؤف		
٩٥	القمشي (الشيخ محمد حسين)	٢٢٢	غانم ، السيد خلف
	ك	١٥٨	الغلامي ، محمد رؤف
٢٠٣ ،	الكاشاني (السيد ابو القاسم)	١٧٩	الغلامي ، عبدالمنعم
٢٣٨			ف
٩٥	الكاشاني (السيد مصطفى)		
٤٧ ، ٤٦ ،	الكاظمي ، عبدالمحسن	١٧	فائق ، سليمان
٢٣٨		٢٢٥	الفاضل ، صلال
٥٧		١١٢ ، ٧٤	الفالح ، عبدالله
٨٤	كبه ، عبدالغني	١٧٩	الفتيان ، عبدالعزيز
٣٠٦	كرافورد (الكاتب)	٢٣	فرحان (الشيخ)
٣٥٠ ، ٣٤٦	كراين ، تشارلس	٢٣٠ ، ٧٥ ، ٧٣	الفرعون ، مبدر
٢٥٩	الكردي ، زكي	٢٢٩	الفرعون ، مجيل
٣٢٧ ، ١٠٢	كرزن (اللورد)	٥٦	فريد (بك)
١٧٩	الكركري (سليمان اغا)	١٢٠ ، ١١٩	فون كولتز (الجنرال)
٦٤ ، ٦٣	الكرملي (الاب انستاس)	١٢٢	
٢٢٨	الكريم ، علي الحسين	٢٢٩	فياض (السيد دخيل)
٣١١	جرين فلاي (باخرة)	٣٣٠ ، ٣٢٩ ، ٢١٣	فيصل (الامير)
١٨٢ ، ١٣٥	جرينهاوس (الكاتب)	٣٤٤ ، ٣٣١	

٢٢٩	مان (المستر)	٢١٧ ، ١٦٢ ، ١٦٠	كمال ، مصطفى
٣٠٠	المتولي ، محمود	١١١ ،	كمال الدين ، محمد سعيد
٥٠	محمد ، رشيد	٢٧٥ ، ١٨٩	
٢٤١ ، ٢٤٠	محمد رضا (المرزا) :	١٨٩ ، ١٥	كمال الدين ، محمد علي
٢٤٥ ، ٢٤٢		٣٥٠ ، ٣٤٦	كنج ، هنري . س
٤٤ ، ٤١	محمد علي (باشا)	٧٣ ، ١٤	كنه ، عبدالمجيد
١١٠	محمد فاضل (باشا)	٤٠	الكواكبي ، عبدالرحمن
١٧٦ ، ١٧٥	محمود (الشيخ)	٣٢٥ ، ٣٣ ، ١٢	كوتلوف (المسيو)
٢٩٩ ، ٢٩٨ ، ١٤	المحمود ، ضاري :	١٢٣	گورنيج (الجنرال)
٣٠٠		٢٩٨ ، ١٠٥	كوكس (السير برسي) :
٢٨٨ ، ١٤	مخيف (الحاج) :	٣٢٠ ، ٣١٩ ، ٣١٨	
٢٨٩		٢٦٧ ،	كونتكهام (البريفادير جنرال) :
٣٨ ، ٢١ ، ٢٠	مدحت (باشا) :	٢٧٠	
١٦٤ ، ١٥٨ ،	المدفعي ، جميل ،		
١٨٠ ، ١٧٩			
٣٠٦	مطر (الشيخ عبدالحسين)	٢٩٨ ، ٢٢٨	لچمن (الكولونيل) :
٩٢	مظفر الدين	٢٩٩	
٢٢٣	المعجون ، عزاره	٥٩ ، ٥٤ ، ٣٠	لنج (بيت)
٢١٠ ، ١٥٢	مكماهون ، هنري	٣٢٩	لورنس (الكولونيل)
٢٦٤ ، ٢٥٩ ، ١٤	مگوطر ، هادي :		
٣١٣ ، ٣١٢ ، ٣٠٩			
٣٢٦		١٨٦ ، ١٨٣	مارشال (الكابتن)
١٤	الملائكة ، جعفر	١٤٨ ، ١٤٥	مارشال (السير وليم)
٢٧	الملي (عائلة)	٨٦ ،	المازندراني (الشيخ عبدالله) :
		٩٦	

٣٢ ، ٣١ ، ٢٩	نيجهولت ليكاما آ	٢٧	مناحيم ، دانيال
١٢٠ ، ١١٨	نيكسون (الجنرال)	٧٩	المؤيد ، محمد شفيق
هـ		٢٢٧	الموح ، صلال
٢٧٨	هاردكسل (الكابتن)	١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧	مود (الجنرال)
٦٥	الهاشمي ، رشيد	١٤٨	
٢١٣	الهاشمي ، ياسين	٢٥٧	مهدي ، ابراهيم
١٢٦ ، ١٣ ، ١٠	هالدين (السير المر)	٢٠١	مهدي (الشيخ عبدالرضا)
١٣١ ، ١٢٩ ، ١٢٨		ن	
١٣٩		٢٠٣ ، ١٩٧	النائب ، عبدالوهاب :
(ورد اسمه في امكنة متعددة		٩٥	النائبي (الشيخ حسين)
مقرونا بكتابه الذي اشير اليه		٢٣ ، ٢١	ناصر (الشيخ)
اتناء البحث) *		٢٨ ، ٢٢	ناظم (باشا)
٢٩٠	الهدال ، محروث	١٥٧ ، ٨١ ، ١٥٧	النقشبندي ، سعيد :
٢١٠	هرتزل ، اي	٢١٥ ، ٢٠٣ ، ١٦٣	
١٨	الهاللي ، عبدالرزاق	٢٥٨ ، ٢٥٧	النقشلي ، سامي :
٢٦٢	هيات (المستر)	٣١١ ، ٣١٠ ، ٢٥٩	
١٣٢	هيوت ، جون	٣١٢	
و		٩٥	النقشواني (السيد مصطفى)
ولسن ، آرنولد ١٠ ، ١٣٠ ، ١٣١		٣٢٧ ، ٢٣٦	النقيب ، عبدالرحمن :
٢٠٣ ، ١٦٧ ، ١٤٨		٣٣٠	
٣٢٧ ، ٢٠٨		١٧١ ، ١٧٠	النقيب (السيد هادي)
(ورد اسمه في امكنة متعددة		١٥٣	النهضة الاسلامية (جمعية)
مقرونا بكتابه الذي اشير اليه		١١٩	نور الدين (باشا)
		٢٧٤ ، ٢٧٢	نوربري (الميجر)

٢٤٢ ، ٢٣٠ ، ٢١٦	• اثناء البحث
٢٧٧ ، ٢٧٢ ، ٢٦٥	ونكيت (المستر) : ١١٦ ، ٩١ ، ٩٠ ،
٢٨٥	١٣٥
٢٠١ ، ١٤ (السيد نور) الياسرى	١٧٣ آل الوهاب (السيد عبدالوهاب)
٢٦٥ ، ٢٤٢ ، ٢١٦	٢٢٦ ويب (المستر)
• ٣٢٦ ، ٢٧٥ ، ٢٦٥	٣٨ ويلكوكس ، وليم
١٧٢ ، ٩٥ : (السيد كاظم) اليزدي	ي
٢٣٦ ، ١٩٩ ، ١٩٠	الياسري (السيد علوان) : ٧٤ ، ١٤ ،
٢٣٩	٢١٤ ، ٢٠١ ، ٧٦
٣٠٥ ، ٢٢٩ يوسف ، ابراهيم	

فهرسب الاماكن

١١٨ ، ١٠٤ ، ١٠٣
١٢٤ ، ١٢٢ ، ١٢٠
٢٠٣ ، ١٥٠ ، ١٤٤
٢٥١ ، ٢٥٠ ، ٢٤٨
٢٩٢ ، ٢٥٣

ب

١٩٤ ، ١٨٨
٤٦
١٤٩
١١٢
٤٤
٧٢ ، ٧٠ ، ٣٤ ، ١٦
١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١
١١٨ ، ١٠٥ ، ١٠٤
١٣٢ ، ١٣١ ، ١٢٤
١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٤٣
١٥٠ ، ١٤٨ ، ١٤٧
١٦٣ ، ١٥٥ ، ١٥٣
١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٦٧
٢٠٧ ، ٢٠٤ ، ١٩٧
٢١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨

باريس
البانيا
بدره
البرجسية (غابة)
بروسية
بريطانية

أ
٢٧١ ، ١٨٢ ، ٣٧
٢٧٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٢
٢٧٠ ، ٢٦٩ (مدينة الرميثة)
٧٣ ، ٦٩ ، ٣٦ ، ١٨

٩٥ ، ٧٦

٤٤
٤٤
٦٨ ، ٤٧ ، ٢٧ ، ٢٣
١٨١ ، ١٦٦ ، ١٦٠ ، ٧٨
٣٢
١١٨
١٥٩ ، ٣٦ ، ٣٥
٢٤٦
١٠٧ ، ٧٧ ، ٣٥
١٤٨ ، ١٦٠ ، ١٥٩
١٨٨ ، ١٦٦
٣٠١
٥٧ ، ٣٥ ، ٣٢ ، ٣١
٩٢ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٨٢
٩٧ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٩٣

ادرنه
ارمينية
استانبول
آسيا
افغانستان
امريكا
انزلي
انكلترا
اوربة
اورمية (بحيرة)
ايران

٥٦ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٣٧
 ٦٦ ، ٦٥ ، ٦٣ ، ٥٧
 ٧٦ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٦٧
 ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨١ -
 ٩١ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٨٦
 ١٠١ ، ٩٨ ، ٩٧ ، ٩٦
 ، ١١٨ ، ١٠٧ ، ١٠٢
 ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١١٩
 ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٤
 ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٧
 ، ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٣٩
 ، ١٤٨ ، ١٤٦ - ١٤٥
 ، ١٥٤ ، ١٥٠ ، ١٤٩
 ، ١٦٥ ، ١٦٣ ، ١٥٨
 ، ١٧٥ ، ١٧٠ ، ١٦٦
 ، ١٨٩ ، ١٨٦ ، ١٨٥
 ، ١٩٥ ، ١٩٤ ، ١٩٠
 ، ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٩٦
 ، ٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠١
 ، ٢١٣ ، ٢٠٨ ، ٢٠٥
 ، ٢٣٠ ، ٢١٥ ، ٢١٤
 ، ٢٣٧ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢
 ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٠
 ، ٢٥٨ ، ٢٥٣ ، ٢٤٥

، ٣٢٠ ، ٢٩٤ ، ٢١٨
 ، ٣٢٨ ، ٣٢٧ ، ٣٢٢
 ٣٣١ ، ٣٢٩
 ، ٢١ ، ١٧ ، ١٣ ، ١٢
 ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٨
 ٦٥ ، ٦٣ ، ٣٤ ، ٣٣
 ٧٣ ، ٧٢ ، ٦٩ ، ٦٦
 ٧٩ ، ٧٧ ، ٧٦ ، ٧٥
 ، ١٠٥ ، ١٠٣ ، ٩٨
 ، ١١٢ ، ١٠٧ ، ١٠٦
 ، ١١٧ ، ١١٥ ، ١١٣
 ، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٢٦
 ، ١٤٩ ، ١٣٨ ، ١٣٧
 ، ١٩٥ ، ١٥٨ ، ١٥٠
 ، ٢٥٣ ، ٢٢٤ ، ٢٠٨
 ، ٢٦٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٤
 ، ٢٩٥ ، ٢٨٩ ، ٢٨٣
 ، ٣١٨ ، ٣٠٨ ، ٣٠٢
 ٣١٩
 ١٢٣
 ٣٠١ ، ٣٠٠ ، ٢٤٤
 ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢
 ٣٠ ، ٢١ ، ١٨ ، ١٧
 ٣٦ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢

البصرة

البطنجية
 يعقوبة
 بغداد

ح	٢٧٤ ، ٢٦٩ ، ٢٥٩	
٨٠ ، ٧٣ ، ٤٣ ، ١٣	الحجاز	٢٨٨ ، ٢٧٣ ، ٢٨٠
١٦٣ ، ١٤٤ ، ١٠٨		٢٩٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٠
٢١٠ ، ١٩٤ ، ١٨٧		٣١٩ ، ٣١٨ ، ٣٠٢
٢٢٥	الحصوة	١٣٤ بلوستان
٢٤٥ ، ٣٧	حلب	٣١ بندر ابي شهر
١٤٠ ، ٣٨ ، ١١	الحلة	٣٦ ، ٣١ بومباي
١٧٣ ، ١٦٩ ، ١٦٦		٦٧ ، ٤٤ ، ١٥ بيروت
٢٠٨ ، ١٩٢ ، ١٩١		
٢٥٦ ، ٢٣٤ ، ٢٢٦		ت
٢٧٧ ، ٢٧٤ ، ٢٦٠		٩٢ ، ٩١ ، ٤٧ ، ١٣ تركيا
٢٨١ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨		١٠٥ ، ١٠٤ ، ١٠٣
٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٣		١١٨ ، ١٠٧ ، ١٠٦
٢٩٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٠		١٥٩ ، ١٥٥ ، ١٤٤
٣٠٦		٢١٦ ، ٢٠٣ ، ١٦٢
٢٩٢ ، ٢٧٠	الحمزة	٢١٨
٣٠٣ ، ١٤٩ ، ١٢٣	الحي (شط)	١٨٠ ، ١٧٩ ، ٣٠ ، ٩ تلعفر
٢٠٣ ، ٢٠٢	الحيدر خانة (جامع)	٢٥٩ ، ١٨١
خ	ج	
١٧٩	الخابور (نهر)	١٤٦ الجبل الاسود
٢٩٩	خان النقطة	٢٩٢ الجربوعية (جسر)
٢٤٨ ، ١٢٢	خاتقين	١٧٩ الجرناف
٥٠	خراسان (نائب)	٢٦ الجعارة (الحيرة)
٢٩٣	الخرطوم	٣٢٧ جنيف

٢٨٩ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥	٢٤٧	الخزرد (بحر)
٣٠٥ ، ٣٠٤	الرفاعي	٣١٠ ، ٣٠٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٤
٢٩٩ ، ٢٩٨ ، ٢٩٠	الرمادي	
٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٠	الرميثة	د
٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦١		٢٨٩ ، ٢٨٨ ، ٣٨ ، ١٩ ، ٩
٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤		٣٠١
٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧		٢٩٨ ، ٢٥٦ ، ٢٢٨ ، ١٤
٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢		٧٠ ، ٧٩ ، ١٠١
٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٩		١٨٨ ، ٢١١ ، ٢٤٥
٣٢١		١٤ ، ٣٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦
١٠٢ ، ٢٤٨	روسيا	٩ ، ١٧٦ ، ١٧٧
ز		١٧٨ ، ٢١٣ ، ٢٥٩
١٦١	زاخو	٧ ، ١٩ ، ٣٨ ، ١٣١
٣١٤	زريجية	١٥٠ ، ١٩١ ، ٢٠٨
س		٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٣
٨٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣	سامراء	٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣
٢٤٠ ، ٢٥٣		٢٧٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨
٢٤١	سان ريمو (مؤتمر)	٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠
١٢٠ ، ١١٩	سلمان باك	٢٩٢ ، ٢٩٣
١٧٥ ، ١٧٤	السليمانية	ر
٩ ، ٢٢٤ ، ٢٥٤	السماوة	١٢٢
٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٣٠٨		٢٧٧ ، ٢٧٨ (مقاطعة)
٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١		٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١
٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤		٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤

٢٠١ ، ١٨٢ ، ١٧٠		٣٢١ ، ٣١٨	
٢٣٣ ، ٢٢٩ ، ٢١١		٣٦ ، ١٣ ، ١٢ ، ٩	سورية
٢٦٥ ، ٢٤١ ، ٢٣٤		٤٧ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤١	
٢٧٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧١		٩٨ ، ٦٩ ، ٦٧ ، ٥٦	
٢٨٩ ، ٢٨١		١١٨ ، ١٠٨ ، ١٠٢	
١٧٩ ، ٢٢	الشرقاط	١٤٧ ، ١٤٦ ، ١٢٩	
١٤١ ، ١٢٣ ، ١١٥	الشطرة	١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٥٦	
٣٠٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٢		١٧٤ ، ١٦٣ ، ١٥٩	
٣٠٨ ، ٣٠٧		١٧٩ ، ١٧٧ ، ١٧٦	
١١٥ ، ١١٤ ، ١١٢	الشعبية	١٨٨ ، ١٨٧ ، ١٨٠	
٣٠٢ ، ١٣٨ ، ١١٦		٢٠٣ ، ١٩٥ ، ١٩٤	
١١٥	الثلوة	٢١٠ ، ٢٠٤	
١٣٥	الشنافية	٣٠٨ ، ٣٠٧	سوق الشيوخ
١٢٣	شيخ سعد	١٢٣	السويج
		٣٠	السويس
ص			
٣٠٣	الصديفة (مقاطعة)	ش	
١١٢	صخرية	١٥٥ ، ٧١ ، ٧٠	الشام
١٤٦	صربيا	١٦٢ ، ١٥٨ ، ١٥٧	
٢٤٧	الصين	١٧٤ ، ١٦٤ ، ١٦٣	
		١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٧٧	
ط		٢٣٢ ، ٢٢٩ ، ٢١٧	
١٠٢	طرابلس	٢٤٧	
٣١٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٣	طويريج	٢٧ ، ٢٢ ، ١٤ ، ٩	الشامية
٢٤٩ ، ٢٤١	طهران	١٦٦ ، ١١٥ ، ٧٠	

١٢٩ ١٢٨ ١٢٦
١٣٢ ١٣١ ١٣٠
١٣٨ ١٣٧ ١٣٦
١٤٥ ١٤٣ ١٣٩
١٤٩ ١٤٧ ١٤٦
١٥٣ ١٥١ ١٥٠
١٥٧ ١٥٦ ١٥٥
١٦٠ ١٥٩ ١٥٨
١٦٩ ١٦٤ ١٦٣
١٧٤ ١٧٣ ١٧٠
١٧٨ ١٧٧ ١٧٥
١٨٧ ١٨٣ ١٧٩
١٩١ ١٨٩ ١٨٨
١٩٤ ١٩٣ ١٩٢
١٩٧ ١٩٦ ١٩٥
٢٠٤ ٢٠٣ ٢٠٠
٢٠٧ ٢٠٦ ٢٠٥
٢١٠ ٢٠٩ ٢٠٨
٢١٤ ٢١٣ ٢١١
٢١٧ ٢١٦ ٢١٥
٢٢٠ ٢١٩ ٢١٨
٢٢٩ ٢٢٣ ٢٢١
٢٣٢ ٢٣١ ٢٣٠
٢٣٧ ٢٣٥ ٢٣٣
٢٤٢ ٢٤١ ٢٤٠

ع

٢٥٨ ١٧٩ ١٧٨ ١٥٣ عانه
١٢ ١٠ ٩ ٧ العراق
١٧ ١٦ ١٥ ١٣
٢٨ ٢٥ ١٩ ١٨
٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩
٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣
٤١ ٣٩ ٣٨ ٣٧
٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٣
٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٨
٥٦ ٥٥ ٥٤ ٥٣
٦٣ ٦٠ ٥٩ ٥٧
٦٩ ٦٨ ٦٥ ٦٤
٧٦ ٧٤ ٧٢ ٧٠
٨٢ ٨١ ٨٠ ٧٨
٨٢ ٨٩ ٨٧ ٨٣
٩٩ ٩٨ ٩٣
١٠٤ ١٠٣ ١٠١
١٠٧ ١٠٦ ١٠٥
١١٣ ١٠٩ ١٠٨
١١٦ ١١٥ ١١٤
١١٩ ١١٨ ١١٧
١٢٢ ١٢١ ١٢٠
١٢٥ ١٢٤ ١٢٣

	ق	٢٥٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤	
٧٤ ، ٤٧	القاهرة	٢٧٢ ، ٢٧٠ ، ٢٦٢	
١١٥ ، ١٠٧ ، ١٠٦	القرنة	٢٩٤ ، ٢٧٤ ، ٢٧٣	
١٦١	القسطنطينية	٣٢٨ ، ٣٢٧ ، ٣٢٠	
٣٠٦ ، ٢٢٩	قلعة سكر	٣٣١ ، ٣٣٠ ، ٣٢٩	
٢٩١ ، ٢٨٩	قوجان (محطة)	٣٣٣ ، ٣٣٢	
١٧٩	القيارة	١١٢	عران
	ك	١١٥	ابو عران
		١٤٤	عسير
١٦٨ ، ١٦٦ ، ٩٧ ، ٨٥	الكاظمية	٢٨٨ ، ٢٢٦ ، ٢٠٨	عفك
٢٠٣ ، ١٩٥ ، ١٧٠		١٧٦	العقر
٢٤٦ ، ٢٣٧		١٦١	عقرة
٨٨ ، ٨٥ ، ٧٦ ، ٥٣	كربلاء	١١٥	العلة
١١٥ ، ٩٩ ، ٩٧		٢٩١	ابن علي (مكان)
١٧٠ ، ١٦٨ ، ١٤٥		٢٢٨	العوجه (مدينة الرميثة)
١٩٤ ، ١٩٠ ، ١٧٣		١٧٩	عين الدبس
٢٣٨ ، ٢٠٨ ، ٢٠١			غ
٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩		٣٠٦ ، ٣٠٣ ، ٣٠٢ ، ١٩٢	الغراف
٢٤٦ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢			ف
٢٦٣ ، ٢٥٦ ، ٢٤٨		١٠٥ ، ١٠٣ ، ١٧	الفاو
٢٨٨ ، ٢٨٦ ، ٢٧٢		١٨٠ ، ١٧٩	القدغمي
٣٢٥ ، ٣١٦		٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ١٥٩ ، ١٤٧	فرنسة
١٧٦ ، ١٧٥	کردستان	٢٩٩ ، ٢٩٠ ، ٢٥٨ ، ٢٢٥	الفلوجة
٢٧٥ ، ٢٧١ ، ١١٦ ، ٩	الكفل		

١٠٣ ، ٧٩	المحجرة	٢٨١ ، ٢٧٨ ، ٢٧٧	
٢٩٩ ، ٢٥٥ ، ٢٣٨	المحمودية	٣١٨	
١١٥ ، ١١٢	مزيرعة	١٧٨	البوكمال
٣١	مستقط	١٢٠ ، ١١٧ ، ١٠٦	الكوت
٣٠	مسكنة	١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٢١	
٢٩٩ ، ٢٨٨ ، ٢٨٦	المسيب	٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ١٧٩	
٤٥ ، ٤٤ ، ٣٦ ، ١٢	مصر	٣٠٢	
٦٨ ، ٥٦ ، ٤٧ ، ٤٦		٢٦٥ ، ٢٣٤ ، ١٨٤	الكوفة
١١٨ ، ٨٩ ، ٦٩		٢٧٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٣	
٢٤٧ ، ٢١٠ ، ١٢٩		٢٨٢ ، ٢٨١ ، ٢٧٧	
٢٧٢		٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٦	
٢١١ ، ١٨٧ ، ٧٩	مكة	٣١٧	
٣٠ ، ١٧ ، ١٣ ، ١٢	الموصل	١٧٦	الكويتان
٣٧ ، ٣٥ ، ٣٣ ، ٣١		١٠٢ ، ٧٧ ، ٧٦	الكويت
٦٦ ، ٦٥ ، ٥٧ ، ٥٦		١٤٤ ، ١٠٣	
٧٩ ، ٧٦ ، ٦٩ ، ٦٧		ل	
١٥٨ ، ١٢٤ ، ١٠١		٢٩٩ ، ١٤٩ ، ١٤٧ ، ٣٦ ، ٣٥	لندن
١٦١ ، ١٦٠ ، ١٥٩		٣٤	لنكشاير
١٦٧ ، ١٦٥ ، ١٦٢		م	
١٧٥ ، ١٧٤ ، ١٦٨		٢٩٣ ، ٣٤	مانجستر
١٨٩ ، ١٧٩ ، ١٧٦		١٠٢ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤	المانيا
٢١٣ ، ٢٠١ ، ١٩٤		١٤٤ ، ١٠٤ ، ١٠٣	
٢١٨ ، ٢١٧ ، ٢١٦		١٦٠ ، ١٤٦	
٣٠٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣١		٧٨ ، ٧٣	المجر

٢٤٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣١		ن	
٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤١		٢٥٠ ، ٢٧٠ ، ٢١٠ ، ١٤	الناصرية
٢٧١ ، ٢٥٥ ، ٢٤٦		١١٧ ، ١١٥ ، ١٠٦	
٢٧٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٣		١٤١ ، ١٢٣ ، ١٢٠	
٣١٧ ، ٣١٣ ، ٢٨٨		١٥٤ ، ١٤٩ ، ١٤٢	
٣٢٥		٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ١٩١	
١٦٠ ، ٧٣	النمسا	٢٥٦ ، ٢٣٨ ، ٢٢٩	
هـ		٣٠٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٢	
٢٠١	هنجام	٣٠٨ ، ٣٠٦	
١٠٢ ، ٣٥ ، ٣١ ، ١٦	الهند	١٤٤	نجد
١٠٥ ، ١٠٤ ، ١٠٣		٢٦ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢	النجف
١١٨ ، ١٠٨ ، ١٠٧		٧٦ ، ٧٠ ، ٥٦ ، ٣٧	
١٢٨ ، ١٢٦ ، ١٢٤		٨٧ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٨٣	
١٤٩ ، ١٤٧ ، ١٤٥		٩٣ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٨٨	
١٨٦ ، ١٥٩ ، ١٥٠		٩٩ ، ٩٨ ، ٩٦ ، ٩٤	
٢١٠ ، ٢٠٧ ، ١٩٢		١١٤ ، ١١١ ، ١٠٩	
٢٥٠ ، ٢١٩ ، ٢١٨		١٣٣ ، ١١٦ ، ١١٥	
٢٧٢		١٤٥ ، ١٣٨ ، ١٣٥	
٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٧٧ (سدة)	الهندية	١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٤٦	
٢٨٦		١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٦	
١٥٣	هيت	١٨١ ، ١٧٤ ، ١٧٢	
ي		١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨٣	
١٤٦	اليابان	١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٦	
٤٣	اليمن	١٩٤ ، ١٩٢ ، ١٩١	
١٤٦	اليونان	٢٣٠ ، ٢٠١ ، ١٩٨	

المصادر

- ابراهيم ، عبدالفتاح - على طريق الهند ، بغداد ١٩٣٥
- احد اعضاء الجمعيات العربية - ثورة العرب ، القاهرة ١٩١٦
- انطونيوس ، جورج - يقظة العرب (ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس) بيروت ١٩٦٢
- آيرلند ، ويلارد - العراق (ترجمة جعفر خياط) بيروت ١٩٤٩
- بروكلمان - تاريخ الشعوب الاسلامية ، الجزء الرابع ، بيروت ١٩٥٠
- آل بازركان ، علي - الوقائع الحتمية في الثورة العراقية ، بغداد ١٩٥٢
- البصير ، محمد مهدي - تاريخ القضية العراقية ، جزآن ، بغداد ١٩٢٤
- بيل ، المس - فصول من تاريخ العراق الحديث (ترجمة جعفر خياط) بيروت ١٩٤٩
- الحسنسي ، عبدالرزاق - تاريخ الصحافة العراقية ، بغداد ١٩٥٧
- الحسنسي ، عبدالرزاق - الثورة العراقية الكبرى ، صيدا ١٩٥٢
- الحسنسي ، عبدالرزاق - العراق في دوري الاحتلال والانتداب ، الجزء الاول ، صيدا ١٩٣٥
- الحكومة العراقية - تقرير وليم ويلكوكس ، بغداد ١٩٣٧
- الحكومة العراقية - الاصلاح الزراعي واعمار الارض ، بغداد ١٩٥٦
- الخاقاني ، علي - شعراء الغري ، الجزء السابع ، النجف ١٩٥٥
- الخاقاني ، علي (الناشر) - فنون الادب الشعبي (الحلقة الرابعة) بغداد ١٩٦٢

دائرة الاستخبارات البريطانية - تقرير سري عن العشائر والسياسة
• ترجمة عبدالجليل الطاهر (بغداد ١٩٥٨)

• الدباغ ، عبدالوهاب - النخيل والتمور في العراق ، بغداد ١٩٥٦
• زكي ، امين - خلاصة تاريخ الكرد وكرديستان ، الجزء الاول ،
بغداد ١٩٦١

• الزهاوي ، جميل صدقي - الديوان ، القاهرة ١٩٢٤
• سر كيس ، يعقوب - مباحث عراقية ، جزءان ، بغداد ١٩٤٨ و ١٩٥٥
• سعيد ، امين - الثورة العربية الكبرى ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٩٣٥
• شاكر ، صابر - موجز تاريخ التركمان ، الجزء الاول ، بغداد
• ١٩٦٠

• شكاره ، ضياء - الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العراق (تقرير
رسمي مطبوع على الآلة الطابعة)

• الصايغ ، سليمان - تاريخ الموصل ، الجزء الاول ، بيروت ١٩٢٨
• الطاهر ، عبدالجليل - البدو والعشائر في البلاد العربية ، بغداد
• ١٩٥٤

• الظاهر ، عبدالرزاق - الاقطاع والديوان ، القاهرة ١٩٤٦
• عز الدين ، يوسف - الشعر العراقي الحديث ، بغداد ١٩٦٠
• العلاف ، عبدالكريم - بغداد القديمة ، بغداد ١٩٦٠
• علي ، عباس - زعيم الثورة العراقية ، بغداد ١٩٥٠
• العمري ، محمد امين - تاريخ حرب العراق ، الجزء الاول ، بغداد
• ١٩٣٥

• العمري ، محمد طاهر - تاريخ مقدرات العراق السياسية ، ثلاثة
اجزاء ، بغداد ١٩٢٥

- الغملاس ، ابن - ولاية البصرة ومتسلموها ، بغداد ١٩٦٢ •
- غنيمه ، يوسف - تجارة العراق قديما وحديثا ، بغداد ١٩٢٢ •
- فائق ، سليمان - تاريخ بغداد ، بغداد ١٩٦٢ •
- فراتي - على هامش الثورة العراقية الكبرى ، بغداد ١٩٥٣ •
- الفرعون ، فريق المزهري - الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، جزءان ، بغداد ١٩٥٢ •
- الفياض ، عبدالله - مشكلة الاراضي في لواء المنتفك ، بغداد ١٩٥٦ •
- فيلبي ، هـ • سنت جون - ايام فلبني في العراق (ترجمة جعفر خياط)
بيروت ١٩٥٠ •
- كمال الدين ، محمد علي - التطور الفكري في العراق ، بغداد
١٩٦٠ •
- كمال الدين ، محمد علي - سعد صالح ، بغداد ١٩٤٩ •
- لونكريك ، ستيفن هملي - اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث
(ترجمة جعفر خياط) بغداد ١٩٥٤ •
- محبوبة ، جعفر - ماضي النجف وحاضرها ، الجزء الاول ، صيدا
١٣٥٣ •
- نصري ، القاسم بطرس - ذخيرة الازهان ، الجزء الثاني ، الموصل
١٩١٣ •
- هيئة مدرسة الخالسي - زعيم الاسلام الخالد المجتهد الاكبر الامام
الخالسي ، بغداد ١٩٥٠ •
- الهالبي ، عبدالرزاق - تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ،
بغداد ١٩٥٩ •

الجرائد والمجلات

الاستقلال : العدد (٣) ١٠ تشرين الاول ١٩٢٠ ؛ (٢) ٣ تشرين
الاول ١٩٢٠ ؛ (٥) ٨ تشرين الثاني ١٩٢٠ .

الايام : العدد (١٢٤) ١٠ ربيع الثاني ١٣٨٢ - ١٠ ايلول ١٩٦٢ ؛
(١٠٠) ١١ ربيع الاول ١٣٨٢ .

البلاد : العدد (٤٨٧٢) ٣١ كانون الثاني ١٩٥٧ .
تنوير الافكار (مجلة) : العدد (٧) ج ١ ربيع الاول ١٣٢٩ ؛ (١)
شعبان ١٣٢٨ .

الرقيب : العدد (١٠) ١ نيسان ١٩٠٩ ؛ (١١) ٥ نيسان ١٩٠٩ ؛ (٤)
٢٧ محرم ١٣٢٧ ؛ (٣) ٢٠ محرم ١٣٢٧ ؛ (١٢) ١٧ ربيع الاول ١٣٢٧ ؛
(٨) ٢٥ صفر ١٣٢٧ ؛ (٦) ١١ صفر ١٣٢٧ ؛ (٥) ٤ صفر ١٣٢٧ ؛ (٢)
١٣ محرم ١٣٢٧ .

الشرق : العدد (١٨) ٢١ ايلول ١٩٢٠ ؛ (١٦) ١٨ ايلول ١٩٢٠ .
صدى الاحرار : العدد (٢٠٤) ١٩ رجب ١٣٧٢ ؛ (٢١٢) ١٥ رمضان
١٣٧٢ .

صدى الاسلام : العدد (١١٤) ٢٨ محرم ١٣٣٤ ؛ (٥٦) ١٧ ذي
القعدة ١٣٣٣ ؛ (٤٤) ٣ ذي القعدة ١٣٣٣ ؛ (٤٩) ٩ ذي القعدة ١٣٣٣ .

صدى بابل : العدد (١٨) ١٠ كانون الثاني ١٩٠٩ ؛ (١٠) ١٥ تشرين
الاول ١٩٠٩ ؛ (٩) ٨ تشرين الاول ١٩٠٩ ؛ (٧٥) ٢٨ محرم ١٣٢٩ ؛
(٢٠) ١٨ ذي الحجة ١٣٢٧ ؛ (١٧) ٣ كانون ١٩٠٩ .

العراق : العدد (١٠٨) ٧ تشرين الاول ١٩٢٠ ؛ العدد (٦٢) ١٢ آب

١٩٢٠ ؛ (٢٥) ٣٠ حزيران ١٩٢٠ ؛ (٣) ٣ حزيران ١٩٢٠ ؛ (٤) ٤ حزيران
١٩٢٠ ؛ (٣٦) ١٣ تموز ١٩٢٠ .

العرب : العدد (١١٢) ١١ مايس ١٩١٨ (١١٣) ١٣ منه (١١٤) ١٥
منه (١١٦) ١٦ منه والاعداد ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٨٦ ،
٨٧ سنة ١٩١٨ بتواريخ مختلفة .

العلم (مجلة) : العدد (١) مج ١ ٢٩ مارت ١٩١٠ ؛ (٥) مج ١
١٠ تموز ١٩١٠ ؛ (٢) مج ١ ٢٩ نيسان ١٩١٠ .

لغة العرب (مجلة) : العدد (٣) ايلول ١٩١١ .

الفرات : العدد (٢) السنة (١) ٢٨ ذي القعدة ، ١٣٣٨ هـ ؛

(٣) ٥ ذي الحجة ١٣٣٨ هـ .

مجلة غرفة تجارة بغداد : العدد (٨) ٤ تشرين الاول ١٩٤١ .

المستقبل : العدد (٦٠٥) ٢٢ جمادى الاخر ١٣٨٢ .

المعرفة (مجلة) : العدد (٣٩) ١٥ آب ١٩٦٢ .

النهضة : العدد (٢٥) ٥ تشرين الاول ١٩٢٧ ؛ (٢٣) ٣٠ ايلول

١٩٢٧ ؛ (٢٢) ٢٨ ايلول ١٩٢٧ .

المصادر الاجنبية

Barlow, E. The Egyptian Crisis 1918—1922, (typed Copy).
Bell, Lady Florence, The Letters of Gertrude Bell, Vols I
& II, London, 1947.

Birge, J. K., A Guide to Turkish Area Study, Washington,
1949.

British Government, Administration Report of The
Baghdad Wilayat 1917.

British Government, Arabs of Mesopotamia, 1916.

British Government, The Muntafik Confederacy.

British Government, Political Officers' Reports from Iraq, August 1919.

British Government, Reports of Administration for 1918 of Divisions and Districts of the Occupied Territories in Mesopotamia, I.

British Government, Reports of Political Officers of the Occupied Territories.

Browne, E. G., The Literary History of Persia, IV, London, 1909.

Browne, E. G., The Press and Poetry of Modern Persia, Cambridge, 1914.

Debrodt R. E., The British Attempt at Colonial Rule in Iraq 1918—1921, 1959 (Typed Copy).

Gibb, H.A.R., The Modern Trends in Islam, Chicago, 1950.

Haldane, A. L., The Insurrection in Mesopotamia 1920, Edinburgh, 1922.

House of Commons Debates, 5th Series, 127 (1920), 662, 663, cited by Robert E. Debrodt "The British Attempt at Colonial Rule in Iraq, 1918—21".

Ireland, P. W., Iraq: A Study in Political Development, London, 1937.

Kirk, G. E., A Short History of The Middle East, London, 1959.

كوتلوف ، ل . ن ، الثورة التحررية الوطنية العراقية في سنة ١٩٢٠ ،
موسكو ١٩٥٨ • (كان اصل هذا الكتاب بالروسية ولاسباب مطبعية
اثبت عنوانه بالعربية) •

Lawrance, T.E., Seven Pillars of Wisdom, New York,
1938.

Longrigg, S.H., Iraq, 1900 - To 1950, London, 1953.

ملکزاده ، مهدي ، تاريخ انقلاب مشروطيت ايران ، ٦ مجلدات ،
طهران ١٣٣٠ •

Moberly, F. J., The Campaign in Mesopotamia, Vols
I, II & III, London, 1924.

Wilson, A.T., A Clash of Loyalties, 2 Vols, London,
1939.

Ziadeh, A. Nicola, "Recent Arabic Literature on
Arabism", The Middle East Journal Vol IV, 1952.

جدول الخطأ والصواب

هناك بعض الهنات تركتها لفطنة القارىء الكريم

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
احداهما	احدهما	٢	٦
هذا	هذه	١٠	١٦
فرع	فروع	٥	٢٨
السادس عشر	السادس	٧	٨٤
حضرة	حضر	١١	١١٠
هما	هو	٤	١١٣
	تضاف كلمة « حاكم » بعد الكلمة الانكليزية	١٢	١٣٣
قد	وقد	٢	١٣٩
قلت	قلة	٢٣	١٨٧
	سقطت كلمة « التي » من آخر السطر	٩	٢٠٣
	Op. cit I, p. 258. سقطت عبارة	٢٣	٢٠٨
فعالا	فعالة	١٩	٢٣٠
	سقطت كلمة « بل » التي تأتي قبل كلمة « لا »	١٢	٢٣٣
تضافرت	وتضافر	١٤	٢٣٧
منهمكة	منهكمة	١٤	٢٩٢

فهرست المواضيع

الصفحات	
٢ - ٤	المقدمة - بقلم العلامة الشيخ محمد رضا الشيباني ..
٥ - ١٦	المقدمة - بحث تحليلي عن مصادر الكتاب الرئيسة ..
	الفصل الاول - احوال العراق الاجتماعية والاقتصادية
١٧ - ٣٩	في نهاية القرن التاسع عشر
	الفصل الثاني - حركة التحرر العراقية في
٤٠ - ١٠٠	بداية القرن العشرين
١٠٠ - ٢٠٦	الفصل الثالث - الاحتلال الانكليزي للعراق
٢٠٧ - ٢٥١	الفصل الرابع - اسباب الثورة ومقدماتها
٢٥٢ - ٣٢٤	الفصل الخامس - ميادين القتال
٣٢٥ - ٣٣٣	الفصل السادس - نتائج الثورة العراقية سنة ١٩٢٠
٣٣٧ - ٣٥٣	الملاحق
٣٥٤ - ٣٧٤	الفهارس
٣٧٥ - ٣٨١	المصادر
٣٨٣	فهرست المواضيع
٣٨٥ - ٣٩٢	ملخص بالانكليزية يتناول الخطوط العامة للبحث ..

مؤلفات الفياض

- ١ - تاريخ البرامكة (نفذ)
- ٢ - تاريخ بلادك وامتك الفه بالاشتراك مع احد الزملاء
- ٣ - تاريخ العرب الفه بالاشتراك مع المرحوم محمد حسن العضاض
- ٤ - الجغرافية المتوسطة الفه بالاشتراك مع لجنة
- ٥ - مرشد طالب البكلوريا الى الجغرافية المتوسطة الفه بالاشتراك مع احد الزملاء
- ٦ - مشاهداتي في تركيا
- ٧ - مشكلة الاراضي في لواء المنتفك
- ٨ - تاريخ العرب الفه بالاشتراك مع لجنة
- ٩ - الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠
- ١٠ - مجموعة مقالات نشرت في مجلة الاستاذ التي تصدرها كلية التربية - جامعة بغداد

من كتب المؤلف المعدة للطبع

- ١١ - تاريخ التربية عند الشيعة الامامية في عهد الخلافة العباسية
(ان الكتاب المذكور اطروحة للدكتوراه)
- ١٢ - الزراعة العراقية في مائة عام
- ١٣ - تدوين التاريخ عند المسلمين

much money in putting down the revolt as had spent in helping the Sharif of Makka revolution of 1916.

The sixth chapter covers the general conclusions which were reached by the author.

Abdullah Fayyad
History Department
Faculty of Education
University of Baghdad

Baghdad, January, 17, 1963.

The third part of the third chapter deals with the 1918—1920 armed uprisings against the British. The Iraqis, resisting British occupation and seeking their independence, demonstrated, protested and fought with the British authorities, with little success. Sir Arnold Wilson, the Acting High-Commissioner, recommended British protection instead of independence and he turned a deaf ear to all the Iraqi demands. Failing to convince the British government of their just demands, the Iraqi nationalists worked hard to win the uneducated large segment of the population and they influenced the Ulama, who understood and sympathized with the national aims, to issue their Fetwas against occupation.

The fourth chapter discusses the causes of the Revolution of 1920. The important but not decisive nationalist sentiment, the abuses of the British officials, heavy taxation and religious factor, namely where non-Muslims have not to rule Muslims, led to the revolt of 1920. Other factors, such as the Shurafa government in Syria, the slight success of the Egyptian uprising of 1919 and the success of the Turkish revolution under Mustafa Kemal, encouraged the Iraqi revolutionists.

The fifth chapter deals with the military side of the revolution. In spite of the fact that the Iraqis did not have modern arms, sufficient money to finance the military operations, they were able to inflict heavy damages on the British forces. British casualties were 2269 killed or wounded and the British government spent three times as

lack of political training and their firmly held feeling for a pan-Islamic movement, issued Fetwas supporting the Jihad call against the British. It is interesting to note that many of the Iraqis who had responded to the Jihad, lost their lives and property in helping the Turks who did not sympathize with the Arab national aims.

The first part of the third chapter surveys the major economic, territorial and strategic causes which led to the British occupation of Iraq. The great Britain's commercial interests which went back to the nineteenth century was added the confirmation of oil deposits. The government of India coveted Iraq especially the Wilayat of Basra, where India wanted to ship out three million Muslim Indians. Added to these was Britain's plan to control all the countries lying astride the British lifeline to the Far East. Furthermore, Russian and German plans to build railways and to spread their influence in this part of the world worried the British.

The second part of the third chapter is restricted to the socio-economic changes which resulted from the British occupation of Iraq. Administrative measures by the occupation authorities are discussed. The people were heavily taxed. The British were unsuccessful in their attempts to solve the land tenure problem. They tried to replace the land lords, especially in the Nasiriyyah (Muntafik) Lewa, by the shaikhs and the Serkals. They did little or nothing for the peasants. For political reasons, they deprived some families, such as the Sa'dun, from their immense estates and they gave the land, in practice but not in law, to the Serkals.

the landlords. Midhat's policy, not only was responsible for causing conflicts between the land lord and the peasant but it also led to the creation of the absentee land-lord system which became so serious that the British occupation authorities were forced to tackle it. The chapter also includes a general survey of the increase in Iraqi trade which resulted from the opening of the Suez canal and the improvement of the land and sea transportation facilities. Other elements such as the foreign banking system, which was introduced by the British commercial companies, and which facilitated Iraq's international trade, are also mentioned.

The second chapter deals with the Iraqi cultural revival and political awakening during the first two decades of the twentieth century, an awakening which was produced by the following factors: The impact of western civilization, the opening of some modern native schools, the enlightened, though limited, press activities, the strong propaganda campaign for the revival of the Arab heritage, especially the Arabic language, the activities of the political parties and the influence of the Iranian and Turkish constitutional movements. Needless to say, the above mentioned factors were confined to a limited group of educated individuals, who were to prove themselves by realizing some of their goals. Their main problem was how to win over to their side the illiterates. They worked hard and they pointed out that the Turks were not serious in their pan-Islamic propaganda. Seeking the peoples' support, this educated group first sought the Ulama's help, some of whom had sympathized and supported the national aims. However, the Majority of the Ulama, due to their

ABSTRACT

Al-Thawrah al-Iraqiyyah al-Kubra Sanat 1920 is a study of Iraq's cultural revival and political awakening which culminated in the revolution of 1920.

Originally an M.A. thesis submitted to the American University of Beirut, this study assumed the proportions of a book after the author had collected important information on the subject. Different sources, both oral and written, were used.

The study consists of an introduction, six chapters, two appendices and an introductory preface by al-Shaykh Muhammad Riḍa al Shabibi, a veteran politician and thinker who had participated personally in the events under discussion.

The introduction listing the major sources which were used, gives the outline the main ideas covered in detail in the body of the book. The introduction, furthermore, reflects the author's conception of the Iraqi revolution of 1920 and how it developed.

The first chapter deals with the socio-economic conditions which were prevailing in Iraq at the end of the 19th century. The country was underdeveloped, agricultural production was low, large areas of cultivable land were left uncultivated and floods were uncontrollable. The author also refers to the wide-spread tribal system, its degeneration and Midhat Pasha's land tenure policy and its impact on the interrelations between the peasants and

PREFACE

The author would like to take this opportunity to express his sincere appreciation and cordial thanks to all those who helped him during the preparation of this study. He expresses special thanks to His Highness the sage al-Shaykh Muhammad Rida al-Shabibi who wrote the introductory preface of this study. He also expresses his sincere appreciation to professor Abdul Aziz al-Duri who read this book and offered many worthy and constructive suggestions.

The author.

THE
HISTORICAL RECORD
OF 1920

Published by the
Historical Record Company
New York, N. Y.

1921

THE IRAQI REVOLUTION OF 1920

By

ABDULLAH FAYYAD

Faculty of Education University of Baghdad

First Edition

Al-Irshad Press, Baghdad 1963.

**THE
IRAQI REVOLUTION
OF 1920**

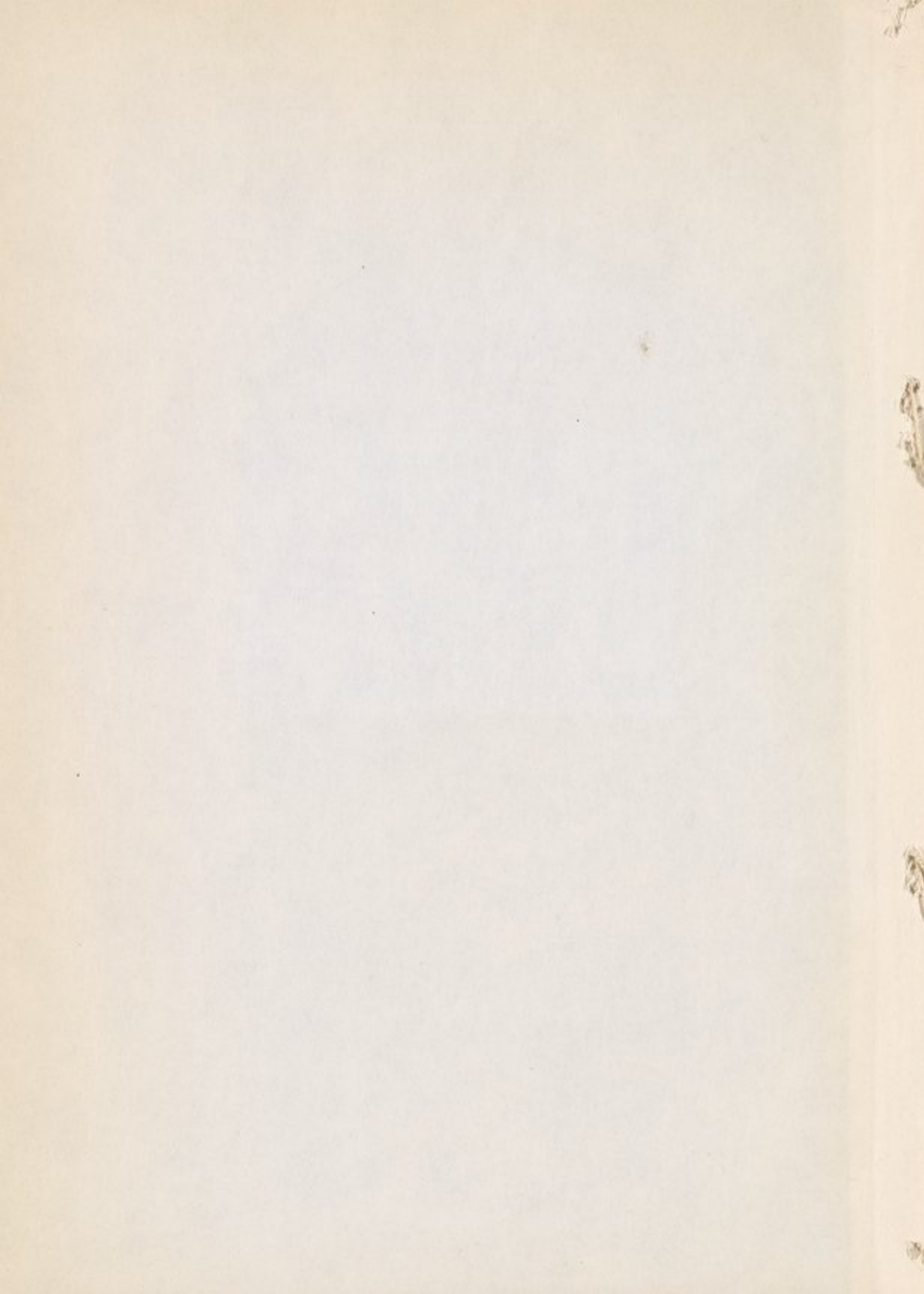
By

ABDULLAH FAYYAD

Faculty of Education University of Baghdad

First Edition

Al-Irshad Press, Baghdad 1963.



LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

